سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٧١)

حسن الظن بالله

توجيهات ومواعظ

من كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

"الرشد ليس ما ذكر، ولكن ما قيل من العقل والحفظ لماله، والإصلاح فيها.

وروي عن ابن عباس – رضي الله عنه – في قوله – تعالى –: (فإن آنستم منهم رشدا) قال: إذا أدرك بحلم وعقل ووقار.

وهو يقول –أيضا– في قوله – تعالى –: (منهم رشدا): إن الله – سبحانه وتعالى – يقول: اختبروا اليتامى من عند الحلم، فإن عرفتم منهم رشدا في حالهم، والإصلاح في أموالهم –: (فادفعوا إليهم أموالهم).

وفي حرف ابن مسعود – رضي الله عنه –: " فإن أحسستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ".

وفي حرف حفصة: " وابتلوا اليتامى في أموالهم حتى إذا بلغوا النكاح بعد كبرهم ".

ثم لا يخلو منع الأموال منهم من أوجه ثلاثة:

إما أن يمنع؛ لفرط البذل والإنفاق، جودا وسخاوة، **وحسن الظن بالله** أنه – عز وجل – يرزقهم ويعطيهم خلف نفقتهم، وهذا لا يحتمل؛ لأن هذا من أخلاق الأنبياء – صلى الله عليهم وسلم – وسيرتهم؛ فلا يحتمل النهي عن ذلك.

أو يمنع؛ لغلبة شهوتهم، ولقضاء وطرهم وحاجتهم، ينفقون الأموال؛ ليصلوا إلى ذلك، فإنهم إن منعوا عن أموالهم يتناولوا من أموال غيرهم، ويتعاطوا ما لا يحل ولا يحسن؛ فلا يحتمل أن يمنعوا لذلك.

أو أن يمنع عنهم الأموال؛ لآفة في عقولهم، ونقص في لبهم، فإن كان لهذا ما يمنع أموالهم عنهم؛ فيجب أن يمنع أبدا، لا وقت في ذلك ولا مدة إلا بعد ارتفاع ذلك وزواله عنهم، وهو الوجه، يمنع منه حتى يؤنس منه الرشد.

ثم جعل إدراكه وبلوغه بالاحتلام؛ لأن كل جارحة من جوارح الإنسان يجوز استعمالها إلا الجارحتين منهما؛ فإنه لا يقدر على استعمالهما إلا هو، إحداهما: الذكر، والأخرى: اللسان؛ فإن هاتين الجارحتين لا يمكن استعمالهما إلا صاحبهما؛ فجعل." (١)

"أجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع. وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: كيف أنتم! لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم الكبير، وتتخذ سنة مبتدعة يجري عليها الناس فإذا غير منها شي قيل: غيرت السنة. قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا كثر قراؤكم. قل فقهائكم، وكثر أمراؤكم، وقل أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين. وقال سفيان بن عيينة: بلغنا عن ابن عباس أنه قال: لو أن حملة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبهم الله، ولكن ي لبوا به الدنيا فأبغضهم الله، وهانوا على الناس. وروي عن أبي جعفر محمد بن علي في قول الله تعالى:" فكبكبوا «١» فيها هم والغاوون" قال: قوم وصفوا الحق والعدل بألسنتهم، وخالفوه إلى غيره .. سيأتي لهذا الباب مزيد بيان في أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى.

باب ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يغفل عنه

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٣/٢٣

فأول ذلك أن يخلص في طلبه لله عز وجل كما ذكرنا، وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن في ليله ونهاره، في الصلاة أو في غير الصلاة لئلا ينساه. وروى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه وينبغي له أن يكون لله حامدا، ولنعمه شاكرا، وله ذاكرا، وعليه متوكلا، وبه مستعينا وإليه راغبا، وبه معتصما، وللموت مستعدا. وينبغي له أن يكون خائفا من ذنبه، راجيا عفو ربه، ويكون الخوف في صحته أغلب عليه، إذا لا يعلم بما يختم له، ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه، **لحسن الظن بالله**، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن". أي أنه يرحمه ويغفر له. وينبغي له أن يكون عالما بأهل زمانه، متحفظا من سلطانه، ساعيا في خلاص نفسه، ونجاة مهجته، مقدما بين يديه ما يقدر عليه من عرض دنياه، مجاهدا لنفسه في ذلك ما استطاع. وينبغي له أن يكون أهم أموره عنده الورع في دينه، واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه.

---

(١). آية ٩٤ سورة الشعراء. [.....]." (١)

"عندك فما كلفك الله ما لا تقدر. فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قول عمر، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله،

أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرف السرور في وجهه لقول الأنصاري. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بذلك أمرت). قال علماؤنا رحمة الله عليهم: فخوف الإقلال من سوء الظن بالله، لأن الله تعالى خلق الأرض بما فيها لولد آدم، وقال في تنزيله:" خلق لكم ما في الأرض جميعا"" وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه" [الجاثية: ١٣]. فهذه الأشياء كلها مسخرة للآدمي قطعا لعذره وحجة عليه، ليكون له عبدا كما خلقه عبدا، فإذا كان العبد **حسن الظن بالله** لم يخف الإقلال لأنه يخلف عليه، كما قال تعالى:" وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين «١» " [سبأ: ٣٩] وقال:" فإن ربي «٢» غني كريم" [النمل: ٤٠]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى:" سبقت رحمتي غضبي يا بن آدم أنفق أنفق عليك يمين الله ملأى «٣» سحا لا يغيضها شي الليل والنهار (. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:) ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا (. وكذا في المساء عند الغروب يناديان أيضا، وهذا كله صحيح رواه الأئمة والحمد لله. فمن استنار صدره، وعلم غنى ربه وكرمه أنفق ولم يخف الإقلال، وكذلك من ماتت شهواته عن الدنيا واجتزأ باليسير من القوت المقيم لمهجته، وانقطعت مشيئته لنفسه، فهذا يعطي من يسره وعسره ولا يخاف إقلالا. وإنما يخاف الإقلال من له مشيئة في الأشياء، فإذا أعطى اليوم وله غدا مشيئة في شي خاف ألا يصيب غدا، فيضيق عليه الأمر في نفقة اليوم لمخافة إقلاله. روى مسلم عن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٠/١

أسماء بنت أبي بكر قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (انفحي أو انضحي «٤» أو أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي «٥» فيوعي عليك). وروى النسائي عن عائشة قالت: دخل علي

---

(١). راجع ج ١٤ ص ٣٠٧.

(٢). راجع ج ١٣ ص ٢٠٦.

(٣). أي دائمة الصب والهطل بالعطاء.

(٤). قال النووي: (والنفح والنضح العطاء، ويطلق النضح أيضا على الصب فلعله المراد هنا ويكون أبلغ من النفح).

(٥). الايعاء: جعل الشيء في الوعاء، أي لا؟ تجمعي وتشحى بالنفقة فيشح عليك.." [١]

"وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ليس من يوم يأتي على ابن آدم إلا ينادى فيه يا ابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل غدا عليك شهيد فاعمل في خيرا أشهد لك به غدا فإني لو قد مضيت لم ترني أبدا ويقول الليل مثل ذلك" ذكره أبو نعيم الحافظ وقد ذكرناه في كتاب التذكرة في باب شهادة الأرض والليالي والأيام والمال. وقال محمد بن بشير فأحسن:

مضى أمسك الأدنى شهيدا معدلا ... - ويومك هذا بالفعال شهيد

فإن تك بالأمس اقترفت إساءة ... - فثن بإحسان وأنت حميد

ولا ترج فعل الخير منك إلى غد ... - لعل غدا يأتي وأنت فقيد

قوله تعالى:" وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم" أي أهلككم فأوردكم النار. قال قتادة: الظن هنا بمعنى العلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** فإن قوما أساءوا الظن بربهم فأهلكهم" فذلك قوله:" وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم". وقال الحسن البصري: إن قوما ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي وكذب، ولو أحسن الظن لأحسن العمل، وتلا قول الله تعالى:" وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين". وقال قتادة: من استطاع منكم أن يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل، فإن الظن اثنان ظن ينجي وظن يردي. وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية: هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها ويتكلمون على المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا مفاليس، ثم قرأ:" وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين". قوله تعالى:" فإن يصبروا فالنار مثوى لهم" أي فإن يصبروا في الدنيا على أعمال أهل النار فالنار مثوى لهم. نظيره:" فما أصبرهم على النار" [البقرة: ١٧٥] على ما تقدم «١»." وإن يستعتبوا" في الدنيا وهم مقيمون على كفرهم" فما هم من المعتبين". وقيل: المعنى" فإن يصبروا"

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١/٢٥٣

(١). راجع ج ٢ ص ٢٣٦ طبعه ثانيه. [.....]." (١)

"تنشرح له النفس وتستبشر بقضاء الحاجة وبلوغ الأمل، **فيحسن الظن بالله** عز وجل، وقد قال: (أنا عند ظن عبدي بي). وكان عليه السلام يكره الطيرة، لأنها من أعمال أهل الشرك، ولأنها تجلب ظن السوء بالله عز وجل. قال الخطابي: الفرق بين الفأل والطيرة أن الفأل إنما هو من طريق **حسن الظن بالله**، والطيرة إنما هي من طريق الاتكال على شي سواه. وقال الأصمعي: سألت ابن عون عن الفأل فقال: هو أن يكون مريضا فيسمع يا سالم، أو يكون باغيا «١» فيسمع يا واجد، وهذا معنى حديث الترمذي، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا طيرة وخيرها الفأل)، قيل: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: (الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم). وسيأتي لمعنى الطيرة مزيد بيان إن شاء الله تعالى. روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه، وثلاثة لا ينالون الدرجات العلا، من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر من طيرة. الموفية عشرين- قوله تعالى: (ذلكم فسق) إشارة إلى الاستقسام بالأزلام. والفسق الخروج، وقد تقدم «٢»

. وقيل يرجع إلى جميع ما ذكر من الاستحلال لجميع هذه المحرمات، وكل شي منها فسق وخروج من الحلال إلى الحرام، والانكفاف عن هذه المحرمات من الوفاء بالعقود، إذ قال:" أوفوا بالعقود"] المائدة: ١]. الحادية والعشرون- قوله تعالى: (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) يعني أن ترجعوا إلى دينهم كفارا. قال الضحاك: نزلت هذه الآية حين فتح مكة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة لثمان بقين من رمضان سنة تسع، ويقال: سنة ثمان، ودخلها ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم" ألا من قال لا إله إلا الله فهو آمن، ومن وضع السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن". وفي" يئس" لغتان، يئس ييئس يأسا، وأيس يأيس

(١). الباغي: الذي يطلب الشيء الضال.

(٢). راجع ج ١ ص ٢٤٤ وما بعدها.." (٢)

"الشرائع ووضوح ملة محمد صلى الله عليه وسلم. قال ابن عطية: وقائل هذه المقالة قصد إلى أكبر فساد بعد أعظم صلاح فخصه بالذكر. قلت: وأما ما ذكره الضحاك فليس على عمومه، وإنما ذلك إذا كان فيه ضرر على المؤمن، وأما ما يعود ضرره على المشركين فذلك جائز، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد عور ماء قليب «١» بدر وقطع شجر الكافرين. وسيأتي الكلام في قطع الدنانير في" هود «٢» " إن شاء الله تعالى. (وادعوه خوفا وطمعا) أمر بأن يكون الإنسان في حالة ترقب وتخوف وتأميل لله عز وجل، حتى يكون الرجاء والخوف للإنسان كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامته، وإن انفرد أحدهما هلك الإنسان، قال الله تعالى:" نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم. وأن عذابي هو العذاب الأليم «٣» ".

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٥٣/١٥

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦٠/٦

فرجى وخوف. فيدعو الإنسان خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه، قال الله تعالى:" ويدعوننا رغبا ورهبا «٤» ". وسيأتي القول فيه. والخوف: الانزعاج لما لا يؤمن من المضار. والطمع: توقع المحبوب، قال القشيري. وقال بعض أهل العلم: ينبغي أن يغلب «٥» الخوف الرجاء طول الحياة، فإذا جاء الموت غلب الرجاء. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**). صحيح أخرجه مسلم. قوله تعالى: (إن رحمت الله قريب من المحسنين) ولم يقل قريبة. ففيه سبعة أوجه: أولها أن الرحمة والرحم واحد، وهي بمعنى العفو الغفران، قاله الزجاج واختاره النحاس. وقال النضر بن شميل: الرحمة مصدر، وحق المصدر التذكير، كقوله:" فمن جاءه موعظة «٦» ". وهذا قريب من قول الزجاج، لأن الموعظة بمعنى الوعظ. وقيل: أراد بالرحمة الإحسان،

---

(١). القليب (بفتح القاف): البئر العادية القديمة التي لا يعلم لها رب ولا حافر، تكون في البراري.

(٢). راجع ج ٩ ص ٨٤.

(٣). راجع ج ١٠ ص ٣٤.

(٤). راجع ج ١١ ص ٣٣٦. [.....]

(٥). هذا يخالف ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاءه بميزان تريص ما زاد أحدهما على الآخر، وفى رواية" لاعتدلا". وورد عن حذيفة رضى الله عنه حين احتضر: اللهم إنك أمرتنا أن نعدل بين الخوف والرجاء والآن الرجاء فيك أمثل.

(٦). راجع ج ٣ ص ٣٤٧.." (١)

"٤٤١ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبلَ مَوْتِه بثَلاثَةِ أيّام، يقولُ: «لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلاَّ وَهُوَ **يُحسِنُ الظَّنَّ بالله** - عز وجل». رواه مسلم. (١)

---

(١) أخرجه: مسلم ٨/ ١٦٥ (٢٨٧٧) (٨٢).." (٢)

"للمؤمنين قال تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ).

وإمّا لأجل رؤوس الآي في الفاتحة.

وقيل: الرحيم أبلغ بدليل ذكره بعد الرحمن، ولأن الرحمن يفيد نوعًا من القهر، والكبرياء قال تعالى: (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ) وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا)، إذ لولا ذلك لما ناسب ذكر الوعيد معه؛ ولأن ختم الكلام بما هو أقوى دلالة على الرحمة، أرجى، وأقرب **لحسن الظن بالله** ". انتهى.

وذكر ابن السِّيد في " أسئلته " الخلاف في " الرحمن "، و " الرحيم " أيهما أخص، وقال: " إن المختص بالله تعالى إنما هو

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٢٧/٧

(٢) رياض الصالحين ت الفحل، النووي ص/١٥٧

مجموعهما ". ومثله للفاسي في " شرح الشاطبية ".

ونص إمام الحرمين، وغيره من الأصوليين على أن: الرحمن مختص بالله تعالى لا يوصف به غيره ".." (١)

"إصلاح المال:

تحقيق ودراسة مصطفى مفلح طبعته له دار الوفاء – القاهرة سنة ١٤١٠هـ

الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان:

تقديم وتحقيق وتعليق نجم عبد الرحمن خلف طبعته له دار البشير – عمّان سنة ١٤١٣هـ.

التهجد وقيام الليل:

قُدّم كرسالة ماجستير بتحقيق ودراسة مصلح بن جزاء بن فدغوش الحارثي، أشرف عليها عبد العزيز بن راجي الصاعدي – المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية سنة ١٤١٢ هـ.

التواضع والخمول:

تحقيق وتعليق لطفي محمد الصغير ، وأشرف عليه نجم عبد الرحمن خلف طبعته له دار الاعتصام – القاهرة سنة ١٤٠٨ هـ.

التوبة:

تحقيق مجدي السيد إبراهيم طبعته له مكتبة القرآن – القاهرة سنة ١٤١١هـ

التوكل على الله:

تحقيق وتعليق جاسم الفهيد الدوسري طبعته دار الأرقم – الكويت سنة ١٤٠٤ هـ.

وطبعته طبعة أخرى مكتبة القرآن – القاهرة تحقيق وتعليق مجدي السيد إبراهيم سنة ١٤٠٦ هـ.

حسن الظن بالله عز وجل:

تحقيق مخلص محمد طبعته له دار طيبة – الرياض سنة ١٤٠٨ هـ.

وطبعته مكتبة القرآن – القاهرة سنة ١٤٠٨ هـ بتحقيق وتعليق مجدي السيد إبراهيم.." (٢)

"(إن الله اصطفى لكم الدين) المراد بالدين ملته التي لا يرغب عنها إلا من سفه نفسه وهي الملة التي جاء بها محمد – صلى الله عليه وسلم –، وفي قوله:

(فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) إيجاز بليغ، والمراد إلزموا الإسلام ولا تفارقوه حتى تموتوا، وهذا استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تموتوا على حالة غير حالة الإسلام، وليس فيه نهي عن الموت الذي هو قهري، ولهذا قال السيوطي نهى عن ترك الإسلام وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت، انتهى، والمعني أن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موت لا خير فيه، وإن حق هذا الموت أن لا يحصل فيهم، عن فضيل بن عياض قال:

(مسلمون) أي محسنون بربكم الظن، ويدل عليه ما روي عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل

---

(١) التقييد الكبير للبسيلي، البسيلي ص/٢٣٨

(٢) حسن السمت في الصمت، السيوطي ص/٣٩

موته بثلاثة أيام يقول: " لا يموتن أحد إلا وهو يحسن الظن بربه " أخرجاه في الصحيحين (١).

---

(١) قال البغوي: في تفسيره -١٨٨: والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت، وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام معناه: داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون، وعن الفضيل بن عياض رحمه الله: أنه قال: إلا وأنتم مسلمون، أي: محسنون بربكم الظن، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام، يقول: " لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل "..".[1]

"ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين (٥٦)

(ولا تفسدوا في الأرض) نهاهم الله سبحانه عن الفساد في الأرض بوجه من الوجوه قليلا كان أو كثيرا، ومنه قتل الناس وتخريب منازلهم وقطع أشجارهم وتغوير أنهارهم، ومن الفساد في الأرض الكفر بالله والوقوع في معاصيه (بعد إصلاحها) أي بعد أن أصلحها الله بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتقرير الشرائع قاله الحسن والسدي والضحاك والكلبي، وقيل بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب.

(وادعوه خوفا وطمعا) فيه أنه يشرع للداعي أن يكون عند دعائه خائفا وجلا طامعا في إجابة الله لدعائه، فإنه إذا كان عند الدعاء جامعا بين الخوف والرجاء ظهر بمطلوبه، قال القرطبي: أمرنا الله تعالى بأن يكون العبد وقت الدعاء في حال ترقب وتخوف وأمل في الله حتى يكون الخوف والرجاء للإنسان كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامته، وإذا انفرد أحدهما هلك الإنسان فيدعو الإنسان خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه.

والخوف الانزعاج في الباطن من المضار التي لا يؤمن من وقوعها وقيل توقع مكروه فيما بعد والطمع توقع حصول الأمر المحبوب في المستقبل قال ابن جريج: معناه خوف العدل وطمع الفضل وقيل خوفا من الرياء وطمعا في الإجابة.

قال بعض أهل العلم: ينبغي للعبد أن يغلب الخوف حال حياته فإذا جاء الموت غلب الرجاء قال صلى الله عليه وآله وسلم: لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** تعالى، أخرجه مسلم (١)، والآية الأولى في بيان شرط

---

(١) مسلم/٢٨٧٧..".[2]

"(قال بل سولت) زينت أو خيلت (لكم أنفسكم أمرا) لا أصل له، والأمر هنا قولهم (إن ابنك سرق) وما سرق في الحقيقة وقيل المراد بالأمر إخراجهم بنيامين والمضي به إلى مصر طلبا للمنفعة فعاد ذلك بالمضرة، وقيل هذا الأمر فتياهم بأن السارق يؤخذ بسرقته، والإضراب هنا هو باعتبار ما أثبتوه من البراءة لأنفسهم لا باعتبار أصل الكلام فإنه صحيح والجملة

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٨٧/١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٧٩/٤

مستأنفة مبنية على سؤال مقدر كغيرها.

(فصبر جميل) أي فأمري صبر أو فصبر جميل أجمل بي وأولى لي، والصبر الجميل هو الذي لا يبوح صاحبه بالشكوى بل يفوض أمره إلى الله ويسترجع، وقد ورد أن الصبر عند أول الصدمة.

(عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) أي بيوسف عليه السلام وأخيه بنيامين، والأخ الثالث الباقي بمصر وهو كبيرهم كما تقدم، وإنما قال هكذا على سبيل **حسن الظن بالله** عز وجل لأنه قد كان عنده أن يوسف عليه السلام لم يمت وأنه باق على الحياة وإن غاب عنه خبره، وإذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع إلى الفرج قال تعالى (سيجعل الله بعد عسر يسرا) (إنه هو العليم) بحالي (الحكيم) فيما يقضي به.." (١)

"(وذلكم) أي ما ذكر من ظنكم مبتدأ (ظنكم) بدل منه (الذي ظننتم بربكم) نعت والخبر (أرداكم) أي أهلككم وطرحكم في النار، وقيل: ظنكم الخبر والموصول بدل أو بيان، وأرداكم حال، وقد مقدرة أو غير مقدرة، أي ذلكم ظنكم مرديا إياكم.

(فأصبحتم من الخاسرين) أي الكاملين في الخسران، قال المحققون الظن قسمان أحدهما حسن والآخر قبيح، فالحسن أن يظن بالله عز وجل: الرحمة والفضل والإحسان، قال صلى الله عليه وسلم، حكاية عن الله عز وجل: " أنا عند ظن عبدي بي " (١).

وأخرج أحمد وأبو داود والطيالسي وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود وابن ماجة وابن حبان وابن مردويه عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** تعالى، فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله، فقال الله وذلكم ظنكم " (٢) الآية، والظن القبيح أن يظن أنه تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الأفعال، وقال قتادة الظن نوعان مرد ومنج، فالمنجي قوله: (إني ظننت أني ملاق حسابيه)، وقوله: (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم)، والمردي هو قوله: (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) ثم أخبر عن حالهم فقال:

---

(١) البخاري ٨/ ٤٣١ - أحمد ٣٦١٤/ ٣٨٧٥ والترمذي ٢/ ١٥٢ والطبري ٢٤/ ١٠٩.

(٢) مسلم ٤/ ٢٢٠٦.." (٢)

"وجملة: (إن بعض الظن إثم) تعليل لما قبلها من الأمر باجتناب كثير من الظن، وهذا البعض هو ظن السوء بأهل الخير، والإثم هو ما يستحقه الظان من العقوبة، ومما يدل على تقييد هذا الظن المأمور باجتنابه بظن السوء قوله تعالى: (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) فلا يدخل في الظن المأمور باجتنابه شيء من الظن المأمور باتباعه من مسائل الدين، فإن الله قد تعبد عباده باتباعه، وأوجب العمل به جمهور أهل العلم، ولم ينكر ذلك إلا بعض طوائف المبتدعة، كيادا للدين، وشذوذا عن جمهور المسلمين، وقد جاء التعبد بالظن في كثير من الشريعة المطهرة، بل في أكثرها، قال أبو السعود: من

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٨٥/٦

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٤٣/١٢

الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى، ومنه ما حرم كالظن في الإلهيات والنبوات، وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الأمور المعاشية أهـ.

وقيل: الظن أنواع فمنه واجب ومأمور به، وهو الظن الحسن بالله عز وجل، ومنه مندوب إليه، وهو الظن الحسن بالأخ المسلم الظاهر العدالة، ومنه حرام محظور، وهو سوء الظن بالله عز وجل، وسوء الظن بالأخ المسلم، قال ابن عباس في الآية: نهى الله المؤمن أن يظن بالمؤمن سوءا.

وعن أبي هريرة قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا " (١) الحديث أخرجه الشيخان.

ثم لما أمرهم الله سبحانه باجتناب كثير من الظن نهاهم عن التجسس فقال:

(ولا تجسسوا) التجسس البحث عما ينكتم عنك من عيوب المسلمين وعوراتهم، نهاهم الله سبحانه عن البحث عن معائب الناس ومثالبهم، حتى يطلع عليها بعد أن سترها الله تعالى، وقرأ الجمهور بالجيم، ومعناه ما ذكرنا

---

(١) رواه مسلم.." (١)

"من يعبد الله أو من يدعو الله مستشعرا الخوف من الله والطمع في ثوابه وما عنده من الخير كان الخوف والطمع جناحين يطير بهما إلى الاستقامة وإلى ما ينبغي.

وهذا يعلم منه أنه ينبغي للمسلم أن يكون في جميع أحواله إذا دعا الله أو عبد الله أن يكون جامعا بين الخوف من الله والطمع فيما عند الله (جل وعلا)، فلا يترك الرجاء لئلا يكون من القانطين ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف: آية ٨٧] ولا يترك الخوف فيأمن مكر الله؛ لأنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون فيكون خائفا من الله، طامعا راجيا في فضل الله.

والعلماء يقولون (١): ينبغي للإنسان وهو في أيام صحته أن يغلب الخوف دائما على الرجاء، وأن يكون خوفه أغلب من رجائه، فإذا حضره الموت غلب الرجاء في ذلك الوقت على الخوف. فلا ينبغي لمؤمن أن يموت إلا وهو يحسن ظنه بالله (جل وعلا)؛ لأن ربه رؤوف رحيم كما جاء بذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢).

فالمؤمن إذا احتضر وعلم أن الموت قد حضره، وأن أيام حياته ذاهبة مدبرة، فهو في ذلك الوقت ينبغي له أن يحسن ظنه بالله، وأن يعلم أنه قادم إلى عفو كريم رؤوف رحيم، والله عند ظن عبده به.

أما في أيام صحته فيغلب الخوف من الله لئلا يحمله حسن الظن على أمن مكر الله والتلاعب بأوامره ونواهيه. هكذا قال بعض أهل

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥١٧)، فتح الباري (١١/ ٣٠١).

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٤٨/١٣

(٢) مسلم في الجنة في صفة نعيمها وأهلها، باب الأمر **بحسن الظن بالله** تعالى عند الموت. حديث رقم (٢٨٧٧)، (٤/ ٢٢٠٥).." (١)

"العلم. وقد دل الحديث على أن الإنسان لا ينبغي له أن يموت إلا وهو **يحسن الظن بالله** (جل وعلا). وهذا معنى قوله: ﴿وادعوه خوفا وطمعا﴾ [الأعراف: آية ٥٦].

ثم قال: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: آية ٥٦] الرحمة صفة من صفات الله اشتق لنفسه منها اسمه (الرحمن) واسمه (الرحيم) وهي صفة كريمة من صفات الله تظهر آثارها فيمن شاء أن يرحمه من خلقه، اشتق من هذه الصفة لنفسه اسمه (الرحمن) واسمه (الرحيم) ونحن نثبت لله ما أثبته لنفسه على أكمل الوجوه وأنزهها وأقدسها وأليقها بالله، وأبعدها عن مشابهة صفات المخلوقين.

وقوله: ﴿قريب من المحسنين﴾ المحسنون جمع تصحيح للمحسن، والمحسن: اسم فاعل الإحسان، والإحسان مصدر أحسن العمل يحسنه إحسانا، إذا جاء به حسنا.

والإحسان هو الذي خلق الله الخلائق من أجل الاختبار فيه (١). إحسان العمل كما قال (جل وعلا) في أول سورة هود: ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ [هود: آية ٧] فبين أن الحكمة في الخلق: ابتلاؤه الخلق أيهم أحسن عملا، ولم يقل: أيهم أكثر عملا. وقال في أول سورة الكهف: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾ ثم بين الحكمة فقال: ﴿لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾ [الكهف: آية ٧] وقال في أول سورة الملك: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ ثم بين الحكمة فقال: ﴿ليبلوكم

---

(١) مضى عند تفسير الآية (٥٩) من سورة الأنعام.." (٢)

"ولمر الفناء في كل يوم ... حركات كأنهن سكون

والمقادير لا تناولها الأو ... هام لطفا ولا تراها العيون

وسيجزي عليك ما كتب الله ... ويأتيك رزقك المضمون

وسيكفيك ذا التعزز والبغي ... من الدهر حده المسنون

واليقين الشفاء من كل هم ... ما يثير الهموم إلا الظنون

فاز بالروح والسلامة من كا ... نت فضول الدنيا عليه تهون

والغنى أن **تحسن الظن بالله** ... وترضى بكل أمر يكون

والذي يملك الأمور جميعا ... ملك جل نوره المكنون

وسع الخلق قدرة فجميع الـ ... خلق فيها محدد موزون

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين ٣/٤٠٧

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين ٣/٤٠٨

كل شيء فقد أحاط به الله ... وأحصاه علمه المخزون

إن رأيا دعا إلى طاعة الله ... لرأي مبارك ميمون

وقال أيضا:

طال شغلي بغير ما يعنيني ... وطلابي فوق الذي يكفيني

واحتيالي بما علي ولا لي ... واشتغالي بكل ما يلهيني

وأرى ما قضى علي إلهي ... من قضاء فإنه يأتيني

ولو أني كففت لم أبغ رزقي ... كان رزقي هو الذي يبغيني

أحمد الله ذا المعارج شكرا ... ما عليها إلا ضعيف اليقين

ولعمري إن الطريق إلى الحـ ... ـق مبين للناظر المستبين

ويح نفسي إني أراني بدنيا ... ي ضنينا ولا أضن بديني

ليت شعري غدا أؤعطى كتابي ... بشمال لشقوتي أم يميني." (١)

"انظر: النّهاية (باب: الثّاء مع النّون) ١/ ٢٢٤، وتحفة الأحوذيّ (٣٧٨/٧).

[١٢٠] زيادة من: (ج).

[١٢١] تابع يونس في الرواية عن أبيه جماعة منهم:

١- أبو حمزة الثّماليّ، أشار لروايته الدّارقطنيّ في: (العلل ١٢٨/٣)، وهو ضعيف (انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ٣٥٧/٤).

٢- الخليل بن مرّة أخرج روايته الدّارقطنيّ في: الأفراد (ترتيب ابن القيسرانيّ [٥١/ب])، وقال: "غريب من حديث الخليل بن مرّة عن أبي إسحاق، تفرّد به القاسم بن عيسى أبو العبّاس الضرير عنه".

والخليل ضعيف (انظر ترجمته في: التّقريب ص/١٩٦ ت/١٧٥٧).

٣، ٤، ٥- مسعر بن كدام، والثّوريّ، وخطاب بن كيسان، أشار لروايتهم الدّارقطنيّ أيضا في: الأفراد (ترتيب ابن القيسرانيّ [٥١/ب])، وقال: "وتفرّد به عنهم محمّد بن القاسم الأسديّ"، وهو: أبو القاسم الكوفيّ، قال الحافظ في: (التّقريب ص/٥٠٢ ت/٦٢٢٩): "كذّبوه".

٦،٧- الحكم بن عبد الله النصريّ، وحفص بن سليمان، أشار لروايتهما الدّارقطنيّ في: علله (١٢٨/٣)، وقال: "واختلف عن حفص بن سليمان، وأبي حمزة، فقيل: عن حفص عن أبي إسحاق عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه عن عليّ، وهذا القول وهم من قائله، والصّحيح عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة" اه.

وحفص بن سليمان هو: أبو عمر المقريء، متروك الحديث (انظر: التّقريب ص/١٧٢ ت/١٤٠٥)، والحكم ذكره ابن حبّان في: (الثّقات ١٨٦/٦)، وقال الذّهبيّ في: (المغني ١٨٤/١ ت/١٦٥٩): "مجهول".

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٣٥٦/٢

والحديث من طريق حجّاج عن يونس عن أبيه رواه أيضا: التّرمذيّ في: (الجامع ١٧/٥- ١٨ ورقمه/٢٦٢٦)، وابن ماجه في: (السّنن ٨٦٨/٢ ورقمه/٢٦٠٤)، وأحمد في: (المسْند ٩٩/١، ١٥٩)، وابن أبي الدّنيا في: (حسن الظّنّ بالله ص/٤٠ ورقمه/٥٢، وَالتّوبة ص/١١١- ١١٢ ورقمه/١٣٦)، والبزّار في: (المسند ١٢٥/٢ ورقمه/٤٨٢)، والطّبرانيّ في: (الصّغير ص/٥٥ ورقمه/٤٦)، والدّارقطنيّ في: (السّنن ٢١٥/٣)، والحاكم في: (المستدرك ٤٤٥/٢، ٢٦٢/٤، ٣٨٨)، والبيهقيّ في: (السّنن الكبرى ٣٢٨/٨)، والقضاعيّ في: (الشّهاب ٣٠٣/١ ورقمه/٥٠٣)، والضّياء في: (المختارة ٣٨٤/٢- ٣٨٥ الأحاديث ذوات الأرقام/٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠) وغيرهم، كلّهم من طرق عنه به

قال التّرمذيّ: "وهذا حديث حسن غريب".

وقال البزّار: "وهذا الحديث لا نعلم رواه عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن أبي جحيفة عن عليّ إلاّ الحجّاج"، وبنحوه قال الطّبرانيّ.

هذا، وقد روي الحديث من طريق عبدالملك بن أبي سليمان عن أبي حمزة الثّماليّ به موقوفا على عليّ رواه: عبد بن حميد في: مسنده (المنتخب ص/٥٨ رقم/٨٧)، والبزّار في: مسنده (١٢٦/٢- ١٢٧ ورقمه/٤٠٨٣) وأشار إليه الدّارقطنيّ في: علله (١٢٩/٣) عن الحسن بن خلف عن إسماعيل بن يوسف عنه به

وهذا بالإضافة إلى أبي حمزة فيه: الحسن بن خلف، يتكلّمون فيه (انظر: الكامل ٣٣٤/٢)، وقال الحافظ في: (التّقريب ص/١٦٠ ت/١٢٣٧): "صدوق له أوهام".

وعبد الملك بن أبي سليمان صدوق له أوهام أيضا (كما في: التّقريب ص/٣٦٣ ت/٤١٨٤).

وللحديث شواهد عن عدد من الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم منها: حديث عبادة بن الصّامت، رواه البخاريّ في اثني عشر موضعا من صحيحه، منها في: (كتاب: الإيمان، باب كذا دون ترجمة) ١٩/١ رقم الحديث/١٧.

ومسلم في: (كتاب: الحدود، باب: الحدود كفّارات لأهلها) ١٣٣٣/٣ ورقمه/١٧٠٩.

[١٢٢] تقدّمت ترجمته انظر ص/٥٨.

[١٢٣] تقدّمت ترجمته أيضا انظر ص/٦٩٦.

[١٢٤] أبو العبّاس القطّان، المُخَرِّميّ ترجم له الخطيب في: (تأريخه ٢٨٧/٤ ت/٢٠٤٣) وذكر جماعة ممّن رووا عنه، وقال: "وكان ثقة مات في سنة: أربع وثلاثمائة".

[١٢٥] ابن عبد الله بن المنذر القرشي، الأسديّ، أبو إسحاق، المدنيّ صدوق.

روى له: خ، ت، س، ق. ومات سنة: ستّ وثلاثين ومئتين.

انظر: الجرح والتعديل (١٣٩/٢) ت/٤٥٠، والكاشف (٢٢٥/١) ت/٢٠٨، والتّقريب (ص/٩٤) ت/٢٥٣.

[١٢٦] المدنيّ قال ابن معين (كما في: تأريخ الدّارميّ عنه ص/٧٢ ت/١٥٤): "صالح ليس به بأس"

وضعّفه: البخاريّ في: (الضّعفاء الصّغير ص/٢٩ ت/٩)، والنّسائيّ في: (الضّعفاء والمتروكين ص/١٤٦ ت/٨)، وأبو حاتم (كما في: الجرح والتعديل ١٣٣/٢ ت/٤٢٢)، وابن حجر في: (التّقريب ص/٩٤ ت/٢٥٥)، وغيرهم، وأطلق ابن طاهر

في: (معرفة التّذكرة ص/١٠٨ ت/١٦٤) القول فيه بالكذب.
وانظر: الضّعفاء والمتروكين للدّارقطنيّ (ص/١٠٧) ت/٢٠، والميزان (٦٧/١) ت/٢٢٤.

[١٢٧] كذا في النسختين، والصّواب: عمر بن حفص بن ذكوان، كما في: (الجرح والتعديل ١٣٣/٢) في شيوخ ابن مهاجر، وكما في تلاميذ مولى الحرقة في: (تهذيب الكمال ١٨/١٨)، وهو كذلك في جميع المصادر الّتي ورد فيها سند الحديث وسيأتي ذكرها في تخريجه إن شاء الله .

وعمر بن حفص بن ذكوان هو: أبو حفص المدنيّ ويقال: هو عمر بن أبي خليفة حجّاج بن غياث، وفرّق بينهما البخاريّ في: التّأريخ الكبير (انظره: ١٥٠/٦ ت/١٩٩٣، ١٥٢/٦ ت/٢٠٠٢)، والعقيليّ في: الضّعفاء (انظره: ١٥٥/٣، ١٥٦/٣) والله أعلم .

قال الإمام أحمد في: (العلل ٣٠٠/٣ رقم النّص/٥٣٣٣): "تركنا حديثه، وخرّقناه".

وقال ابن المدينيّ (كما في: الضّعفاء والمتروكين لابن الجوزيّ ٢٠٦/٢ ت/٢٤٤٩)، والنّسائيّ في: (الضّعفاء والمتروكين ص/٢٢١ ت/٤٦١): "ليس بثقة".

وقال ابن حبّان في: (المجروحين ٨٤/٢): "كان ممّن يشتري الكتب، ويحدّث بها من غير سماع، ويجيب فيما يُسأل وإن لم يكن ممّن يحدّث به".

مات بعد المئتين.

وانظر: الميزان (١٠٩/٤) ت/٦٠٧٥.

[١٢٨] بضمّ المهملة، وفتح الرّاء، بعدها قاف واسمه: عبد الرّحمن بن يعقوب الجهنيّ، المدنيّ ثقة، من الثالثة. روى له: ر، م، ٤ .

انظر: تأريخ الدّارميّ عن ابن معين (ص/١٧٣) ت/٦٢٣، والثّقات للعجليّ (ص/٣٠١) ت/٩٩٤، والتّقريب (ص/٣٥٣) ت/٤٠٤٦.

هذا، وتوهّم ابن أبي عاصم في: (السّنّة ٢٦٩/١) أنّ مولى الحرقة هذا هو ابن المترجم هنا، واسمه: العلاء (له ترجمة في: تهذيب الكمال ٥٢٠/٢٢ ت/٤٥٧٧) فقد ورد عنده أثناء سياق سند الحديث:".. عن مولى الحرقة قال أبو بكر: وهو العلاء إن شاء الله .." وهذا وهم منه يرحمه الله ، وإنّما هو عبد الرّحمن بن يعقوب كما تقدّم وهو الّذي نصّ عليه ابن خزيمة في: (التّوحيد ٤٠٢/١- ٤٠٣)، والخطيب في كلامه على الحديث هنا (انظر ص/٨٠٧)، وابن عساكر في: (تأريخه ٣١/١٢ أ)، وابن حجر في: أطراف العشرة (كما في: اللآلئ المصنوعة للسّيوطيّ ١٠/١).

[١٢٩] يعني: السّورتين.

[١٣٠] اسم للجنّة، وقيل: شجرة فيها.

انظر: النّهاية (باب: الطّاء مع الواو) ١٤١/٣، ولسان العرب (حرف: الباء الموحدة، فصل: الطّاء المهملة) ٥٦٤/١-٥٦٥.

[١٣١] الحديث رواه أيضا الدّارميّ في: (سننه ٥٤٧/٢- ٥٤٨ ورقمه/٣٤١٤)، ويعقوب في: (المعرفة والتّأريخ ٤٩٦/٣)

ومن طريقه اللالكائيّ في: (شرح أصول اعتقاد أهل السّنّة والجماعة ٢٢٦/٢ ورقمه/٣٦٩) ، وابن أبي عاصم في: (السّنّة ٢٦٩/١ ورقمه/٦٠٧)، وابن خزيمة في: (التوحيد ٤٠٢/١– ٤٠٣ ورقمه/٢٣٦)، والعقيليّ في: (الضّعفاء ٦٦/١) ومن طريقه ابن الجوزيّ في: الموضوعات (١٠٩/١) ، وابن حبّان في: (المجروحين ١٠٨/١)، والطّبرانيّ في: (المعجم الأوسط ٤٥٢/٥ ورقمه/٤٨٧٣)، وابن عديّ في: (الكامل ٢١٦/١)، وأبو الشّيخ في: (طبقات المحدثين بأصبهان ٢٤٣/٣– ٢٤٤ ورقمه/٤٧٢)، وابن منده في: (التّوحيد ٣١٦/٣ ورقمه/٩١٣)، وتمّام في: (الفوائد ١٣٢/١– ١٣٣ ورقمه/٣٠٣، ١٣٣/١ ورقمه/٣٠٥) ومن طريقه ابن عساكر في: تأريخه ٣١/١٢ أ) واللالكائيّ في: (شرح أصول اعتقاد أهل السّنّة ٢٢٦/٢ ورقمه/٣٦٨)، والبيهقي في كتابيه: (شعب الإيمان ٤٧٦/٢– ٤٧٧ ورقمه/٢٤٥٠، والأسماء والصّفات ٥٦٦/١ ورقمه/٤٩١، ٥٦٧/١ ورقمه/٤٩٢)، والذّهبيّ في: (السّير ٦٩٠/١٠– ٦٩١)، وأشار إليه أبو نعيم في: (ذكر أخبار أصبهان ١٠٦/٢) وغيرهم، من طرق عن إبراهيم بن المنذر عن ابن مهاجر به

إلاّ أنّه في الموضع الثّاني من فوائد تمّام: "عن عمر بن حفص بن ذكوان عن عبد الرّحمن بن الحارث عن أبي هريرة" وهذا غلط، فقد قال ابن أبي عاصم في: (السّنّة ٢٦٩/١) أثناء سياقه للحديث: "وكان الحزاميّ لا يقول لنا قط إلاّ مولى الحرقة، ومن قال غير هذا فقد غلط عليه".

قال ابن حبّان عقب الحديث: "وهذا متن موضوع".

وقال ابن عديّ وقد ذكر معه حديثا آخر: "والحديث الأول يرويه ابن مهاجر بن مسمار، ولا أعلم يرويه غيره" إلى أن قال: ".. وإبراهيم بن مهاجر لم أجد له حديثا أنكر من حديث: "قرأ طه، ويس" لأنّه لم يروه إلاّ إبراهيم بن مهاجر، ولا يروي بهذا الإسناد، ولا بغير هذا الإسناد هذا المتن إلاّ إبراهيم بن مهاجر هذا).

وقال ابن الجوزيّ: "هذا حديث موضوع".

وقال الذّهبيّ: "هذا حديث منكر؛ فابن مهاجر، وشيخه ضعيفان".

وقال ابن كثير في: (تفسيره ١٤٨/٣) وقد ذكر الحديث: "هذا حديث غريب، وفيه نكارة.." وأعلّه بابن مهاجر، وشيخه أيضا

وأورد جماعة ممّن ألّف في الموضوعات هذا الحديث في مؤلفاتهم كابن طاهر في: (معرفة التّذكرة ص/١٠٨ برقم/١٦٤)، وابن عرّاق في: (تنزيه الشريعة في الفصل الثّاني من كتاب: التّوحيد ١٣٩/١)، والسّيوطيّ في: (اللآليء المصنوعة ١٠/١) وغيرهم. هذا، وتعقّب الحافظ ابن حجر في: أطراف العشرة (كما في: اللآلئ ١٠/١) بعض من قال بوضعه، فقال: "زعم ابن حبّان، وتبعه ابن الجوزيّ أنّ هذا المتن موضوع، وليس كما قالا؛ فإنّ مولى الحرقة هو: عبد الرّحمن بن يعقوب من رجال مسلم، والرّاوي عنه وإن كان متروكا عند الأكثر ضعيفا عند البعض فلم ينسب للوضع، والرّاوي عنه لا بأس به، وإبراهيم بن المنذر من شيوخ البخاريّ" اه.

وهذا الكلام وجيه، إلاّ ما ذكره من حال ابن مهاجر أنّه لا بأس به، وهو هنا وإن كان اختار قول ابن معين فيه، إلاّ أنّ الجمهور على ضعفه، وأطلق ابن طاهر فيه القول بالكذب، وقول الجمهور هو ما اختاره في: التّقريب (انظر ص/٤٥١).

وللحديث وجه آخر رواه: ابن عديّ في: (الكامل ٢١٦/١) بسنده عن أنس رضي الله عنه وفيه: ابن مهاجر، وعمر بن

حفص أيضا ، جعلاه عن أنس !

وعزاه السّيوطيّ في: (اللآلئ ١/١٠) إلى الدّيلميّ، وقال ابن عرّاق في: (تنزيه الشّريعة ١/١٣٩): "وفي سنده: محمَّد بن سهل بن الصّبّاح، فإن يكن هو العطّار فقد مرّ في المقدّمة [١/١٠٦] أنّه: وضّاع، وإلاّ فمجهول، وعنه علي بن جعفر عبد الله الأنصاريّ الأصبهانيّ لم أعرفه، وعن هذا محمَّد بن عبد العزيز قال الخطيب: فيه نظر" اه. [وقول الخطيب في: تأريخه (٢/٣٥٣ ت/٨٥٩)].

هذا، وحكم الألبانيّ في تعليقه على كتاب السّنّة لابن أبي عاصم (١/٢٦٩) على الحديث بأنّه ضعيف جدًّا، وهو كما قال والله تعالى أعلم .

[١٣٢] أبو إسحاق، الكوفيّ له ترجمة في: الطّبقات الكبرى لابن سعد (٦/٣٣١)، وتهذيب الكمال (٢/٢١١) ت/٢٥٠، والميزان (١/٦٧) ت/٢٢٥.

[١٣٣] ابن عبد شمس البجليّ، أبو عبدالله، الكوفيّ

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٦٦)، وتهذيب الكمال (١٣/٣٤١).

[١٣٤] واسمه: حصين ابن عوف البجليّ، أبو عبد الله، الكوفيّ

انظر ترجمته في: التّأريخ الكبير (٧/١٤٥) ت/٦٤٨، والاستيعاب لابن عبد البر (٣/٢٤٧)، وتهذيب الكمال (٢٤/١٠) ت/٤٨٩٦.

[١٣٥] الجهنيّ، أبو سليمان، الكوفيّ

انظر ترجمته في: تأريخ أبي زرعة الدّمشقيّ (ص/٦٧٦)، وأسد الغابة (٢/١٤٩) ت/١٨٧٩، وتهذيب الكمال (١٠/١١١) ت/٢١٣١.

[١٣٦] تقدّمت ترجمته انظر ص/٧١٥.

[١٣٧] تقدّمت ترجمته أيضاً انظر ص/٨٣٨.

[١٣٨] الجعفيّ، أبو خيثمة، الكوفيّ

انظر ترجمته في: الجر ح والتعديل (٣/٥٨٨) ت/٢٦٧٤، والمشاهير (ص/١٨٦) ت/١٤٨٢، وتهذيب الكمال (٩/٤٢٠) ت/٢٠١٩.

[١٣٩] هو: الوضّاح بن عبدالله، تقدّمت ترجمته انظر ص/٨١٥.

[١٤٠] لم أقف على ترجمة له.

[١٤١] المعروف بالصّادق، تقدّمت ترجمته انظر ص/٥٢٤.

[١٤٢] الجعفيّ له ترجمة في: الجرح والتعديل (٣/١٧٢) ت/٧٤٢.

[١٤٣] بضمّ العين، وفتح الرّاء المهملتين، وفي آخرها النّون الكوفيّ، من رؤوس الشّيعة في وقته انظر ترجمته في: الجرح والتعديل (٣/٦) ت/٢٠، والكامل (٢/٣٣٢)، والميزان (٢/٦) ت/١٨٢٨.

[١٤٤] تقدّمت ترجمته انظر ص/٥٥.

[١٤٥] تقدّمت ترجمته أيضا انظر ص/٥٢٢.
[١٤٦] لم أقف على ترجمة له.
[١٤٧] في (أ): "الذّهليّ"، وما أثبتّه من: (ج)، وهو الصّواب.
وهو: سُلمي بن عبد الله وقيل اسمه: روح البصريّ قال ابن معين في: (التّأريخ رواية: الدّوريّ ٦٩٧/٢): "ليس بشيء"، وكذّبه غندر (كما في: الجرح والتعديل ٣١٣/٤ ت/١٣٦٥)، واتّهمه ابن حبّان في: (المجروحين ٣٥٩/١). وقال ابن حجر في: (التّقريب ص/٦٢٥ ت/٨٠٠٢): "أَخْبَاريّ، متروك الحديث". روى له: ق. ومات سنة: سبع وستّين ومائة.
[١٤٨] هو: ابن دعامة، تقدّمت ترجمته انظر ص/٦٠٥.
[١٤٩] من (اللّوك): أهون المضغ، ويطلق أيضا ويراد به: إدارة الشيء في الفمّ. انظر: النّهاية (باب: اللاّم مع الواو) ٢٧٨/٤، ولسان العرب (حرف: الكاف، فصل: اللاّم) ٤٨٤/١٠.
[١٥٠] الأثر رواه: وكيع في: (الزّهد ٥٥٠/٢ برقم/٢٨٦)، وهو من هذا الطّريق عن ابن عبّاس فيه: أبو بكر الهذليّ، وهو متروك (كما تقدّم أعلاه).
وقتادة لم يسمع من ابن عبّاس (انظر: المراسيل لابن أبي حاتم ص/١٣٩ ت/٣١٠، وجامع التّحصيل للعلائي ص/٢٥٤ ت/٦٣٣).
وللأثر خمسة طرق أخرى عن ابن عبّاس:
أوّلها: طريق سعيد بن جبير رواها: الإمام أحمد في كتابيه: (الزّهد ص/٢٧٨ ورقمها/١٠٤١، وفضائل الصّحابة ص/٩٥٢ ورقمها/١٨٤٤) عن ابن مهديّ عن الحسن بن أبي جعفر عن أبي الصّهباء عنه به،بنحوه، وابن أبي جعفر ضعيف (انظر: الكاشف ٣٢٢/١ ت/١٠١٧).
والثّانية: طريق مطرّف بن عبد الله بن الشّخّير رواها: ابن أبي الدّنيا في: (الصّمت ص/٢٥٩- ٢٦٠ ورقمها/٤٤٢) عن الحسن بن الصّبّاح عن إسحاق بن منصور السّلوليّ عن عبد السّلام بن حرب عن سعيد الجريريّ عنه به، بنحوه، مطوّلاً وعبد السّلام بن حرب له مناكير (انظر: التّقريب ص/٣٥٥ ت/٤٠٦٧).
والجريريّ اختلط، ولا يُدْرى متى سمع منه عبد السّلام (انظر: الكواكب النّيّرات ص/١٧٨ ت/٢٤).
ولم أقف على ما يدلّ أنّ مطرّفا سمع من ابن عبّاس والله تعالى أعلم .
والثّالثة: طريق إسماعيل بن مسلم البصريّ العبديّ رواها: ابن أبي الدّنيا في: (الصّمت أيضا ص/٥٩ ورقمها/٤٥) عن إسحاق بن إسماعيل (هو: الطّالقانيّ) عن سفيان (هو: ابن عيينة) عنه به، بنحوه
وهذا إسناد رجاله ثقات، إلاّ أنّ إسماعيل بن مسلم لم يسمع من ابن عبّاس، عدّه الحافظ في: (التّقريب ص/١١٠ ت/٤٨٣) من الطّبقة السّادسة، ولا يَثْبت لأصحابها لقاء أحد من الصّحابة (كما ذكره في المقدّمة ص/٧٥) والله تعالى أعلم .
والرّابعة: طريق عنبسة الخوّاص رواها: ابن أبي الدّنيا في: (الصّمت أيضا ص/٣٢٠ ورقمها/٥٧٩) عن أزهر بن مروان عن جعفر بن سليمان عنه به، بنحوه
وأزهر، وجعفر صدوقان (كما في: التّقريب ص/٩٨ ت/٣١٢، ص/١٤٠ ت/٩٤٢)، والخواص لم أقف على ترجمة له.

والخامسة: رجل عنه رواها: ابن المبارك في: (الزّهد ٣٣٩/١ رقمها/٣٥٤) ومن طريقه: الإمام أحمد في فضائل الصّحابة (ص/٩٥٢ ورقمها/١٨٤٦)، عنه وعن عبد الوهّاب بن عبد المجيد، وفي: الزّهد (ص/٢٧٩ برقم/١٠٤٥) عن عبد الوهّاب فقط، وابن أبي عاصم في: (الزّهد والصمّت [٢/ب]) ومن طريق أحمد في الزّهد: أبو نعيم في: (الحلية ٣٢٧/١- ٣٢٨) عن سعيد بن إياس الجريريّ عنه به، بنحوه أيضا

ولعّل الرّجل المبهم هنا هو: مطرّف بن الشّخّير؛ فإنّه تقدّم معنا (ص/٨١١) أنّ ابن أبي الدّنيا رواه من طريق عبد السّلام بن حرب عن الجريريّ عن مطرّف عن ابن عبّاس به.. فإن كان هو فهذا إسناد صحيح، عبد الوهّاب بن عبد المجيد سمع من الجريريّ قبل الاختلاط (انظر: الكواكب النّيّرات ص/١٨٣ ت/٢٤).

وفي معنى الأثر عدّة أحاديث مرفوعة منها:

حديث أبي شريح الخزاعيّ رضي الله عنه بلفظ: "مَنْ كانَ يُؤمنُ بالله، وَاليومِ الآخرِ فَليقُل خَيرًا، أوْ ليسْكُت" رواه البخاريّ في: (كتاب: الرّقاق، باب: حفظ اللّسان) ١٨٠/٨ ورقمه/٦٣.

ومسلم في: (كتاب: الإيمان، باب: الحثّ على إكرام الجار والضّيف، ولزوم الصّمت إلاّ عن الخير، وكون ذلك كلّه من الإيمان) ٦٩/١ ورقمه/٤٨.

ونحوه حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه: البخاريّ في الموضع المتقدّم نفسه برقم (٦٢).

ومسلم في الموضع المتقدّم نفسه أيضا (٦٨/١) ورقمه/٤٧.

[١٥١] تقدّمت ترجمته انظر ص/٤٨.

[١٥٢] الحنبليّ، أبو بكر، البغداديّ صدوق، انتقد الدّارقطنيّ عليه (كما في: سؤالات السّلميّ ص/١٠٣ ت/١٢) تحديثه من كتاب غيره بما لم يكن في أصوله.

لكن اعتذر له الخطيب في: (تأريخه ١٩١/٤) بأنّه قد كُفّ بصره في آخر عمره، فلعلّ بعض طلبة الحديث قرأ عليه ما ذكره الدّارقطنيّ.

مات سنة: ثمان وأربعين وثلاثمائة.

وانظر: الأنساب (٤٥٧/٥)، ولسان الميزان (١٨٠/١) ت/٥٧٦.

[١٥٣] ابن صالح الأسديّ، أبو عليّ، البغداديّ ثقة. مات سنة: ثمان وثمانين ومئتين. انظر: تأريخ بغداد (٨٦/٧) ت/٣٥٢٣، وطبقات الحنابلة (١٢١/١) ت/١٤٣، وتذكرة الحفّاظ (٦١١/٢).

[١٥٤] ابن مسلم العجليّ، والد أحمد بن عبد الله صاحب: تأريخ الثّقات ثقة ، مات سنة: إحدى عشرة ومئتين.

انظر: الثّقات لابن حبّان (٣٥٢/٨)، وتأريخ بغداد (٤٧٧/٩) ت/٥١٠٩، والتّقريب (ص/٣٠٨) ت/٣٣٨٩.

[١٥٥] بفتح المعجمة، وكسر النّون، وتشديد التّحتانيّة الخزاعيّ، أبو زكريّا، الكوفيّ

وثّقه ابن سعد في: (الطّبقات الكبرى ٣٩٣/٦)، وابن معين (كما في: تأريخ الدّارميّ عنه ص/٢٣٤ ت/٩٠٨)، والإمام أحمد في: (العلل ١٨٩/٣ رقم النّص/٤٨١٥، ٣١٠/٣ رقم النّص/٥٣٨٣)، وأبو داود (كما في: تهذيب الكمال ٤٤٨/٣١)، والعجليّ في: (تأريخ الثّقات ص/٤٧٤ ت/١٨١٧)، والدّارقطنيّ (كما في سؤالات البرقانيّ له ص/٧٠

ت/٥٣٤)، والذّهبيّ في: (الكاشف ٣٧٠/٢ ت/٦٢٠٦)، وغيرهم.

ولم يتكلّم فيه فيما وقفت عليه إلاّ ابن عديّ، فقد ذكره في: (كامله ٢٠٨/٧) وقال بعد أن ذكر بعض أحاديثه: "وليحيى بن عبد الملك غير ما ذكرت، وعامّة ما يرويه بعضه لا يتابع عليه، وهو ممّن يُكْتب حديثه".

وكأنّه من أجل هذا قال الحافظ في: (التّقريب ص/٥٩٣ ت/٧٥٩٨): "صدوق، له أفراد"اه.

ولعلّ الرّجل أرفع من ذلك، فعامّة أهل العلم على توثيقه والله أعلم .

روى له: خ، م، مد، ت، س، ق. ومات سنة: ثمان وثمانين ومائة.

[١٥٦] لَحَق بحاشية: (أ).

[١٥٧] الإسْناد حسَن والأثر رواه أيضا: أبو نعيم في: (الحلية ١٤٠/٦) عن محمَّد بن أحمد بن الحسن أبي عليّ، والخطيب في اقتضاء العلم العمل (ص/١٠٤ ورقمه/١٧٧) عن الحسين بن عمر الغزّال عن عبدالباقي بن قانع القاضي، كلاهما عن بشر بن موسى به، بنحوه، مختصرا إلاّ أنّ في سند الخطيب: (يحيى بن حميد)، بدل: (يحيى بن عبدالملك)، وهو تحريف. وفي المتن: "يساررك"، بدل: "يُسار بِكَ"، وهو تحريف أيضاً .

وهذا إسناد صحيح، ومحمَّد بن أحمد هو: المعروف بابن الصّوّاف، ثقة، مأمون (كما في: تأريخ بغداد ٢٨٩/١ ت/١٤٠).

وأورده ابن رجب في شرحه للحديث الأربعين من جامع العلوم والحكم (ص/٣٨٤).

[١٥٨] تقدّمت ترجمته انظر ص/٤٨.

[١٥٩] تقدّمت ترجمته أيضا انظر ص/٢٥٦.

[١٦٠] أبو عليّ، البغدادي ثقة. مات سنة: اثنتين وسبعين ومئتين.

انظر: تأريخ بغداد (٢٨٦/٧) ت/٣٧٨٦، والمنتظم(٢٥٠/١٢) ت/١٧٨١، والسّير (١٤٤/١٣).

[١٦١] أي: سكنت. انظر: النّهاية (باب: الرّاء مع الكاف) ٢٥٨/٢، والقاموس المحيط (باب: الدال، فصل: الرّاء) ص/٣٦٢.

[١٦٢] لم أقف على تعيين هذا الموضع في ما بين يديّ من مراجع.

[١٦٣] هكذا: بالسين المهملة المفتوحة، ثمّ قاف ساكنة، بعدها لام مفتوحة ، وفي بعض المصادر الّتي ذكرت القصّة: "صقلبي" بالصّاد المهملة .

والصّقالبة: جيل من النّاس حمر الألوان، صهب الشّعور. انظر: معجم البلدان (٤١٦/٣)، والقاموس المحيط (باب: الباء، فصل: الصّاد) ص/١٣٥.

[١٦٤] بالكسر، والفتح: حديدة عَقْفَاء، يُصطاد بها السمك.

النّهاية (باب: الشّين مع الصّاد) ٤٧٢/٢.

[١٦٥] أي: طرف انظر: لسان العرب (حرف: الفاء، فصل: الصّاد المهملة) ١٩٨/٩- ١٩٩، والقاموس المحيط (باب: الفاء، فصل: الصّاد) ص/١٠٧١.

[١٦٦] القذال: جماع مؤخّر الرّأس. انظر: لسان العرب (حرف: اللاّم، فصل: القاف) ٥٥٣/١١، والقاموس المحيط (باب:

اللاّم، فصل: القاف) ص/١٣٥٣ .

[١٦٧] زيادة من: (ج).

[١٦٨] أي: ذهبنا، وأبعدنا. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٢٨/٢)، وغريب الحديث للخطّابيّ (٧٦/٣)، والقاموس المحيط (باب: اللاّم، فصل: الغين)ص/١٣٨١.

[١٦٩] القصّة رواها أيضا: الخطيب في (تأريخه ٢٨٦/٧) ومن طريقه: ابن الجوزيّ في: المنتظم (٢٥٠/١٢- ٢٥١)، والذّهبيّ في: السّير (١٤٤/١٣- ١٤٥) عن أبي سعيد الصيرفيّ عن أبي العبّاس الأصمّ عن الحسن العطّار عن عبد الرّحمن ابن هارون بها وذكرها مختصرة: ابن تغري بردي في: (النّجوم الزّاهرة ٧٩/٣) عن العطّار عن عبد الرّحمن بن هارون أيضا .

[١٧٠] وفي (ج): "آخر الجزء الثّالث، والحمد لله حمد الشّاكرين، وصلّى الله على محمّد، وآله، وسلّم".

@@@." (١)

"١٠١٣- أَخْبَرَنَا مُصْعَبُ بْنُ مِقْدَامٍ الْخَثْعَمِيُّ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ ، قَالاَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنِ الأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ.

١٠١٤- حَدَّثَنَا يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهَرٍ جَارٍ عَذْبٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ.

١٠١٥- حَدَّثَنَا يَعْلَى ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاَثٍ ، يَقُولُ : لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلاَّ وَهُوَ **حَسَنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ** عَزَّ وَجَلَّ.

١٠١٦- حَدَّثَنَا يَعْلَى ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم : أَيُّ الصَّلاَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : طُولُ الْقُنُوتِ.

١٠١٧- حَدَّثَنَا يَعْلَى ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ خَافَ أَنْ لاَ يَسْتَيْقِظَ آخِرَ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ لِيَرْقُدْ ، وَمَنْ طَمِعَ فِي أَنْ يَسْتَيْقِظَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ ، فَإِنَّ قِرَاءَةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَحْضُورَةٌ وَذَلِكَ أَفْضَلُ.." (٢)

"التوحيد وحرم صورهم على النار من أجل السجود منهم من تأخذه النار إلى قدميه ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم فمنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكث فيا سنة ثم يخرج منها وأطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى فإذا أراد الله أن يخرجوا منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم في النار سواء فيغضب الله لهم غضبا لم يغضبه لشئ مما مضى فيخرجهم إلى عين في الجنة وهو قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين [الحجر ٢] خرجه ابن أبي حاتم وغيره وخرجه الاسماعيلي مطولا وقال الدار قطني في كتاب المختلق هو

---

(١) المهروانيات، ص/٥٩

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد، ص/٣١٢

حديث منكر واليمان مجهود ومسكين ضعيف ومحمد بن حمير لا أعرفه إلا في هذا الحديث انتهى / صفحة ١٩٠ / وقد سبق حديث أنس في الذي ينادي في النار ألف سنة يا حنان يا منان ثم يخرج منها وروينا من طريق محمد بن معاوية حدثنا حازم عن الحسن قال أهل التوحيد في النار لا يقيدون فتقول الخزنة بعضهم لبعض ما بال هولاء يقيدون وهؤلاء لا يقيدون فناداهم مناد إن هؤلاء كانوا يمشون في ظلام الليل إلى المساجد وقال مروان بن معاوية عن مالك بن أبي الحسن عن الحسن قال يخرج رجل من النار بعد ألف عام قال الحسن ليتني ذلك الرجل [إن طالبني بذنوبي لأطالبنه بعفوه] قال أحمد بن أبي الحواري دخلت على أبي سليمان وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال لئن طالبني بذنوبي لأطالبنه بعفوه ولئن طالبني ببخلي لأطالبنه بجوده ولئن أدخلني النار لأخبرن أهل النار أني كنت أحبه وروى ابن أبي الدنيا في كتاب **حسن الظن بالله** تعالى بإسناده عن علي بن بكار أنه سئل عن **حسن الظن بالله** قال ان لا يجمعك والفجار في دار واحدة وعن سلمان بن الحكم بن عوانة أن رجلا دعا بعرفات فقال لا تعذبنا بالنار بعد أن أسكنت توحيدك." (١)

" ١٢٠ – حدثنا عبد الله قال : أخبرني محمد بن الحسين حدثني إسماعيل بن زياد قال : قدم علينا عبادان راهب من أهل الشام فينزل دير أبي كبشة فذكروا من حكمة كلامه ما حملني إلى لقائه فأتيته وهو داخل الدير وقد اجتمع إليه ناس وهو يقول : إن لله عبادا سمت بهم هممهم نحو عظيم الذخائر فاحتقروا ما دون ذلك من الأخطر والتمسوا من فضل سيدهم توفيقا يبلغهم سمو الهمة فإن استطعتموهم أيها المرتحلون عن قريب أن تأخذوا ببعض أمرهم قوم ملأت الآخرة قلوبهم فاتخذوا الدنيا فيها مليا فالحزن بثهم والدموع والدوب وسيلتهم والإشفاق شغلهم **وحسن الظن بالله** قربانهم يحزنون لطول المكث في الدنيا إذا فرح فهم فيها مسجونون وإلى الآخرة متطلعون فما سمعت موعظة قط كانت آخذ لقلب منها ." (٢)

" دينار قال أنا كنت سألته عن رؤيا رآها رأى فيها مسلم بن يسار فقصها علي فانتفضت فجعل يشهق ويضطرب حتى ظننت أن كبده قد تقطعت في جوفه ثم هدأ فحملناه إلى بيته فلم يزل مريضا يعوده إخوانه حتى مات منها فهذا كان سبب موته

٣٢ – حدثنا أبو بكر حدثني محمد بن الحسين حدثنا أبو عمر الضرير حدثني سهيل أخو حزم قال رأيت مالك بن دينار بعد موته في منامي فقلت يا أبا يحيى ليت شعري بماذا قدمت على الله عز و جل قال قدمت بذنوب كثيرة محاها عني **حسن الظن بالله** عز و جل

٣٣ – حدثنا أبو بكر حدثني محمد بن الحسين حدثني يحيى بن راشد حدثنا العلاء أبو محمد قال مكثت أدعو الله سنة أن يريني مالك بن دينار في منامي قال فرأيته في منامي بعد موته بسنة كأنه في محرابه فقال لي اللهم يسر الجوار وسهل المجلس

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي – ، ص/١٨١

(٢) الهم والحزن، ص/٨٠

٣٤ – حدثنا أبو بكر حدثني محمد حدثني خالد بن عمرو القرشي حدثني سهل بن أحمد التيمي وكان مجمع مولى لأبيه قال رأيت مجمعا فيما يرى النائم بعد موته فقلت يا أبا حمزة كيف الأمر قال رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخيرالدنيا والآخرة قال قلت فما فعل أبوك صمغان قال جمع بيني وبينه بعد اليأس منه وذلك أن الله تغمدنا برحمته

٣٥ – حدثنا أبو بكر حدثني محمد حدثنا بشر بن عمر الزهراني حدثنا ." (١)

" فتخبرنا به قال أبشر فلم أر مثل **حسن الظن بالله** شيئا

٤٩ – حدثنا أبو بكر حدثني مالك بن ضيغم أبو غسان الراسبي حدثنا أبو إسحاق الدعربي قال رأيت فيما يرى النائم ليلة جمعة ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان سعيد بن منصور في منامي فقلت له يا أبا محمد ما صنع الله بك فأعرض عني قلت فضيغم قال ركب إلى الله الساعة

٥٠ – حدثنا أبو بكر حدثني محمد حدثني أبو غسان الراسبي حدثني سعيد الوراق حدثني ابن ثعلبة وكان من العابدين قال رأيت ضيغما في منامي بعد وفاته فقال لي يا بن ثعلبة أما صليت علي قال فذكرت علة كانت فقال أما لو كنت صليت علي لقد كنت ربحت رأسك

٥١ – حدثنا أبو بكر حدثني محمد حدثنا عبيس بن مرحوم العطار حدثتني عبدة بنت أبي شوال وكانت من خيار إماء الله عز و جل وكانت تخدم رابعة قالت كانت رابعة تصلي الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي ." (٢)

"

اسم أبي حصين عثمان بن عاصم

٥٩٤ أخبرنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الأذرعي ثنا أبو محمد عبد الله ابن أحمد بحر العسكري بالرافقة ثنا عفان يعني ابن مسلم ثنا همام بن يحيى عن محمد بن جحادة أن أبا حصين حدثه أن ذكوان حدثه عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده ثم قال أتستطيع إذا خرج المجاهد أن تلزم بيتك فتصلي لا تفتر وتصوم لا تفطر

٥٩٥ أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسين بن السفر وأبو الميمون بن راشد وأحمد بن سليمان بن حذلم في آخرين قالوا ثنا بكار بن قتيبة ثنا حصين بن حفص الأصبهاني ثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل

٥٩٦ أخبرنا أبو عمر محمد بن عيسى بن أحمد القزويني الحافظ ببيت لهيا وأبي وأبو عبد الله أحمد بن محمد الطبرستاني قالوا ثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن الضريس الرازي ثنا يحيى بن هاشم الغساني ثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل

---

(١) المنامات، ص/٣٣

(٢) المنامات، ص/٤٣

". (١)

" باب حسن الظن بالله عند نزول الموت ." (٢)

" ٢٠٨ – حدثنا عبد الله قال : حدثني محمد قال : حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي قال : حدثني أبو سلمة التيمي قال :

: سمعت عبد الأعلى التيمي يقول لجار له وقد حضره الموت : أكثر من جزعك من الموت وأعد لعظيم الأمور حسن الظن بالله ." (٣)

" ٢٠٩ – حدثنا عبد الله قال : حدثني محمد قال : حدثنا حاتم بن سليمان قال : دخلنا على عبد العزيز بن سليمان وهو يجود بنفسه فقلت : كيف تجدك ؟

قال : أجدني أموت

فقال له بعض إخوانه : على أية حال رحمك الله ؟

فبكى ثم قال : ما نعول إلا على حسن الظن بالله

قال : فما خرجنا من عنده حتى مات ." (٤)

" وعشرين فإن ذلك وفاته قول إلا كثيرين فقد ذكر لي الشيخان الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد بن قبيس وأبو منصور محمد بن عبد الملك المقري أن أبا بكر الخطيب الحافظ ذكر لهما قال ذكر أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد أن أبا الحسن مات في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة قال الخطيب أبو بكر وذكر لي أبو القسم عبد الواحد بن علي الأسدي إنه مات ببغداد بعد سنة عشرين وقبل سنة ثلاثين وثلاثمائة وقرأت في تاريخ أبي يعقوب اسحق بن إبراهيم بن عبد الرحمن الهدوي بخط بعض أهل المعرفة قال سنة أربع وعشرين وثلاثمائة فيها مات أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري وكذا ذكر الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني تلميذ تلميذه أبي الحسن الباهلي وهو أعلم بأمره وأخبرنا الشيخ أبو القسم نصر بن نصر بن علي العكبري في كتابه عن القاضي أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك قال قيل أن أبا الحسن مات قبل الثلاثين ونودي على جنازته بناصر الدين وروى الشيخ أبو الحسين بن سمعون قال كان لي صاحب يلازم مجلسي متصاون جميل الظاهر كثير المجاهدة فمات فحسنت تجهيزه ودفنته بباب حرب فلما كان بعد أيام رأيته في النوم عريانا مشوه الخلق على صورة قبيحة فقلت له يا أبا عبد الله ما فعل الله بك فقال أنا مطرود كما ترى فقلت أما كنت حسن الظن بالله

---

(١) الفوائد لتمام الرازي، ١/٢٤٥

(٢) المحتضرين، ص/٢٩

(٣) المحتضرين، ص/١٥٤

(٤) المحتضرين، ص/١٥٤

تعالى فقال نعم ولكني كنت مسيء الظن بهذا الشيخ فنظرت فإذا أنا بشيخ طوال بهى المنظر حسن الهيئة طيب الرائحة جميل المحاسن وهو يقرأ بصوت جهورى طيب قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما ." (١)

"وأخرجت الفسقة والذين يتبعون الشهوات الفسوق والعصيان في قالب الرجاء **وحسن الظن بالله** تعالى وعدم إساءة الظن بعفوه ، وقالوا : تجنب المعاصي والشهوات إزراء بعفو الله تعالى وإساءة للظن به ، ونسبة له إلى خلاف الجود والكرم والعفو .

وأخرجت الخوارج قتال الأئمة والخروج عليهم بالسيف في قالب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأخرج أرباب البدع جميعهم بدعهم في قوالب متنوعة بحسب تلك البدع ، وأخرج المشركون شركهم في قالب التعظيم لله ، وأنه أجل من أن يتقرب إليه بغير وسائط وشفعاء وآلهة تقربهم إليه .

فكل صاحب باطل لا يتمكن من ترويج باطله إلا بإخراجه في قالب حق

والمقصود : أن أهل المكر والحيل المحرمة يخرجون الباطل في القوالب الشرعية ، ويأتون بصور العقود دون حقائقها ومقاصدها .

إغاثة اللهفان (٢ | ٨٢)

حكم رواية أهل البدع من الخوارج وغيرهم

قال ابن حجر رحمه الله : فالمنع من قبول رواية المبتدعة الذين لم يكفروا ببدعتهم كالرافضة والخوارج ونحوهم ذهب إليه مالك وأصحابه والقاضي أبو بكر الباقلاني وأتباعه .

والقبول مطلقا إلا فيمن يكفر ببدعته وإلا فيمن يستحل الكذب ذهب إليه أبو حنيفة وأبو يوسف وطائفة وروي عن الشافعي أيضا .

وأما التفصيل فهو الذي عليه أكثر أهل الحديث بل نقل فيه ابن حبان إجماعهم

ووجه ذلك أن المبتدع إذا كان داعية كان عنده باعث على رواية ما يشيد به بدعته .

وقد حكى القاضي عبد الله بن عيسى بن لهيعة عن شيخ من الخوراج أنه سمعه يقول بعد ما تاب أن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ؛ فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا .

حدث بها عبد الرحمن بن مهدي الإمام عن ابن لهيعة فهي من قديم حديثه الصحيح أنبأ بذلك إبراهيم بن داود شفاها أنا إبراهيم بن علي أنا أبو الفرج بن الصيقل أنا محمد بن محمد كتابة أنا الحسن بن أحمد أنا أبو نعيم ثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الرحمن بن عمر ثنا بن مهدي بها.." (٢)

" ٧ – حدثنا محمد بن عبدوس قال حدثنا علي قال أخبرنا شعبة عن منصور والأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس يرفعه منصور إلى النبي صلى الله عليه و سلم ولم يرفعه الأعمش قال لو أن أحدهم أو أحدكم إذا أتى

---

(١) تبيين كذب المفتري، ص/١٤٧

(٢) جزء حديثي في أحاديث ذكر الخوارج، ص/١٩٢

أهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان أو لم يسلط عليه رواه البخاري ١٤١ ٣٢٧١ ٣٢٨٣ ٥١٦٥ ٦٨٨٨ ٧٣٩٦ ومسلم ١٤٣٤

٨ - حدثنا محمد بن عبدوس قال حدثنا علي بن الجعد قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز و جل رواه مسلم ٢٨٧٧

٩ - حدثنا محمد بن عبدوس قال حدثنا علي قال أخبرنا شعبة عن داود بن فراهيج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه اسناده حسن

١٠ - حدثنا محمد بن عبدوس قال حدثنا علي بن الجعد قال أخبرنا أبو غسان قال سمعت داود بن فراهيج يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام رواه البخاري ١١٩٠ ومسلم ١٣٩٤ ." (١)

"٧٩٠- أحسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس (الحاكم عن سهل ابن الحنظلية)

أخرجه عند الحاكم (٢٠٣/٤ ، رقم٧٣٧١) .

وللحديث أطراف أخرى منها : "إنكم قادمون" .

ومن غريب الحديث : "لباسكم" : ما تلبسونه من نحو إزار ورداء أو قميص وعمامة . "شامة" : هى أثر يغاير لونه لون البدن يسمى خالا وأثرا .

٧٩١- أحسنوا يا أيها الناس برب العالمين الظن فإن الرب عند ظن عبده به (ابن أبى الدنيا ، وابن النجار عن أبى هريرة)

أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب **حسن الظن بالله** (ص ٦٦ ، رقم ٥٧) ، وابن النجار (٢٩٥/١ ، ترجمة ١٧٣) .

وللحديث أطراف أخرى منها : "يا أيها الناس أحسنوا الظن برب العالمين" ، وسيأتى فى مسند أبى هريرة .

٧٩٢- أحسنى جوار نعم الله فإنها قلما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع إليهم (البيهقى فى شعب الإيمان وضعفه الخطيب فى رواة مالك ، وابن النجار عن عائشة)

أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (١٣٢/٤ ، رقم ٤٥٥٧) .." (٢)

"٢٦٦١- إذا كان يوم القيامة دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وبقى الذين عليهم المظالم نادى مناد من تحت العرش يا أهل الجمع تتاركوا المظالم وثوابكم على (ابن أبى الدنيا فى **حسن الظن بالله** ، وابن النجار عن أنس)

أخرجه ابن أبى الدنيا فى **حسن الظن بالله** (ص١٠٧ ، رقم ١١٦) . وأخرجه أيضا : ابن المبارك (١٢٢/١ ، رقم ٤٠٩) .

---

(١) جزء أبي الطاهر، ص/١٥

(٢) جامع الأحاديث، ٤٨٩/١

٢٦٦٢- إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عبيده فيقف بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله (تمام ، والخطيب عن ابن عمر)." (١)

"٥٥٣٧ - إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هى أولها ملامة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل وكيف يعدل مع أقاربه (الطبرانى ، وأبو سعيد النقاش فى القضاة عن عوف بن مالك وفيه زيد بن واقد وثقه أبو حاتم وضعفه أبو زرعة عن بشر بن عبيد الله وهو منكر الحديث ، قال المناوى : ورجال الكبير رجال الصحيح)

أخرجه الطبرانى (٧١/١٨ ، رقم ١٣٢) ، والبزار (١٨٨/٧ ، رقم ٢٧٥٦) ، وابن أبى عاصم الآحاد والمثانى (٣/٣ ، رقم ١٢٨٤) .

٥٥٣٨ - إن شئتم أنبأتكم ما أول ما يقول الله للمؤمنين يوم القيامة وما أول ما يقولون له فإن الله يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائى فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم عفوى ومغفرتى (ابن المبارك ، والطيالسى ، وأحمد ، وابن أبى الدنيا فى **حسن الظن بالله** ، والطبرانى ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن معاذ)." (٢)

"أخرجه ابن المبارك (٩٣/١ ، رقم ٢٧٦) ، والطيالسى (ص ٧٧ ، رقم ٥٦٤) ، وأحمد (٢٣٨/٥ ، رقم ٢٢١٢٥) ، وابن أبى الدنيا فى **حسن الظن بالله** (ص ٢٣ ، رقم ١٠) ، والطبرانى (١٢٥/٢٠ ، رقم ٢٥١) ، قال الهيثمى (٣٥٨/١٠) : رواه الطبرانى بسندين أحدهما حسن . وأبو نعيم فى الحلية (١٧٩/٨) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٠/٢ ، رقم ١٠٤٨) .

٥٥٣٩ - إن شئتم دعوت الله أن يكشف عنكم وإن شئتم كانت لكم طهورا (أحمد ، وعبد بن حميد ، والشاشى ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقى ، والضياء عن جابر أن أهل قباء شكوا إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - الحمى قال فذكره)

أخرجه أحمد (٣١٦/٣ ، رقم ١٤٤٣٣) ، قال الهيثمى (٣٠٦/٢) : رجاله رجال الصحيح . وعبد بن حميد (ص ٣١٤ ، رقم ١٠٢٣) ، وابن حبان (١٩٧/٧ ، رقم ٢٩٣٥) ، والحاكم (٤٩٧/١ ، رقم ١٢٨٠) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقى (٣٧٥/٣ ، رقم ٦٣٤٢) . وأخرجه أيضا : أبو يعلى (٢٠٨/٤ ، رقم ٢٣١٩) .." (٣)

"٦١٠٤ - إن أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة فى جماعة (البيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عمر)

أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (١١٥/٣ ، رقم ٣٠٤٥) . وأخرجه أيضا : ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٤٥٨/١ ، رقم ٧٨٥) .

٦١٠٥ - إن أفضل الضحايا أغلاها وأنفسها وأسمنها (أحمد ، وابن سعد ، والحاكم ، وابن عساكر عن أبى الأشد السلمى

---

(١) جامع الأحاديث، ٥/٤

(٢) جامع الأحاديث، ٤٥٢/٦

(٣) جامع الأحاديث، ٤٥٣/٦

عن أبيه عن جده)
أخرجه أحمد (٣/٤٢٤ ، رقم ١٥٥٣٣) ، قال الهيثمى (٤/٢١) : رواه أحمد وأبو الأسد لم أجد من وثقه ولا جرحه وكذلك أبوه وقيل إن جده عمرو بن عبس . وابن سعد (٧/٤٢٣) ، والحاكم (٤/٢٥٧ ، رقم ٧٥٦١) ، وابن عساكر (٣٨/٣٥٨) . وأخرجه أيضا : ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٣/٦٩ ، رقم ١٣٨٤) ، والبيهقى (٩/٢٦٨ ، رقم ١٨٨٢٩) .

٦١٠٦ – إن أفضل العبادة **حسن الظن بالله** يقول الله لعبده أنا عند ظنك بى (البغوى عن أبى الديلمى)." (١)

"أخرجه أبو داود (١/٢٨٤ رقم ١٠٨٣) وقال : هو مرسل مجاهد أكبر من أبى الخليل وأبو الخليل لم يسمع من أبى قتادة . وأورده ابن رجب فى التخويف من النار (ص ٧٥) وقال : أخرجه أبو داود من حديث أبى قتادة عن النبى – صلى الله عليه وسلم – وفى إسناده انقطاع وضعف .

[إن المشددة مع الحاء]

٧٧٦٩ – إن حبر هذه الأمة لعبد الله بن عباس (الحاكم وتعقب عن ابن عمر)
أخرجه الحاكم (٣/٦١٦ ، رقم ٦٢٨١) وتعقبه الذهبى بأن فيه الكوثر بن حكم وهو ساقط . وأورده ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١/٢٨٨ ، رقم ٤٦٦) وقال : لا يصح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

٧٧٧٠ – إن حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد (الخرائطى فى مكارم الأخلاق عن أنس)
أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق (ص ٣٦ ، رقم ٤١) . وأخرجه أيضا : تمام فى الفوائد (١/١٣٦ ، رقم ٣١٤) .

٧٧٧١ – إن **حسن الظن بالله** من حسن عبادة الله (أحمد ، والترمذى – غريب – والحاكم عن أبى هريرة)." (٢)

"حديث جابر : أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٧/٩٢) ، والخطيب (٤/١٣٦) .
حديث أبى سعيد : أخرجه الخطيب (٣/٣٠٦) .
حديث عائشة : أخرجه ابن حبان فى الضعفاء (١/٢٤٥ ، ترجمة ٢٢٥ حسين بن علوان) .
حديث معاوية : أخرجه الديلمى (٢/٣٤١ ، رقم ٣٥٤٤) .
حديث أنس : أخرجه ابن عساكر (٥٠/٢٨٩) .

١٣٣٢٤– السخى إنما يجود من **حسن الظن بالله** والبخيل إنما يبخل من سوء الظن بالله (أبو الشيخ عن أبى أمامة)

١٣٣٢٥– السخى الجهول أحب إلى الله من العالم البخيل (الخطيب ، والديلمى عن أبى هريرة)
أخرجه الديلمى (٢/٣٤٢ ، رقم ٣٥٤٦) . وأورده أيضا : ابن عدى (٣/١٧٦ ، ترجمة ٦٨٤ رواد بن الجراح) وقال : كان شيخا صالحا وفى حديث الصالحين بعض النكرة إلا أنه ممن يكتب حديثه .." (٣)

---

(١) جامع الأحاديث، ٧/١٩٤
(٢) جامع الأحاديث، ٨/٤٩٨
(٣) جامع الأحاديث، ١٣/٣٦٩

"١٤٢٩٧- عليكم بالسمع والطاعة فيما أحببتم وكرهتم ألا إن السامع المطيع لا حجة عليه وإن السامع العاصى لا حجة له ألا وعليكم بحسن الظن بالله فإن الله يعطى كل عبد بحسن ظنه وزيادة عليه (أبو الشيخ عن عبد الرحمن بن مسعود)

أخرجه أيضا : ابن قانع (٢/١٦٩ ، رقم ٦٤٨) ، قال الحافظ فى الإصابة (٤/٣٦٠ ، ترجمة ٥٢٠٤) : فى سنده ضعف . وقال ابن السكن : فى إسناده نظر ولم يذكر فى حديثه سماعا .

١٤٢٩٨- عليكم بالسمع والطاعة فيما أحببتم وكرهتم فى منشطكم ومكرهكم وأثرة عليكم ولا تنازعوا الأمر أهله (الطبرانى عن عبادة بن الصامت)

أخرجه أيضا : الطبرانى فى الأوسط (١/٩١ ، رقم ٢٧٧) ، قال الهيثمى (٦/٤٩) : فيه على بن زيد وهو ضعيف وقد وثق.." [1]

"أخرجه أحمد (٢/٣٩١ ، رقم ٩٠٦٥) قال الهيثمى (٢/٣١٩) : فيه ابن لهيعة وفيه كلام . وابن حبان (٢/٤٠٥ ، رقم ٦٣٩) .

١٤٩٤٦- قال الله أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء (ابن أبى الدنيا ، والحكيم ، وابن حبان ، وابن عدى ، والطبرانى ، والحاكم ، والبيهقى ، وتمام عن واثلة . الشيرازى فى الألقاب عن أنس)

حديث واثلة : أخرجه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله (ص ١٥ ، رقم ٢) ، والحكيم (٣/٩٩) ، وابن حبان (٢/٤٠١ ، رقم ٦٣٣) ، وابن عدى (٦/٣٢٦ ، ترجمة ١٨٠٧ معروف بن عبد الله الخياط) ، والطبرانى (٢٢/٨٧ ، رقم ٢١٠) ، والحاكم (٤/٢٦٨ ، رقم ٧٦٠٣) ، وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه أيضا : أحمد (٣/٤٩١ ، رقم ١٦٠٥٩) ، والدارمى (٢/٣٩٥ ، رقم ٢٧٣١) .

١٤٩٤٧- قال الله أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه (ابن حبان عن أبى الدرداء)

أخرجه ابن حبان (٣/٩٧ ، رقم ٨١٥) .

١٤٩٤٨- قال الله أنفق أنفق عليك (أحمد ، وهناد ، والبخارى ، وابن ماجه عن أبى هريرة)." [2]

"أخرجه الطيالسى (ص ٢٤٦ ، رقم ١٧٧٩) ، وأحمد (٣/٣٣٤ ، رقم ١٤٦٢٠) ، وعبد بن حميد (ص ٣١٢ ، رقم ١٠١٥) ، ومسلم (٤/٢٢٠٦ ، رقم ٢٨٧٧) ، وأبو داود (٣/١٨٩ ، رقم ٣١١٣) ، وابن ماجه (٢/١٣٩٥ ، رقم ٤١٦٧) ، وابن حبان

(٢/٤٠٤ ، رقم ٦٣٨) . وأخرجه أيضا : ابن المبارك (١/٣٦٦ ، رقم ١٠٣٤) ، وأبو يعلى (٣/٤٤٦ ، رقم ١٩٤٢) .

١٨١٣٠- لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة (ابن جميع فى معجمه ، والخطيب ، وابن عساكر عن أنس ، وفيه أبو نواس الشاعر المشهور قال الذهبي : فسقه ظاهر فليس بأهل أن يروى عنه)

---

(١) جامع الأحاديث، ١٤/٢٨١

(٢) جامع الأحاديث، ١٥/٥٠

أخرجه ابن جميع (٣٠١/١) ، والخطيب (٣٩٦/١) ، وابن عساكر (٤٠٨/١٣) .

١٨١٣١- لا يموتن فيكم ميت ما كنت بين أظهركم إلا آذنتمونى به فإن صلاتى عليه له رحمة (أحمد عن يزيد بن ثابت)

أخرجه أحمد (٣٨٨/٤ رقم ١٩٤٧٠) . وأخرجه أيضا : ابن أبى شيبة (٤٧٥/٢ ، رقم ١١٢١٧) ، والنسائى (٨٤/٤ ، رقم ٢٠٢٢) ، وابن ماجه (٤٨٩/١ ، رقم ١٥٢٨) .." [1]

"أخرجه الحاكم (٢٧٤/٤ ، رقم ٧٦٢٢) ، وقال : صحيح الإسناد .

١٨٩٧٩- لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبون لخلق الله أمة من بعدكم يخطئون ويذنبون فيغفر لهم (ابن أبى الدنيا فى كتاب البكاء ، وابن جرير ، والطبرانى ، وابن مردويه ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عمرو)

أخرجه ابن جرير الطبرى فى التفسير (٢٧٠/٣٠) ، والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (١٤١/٧) ، وقال الهيثمى : فيه حيى بن عبد الله المعافرى ، وثقه ابن معين وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح . والبيهقى (٤١٠/٥ ، رقم ٧١٠٣) . وأخرجه أيضا : ابن أبى الدنيا فى **حسن الظن بالله** (ص ٣٧ ، رقم ٢٤) ، والقضاعى (٣٢٠/٢ ، رقم ١٤٤٦) .

١٨٩٨٠- لو أنها لم تكن ربيبتى فى حجرى ما حلت لى إنها لابنة أخى من الرضاعة أرضعتنى وأبا سلمة ثويبة فلا تعرضن على بناتكن ولا أخواتكن (البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه عن أم حبيبة بنت أبى سفيان)." [2]

"ومن غريب الحديث : "خبنة" : الخبنة : طرف الثوب ، والمراد : لا يأخذ منه فى ثوبه يقال : أخبن الرجل إذا خبأ شيئا فى خبنة ثوبه أو سراويله . "الجرين" : موضع تجفيف التمر . "المجن" : الترس الذى يستر حامله .

٢١٢٤٣- من أصاب حدا فعجل عقوبته فى الدنيا فالله أعدل أن يثنى على عبده العقوبة فى الآخرة ومن أصاب حدا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم أن يعود فى شيء قد عفا عنه (الترمذى - حسن غريب - وابن ماجه ، وابن أبى الدنيا فى حسن الظن ، والحاكم ، والبيهقى عن على)

أخرجه الترمذى (١٦/٥ ، رقم ٢٦٢٦) وقال : حسن غريب صحيح . وابن ماجه (٨٦٨/٢ ، رقم ٢٦٠٤) ، وابن أبى الدنيا فى **حسن الظن بالله** (ص ٦٣ ، رقم ٥٢) ، والحاكم (٤٨/١ ، رقم ١٣) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقى (٣٢٨/٨ ، رقم ١٧٣٧١) .

٢١٢٤٤- من أصاب دينارا أو درهما فى فتنة طبع على قلبه بطابع النفاق (الديلمى عن أبى هريرة)

أخرجه الديلمى (٥٩٤/٣ ، رقم ٥٨٦٨) .." [3]

"حديث سلمان المرفوع : أخرجه الحاكم (٦٢٩/٤ ، رقم ٨٧٣٩) وقال : صحيح على شرط مسلم . وتعقبه ابن رجب فى التخويف من النار (ص ١٦٩) فقال : المعروف أنه موقوف على سلمان الفارسى من قوله .

حديث سلمان الموقوف : أخرجه أيضا : الحسين المروزى فى زوائده على الزهد لابن المبارك (٤٧٨/١ ، رقم ١٣٥٧) .

---

(١) جامع الأحاديث، ٢٦٥/١٧

(٢) جامع الأحاديث، ١٠٦/١٨

(٣) جامع الأحاديث، ٤٦٩/١٩

١١٨٢٩)٢٧١٨٩- يوضع للأنبياء منابر من ذهب يجلسون عليها ويبقى منبرى لا أجلس عليه قائما بين يدى ربى منتصبا بأمتى مخافة أن يبعث بى إلى الجنة وتبقى أمتى بعدى فأقول يا رب أمتى أمتى فيقول الله ما تريد أن أصنع بأمتك يا محمد فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى فلا أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد أمر بهم إلى النار وحتى إن خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك فى أمتك من نقمة (ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله ، والطبرانى ، والحاكم وتعقب ، والبيهقى فى البعث ، وابن عساكر ، وابن." (١)

"النجار عن ابن عباس)

أخرجه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله (ص ٧٠ ، رقم ٦١) ، والطبرانى (٣١٧/١٠ ، رقم ١٠٧٧١) ، قال الهيثمى (٣٨٠/١٠) : فيه محمد بن ثابت البنانى وهو ضعيف . والحاكم (١٣٥/١ ، رقم ٢٢٠) وقال : صحيح الإسناد ، والحديث غريب فى أخبار الشفاعة . وابن عساكر (٩٥/٤) . وأخرجه أيضا : الطبرانى فى الأوسط (٢٠٨/٣ ، رقم ٢٩٣٧) .

١١٨٢٨)٢٧١٩٠- يوضع للصائمين مائدة يوم القيامة من ذهب يأكلون منها والناس ينظرون (أبو الشيخ ، والديلمى عن ابن عباس)

أخرجه الديلمى (٤٨٤/٥ ، رقم ٨٨٣٥) .

١١٨٢٧)٢٧١٩١- يوضع للمؤمنين كراسى من نور ويظلل عليهم الغمام ويكون ذلك اليوم عليهم كساعة من نهار (الطبرانى عن ابن عمرو)

أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٣٣٧/١٠) قال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح غير أبى كثير الزبيدى وهو ثقة .
وأخرجه أيضا : أبو نعيم فى الحلية (٢٠٦/٧) .
وللحديث أطراف منها : "يجتمعون يوم القيامة" .." (٢)

"فقال : يا بنى واثنين وثلاثين ألفا أنفقتها فى اثنتى عشرة حجة حججتها فى ولايتى ونوائب كانت تنوبنى فى الرسل تأتينى من قبل الأمصار ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : يا أمير المؤمنين أبشر وأحسن الظن بالله فإنه ليس أحد منا من المهاجرين والأنصار إلا وقد قبض مثل الذى أخذت من الفيء الذى جعله الله لنا وقد قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عنك راض وقد كانت لك معه سوابق ، فقال : يا ابن عوف ود عمر أنه لو خرج منها كما دخل فيها ، إنى أود أن ألقى الله فلا تطالبونى بقليل ولا كثير (العدنى) [كنز العمال ٣٦٠٧٧]

٣١٢٨٥- عن أرطبان قال : لما عتقت اكتسبت مالا فأتيت عمر بن الخطاب بزكاته ، فقال لى : ما هذا قلت : زكاة مالى ، فقال : ولك مال قلت : نعم ، فقال : بارك الله لك فى مالك فقلت : يا أمير المؤمنين وفى ولدى ، قال : ولك ولد

---

(١) جامع الأحاديث، ٢٩٦/٢٤
(٢) جامع الأحاديث، ٢٩٧/٢٤

قلت : يا أمير المؤمنين يكون ، قال : بارك الله لك فى مالك وولدك (ابن سعد) [كنز العمال ٣٦٧٩١]

أخرجه ابن سعد (١٢٢/٧) .." (١)

"٣٤٧٦٣- عن على قال : ما فى القرآن آية أحب إلى من هذه الآية ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (الفريابى ، والترمذى وقال : حسن غريب ، وابن أبى الدنيا فى **حسن الظن بالله**) [كنز العمال ٤٣١٩]

أخرجه الترمذى (٢٤٧/٥ ، رقم ٣٠٣٧) .

٣٤٧٦٤- عن الشعبى قال : ما كان أحد من أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - أشد فى النكاح بغير ولى من على بن أبى طالب حتى كان يضرب فيه (ابن أبى شيبة ، والبيهقى) [كنز العمال ٤٥٧٧٠]

أخرجه ابن أبى شيبة (٤٥٤/٣ ، رقم ١٥٩٢٢) ، والبيهقى (١١١/٧ ، رقم ١٣٤٢٢) .

٣٤٧٦٥- عن سعيد بن المسيب قال : ما كان أحد من الناس يقول سلونى غير على بن أبى طالب (ابن عبد البر) [كنز العمال ٣٦٤١٥]

أخرجه أيضا: النووى فى تهذيب الأسماء (٣١٧/١) .

٣٤٧٦٦- عن على قال : ما كان بين الرجل والمرأة ففيه القصاص من جراحات أو قتل النفس أو غيرها إذا كان عمدا (عبد الرزاق) [كنز العمال ٤٠١٩٩]

أخرجه عبد الرزاق (٤٥١/٩ ، رقم ١٧٩٧٩) .." (٢)

"بكر (ابن عساكر) [كنز العمال ٣٥٦٦٨]

أخرجه ابن عساكر (٩٧/٣٠) .

٣٨٢٣٥- عن عبد الرحمن بن أبى بكر قال : كان الحكم جالسا عند النبى - صلى الله عليه وسلم - ورآه فإذا حدث النبى - صلى الله عليه وسلم - بشىء حرك رأسه بازلا وفى لفظ فقال هكذا يكلح بوجهه فقال له النبى - صلى الله عليه وسلم - أنت هكذا فما زال يختلج حتى مات (أبو نعيم ، وابن عساكر) [كنز العمال ٣١٧٤١]

أخرجه ابن عساكر (٢٧٠/٥٧) .

٣٨٢٣٦- عن عبد الرحمن بن أبى بكر قال : يجىء المؤمن يوم القيامة قد أخذه صاحب الدين يقول دينى على هذا فيقول الله أنا أحق من قضى عن عبدى قال يقضى هذا من دينه ويغفر لهذا (ابن أبى الدنيا فى **حسن الظن بالله**) [كنز العمال ١٥٥٣٦]

أخرجه ابن أبى الدنيا فى **حسن الظن بالله** (١٠٩/١ ، رقم ١١٧) .

---

(١) جامع الأحاديث، ٣٦٦/٢٨

(٢) جامع الأحاديث، ٧٧/٣٢

مسند عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى." (١)

"٤٢٥٣٣- عن أبى هريرة قال : لا تقولن لأحد لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة فإنى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول كان رجلان من بنى إسرائيل كان أحدهما رهق والأخر عابد فكان لا يزال يقول له ألا تقصر فيقول ما لى ولك دعنى وربى فهجم عليه يوما فإذا على كبيرة فقال والله لا يغفر الله لك والله لا يدخلك الجنة فبعث الله إليهما ملكا فقبض أرواحهما فلما قدم بهما على الله قال للمذنب ادخل الجنة برحمتى وقال للعابد حظرت على عبدى رحمتى أكنت قادرا على ما تحت يدى انطلقوا به إلى النار قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والذى نفسى بيده لقد تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته (ابن أبى الدنيا فى **حسن الظن بالله**) .

أخرجه ابن أبى الدنيا فى **حسن الظن بالله** (٥٤/١، رقم٤٥) .." (٢)

"٤٣٧٤١- عن إبراهيم قال : كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته لكى يحسن ظنه بربه (ابن أبى الدنيا فى **حسن الظن بالله** ، والضياء) [كنز العمال ٤٢٨٠٨]

أخرجه ابن أبى الدنيا فى **حسن الظن بالله** (٤٠/١، رقم ٣٠) .

٤٣٧٤٢- عن إبراهيم قال : كانوا يستحبون اللحد ويكرهون الشق (ابن جرير) [كنز العمال ٤٢٩٢٣]

أخرجه عبد الرزاق (٤٧٧/٣، رقم ٦٣٨٦) .

٤٣٧٤٣- عن إبراهيم قال : كانوا يستشفون بأبوال الإبل ولا يرون بها بأسا (سعيد بن منصور) .

أخرجه أيضا : الطحاوى (١١٠/١) .

٤٣٧٤٤- عن إبراهيم قال : كانوا يشددون فى الغائط والبول يصيب الثوب ويرون أنه أشد من المنى والدم (سعيد بن منصور) .

أخرجه أيضا : ابن أبى شيبة (١٤/٢، رقم ٥٩١٢) .

٤٣٧٤٥- عن إبراهيم قال : كانوا يعمون بالتشميت والسلام قال إبراهيم لأن معه الملائكة (ابن جرير) [كنز العمال ٢٥٧٩٧]." (٣)

"١٨٦ ،

طيب

الطيب

---

(١) جامع الأحاديث، ٢٩٩/٣٥

(٢) جامع الأحاديث، ٢٨٣/٣٩

(٣) جامع الأحاديث، ٣١٥/٤٠

إذا خافت الأمة من الظالم

١٩٨١ ،

ظلم

الظلم

الاستعاذة من الفتن والظلم

٤٩٩٥ ، ٥٠١٤ ،

ظلم

الظلم

الظلم

٧٥٢ ،

ظلم

الظلم

عقوبة الظلم يوم القيامة

٤٨٧ ، ٤٨٨ ،

ظلم

المظالم

اتقاء المظالم

٥١٢ ،

ظلم

المظالم

قصاص المظالم

١٨٦٥ ، ٢٦٦١ ،

ظلم

المظلوم

وقت الظهر

٢٧٦ ،

عبد

أبو عبيدة

مناقب أبي عبيدة بن الجراح

٣٠٣٩ ، ٣١٤٩ ، ٥١٠٢ ، ٥٤٦٨ ،

عبد

العباد." (١)

"وجُوب حُسْن الظَّنّ بِاللهِ وَبِالأَخَص عِنْدَ الْمُوت." (٢)

"٦٢٩- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ، يَقُولُ :«لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ ، إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ».(١) = صحيح

---

(١) مسلم [٢٨٧٧] باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، أبو داود [٣١١٣] باب ما يستحب من حسن الظن بالله عند الموت ، تعليق الألباني "صحيح".." (٣)

"وهذا منفج خطأ ، لأن المبدأ الصحيح في الحكم على الأشخاص والأشياء هو النظر إلى الظاهر وترك السرائر إلى الله فهو وحده المطلع عليها سبحانه .

ثالثاً : اتباع الهوى .

ذلك أن الإنسان إذا اتبع هواه صار هذا الهوى إلهه الذي يعبده من دون الله ، فإنه لا يقع لا محالة في الظنون الكاذبة التي لا دليل عليها ولا برهان .

قال تعالى : ؟ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟ .

٦- علاج سوء الظن :

أولاً : تربية المسلم على العقيدة الصحيحة وهي حسن الظن بالله وبرسوله وبالمؤمنين الصالحين

ثانياً : على الشخص أن يجتنب الشبهات .

---

(١) جامع الأحاديث، ٣٠/٤٢

(٢) العمل الصالح، ص/٩٤٧

(٣) العمل الصالح، ص/٩٤٨

حتى لا يكون عرضة لكلام عليه .

ولهذا قال (: (.... فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ....) .

مثال : إذا كان الشخص قد صلى في بيته أو في مسجد آخر ، وجاء إلى مسجد آخر فإن السنة والأفضل أن يصلي مع الناس ، لئلا يتخذ قعوده عن الصلاة ذريعة لإساءة الظن به .

ولذلك جاء في حديث يزيد بن الأسود : (أنه صلى مع رسول الله (، فلما صلى إذا رجلان لم يصليا في ناحية المسجد فدعا بهما ، فجيء بهما ترعد فرائصهما ، فقال : ما منعكما أن تصليا معنا ؟ قال : قد صلينا في رحالنا ؟ فقال : لا تفعلوا ، إذا صلى أحدكم في رحله ثم أدرك الإمام ولم يصل فليصل معه فإنها له نافلة) . رواه أبو داود

ثالثاً : مجاهدة النفس على عدم سوء الظن .

وتربية النفس أنه ليس من السهل توجيه تهمة لأحد من الناس لمجرد ظن أو تخمين لا دليل عليه ولا برهان .

رابعاً : النظر في سير العلماء والزهاد .

فإنها مليئة بصور حية عن الظن السيء وآثاره وطريق الخلاص منه .

((((

٤٠ – وعنه قال : قال رسول الله (: (من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى فرجه بفرجه) ".. (١)

"وفي الْحَدِيث: تحذير من إيذاء المؤمن وقصده، وأمر باحترام ذمة اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وعهده، وبيان أن اللَّه تَعَالَى مطالب بذمامه، ومعاقب بانتقامه.

وقوله: " فِي ذمة اللَّه تَعَالَى ": يريد: ضمان اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وأمانه. و " الذمة " بمعني العهد والأمان وَقَالَ أَبُو عبيدة: الذمة مَا يتذمم منه، أي يحترز من الذم بنقضه، ويقال: " ذمة " و " ذم " و " ذمام " و " مذمة " بكسر الذال، والكل بمعنى واحد والمذمة، بفتح الذال، من الذم.

وقوله: " فلا تخفروا اللَّه تَعَالَى فِي ذمته " أي: لا تنقضوا عهده، يقال: أخفرت الرجل: إذا نقضت عهده، وخفرت الرجل وخفرت بِهِ: إذا كنت لَهُ خفيرا، أي ضمينا.

أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الصائن أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أميرجه الصوفي، أَخْبَرَنَا أَبُو عطاء المليحي، حَدَّثَنَا أَبُو الفضل الجارودي، حَدَّثَنَا أَبُو نعيم مُحَمَّد بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا عبدان، يعني: مُحَمَّد بْن عِيسَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن يَزِيدَ المستملي، حَدَّثَنَا ابن عَبْد الصمد، حَدَّثَنَا سهل بْن أَبِي حزم، قَالَ:

رأيت مَالِك بْن دينار فِي المنام بعد موته، فقلت: يَا أبا يَحْيَى، ليت شعري ماذا قدمت بِهِ عَلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: قدمت بذنوب كثيرة، محاها عني **حسن الظن بالله** عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) أحاديث مختارة من الصحيحين، ص/٣٩

وأخبرنا الشَّيْخ أَبُو الفتوح مسعود بْن أفضل العامري الميهني حافد الشَّيْخ أَبِي سَعِيد رَحِمَهُ اللَّهُ، أَخْبَرَنَا الشَّيْخ الأجل صدر الطريقة أَبُو سَعِيد فضل اللَّه بْن أَبِي الْخَيْر قَالَ:." (١)

"ص:١٧٥

الباب الأربعون[فِي الْمُؤْمِن يجتهد فِي إستعمال مَا ذكرنا فِي هَذَا الكِتَاب ثُمَّ فِيْمَا ذكرنا فِي الْأَرْبَعِيْنَ الَّتِيْ خرجناها فِي شعار أَهْل الحديث و يستعين بِاللهِ فِي جَمِيْع ذلك فإِذَا حان حينه الَّذِيْ لم ينج مِنْهُ نبي مرسل وَلَا ينجو مِنْهُ ملك مقرب **أحسن الظن بِاللهِ** عَزَّوَجَلَّ ورجا رحمته وجعل عَلَيْهَا اعتماده كَمَا أمر بِهِ المصطفى عَلَيْهِ الصَّلَاة والسلام]

١٢٣ .وذلك فِيْمَا أَخْبَرَنَا أَبُوْمُحَمَّدٍجناح بْن جناح بْن نذير الْقَاضِيْ بِالْكُوْفَةِ ثَنَا أَبُو جَعْفَر بْن دَحِيْم ثَنَا أَحْمَد بْن حَازِمِ بْن أَبِي غَرْزَة ثَنَا يَعْلَى بْن عُبَيْد ثَنَا الْأَعْمَش عَنْ أَبِي سُفْيَان عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْل اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ: لَا يَمُوْتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ **حَسَنُ الظَّنِّ بِاللهِ** عَزَّوَجَلَّ.

أَخْرَجَهُ مُسْلِم عَنْ أَبِي كُرَيْب عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ عَن الْأَعْمَش

١٢٤ أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْن بْن بشران أَنَا الْحُسَيْن بْن صفوان ثَنَا عَبْدُ اللهِ بْن." (٢)

"ورواه الترمذي : من طريق ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن الأعمش ، عن يحيى بن وثاب ، عن شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال – كان شعبة يرى أنه ابن عمر ذكره عن ابن أبي عدي ولفظه – : المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم.

النسائي : أخبرنا أحمد بن عبد الله بن الحكم قال : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أبي كثير ، عن عبد الله بن عمرو قال قال رجل : يا رسول الله ، أي الهجرة أفضل . قال : أن تهجر ما كره الله ، والهجرة هجرتان : هجرة الحاضر البادي ، فأما البادي فإنه يطيع إذا أمر ، ويجيب إذا دعي ، وأما الحاضر أعظمهما بلية ، وأفضلهما أجرا.

أبو كثير اسمه زهير بن الأقمر.

باب في التقي الخفي

مسلم : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، حدثنا بكير بن مسمار ، حدثني عامر بن سعد قال : كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد ، قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب . فنزل فقال له : أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم ؟ فضرب سعد في صدره فقال : اسكت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي.

---

(١) الأربعين في إرشاد السائرين أو الأربعين الطائية، ص/٢١١

(٢) الأربعون الصغرى للبيهقي، ص/١٧٥

باب حسن الظن بالله تعالى

الترمذي : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن جعفر بن برقان ، عن ." [1]

" هشيم عن رجل عن مجاهد في قوله ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ قال أن تعمل في دنياك لآخرتك

٧٠٥ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثني عبد الله بن سعيد ثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن سعيد النسوي ثنا يعقوب بن حميد بن كاسب ثنا عبد الله بن جعفر المخرمي عن عثمان بن محمد الأخنسي عن المقبري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان راية بيد ملك وراية بيد شيطان فإن خرج بما يحب الله اتبعه الملك برايته فلا يزال تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته وإن خرج بما يسخط الله اتبعه الشيطان فلا يزال تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته)

٧٠٦ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنبأ أبو علي الحسين بن علي الحافظ قال أنبأ عبد الله بن محمد بن بشر بن صالح الدينوري ثنا سعيد بن عمرو بن أبي سلمة ثنا أبي عن محمد بن يحيي بن الحارث الذماري عن أبيه عن القاسم بن عبد الرحمن عن كثير بن مرة الحضرمي عن عمرو بن عبسة السلمي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت من بايعك على هذا الأمر قال حر وعبد قال فأي الأعمال أفضل قال الصبر والسماحة وحسن الخلق قلت فأي الإسلام أفضل قال الفقه في دين الله والعمل في طاعة الله وحسن الظن بالله قلت فأي المسلمين أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه

". [2]

"٢٣٧ – ثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي ، عن بكر بن خنيس ، عن شعيب بن سليمان ، أو غيره قال : « إن ذا القرنين لقي ملكا من الملائكة فقال : علمني علما أزدد به إيمانا ويقينا ، فقال له : إنك لا تطيق ذلك قال : لعل الله تعالى أن يطوقني قال : لا تغتم لغد ، واعمل في اليوم لغد ، وإن آتاك الله من الدنيا سلطانا أو مالا فلا تفرح به ، وإن صرف عنك فلا تأس عليه ، وكن حسن الظن بالله D ، وضع يدك على قلبك فما أحببت أن تصنع بنفسك فاصنعه بأخيك ، ولا تغضب ، فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب ، ورد الغضب بالكظم ، وسكنه بالتؤدة ، وإياك والعجلة ، فإنك إذا عجلت أخطأت حظك ، وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ، ولا تكن جبارا عنيدا »." [3]

" عز وجل ، وذلك من طريق حسن الظن بالله ، وخوف النقص في الدين . ويهيج من حب الخلوة : حياة القلب ، وضياء نوره ، ونفاذ بصره بعيوب الدنيا ، ومعرفته بالنقص والزيادة في دينه . ويهيج من حب الخلوة : الإنصاف للناس ، والإقرار بالحق ، وإذلال النفس بالتواضع ، وترك العدوان . ويهيج من حب الخلوة : خوف ورود الفتن التي فيها ذهاب الدين ، والشوق إلى الموت خوفا من أن يسلب الإسلام . ويهيج من حب الخلوة : الوحشة من الناس ، والاستثقال

---

(١) الأحكام الشرعية للإشبيلي ٥٨١، ٢٨٨/٣

(٢) الزهد الكبير، ص/٢٧٤

(٣) الزهد، ٢٣٨/١

لكلامهم ، والأنس بكلام رب العالمين وهو القرآن الذي جعله الله نورا وشفاء للمؤمنين وحجة ووبالا على المنافقين ؛ فاجعله مفزعك الذي إليه تلجأ ، وحصنك الذي به تعتصم ، وكهفك الذي إليه تأوي ، ودليلك الذي به تهتدي ، وشعارك ودثارك ومنهجك وسبيلك . وإذا التبست عليك الطرق ، واشتبهت عليك الأمور ، وصرت في حيرة من أمرك ، وضاق بها صدرك ؛ فارجع إلى عجب القرآن الذي لا حيرة فيه ؛ فقف على دلائله من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والتشويق ، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية ؛ فإنك تخرج من حيرتك ، وترجع عن جهالتك ، وتأنس بعد وحدتك ، وتقوى بعد ضعفك ، فليكن دليلك دون المخلوقين ؛ تفز مع الفائزين ، ولا تهذه كهذ الشعر ، وقف عند عجائبه ، وما أشكل عليك ؛ فرده إلى عالمه ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ' . آخر الجزء الثاني من كتاب ' العزلة ' ، وهو آخر الكتاب . والحمد لله ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

". (١)

"٤١٥ . أخبرنا أحمد، حدثنا علي بن عمر بن محمد الناقد، حدثنا أبو موسى هارون ابن صاحب(١) قدم علينا، حدثنا محمد بن موسى، حدثنا يحيى بن [ل/٨٧أ] أكثم، حدثنا عبدالله بن إدريس، [عن موسى](٢) الجهني، عن عبدالملك بن ميسرة قال: سمعت ابن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إذا كان يوم القيامة دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى منادي(٣) من تحت العرش: يا أهل الجمع، تتاركوا المظالم بينكم وثوابكم علي))(٤)

(١) وقع في المخطوط "حاجب" والتصويب من تاريخ بغداد.

وهو هارون بن صاحب أبو موسى الأرينجي، ذكره الخطيب من غير جرح ولا تعديل. تاريخ بغداد (٣٢/١٤).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوط، استدركته تاريخ بغداد.

وهو موسى بن عبد الله، ويقال: ابن عبد الرحمن الجهني، أبو سلمة الكوفي، ثقة عابد، لم يصح أن القطان طعن فيه، من السادسة، مات سنة أربع وأربعين. التقريب (٥٥٢/ت٦٩٨٥).

(٣) هكذا في المخطوط بإثبات الياء، والأفصح بحذفها.

(٤) إسناده ضعيف، فيه:

- يحيى بن أكثم القاضي، قال عنه صالح جزرة: "حدث عن ابن إدريس بأحاديث لم يسمعها".

قلت: وهذا الحديث رواه عن عبد الله بن إدريس.

- وهارون بن صاحب لم أجد من وثقه.

أخرجه الخطيب في "تاريخ بغداد" (٣٢/١٤) من طريق علي بن عمر السكري به.

(١) العزلة والإنفراد، ص/١٧١

وأخرجه ابن أبي الدنيا في "حسن الظن بالله" (ص١٠٨) عن سويد بن سعيد وبشر بن معاذ، والطبراني في "المعجم الأوسط" (٢٢٢/٥) من طريق خالد بن خداش، والخطيب في "موضح الأوهام" (١٩٨/١) من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل، كلهم عن الحكم بن سنان صاحب القرب، عن سدوس صاحب السابري، عن أنس مرفوعا ((إذا التقى الخلائق يوم القيامة ...فذكر مثله)).

وهذا إسناد ضعيف، فيه الحكم بن سنان القربي، وهو ضعيف.

قال الهيثمي: "رواه الطبراني في "الاوسط" وفيه الحكم بن سنان أبو عون، قال أبو حاتم: "عنده وهم كثير وليس بالقوي، ومحله الصدق، يكتب حديثه"، وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات". مجمع الزوائد (٣٥٦/١٠)، وانظر التقريب (١٧٥/ت١٤٤٣).

وله شاهد ثان لا يفرح به من حديث أم هانئ بنت أبي طالب، أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٨٧/٢) من طريق أبي عاصم الثقفي الربيع بن إسماعيل، عن عمرو بن سعيد بن معبد بن هبيرة، عن أبيه، عن جدته أم هانئ رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله تبارك وتعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي مناد من تحت العرش: يا أهل التوحيد، إن الله عز وجل قد عفا عنكم، فيقوم الناس فيتعلق بعضهم ببعض في ظلامات، ثم ينادي مناد: يا أهل التوحيد، ليعف بعضكم عن بعض، وعلي الثواب)).

قال الطبراني: "لا يروى هذا الحديث عن أم هانئ إلا بهذا الإسناد، تفرد به أبو عاصم الثقفي الكوفي".

قلت: وقال عنه أبو حاتم: "منكر الحديث". انظر الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١٢٧٩)، واللسان (٤٤٤/٢)، ومجمع الزوائد (٣٥٥/١٠-٣٥٦).." (١)

."

٥٣٨ . قال: وحدثنا أبو كريب، حدثنا قبيصة(١)، حدثنا سفيان(٢)، عن الأعمش،

عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاثة أيام: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل))(٣)

---

(١) هو قبيصة بن عقبة بن محمد بن سفيان السوائي . بضم المهملة وتخفيف الواو . أبو عامر الكوفي، وثقه الأئمة؛ ابن معين، وأحمد، والعجلي، وأبو يعلى الخليلي، وابن حبان، إلا أنهم تكلموا في حديثه عن الثوري، وعللوا ذلك بأنه كان يسمع منه صغيرا، فكثرت مخالفاته، ولكن البخاري أكثر عنه، عن سفيان في صحيحه.

أما الحافظ ابن حجر فقال: "صدوق ربما خالف، من التاسعة، مات سنة خمس عشرة ومائتين على الصحيح".

الجرح والتعديل (١٢٧/٧)، ومعرفة الثقات للعجلي (٢١٤/٢)، والثقات لابن حبان (٢١/٩)، والإرشاد (٥٧٢/٢)،

---

(١) الطيوريات، ٥/٦٤

والتعديل والتجريح (١٠٦٧/٣)، وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين (ص١٩٣)، وتاريخ بغداد (٤٧٤/١٢)، والتهذيب (٣١٢/٨)، والتقريب (٤٥٣/ت٥٥١٣).

(٢) هو الثوري.

(٣) إسناده حسن، أخرجه الأبهري في "فوائده" (ص٥٨/ح٥٤) بهذا الإسناد واللفظ.

أما قبيصة فقد تابعه غير واحد من أصحاب الثوري وهم:

- عبد الرحمن بن مهدي، أخرج حديثه مسلم (٢٢٠٦/٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر **بحسن الظن بالله** عند الموت، عن أبي بكر بن نافع، عنه به.

- ويحي بن آدم، أخرج حديثه أحمد (٢٩٣/٣).

- وعبد الرزاق بن همام الصنعاني، أخرجه أحمد (٣٣٠/٣) عنه به.

- ومحمد بن كثير العبدي، أخرج حديثه ابن حبان (٤٠٣/٢).

- وحصين بن حفص الأصبهاني، أخرج حديثه تمام الرازي في "فوائده" (٢٤٥/١).

ووافق سفيان عليه جرير بن عبد الحميد، وأبو معاوية، وعيسى بن يونس، أخرج حديثهم مسلم (٢٢٠٥/٤-٢٢٠٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر **بحسن الظن بالله** عند الموت.

كما وافق أبا سفيان عليه أبو الزبير، أخرج حديثه مسلم في الموضع السابق.

فالحديث صحيح ثابت، ولا أثر لكلامهم على رواية قبيصة عن الثوري، ولا على حديث أبي سفيان عن جابر، لأن كلا منهما قد توبع، والله أعلم.." (١)

."

٦٧٨ ـ أخبرنا أحمد، حدثنا علي بن إبراهيم(١)، حدثنا إسماعيل بن علي بن علي(٢)، حدثنا محمد بن إبراهيم بن كثير(٣)، حدثنا أبو نواس الحسن بن هانئ، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يموت أحدكم حتى يحسن ظنه بالله عز وجل؛ فإن **حسن الظن بالله** ثمن الجنة))(٤) .

٦٧٩ ـ أخبرنا أحمد، حدثنا محمد بن عبدالله الكوفي الحافظ، حدثنا محمد بن الحسن

---

(١) هو البيضاوي.

(٢) هو الخزاعي.

(٣) هو البابشامي.

(٤) إسناده منكر فيه:

---

(١) الطيوريات، ٢٨/٧

- أبو نواس الحسن بن هانئ، وقد تفرد بهذا الإسناد واللفظ عن أنس.

- ومحمد بن إبراهيم البابشامي، لم يوثقه أحد.

- وإسماعيل بن علي الخزاعي غيرثقة.

أخرجه ابن جميع الصيداوي في "معجم شيوخه" (ص٣٠١)، ومن طريقه الخطيب في "موضح الأوهام" (٤٣٢/١) عن عبد الله بن علي الخزاعي ـ وهو إسماعيل بن علي الخزاعي ـ به مثله.

وأخرجه الخطيب في "تاريخ بغداد" (٣٩٦/١) من طريق إسماعيل بن علي الخزاعي به، إلا أنه جعل مكان "ثابت البناني" "يزيد الرقاشي".

وأما متن الحديث ـ سوى قوله: ((فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة)) ـ فقد ثبت من حديث جابر الذي تقدم برقم (٥٣٨) وتخريجه هناك، وسيكرره المصنف في (ل١٩٥/ب) من حديث أنس أيضا.

قلت: وأما معناه فقد ثبت أيضا عن أنس بلفظ: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني")).

أخرجه أحمد (٢١٠/٣، ٢٧٧)، من طريق أبي داود الطيالسي، والطبراني في "الدعاء" (١٧)، من طريق عمرو ابن مرزوق، كلاهما عن شعبة، عن قتادة عنه به.

وإسناده صحيح على شرط مسلم.." (١)

"قال أبو نواس: سندوني، فلما استوى قال: إياي تخوف بالله، وقد حدثني حماد بن سلمة، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: ((لكل نبي شفاعة، وإني أختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، أفترىلا أكون منهم؟))(١).

٩٤٧ ـ أملى علينا أبو عبد الله، قال: أملى علي أبو الميمون عبد الرحمن بن أحمد، أخبرنا ابن علي بن علي أبو القاسم الخزاعي ببغداد واسمه: إسماعيل، حدثنا محمد

ابن إبراهيم بن كثير، حدثنا أبو علي الحسن ابن هانئ، حدثنا حماد ابن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بربه، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة))(٢)

---

(١) حديث صحيح، وأما القصة ففي إسناد المؤلف أبو القاسم الخزاعي وهو متهم، وأبو نواس قد قال فيه ابن الجوزي بأنه قد غلب عليه اللهو، وقال الذهبي: فسقه ظاهر، ويزيد الرقاشي ضعيف أيضا، وقد تقدم تخريج الحديث في رواية رقم(٧٧٧).

(٢) حديث صحيح دون الجزء الأخير منه، ((فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة)). وإسناد المؤلف ضعيف جدا، فيه أبو القاسم الخزاعي وهو متهم. والحسن بن هانئ ضعيف.

أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٣٩٦/١، من طريق هلال بن محمد بن جعفر الحفار، حدثنا إسماعيل بن علي بن علي أبو

---

(١) الطيوريات، ٧٢/٨

القاسم الخزاعي، عن محمد بن إبراهيم بن كثير، عن أبي نواس الحسن بن هانئ به.

وأخرجه ابن جميع في معجم الشيوخ: ٣٠١/١ ومن طريقه الخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق: ٤١٨/١، عن عبد الله بن علي بن علي أبو القاسم به. وقال الخطيب: لم يرو عن محمد بن إبراهيم هذا إلا إسماعيل بن علي الخزاعي ، وإسماعيل غير ثقة. تاريخ بغداد: ٣٩٧/١، ولم يفرق الخطيب بين إسماعيل بن علي الخزاعي ، وعبد الله بن علي الخزاعي، وقد جاء عند الصيداوي والخطيب ((يزيد الرقاشي)) بدل ((ثابت البناني)).

وورد في **حسن الظن بالله** حديث صحيح أخرجه مسلم في صفة الجنة: باب الأمر **بحسن الظن بالله** تعالى عند الموت ٢٢٠٦/٤ رقم ((٢٨٧٧)). من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ((يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل))..". (١)

"[٢] كما يكره تلقين الميت لا إله إلا الله أكثر من ثلاث مرات لئلا يضجر لشدة كربه وضيق حاله إلا أن يتكلم بشيء بعد التلقين فيسن حينئذ أن يعاد تلقينه بلا إله إلا الله حتى يكون آخر كلامه لا إله إلا الله .

(لحديث معاوية الثابت في صحيح أبي داود) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة .

[٣] كما يجوز تلقين الكافر لا إله إلا الله وهاك الدليل على ذلك :

(حديث سعيد ابن المسيب عن أبيه الثابت في الصحيحين) قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أمية بن المغيرة فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله ، فقال ابوجهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ ، فلم يزل رسول الله يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله تعالى: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) [سورة: التوبة – الآية: ١١٣]

[٣] يسن تذكير الميت بأخبار الرجاء : وذلك لسببين واضحين هما

*الأول : أن تذكير الميت بأخبار الرجاء يحببه في لقاء الله تعالى ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

(حديث عائشة الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه و من كره لقاء الله كره الله لقاءه .

*والثاني : أن تذكير الميت بأخبار الرجاء يجعله **حسن الظن بالله** تعالى ..". (٢)

---

(١) الطيوريات، ٦/١٢

(٢) الضياء اللامع من صحيح الكتب الستة وصحيح الجامع، ٢٦٢/١

"(لحديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما الثابت في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** .

[٤] يسن تغميض عينه والدعاء له :

(لحديث أم سلمة الثابت في صحيح مسلم) قالت دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ثم قال اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبة في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له في قبره ونور له فيه .

[٥] يسن تغطيته بثوب يستر جميع بدنه :

(لحديث عائشة الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – حين توفي سجى ببرد حبرة .

[٦] أن يعجلوا بتجهيزه وإخراجه :

(لحديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين)) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدموها إليه و إن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم .

[٧] المبادرة بقضاء دينه فإن نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه :

(لحديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه .

(لحديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه و من أخذها يريد إتلافها أتلفه الله .

[تنبيه] من مات من المسلمين وعليه دين استحق أن يقضى عنه دينه من بيت مال المسلمين ويؤخذ من سهم الغارمين الذي هو أحد مصارف الزكاة الثمانية :." (١)

"**حسن الظن بالله** تعالى بالرجاء

(م) ، عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال :

سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل وفاته بثلاثة أيام يقول : " لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** – عز وجل – (١) " (٢)

---

(١) قال العلماء : هذا تحذير من القنوط ، وحث على الرجاء عند الخاتمة ، وقد سبق في الحديث الآخر قوله سبحانه وتعالى : (أنا عند ظن عبدي بي) ، قال العلماء : معنى (**حسن الظن بالله** تعالى) أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه ، قالوا : وفي حالة الصحة يكون خائفا راجيا ، ويكون الخوف أرجح ، فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه ؛ لأن

---

(١) الضياء اللامع من صحيح الكتب الستة وصحيح الجامع، ١/٢٦٣

مقصود الخوف : الانكفاف عن المعاصي والقبائح ، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال ، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال ، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى ، والإذعان له ، ويؤيده حديث (يبعث كل عبد على ما مات عليه) قال العلماء : معناه : يبعث على الحالة التي مات عليها ، ومثله الحديث (ثم بعثوا على نياتهم) . شرح النووي على مسلم - (ج ٩ / ص ٢٥٦)

(٢) (م) ٢٨٧٧ ، (د) ٣١١٣." (١)

"#١٩٣#"

باب الترغيب في الرجاء **وحسن الظن بالله** –عز وجل–

١٤١١– أخبرنا محمد بن أحمد بن علي، أنبأ أحمد بن موسى، ثنا عبد الله بن جعفر، ثنا محمد بن عاصم، ثنا أبو أسامة قال: حدثني طلحة بن يحيى، حدثني أبو بردة بن أبي موسى، عن أبي موسى –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل، فقيل: هذا فداؤك من النار)).." (٢)

"باب في فضل **حسن الظن بالله** D." (٣)

"٣٦٦ – حدثنا عبد الله بن محمد البغوي ، ثنا علي بن الجعد ، ثنا أبو جعفر الرازي ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، قال : سمعت النبي A قبل موته بثلاث قال : « لا يموت أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** »." (٤)

"١٦٩٦ – التسعون عن زهير عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لا تذبحوا إلا مسنة إلا أن يعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن

١٦٩٧ – الحادي التسعون عن زهير عن أبي الزبير عن جابر قال كان ينبذ لرسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في سقاء فإذا لم يجدوا سقاء نبذ له في تور من حجارة فقال بعض القوم وأنا أسمع لأبي الزبير من برام قال من برام وعن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر نحوه

١٦٩٨ – الثاني والتسعون عن زهير عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ من لم يجد نعلين فليلبس خفين ومن لم يجد إزارا فليلبس سراويل

١٦٩٩ – الثالث والتسعون عن زهير عن أبي الزبير عن جابر قال قالت امرأة بشير انحل بني غلامك وأشهد لي رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فأتى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فقال إن ابنة فلان سألتني أن أنحل ابنها غلامي وقالت أشهد لي رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فقال أله إخوة قال نعم قال أفكلهم أعطيت مثل ما أعطيته قال لا قال فليس

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ١٣٨/١

(٢) الترغيب والترهيب لقوام السنة، ١٩٣/٢

(٣) الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين، ٤٠٧/١

(٤) الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين، ٤٠٨/١

يصلح هذا وإني لا أشهد إلا على حق

١٧٠٠ – الرابع والتسعون عن واصل مولى أبي عيينة عن أبي الزبير عن جابر سمع النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل وأخرجه أيضا من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بنحوه وليس لواصل عن أبي الزبير في مسند جابر من الصحيح غير هذا

١٧٠١ – الخامس والتسعون عن هشام بن أبي عبد الله الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر

أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال إن المرأة تقبل في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه وأخرجه أيضا من حديث حرب بن أبي العالية عن أبي الزبير عن جابر بمثله ولم يذكر وتدبر في صورة شيطان ومن حديث معقل بن عبيد الله الجزري عن أبي الزبير عن جابر أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال

إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما في نفسه

(١) ".

"٤٢– أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد ، قال : أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي ، قال : نا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، قال : نا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن هلال بن يساف ، قال : جرح رجلان على عهد رسول الله @ فقال : ((ادعوا له الطبيب)) ، فقالوا : يا رسول الله : وهل يغني الطبيب من شيء ؟ ،قال : ((نعم ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء)) .

٤٣– أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن النحاس ، قال : أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي ، قال : نا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، قال : نا سفيان ، عن عمرو ، عن نافع ، عن ابن جبير ، قال : جرير : سمعت رسول الله @ يقول :

((لا يرحم الله من لا يرحم الناس))

٤٤– حدثنا أبو العباس بن محمد بن أحمد بن الحاج بن يحيي الإشبيلي ، قال : أنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي ، قراءة عليه ، قال : نا مقدام ، يعني : ابن داود بن عيسى بن تليد الرعيني الفقيه ، قال : نا عبد الله بن محمد بن المغيرة ، قال : نا سفيان ، عن جابر ، قال : سمعت رسول الله @ قبل موته بثلاث وهو يقول :

((لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**)) .

٤٥– أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيي الشاهد ، قال : نا أبو بكر أحمد بن عمرو بن صفوان الدمشقي ، يعرف بابن أبي دجانة ، قراءة عليه بالرملة ، قال : نا عبد الله بن محمد بن مسلم ، قال : أنا راشد بن سعيد الرملي ، قال : نا الوليد بن مسلم ، عن هشام بن الغاز ، والوليد بن سليمان بن أبي السائب ، أنهما سمعا حيان أبا النضر يقول :

---

(١) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، ٣٠١/٢

أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول : سمعت رسول الله يقول @ :

((قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي ما شاء)) .." [1]

"٣٠٩- وأخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج ، قال : وأخبرنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن إبراهيم الهمذاني قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق بن الحريف ، قال : حدثنا إبراهيم بن هشام ، قال : حدثني أبي ، عن عروة بن رويم ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة – ك – قالت : قال رسول الله @ :

((من كان ذا وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان مبلغ بر أو تيسير عسير أعانه الله على إجازة الصراط يوم دحض الأقدام)) .

٣١٠- أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الشاهد ، قال : حدثنا أبو الطيب محمد بن جعفر بن ردان غندر ، قال : حدثنا إسماعيل بن علي بن علي الشافعي ، قال : حدثنا محمد بن إبراهيم بن كثير الصيرفي ، قال : حدثنا أبو نواس الحسن بن هانئ ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله @ :

((لا يموتن أحدكم حتى **يحسن الظن بالله** ، فإن **حسن الظن بالله** ثمن للجنة)) .

٣١١- أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن بن علي بن منير الشاهد قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق البغدادي قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : حدثنا أبو عمرو مقدام بن داود بن عيسى بن تليد الرعيني إملاء ، قال : حدثنا أسد بن موسى ، قال : حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : خرجنا في جنازة رجل من الأنصار ، فأتى رسول الله @ ونحن ببقيع الغرقد ، فجلس ومعه مخصرة ينكب بها في الأرض ، ثم رفع رأسه فقال:

((ما منكم من أحد من نفس منفوسة إلا وكتب الله مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة)) . فقال رجل : يا رسول الله ! ألا نتكل على كتابنا ، وندع العمل ، فمن كان منا من أهل السعادة فإنه يصير إلى السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقوة فإنه يصير إلى أهل الشقوة ؟ ، فقال :." [2]

"أبي إسحاق، وتفرد به عنه ابنه إبراهيم بن يوسف، ولم يروه عنه غير شريح بن مسلمة. وقال في موضع آخر: تفرد به عامر بن مدرك* عن خلاد بن مسلم الصفار أبي مسلم عن موسى بن أبي عائشة.

(٤٤٧٢) حديث: «الندم توبة ». تفرد به إسماعيل بن عمرو عن قيس عن عاصم بن كليب عن أبيه عن وائل.

* ابن وائل –غير مسمى–:

(٤٤٧٣) حديث*: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح الصلاة كبر ورفع يديه... الحديث. تفرد به

---

(١) الخلعيات، ١٦/١

(٢) الخلعيات، ١٤/٨

داود بن الزبرقان عن مطر (١) عن ابن وائل، وتفرد به داود بن مهران عنه.

* أم عبد الجبار بن وائل عن وائل:

(٤٤٧٤) حديث : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يفتتح الصلاة رفع كفيه... الحديث. تفرد به أبو شيبة عن أبي إسحاق عن عبد الجبار عن أمه عن وائل.

مسند واثلة بن الأسقع

* إبراهيم بن أبي عبلة عنه:

(٤٤٧٥) حديث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل ». تفرد به طلحة بن زيد عن إبراهيم بن أبي عبلة*.

* شداد بن عبد الله عنه:

(٤٤٧٦) حديث: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم.. ».

٤٤٧٣ - * « حديث » من غ .

(١) قوله : «مطر » لعل صوابه : فطر .

٤٤٧٤ - * الترجمة من ص .

٤٤٧٥ - * الترجمة من ص - وكذا ما بعده- / «بن أبي عبلة » من غ .." (١)

"(٥٢٢١) حديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب، فقال: «يا أيها الناس، كأن الحق فيها على غيرنا وجب.. ». الحديث. غريب من حديث يحي الأنصاري عن سليمان عنه، وغريب عن إبراهيم بن صرمة عنه، لم يروه عنه غير عمر بن علي العلوي، وتابعه عصمة بن محمد عن يحيي.

(٥٢٢٢) حديث : «إني قد ثقلت.. ». الحديث. غريب من حديث يحيي الأنصاري عنه، تفرد به عيسى بن يونس، ولم نكتبه إلا من هذا الوجه، والمشهور* عن يحيي بن سعيد عن محمد بن يحيي بن حبان عن ابن محيريز عن ﴿ ١١٨ أ﴾ معاوية هذا الحديث.

* سلمان الأغر عنه:

(٥٢٢٣) حديث : «إن الله عز وجل يبعث ريحا ألين من الحرير.. ». الحديث. غريب من حديث أبي عبد الله سلمان الأغر عنه، تفرد به صفوان بن سليم عن عبد الله بن سلمان الأغر عن أبيه، وهو صحيح، أخرجه مسلم (١) عن أحمد بن عبدة بهذا الإسناد.

(٥٢٢٤) حديث : «صلاة في مسجدي هذا.. ». الحديث. غريب من حديث محمد بن عمرو* بن علقمة عن عبد الله بن سلمان الأغر عن سلمان، لا أعلم رواه عنه غير

---

(١) أطراف الغرائب والأفراد ط. التدمرية، ٢/١٥٧

الدراوردي.

* شتير بن نهار عنه:

(٥٢٢٥) حديث : «إن **حسن الظن بالله** من حسن العبادة ». تفرد به إسرائيل عن عبد الله بن المختار عن محمد بن واسع عن شتير.

* شهر بن حوشب عن أبي هريرة:

٥٢٢٢ – * « والمشهور » في ص : والمشهو .

٥٢٢٣ – ينظر : السنن الواردة في الفتن للداني ٥/ ١٠١١ .

(١) في الحديث ١١٧ .

٥٢٢٤ – * « عمرو » في ص : عمر .

٥٢٢٥ – ينظر : العلل ٨/ ٣٣٩ .." (١)

"وقوله تعالى : ؟ إن الله اصطفى لكم الدين ؟ ، أي : اختار لكم دين الإسلام ، ؟ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ؟ ، أي : استقيموا عليه حتى تموتوا ، كما قال تعالى : ؟ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلا من غفور رحيم ؟ . وروى مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل موته بثلاثة أيام يقول : « لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** » .

قوله عز وجل : ؟ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون (١٣٣) ؟ .

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : ؟ أم كنتم شهداء ؟ أكنتم ؟ ولكنه استفهم بأم ، إذ كان استفهاما مستأنفا على كلام قد سبقه ، كما قال : ؟ الم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه ؟ ، وكذلك تفعل العرب في كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه ، تستفهم فيه بأم .." (٢)

"#٥٨#

٥٤– أخبرنا محمد حدثنا أبو كريب حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاثة أيام لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عزَّ وجلَّ.." (٣)

"حدثنا أبو نعيم حدثنا المغيرة بن أبي الحسن عن سعيد بن أبي برده عن أبيه

---

(١) أطراف الغرائب والأفراد ط. التدمرية، ٢٩٢/٢

(٢) توفيق الرحمن / فيصل آل مبارك، ١٦٠/١

(٣) فوائد أبي بكر الأبهري، ص/٥٨

عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إني لأستغفر في اليوم مائة مرة (٢٦٤) عبدالله بن علي بن علي أبو القاسم الخزاعي

حدثنا عبدالله بن علي ببغداد قال حدثنا محمد بن ابراهيم بن كثير حدثنا أبو علي الحسن بن هاني حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بربه فإن **حسن الظن بالله** تعالى ثمن الجنة (٢٦٥) عبدالله بن جعفر بن محمد بن الورد بن زنجويه أبو محمد

حدثنا عبدالله بن جعفر بمصر قال حدثنا يوسف بن يزيد حدثنا

---

(١) ".

" ١٢٢١٢٣ – النساء

والذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره قوله تعالى

سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة أولئك

وعد الله حقا أى وعده وعدا وحق ذلك حقا فالأول مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز أن ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لأنه في معنى نعدهم ادخال جنات الخ و حقا على أنه حال من المصدر

ومن أصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه والمبالغة في تأكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ بإشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال

ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب أي ليس ما وعد الله تعالى من الثواب يحصل بأمانيكم أيها المسلمون ولا بأماني أهل الكتاب وانما يحصل بالإيمان والعمل الصالح ولعل نظم أماني أهل الكتاب في سلك أماني المسلمين مع ظهور حالها للإيذان بعدم اجداء اماني المسلمين أصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما ألهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا **نحسن الظن بالله** وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل وقيل ان المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله تعالى منكم فقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم أي ليس الأمر بأماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لأوتين مالا وولدا ولا أماني

---

(١) معجم الشيوخ، ص/٣٠١

أهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى

من يعمل سوءا يجز به عاجلا أو آجلا لما روى أنه لما نزلت قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله أما تحزن أو تمرض أو يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك

ولا يجد له من دون الله أي مجاوزا لموالاة الله ونصرته

وليا يواليه

ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ." (١)

" ١٢ – النفس للعذاب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن أى كونوا على جانب منه وإبهام الكثير لإيجاب الاحتياط والتأمل فى كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أى قبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات **وحسن الظن بالله** تعالى ومنه ما يحرم كالظن فى الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن فى الأمور المعاشية إن بعض الظن إثم تعليل للأمر بالاجتناب أو لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقى والإثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كأنه يثم الأعمال أى يكسرها ولا تجسسوا أى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما أن التلمس بمعنى التطلب لما فى اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى وأنا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذى هو إثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا أى لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيبة إدام كلاب الناس أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه وأشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريرى وإسناد الفعل إلى أحد إيذانا بأن أحدا من الأحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخا للآكل وميتا وإخراج تماثلها مخرج أمر بين غنى عن الإخبار به وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الأخ والفاء فى قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتموه وقرى كرهتموه أى جبلتم على كراهته واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل إن الله تواب رحيم مبالغ فى قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم روى أن رجلين من الصحابة رضى الله عنهم بعثا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يبغى لهما إداما وكان أسامة على طعامه عليه الصلاة و السلام فقال ما عندى شئ

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٢٣٥

فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سليمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لهما ما لى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه الصلاة و السلام إنكما قد اغتبتما ." (١)

"﴿إن الله اصطفى لكم الدين﴾ أي : دين الإسلام الذي هو صفوة الأديان ولا دين عنده غيره ﴿فلا تموتن﴾ أي : لا يصادفكم الموت ﴿إلا وأنتم مسلمون﴾ أي : مخلصون بالتوحيد محسنون بربكم الظن وهذا نهي عن الموت في الظاهر وفي الحقيقة عن ترك الإسلام لأن الموت ليس في أيديهم وذلك حين دخل يعقوب مصر فرأى أهلها يعبدون الأصنام فأوصى بنيه بأن يثبتوا على الإسلام فإن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موت لا خير فيه وإنه ليس بموت السعداء وإن من حق هذا الموت أن لا يحل فيهم وتخصيص الأبناء بهذه الوصية مع أنه معلوم من حال إبراهيم أنه كان يدعو الكل أبدا إلى الإسلام والدين وللدلالة على أن أمر الإسلام أولى الأمور بالاهتمام حيث وصى به أقرب الناس إليه وأحراهم بالشفقة والمحبة وإرادة الخير مع أن صلاح أبنائه سبب لصلاح العامة لأن المتبوع إذا صلح في جميع أحواله صلح التابع.

روي أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿وأنذر عشيرتك الاقربين﴾ (الشعراء : ٢١٤) جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أقاربه وأنذرهم فقال : "يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا" يعني لا أقدر على دفع مكروه عنكم في الآخرة إن أراد الله أن يعذبكم وإنما أشفع لمن أذن الله لي فيه وإنما يأذن لي إذا لم يرد تعذيبه إنما قال عليه السلام في حقهم هكذا لترغيبهم في الإيمان والعمل لئلا يعتمدوا على قرابته ويتهاونوا ولا بد من الوصية والتحذير في باب الدين لأن الإنسان إذا أنس بأهل الشر يخاف أن يتخلق بأخلاقهم ويعمل عملهم فيجره ذلك الهوى إلى الهاوية كما قيل :

نفس از همنفس بكيرد خوى

بر حذر باش از لقاي خبيث

باد ون برفضاي بد كذرد

بوى يد كيرد از هواي خبيث

٢٣٨

وكتب أبو عبيد الصوري إلى بعض إخوانه : أما بعد ، فإنك قد أصبحت تأمل الدنيا بطول عمرك وتتمنى على الله الأماني بسوء فعلك وإنما تضرب حديدا باردا والسلام وحسن الظن بالله تعالى إنما يعتبر بعد إصلاح الحال بالأخلاق والأعمال.

قال الحسن : إن قوما ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة.

يقول أحدهم : إني أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل وتلا قوله تعالى : ﴿وذالكم ظنكم﴾ (فصلت : ٢٣) الآية اللهم وفقنا للعلم والعمل قبل الأجل.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٣٧

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٢٢/٨

﴿أم كنتم شهدآء﴾ لأهل الكتاب الراغبين عن ملة إبراهيم عليه السلام وأم منقطعة مقدرة ببل والهمزة.

قال في "التيسير" : أم إذا لم يتقدمها ألف الاستفهام كانت بمنزلة مجرد الاستفهام ومعنى الهمزة فيها الإنكار يعني أكنتم شهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر يريد ما كنتم حاضرين ﴿إذ حضر يعقوب الموت﴾ أي : إماراته وأسبابه وقرب خروجه من الدنيا نزلت حين قالت اليهود للنبي عليه السلام : ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فقال تعالى : ما كنتم حاضرين حين احتضر يعقوب وقال لبنيه ما قال وإلا لما ادعيتم عليه اليهودية ولكان حرضكم على ملة الإسلام ﴿إذ قال لبنيه﴾ بدل من إذ حضر والعامل فيها شهداء ﴿ما تعبدون منا بعدى﴾ أي : أي شيء تعبدونه بعد موتي أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما.

قال الراغب لم يعن بقوله : ما تعبدون من بعدي العبادة المشروعة فقط وإنما عني أن يكون مقصودهم في جميع الأعمال وجه الله تعالى ومرضاته وأن يتباعدوا عما لا يتوسل به إليها وكأنه دعاهم إلى أن لا يتحروا في أعمالهم غير وجه الله تعالى ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الأصنام وإنما خاف أن تشغلهم دنياهم ولهذا قيل ما قطعك عن الله فهو طاغوت ولهذا قال واجنبني وبني أن نعبد الأصنام أي : أن نخدم ما دون الله.

قال في "المثنوي" :

يست دنيا از خدا غافل شدن

نى قماش ونقره وفر زند و وزن

". (١)

". روي . أن وحشيا قاتل حمزة عم النبي عليه السلام كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أريد أن أسلم ولكن يمنعني من الإسلام آية في القرآن نزلت عليك وهو قوله تعالى : ﴿والذين لا يدعون مع الله إلاها ءاخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ (الفرقان : ٦٨) وإني قد فعلت هذه الأشياء الثلاثة فهل لي من توبة؟ فنزلت هذه الآية ﴿إلا من تاب وءامن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شياا﴾ فكتب أن في الآية شرطا وهو العمل الصالح فلا أدري أنا أقدر على العمل الصالح أم لا؟ فنزل قوله تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذالك لمن يشآء﴾ (النساء : ٤٨) فكتب بذلك إلى وحشي فكتب إليه أن في الآية شرطا فلا أدري أيشاء أن يغفر لي أم لا فنزل قوله تعالى : ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ (الزمر : ٥٣) فكتب إلى وحشي فلم يجد الشرط فقدم المدينة وأسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من مات ولم يشرك بالله شيئا دخل الجنة" ورأى أبو العباس شريح في مرض موته كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه وتعالى يقول : أين العلماء؟ فجاءوا فقال : ماذا عملتم فيما علمتم فقلنا : يا رب قصرنا وأسأنا فأعاد السؤال فكأنه لم يرض به وأراد جوابا آخر فقلت : أما أنا فليس في صحيفتي شرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه فقال الله تعالى اذهبوا فقد غفرت لكم ومات شريح بعده بثلاث ليال وهذا من **حسن الظن بالله** تعالى.

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ١/١٩١

كنونت كه شمست اشكى ببار
زبان در دهانست عذري بيار
كنون بايدت عذر تقصير كفت
نه ون نفس ناطق زكفتن بخفت
غنيمت شمار اين كرامي نفس
كه بي مرغ قيمت ندارد قفس
واعلم أن للشرك مراتب وللمغفرة مراتب.
فمراتب الشرك ثلاث : الجلي والخفي والأخفى.
وكذلك مراتب المغفرة.
فالشرك الجلي بالأعيان وهو للعوام وذلك بأن يعبد شيء من دون الله تعالى كالأصنام والكواكب وغيرها فلا يغفر إلا بالتوحيد وهو إظهار العبودية في إثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية.
والشرك الخفي بالأوصاف وهو للخواص وذلك شوب العبودية بالالتفات إلى غير الربوبية في العبادة كالدنيا والهوى وما سوى المولى فلا يغفر إلا بالوحدانية وهي إفراد الواحد للواحد بالواحد.
والشرك الأخفى وهو للأخص وذلك رؤية الأغيار والأنانية فلا يغفر إلا بالوحدة وهي فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية ليبقى بالهوية
٢١٩
دون الأنانية فإن الله لا يغفر بمراتب المغفرة أن يشرك به بمراتب الشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء أي لمن يشاء المغفرة فيستغفر الله تعالى من مراتب الشرك فيغفر له بمراتب المغفرة ومن يشرك بالله بمراتب الشرك فقد افترى إثما عظيما أي جعل بينه وبين الله حجابا من إثبات وجود الأشياء وأنانيته وهي أعظم الحجب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب :
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢١٧
نيستي جولانكه أهل دلست
شاهراه عاشقان كاملست
ون وجودت محو كردى ازميان
نور وحدث شم دل را شد عيان
شرك رهزن باشد اي دل در طريق
ذكر توحيد خدارا كن رفيق
". (١)

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ١٧٤/٢

"فنبه سبحانه وتعالى على أن الشيطان إنما يعد ويمني لأجل أن يغر الإنسان ويخدعه ويفوت عنه أعز المطالب وأنفع المآرب.

فالعاقل من لا يتبع وسواس الشيطان ويبتغي رضى الرحمن بالتمسك بكتابه العظيم وسنن رسوله الكريم والعمل بهما ليفوز فوزا عظيما وكفى بذلك نصيحة ﴿أولئك﴾ إشارة إلى أولياء الشيطان وهو مبتدأ أي : مستقرهم وهو مبتدأ ثان ﴿جهنم﴾ خبر للثاني والجملة خبر للأول ﴿ولا يجدون عنها محيصا﴾ أي : معدلا ومهربا من حاص يحيص إذا عدل وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا أي كائنا عنها ولا يجوز أن يتعلق بيجدون لأنه لا يتعدى بعن ولا بقوله محيصا لأنه إما إسم مكان وهو لا يعمل مطلقا وإما مصدر ومعمول المصدر لا يتقدم عليه.

والإشارة أن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم السعداء وخلق النار وخلق لها أهلا وهم الأشقياء وخلق الشيطان مزينا وداعيا وآمرا بالهوى فمن يرى حقيقة الاضلال ومشيئته من إبليس فهو إبليس وقد قال تعالى : ﴿يضل من يشآء ويهدى من يشآء﴾ (النحل : ٩٣)

٢٨٩

والنصيب المفروض من العباد هم طائفة خلقهم الله تعالى أهل النار كقوله تعالى : ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس﴾ (الأعراف : ١٧٩) وهم أتباع الشيطان ههنا وقد لعن الله الشيطان وأبعده عن الحضرة إذ كان سبب ضلالتهم كما قال عليه السلام : "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه" وإنما لعن الله الدنيا وأبغضها لأنها كانت سببا للضلالة وكذلك الشيطان ولا يغتر بوعد الشيطان إلا الضال بالضلال البعيد الأزلي ولذا تولد منه الشرك المقدر بمشيئة الله الأزلية.

وأما من خلقه الله أهلا للجنة فقد غفر له قبل أن خلقه ومن غفر له فإنه لا يشرك بالله شيئا.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لما نزل قوله تعالى : ﴿ورحمتى وسعت كل شىء﴾ (الأعراف : ١٥٦) تطاول إبليس وقال : أنا شيء من الأشياء فلما نزل ﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكواة﴾ (الأعراف : ١٥٦) يئس إبليس وتطاولت اليهود والنصارى ثم لما نزل قوله تعالى : ﴿الذين يتبعون الرسول النبى الامى﴾ (الأعراف : ١٥٦) يئس اليهود والنصارى وبقيت الرحمة للمؤمنين خاصة فهم خلقوا للرحمة ودخلوا الجنة بالرحمة ولهم الخلود في الرحمة وبقي العذاب للشيطان وأتباعه من الإنس والجن ولهم الخلود في النار كما قال الله تعالى : ﴿ولا يجدون عنها محيصا﴾ لأنهم خلقوا لها فلا بد من الدخول فيها ، قال الحافظ :

ير ما كفت خطا بر قلم صنع نرفت

آفرين بر نظر اك خطا وشش باد

فافهم تفز إن شاء الله تعالى.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٨٥

﴿والذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ صلاح الأعمال في إخلاصها فالعمل الصالح هو ما أريد به وجه الله تعالى وينتظم جميع أنواعه من الصلاة والزكاة وغيرها ﴿سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار﴾ أي : أنهار الماء واللبن والخمر والعسل

﴿خالدين فيهآ أبدا﴾ أي : مقيمين في الجنة إلى الأبد فنصب أبدا على الظرفية وهو لاستغراق المستقبل.

قال الحدادي : إنما ذكر الطاعة مع الإيمان وجمع بينهما فقال : آمنوا وعملوا الصالحات ليتبين بطلان توهم من يتوهم أنه لا تضر المعصية والإخلال بالطاعة مع الإيمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر وليتبين استحقاق الثواب على كل واحد من الأمرين ﴿وعد الله حقا﴾ أي : وعد الله لهم هذا وعدا وحق ذلك حقا فالأول مؤكد لنفسه لأنه مضمون الجملة الإسمية التي قبل وعد لأن الوعد عبارة عن الإخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها والثاني مؤكد لغيره لأن الخبر من حيث أنه خبر يحتمل الصدق والكذب ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ استفهام إنكاري أي ليس أحد أصدق من الله قولا ووعدا وأنه تعالى أصدق من كل قائل فوعده أولى بالقبول ووعد الشيطان تخييل محض ممتنع الوصول.

وقيلا نصب على التمييز والقيل والقال مصدران كالقول ﴿ليس بأمانيكم﴾ جمع أمنية بالفارسية "آرزو كردن" ﴿ولا أماني أهل الكتاب﴾ أي : ليس ما وعد الله من الثواب يحصل بأمانيكم أيها المسلمون ولا بأماني أهل الكتاب وإنما يحصل بالإيمان والعمل الصالح.

وأماني المسلمين : أن يغفر لهم جميع ذنوبهم من الصغائر والكبائر ولا يؤاخذوا بسوء بعد الإيمان.

وأماني أهل الكتاب أن لا يعذبهم الله ولا يدخلهم النار إلا أياما معدودة لقولهم ﴿نحن أبناؤا الله وأحباؤه﴾ (المائدة : ١٨) فلا يعذبنا.

وعن الحسن "ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل" إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل.

قال بعضهم : الرجاء

٢٩٠

(١) ".

"قال يوسف بن أسباط : دخلت على سفيان فبكى ليله أجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب فحمل تبنا ، وقال : الذنوب أهون على الله تعالى من هذا إنما أخشى أن يسلبني الله الإسلام فكل الرسل والأبدال والأولياء مع كل هذا الاجتهاد في الطاعة ، والحذر عن المعصية فأي شيء تقول أما كان لهم حسن الظن بالله قال بلى فإنهم كانوا أعلم بسعة رحمة الله وأحسن ظن بجوده منك ، ولكن علموا أن ذلك دون الاجتهاد أمنية وغرور جعلنا الله وإياكم من العالمين بكتابه والواصلين إلى جنابه دون من نسي الله واتبع هواه آمين آمين ألف آمين.

﴿إن ربكم﴾ الخطاب لكفار مكة المتخذين أربابا.

والمعنى (بدرستى كه روردكارشما) على التحقيق.

﴿الله﴾ (خدا ييست) جامع جميع صفات كمال.

﴿الذى خلق السماوات والارض﴾ لا على مثال سبق ﴿في ستة أيام﴾ أي : في ستة أوقات ولو شاء لخلقها في أسرع من

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ٢٣١/٢

لحظة ولكنه علم عباده التأني في الأمور.

وفي "المثنوي" :

مكر شيطانست تعجيل وشتاب

خوى رحمانست صبر واحتساب

باتأنى كشت موجود از خدا

تابشش روز اين زمين ورخهاورنه قادر بود كز كن فيكون

صد زمين ورخ آوردى برون

اين تأني ازى تعليم تست

صبركن دركار دير آى ودرست

قالوا : لا يحسن التعجيل إلا في التوبة من الذنوب ، وقضاء الدين بعد انقضاء مدته ، وقرى الضيف ، وتزويج البكر بعد بلوغها ، ودفن الميت ، والغسل من الجنابة.

واعلم : أن الله تعالى بالقادرية والخالقية أوجد السموات والأرض وبالمدبرية والحكيمية خلقها في ستة أيام ، وإنما حصر في الستة أنواع المخلوقات الستة ، وهي الأرواح المجردة ، والثاني : الملكوتيات فمنها الملائكة والجن والشياطين وملكوت السموات ، ومنها العقول المفردة والمركبة ، والثالث : النفوس كنفوس الكواكب ونفس الإنسان ونفس الحيوان ونفس النبات والمعادن ، والرابع : الإجرام وهي البسائط العلوية من أجسام اللطيفة كالعرش والكرسي والسموات والجنة والنار ، والخامس : الأجسام المفردة وهي العناصر الأربعة ، والسادس : الأجسام المركبة الكثيفة من العناصر فعبر عن خلق كل منها بيوم وإلا فالأيام الزمانية لم تكن قبل خلق السموات والأرض.

﴿ثم استوى على العرش﴾ العرش يطلق على السرير الذي يجلس عليه الملوك وعلى كل ما علاك وأظل عليك ، وهو بهذين المعنيين مستحيل في حقه تعالى فجعل الاستواء على العرش كناية عن نفس الملك والعز والسلطنة على طريق ذكر اللازم وإرادة الملزوم ، فالمعنى بعد أن خلق الله عالم الملك

١٧٤

في ستة أيام كما أراد استوى على الملك وتصرف فيه كيف شاء فحرك الأفلاك وسير الكواكب وكور الليالي والأيام ودبر أمر مصنوعاته على ما تقتضته حكمته ، وهذا معنى قول القاضي استوى أمره ، أي : استقر أمر ربوبيته وجرى أمره وتدبيره ونفذ قدرته في مصنوعاته وتخصيص العرش ؛ لأنه أعظم المخلوقات فإنه الجسم المحيط بجميع الأجسام فالاستواء عليه استواء على ما عداه أيضا من الجنة والنار والسموات والعناصر وغيرها.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٧٠

وفي "التفسير الفارسي" : ﴿ثم استوى﴾ (س قصد كرد على العرش بآفرينش عرش).

قال الحدادي : ويقال ثم هنا بمعنى الواو على طريق الجمع والعطف دون التراخي فإن خلق العرش كان قبل خلق السموات والأرض وقد ورد في الخبر "إن أول شيء خلق الله القلم ثم اللوح فأمر الله القلم أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ثم

خلق العرش ثم خلق حملة العرش ثم خلق السموات والأرض".
قال شيخي العلامة أبقاه الله بالسلامة : المراد بهذا الاستواء استواؤه سبحانه ، لكن لا باعتبار نفسه وذاته تعالى علوا كبيرا عما يقول : الظالمون ، بل باعتبار أمره الإيجادي وتجليه التجلي الأحدي المعبر عنه في القرآن بالحق ، واستواء الأمر الإرادي الإيجادي على العرش بمنزلة استواء الأمر التكليفي الإرشادي على الشرع ، فكما أن كل واحد من الأمرين قلب الآخر وعكسه المستوي السوي ، فكذلك كل واحد من العرش والشرع قلب الآخر وعكسه السوي المستوي انتهى باختصار.
." (١)

"قال سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي : دعوت الله ليلة فأخرجت إحدى يدي والأخرى ما قدرت على إخراجها من شدة البر فنمت فرأيت في منامي أن يدي الظاهرة مملوءة نورا والأخرى فارغة فقلت ولم ذاك يا رب فنوديت اليد التي خرجت للطلب ملأناها والتي توارت حرمناها ، ورفع الأيدي إلى السماء والنظر إليها وقت الدعاء بمنزلة أن يشير سائل
١٧٧
إلى الخزانة السلطانية ، ثم يطلب من السلطان أن يفيض عليه سجال العطاء من هذه الخزانة قال تعالى : ﴿وفى السمآء رزقكم وما توعدون﴾ (الذاريات : ٢٢) فالسماء قبلة الدعاء ومحل نزول البركات والأفضل أن يبسط كفيه ويكون بينهما فرجة.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٧٠
وإن قلت : ولا يضع إحدى يديه على الأخرى فإن كان وقت عذر أو برد فأشار بالمسبحة قام مقام بسط كفيه.
والمستحب أن يرفع يديه عند الدعاء بحذاء صدره كذا روي بن عباس رضي الله عنهما فعل النبي عليه السلام كذا في "القنية" ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ أي : المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره نبه به على أن الداعي ينبغي أن لا يطلب ما لا يليق كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والإسهاب فيه.
وعن النبي صلى الله عليه وسلم "سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول : اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، ثم قرأ إنه لا يحب المعتدين" فاللائق للداعي أن يدعو بأهم الأمور هو الفوز بالجنة والنجاة من النار كما قال النبي عليه السلام للأعرابي الذي قال إني أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار إني لا أعرف دندنتك ولا دندنة معاذ وقال : "حولهما ندندن" ومعناه إني لا أعرف ما تقول أنت ومعاذ يعني من الأذكار والدعوات المطولة ولكني أختصر على هذا المقدار فأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار ومعنى قوله عليه السلام : "حولهما ندندن" إن القصد بهذا الذكر الطويل الفوز بهذا الأجر الجزيل ﴿ولا تفسدوا فى الأرض﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بعد إصلاحها﴾ ببعث الأنبياء وشرع الأحكام.
قال الحدادي وقيل : معناه لا تعصوا في الأرض فيمسك المطر عنها ويهلك الحرث بمعاصيكم ﴿وادعوه خوفا وطمعا﴾ مصدران في موقع الحال أي خائفين من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطامعين في إجابته تفضلا وإحسانا لفرط

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ١٣٢/٣

رحمته ﴿ولا تفسدوا فى الارض بعد إصلاحها﴾ وتذكير قريب مع أنه مسند إلى ضمير الرحمة لتأويل الرحمة بالرحم فإن الرحم بضم الراء بمعنى الرحمة قال الله تعالى : ﴿وأقرب رحما﴾ (الكهف : ٨١) قال الكسائي : أراد أن إتيان رحمة الله قريب كقوله : ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا﴾ (الأحزاب : ٦٣) أي : لعل إتيانها والمعنى إن رحمة الله قريب من الداعين بلسان ذاكر شاكر وقلب حاضر طاهر وترجيح للطمع وتغليب لجانب الرحمة وتنبيه على وسيلة الإجابة أعني الإحسان المفسر "بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" وفي الحديث : "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة" يعني : ليكن الداعي ربه على يقين بأن الله يجيب لأن رد الدعاء إما للعجز في إجابته أو لعدم كرم في المدعو أو لعدم علم المدعو بدعاء الداعي وهذه الأشياء منتفية عن الله تعالى فإنه عالم كريم قادر لا مانع له من الإجابة.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٧٠

قال سهل : ما أظهر عبد فقره إلى الله تعالى في وقت الدعاء في شيء يحل به إلا قال الله تعالى لملائكته لولا أنه لا يحتمل كلامي لأجبته لبيك حكي أن موسى عليه السلام مر برجل يدعو ويتضرع فقال موسى لو كانت حاجته بيدي لقضيتها فأوحى الله تعالى إليه أنا أرحم به منك ولكنه يدعوني وله غنم وقلبه في غنمه وأنا لا أقبل دعوة عبد قلبه عند غيري فذكر ذلك للرجل فتوجه إلى الله بقلبه فقضيت حاجته فيلزم حضور القلب **وحسن الظن بالله** في إجابة الدعاء وحكي عن بعض البله وهو في طواف الوداع أنه قال له رجل وهو يمازحه

١٧٨

هل أخذت من الله براءتك من النار فقال الأبله لا وهل أخذ الناس ذلك فقال : نعم فبكى ذلك الأبله ودخل الحجر وتعلق بأستار الكعبة وجعل يبكي ويطلب من الله أن يعطيه كتابه بعتقه من النار فجعل أصحابه والناس يلومونه ويعرفونه أن فلانا مزح معك وهو لا يصدقهم بل بقي مستقرا على حاله فبينا هو كذلك إذ سقطت عليه ورقة من جهة الميزاب فيها مكتوب عتقه من النار فسر بها وأوقف الناس عليها وكان من آية ذلك الكتاب أن يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها فعلم الناس أنه من عند الله.

". (١)

"أهلها.

﴿والرسول﴾ بترك السنة والقيام بالبدعة.

﴿وتخونوا أماناتكم﴾ فالأمانة هي محبة الله وخيانتها تبديلها بمحبة المخلوقات يشير إلى أن أرباب القلوب وأصحاب السلوك إذا بلغوا إلى أعلى مراتب الطاعات والقربات ، ثم التفتوا إلى شيء من الدنيا وزينتها وخانوا الله بنوع من التصنع وخانوا الرسول بالتبدع وترك التتبع بتعدي الخيانة وآفاتها إلى الأمانة التي هي المحبة فتسلب منهم بالتدريج فيكون لهم ركونهم إلى الدنيا وسكونهم إلى جمع الأموال حرصا على الأولاد.

﴿وأنتم تعلمون﴾ أنكم تبيعون الدين بالدنيا والمولى بالأولى.

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ١٣٥/٣

﴿واعلموا أنمآ أموالكم وأولـادكم﴾ التي تعرضون عن الله لها ﴿فتنة﴾ يختبركم الله بها لكي يتميز الموافق من المنافق والصديق من الزنديق فمن أعرض عن الدنيا وما فيها صدق في طلب المولى ﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾ فمن ترك ما عنده في طلب ما عند الله يجده عنده أو أن الله عنده أجر عظيم والعظيم هو الله في الحقيقة فيجد الله تعالى كذا في "التأويلات النجمية" :

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٣٤

يا اأيها الذين ءامنوا إن تتقوا الله﴾ أي : في كل ما تأتون وتذرون.

﴿يجعل لكم﴾ بسبب ذلك ﴿فرقانا﴾ هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين كما قال تعالى : ﴿يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾ (الأنفال : ٤١) وأراد به يوم عز المؤمنين وخذلان الكافرين.

﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ أي : يسترها والفرق بين السيئة والخطيئة أن السيئة قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لأنها من الخطأ.

﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ بالعفو والتجاوز عنها.

﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ أي : عظيم الفضل على عباده وهو تعليل لما قبله وتنبيه على أن وعد الله لهم على التقوى تفضل وإحسان لا أنه مما توجب التقوى كما إذا وعد السيد عبده إتماما على عمل.

وفي الآية أمور :

الأول : التقوى وهو في مرتبة الشريعة ما أشير إليه بقوله تعالى : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ (التغابن : ١٦) وفي مرتبة الحقيقة ما أشير إليه بقوله تعالى : ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ (آل عمران : ١٠٢) (متقى آنست كه حق سبحانه وتعالى را وقايه خود كرفته باشد در ذات وصفات وأفعال فعل أو در أفعال حق فإني شده باشد وصفت اودر صفات حق مستهلك كشته)

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٣٧

كم شده ون سايه نور آفتاب

يا و بوى كل در أجزاي كلاب

قال ابن المبارك : سألت الثوري من الناس؟ فقال العلماء ، قلت : من الأشراف؟ قال : المتقون ، قلت من الملوك؟ قال : الزهاد : قلت : من الغوغاء؟ قال القصاص ، الذين يستأكلون أموال الناس بالكلام قلت من السفلة قال الظلمة.

الثاني : أن التقوى أسندت إلى المخاطبين وجعل الفرقان إلى الله تعالى فالله تعالى إذا أراد بالعبد خيرا اصطفاه لنفسه وجعل في قلبه سراجا من نور قدسه يفرق به بين الحق والباطل والوجود والعدم والحدوث والقدم ويتبصر به عيوب نفسه كما حكي عن أحمد بن عبد الله المقدسي قال صحبت إبراهيم بن أدهم فسألته عن بداية أمره وما كان سبب انتقاله من الملك الفاني إلى الملك الباقي فقال لي يا أخي كنت جالسا يوما في أعلى قصر ملكي والخواص قيام على رأسي فأشرفت من الطاق فرأيت رجلا من الفقراء جالسا بفناء القصر وبيده رغيف يابس فبله بالماء وأكله بالملح الجريش وأنا أنظر إليه إلى أن فرغ من أكله ثم شرب شيئا من الماء وحمد الله تعالى وأثنى عليه ونام في فناء القصر فألهمني الله سبحانه وتعالى

الفكر فيه فقلت لبعض مماليكي إذا قام ذلك الفقير فائتني به فلما استيقظ من نومه قال له الغلام يا فقير إن صاحب هذا القصر يريد أن يكلمك قال بسم الله وبالله وتوكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقام معه ودخل علي فلما نظر إلي سلم علي فرددت عليه السلام وأمرته بالجلوس فجلس فلما اطمأن قلت له يا فقير أكلت الرغيف وأنت جائع فشبعت قال نعم قلت وشربت الماء على شهوة فرويت قال نعم قلت ثم نمت طيبا بلا هم وغم فاسترحت قال نعم فقلت في نفسي وأنا أعاتبها يا نفس ما أصنع بالدنيا والنفس تقنع بما رأيت وسمعت فعقدت التوبة مع الله تعالى فلما انصرم النهار وأقبل الليل لبست مسحا من صوف وقلنسوة من صوف وخرجت حافيا سائحا إلى الله تعالى وهذه إحدى الروايتين في بداية أمره.

والثالث : أن المغفرة فضل عظيم من الله تعالى فلا بد للمرء من **حسن الظن بالله** تعالى فإنها ليست بمقطوعة.

قيل : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : "إني أعلمك خمس كلمات هن عماد الدين ما لم تعلم أن قد زال ملكي فلا تترك طاعتي".

همه تحت وملكي ذيرد زوال

بجز ملك فرمانده لا يزال

". (١)

"﴿ولا مولود﴾ (ونه فرزندى) عطف على والد وهو مبتدأ خبره قوله : ﴿هو جاز﴾ قاض ومؤد ﴿عن والده شيا﴾ ما من الحقوق وخص الولد والوالد بالذكر تنبيها على غيرهما والمولود خاص بالصلبي الأقرب فإذا لم يقبل شفاعته للأب الأول الذي ولد منه لم يقبل لمن فوقه من الأجداد وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزي ولقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة ولذا قالوا : إن هذا الخبر خاص بالكفار فإن أولاد المؤمنين وآباءهم ينفع بعضهم بعضا قال تعالى : ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ (الطور : ٢١) أي : بشرط الإيمان ﴿إن وعد الله﴾ بالحشر والجنة والنار والثواب والعقاب والوعد يكون في الخير والشر يقال وعدته بنفع وضر وعدا وميعادا والوعيد في الشر خاصة ﴿حق﴾ كائن لا خلف فيه ﴿فلا تغرنكم الحيواة الدنيا﴾ يقال غره خدعه وأطمعة بالباطل فاغتر هو كما في "القاموس" والمراد بالحياة الدنيا زينتها وزخارفها وآمالها ، يعني : (بمتاعهاى دلفريب او فريفته مشويد).

وفي "التأويلات النجمية" : أي : بسلامتكم في الحال وعن قريب ستندمون في المآل انتهى ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ .

قال في "المفردات" الغرور كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوات وشيطان وقد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين أي : ولا يخدعنكم الشيطان المبالغ في الغرور والخدعة بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي وينسيكم الرجوع إلى القبور ويحملكم على الغفلة عن أحوال القيامة وأهوالها.

وعذر فردارا عمر فردا بايدﷺ

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ٢٥٨/٣

كار امروز بفردا نكذارى زنهار

روز ون يافته كاركن وعذر ميار

قال في "كشف الأسرار" : الغرة بالله حسن الظن به مع سوء العمل وفي الخبر : "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة" ونعم ما قيل :

إن السفينة لا تجري على اليبس

فلا بد من الأعمال الصالحة فإن بها النجاة وبها يلتحق الأواخر بالأوائل.

ففي الآية حسم لمادة الطمع في الانتفاع بالغير مع إهمال الإسلام أو الطاعات اعتمادا على صلاح الغير فإن يوم القيامة يوم عظيم لا ينفع فيه من له اتصال الولادة فما ظنك بما سواها ويشتغل كل أحد بنفسه إلا من رحمه الله تعالى.

وعن كعب الأحبار تقول امرأة من هذه الأمة لولدها يوم القيامة : يا ولدي أما كان لك بطني وعاء وحجري وطاء وثديي سقاء كما قال الشيخ سعدي قدس سره :

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٦٢

نه طفلى زبان بسته بودى زلاف

همى روزى آمد بجوفت زناف

ونافت بريدند روزى كسست

به ستان مادر در آويخت دست

١٠١

كنار وبرمادر دلذير

بهشت است وستان ازوجوى شير

فاحمل عني واحدا فقد أثقلني ذنوبي فيقول هيهات يا أماه كل نفس بما كسبت رهينة فإذا حملت عنك فمن يحمل عني.

من وتو دو محتاج يك مائده

نه ازمن نه از تو بمن فائده

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إنه ليكون للوالدين على ولدهما دين فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول : أنا ولدكما فيود أن لو كان أكثر من ذلك" فلا يليق للمؤمن الإهمال في العبادة والتوبة والندم اغترارا واعتمادا على مجرد الكرم.

. ذكر في الإسرائيليات . أن الكليم عليه السلام مرض فذكر له دواء المرض فأبى وقال : يعافيني بغير دواء فطالت علته ، فأوحى الله إليه وقال : وعزتي وجلالي لا أبرئك حتى تتداوى ، أتريد أن تبطل حكمتي.

فاتضح بهذا أن الأعمال أسباب ووسائل للجنات والدرجات وإن لم تكن عللا موجبة فكما أن أهل الدنيا يباشرون الأسباب في تحصيل مرامهم فكذلك ينبغي لأهل الآخرة أن يباشروا الأعمال الصالحة في تحصيل الدرجات العالية والمطالب الأخروية.

ومن هذا المقام ما حكي عن إبراهيم بن أدهم قدس سره أنه لما منع من دخول الحمام بلا أجرة تأوه وقال : إذا منع من دخول بيت الشيطان بلا شيء فأنى يدخل بيت الرحمن بلا شيء؟ قال بعض الكبار : لا ينبغي للمؤمن أن يتطير ويعد نفسه من الأشقياء فيتكاسل في العمل بل ينبغي أن **يحسن الظن بالله** تعالى ويجاهد في طريقه فإن للاعتقاد تأثيرا بليغا وقد وعد الله ووعد الشيطان ووعد الله تعالى صدق محض لأنه هو الولي ووعد الشيطان كذب محض لأنه هو العدو فالإصغاء لكلام الولي خير من استماع كلام العدو فلا تغتر بتغرير الشيطان والنفس ولا بالحياة الدنيا فإن دولتها ذاهبة وزينتها زائلة وليس لها لأحد وفاء.

برمرد هشيار دنيا خس است

كه هر مدتى جاى ديكر كسست

منه برجهان دل كه بيكانه ايست

و مطرب كه هرروز درخانه ايست

نه لائق بود عشق بادلبرى

كه هربا مدادش بود شوهرى

مكن تكيه برملك وجاه وحشم

كه يش ازتو بودست وبعد ازتوهم

همه تخت وملكى ذيرد زوال

بجز ملك فرمانده لا يزال

وغم وشادمانى نماند وليك

جزاى عمل ماند ونام نيك

عروسى بود نوبت ماتمت

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٦٢

كرت نيك روزى بود خاتمت

". (١)

"﴿وما علينآ﴾ أي : من جهة ربنا ﴿إلا البلاغ المبين﴾ أي : إلا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا مبينا بالآيات الشاهدة بالصحة فإنه لا بد للدعوى من البينة وقد خرجنا من عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا وليس في وسعنا إجباركم على الإيمان ولا أن نوقع

٣٨٠

في قلوبكم العلم بصدقنا فإن آمنتم وإلا فينزل العذاب عليكم وفيه تعريض لهم بأن إنكارهم للحق ليس لخفاء حاله وصحته

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٧٦/٧

بل هو مبني على محض العناد والحمية الجاهلية.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٦٤

﴿وما علينآ إلا البلاغ المبين * قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم * قالوا طائركم معكم ألىان﴾ .

﴿قالوا﴾ لما ضاقت عليهم الحيل ولم يبق لهم علل ﴿إنا تطيرنا بكم﴾ أصل التطير التفاؤل بالطير فإنهم يزعمون أن الطائر السانح سبب للخير والبارح سبب للشر كما سبق في النمل ثم استعمل في كل ما يتشاءم به والمعنى إنا تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وإن كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بكل ما لا يوافقها وإن كان مستتبعا لسعادة الدارين.

وقال النقشبندي : قد تشاءمنا بقدومكم إذ منذ قدمتم إلى ديارنا ما نزل القطر علينا وما أصابنا هذا الشر إلا من قبلكم اخرجوا من بيننا وارجعوا إلى أوطانكم سالمين وانتهوا عن دعوتكم ولا تتفوهوا بها بعد.

وكان عليه السلام يحب التفاؤل ويكره التطير والفرق بينهما أن الفأل إنما هو من طريق حسن الظن بالله والتطير إنما هو من طريق الاتكال على شيء سواه وفي الخبر لما توجه النبي عليه السلام نحو المدينة لقي بريدة بن أسلم فقال : "من أنت يا فتى" قال بريدة فالتفت عليه السلام إلى أبي بكر فقال : "برد أمرنا وصلح" أي : سهل ومنه قوله : "الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة" ثم قال عليه السلام : "ابن من أنت يا فتى" قال : ابن أسلم فقال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه : "سلمنا من كيدهم".

وفي الفقه : لو صاحت الهامة أو طير آخر فقال : رجل يموت المريض يكفر ولو خرج إلى السفر ورجع فقال : ارجع لصياح العقعق كفر عند البعض وفي الحديث : "ليس عبد إلا سيدخل في قلبه الطيرة فإذا أحس بذلك فليقل أنا عبد الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله لا يأتي بالحسنات إلا الله ولا يذهب بالسيآت إلا الله أشهد أن الله على كل شيء قدير ثم يمضي بوجهه" يعني : يمضي مارا بوجهه أي : بجهة وجهه فعدى يمضي بالباء لتضمين معنى المرور قالوا : من تطير تطيرا منهيا عنه حتى منعه مما يريده من حاجته فإنه قد يصيبه ما يكرهه كما في "عقد الدر" ﴿لىان لم تنتهوا﴾ والله لئن لم تمتنعوا عن مقالتكم هذه ولم تسكتوا عنا وبالفارسية : (واكر نه باز ايستيد ازدعواى خود) ﴿لنرجمنكم﴾ (الرجم : سنكسار كردن) أي : لنرمينكم بالحجارة ﴿وليمسنكم منا عذاب أليم﴾ (وبشما رسد ازما عذابى دردناى) أي : لا نكفي برجمكم بحجر أو حجرين بل نديم ذلك عليكم إلى الموت وهو العذاب الأليم أو ليمسنكم بسبب الرجم منا عذاب مؤلم.

وفسر بعضهم الرجم بالشتم فيكون المعنى لا نكتفي بالشتم بل يكون شتمنا مؤديا إلى الضرب والإيلام الحسي.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٦٤

. حكي . أن دباغا مر بسوق العطارين فغشي عليه وسقط فاجتمع عليه أهل السوق وعالجوه بكل ما يمكن من الأشياء العطرة فلم يفق بل اشتد عليه الحال ولم يدر أحد من أين صار مصروعا ثم أخبر أقرباؤه بذلك فجاء أخوه وفي كمه شيء من نجاسة الكلب فسحقه حتى إذا وصلت رائحته إلى شمه أفاق وقام وهكذا حال الكفار كما قال جلال الدين قدس سره

في "المثنوي" :

ناصحان او را بغنبر يا كلاب

مى دوا سازند بهر فتح باب

مر خبيثانرا نشايد طيبات

درخور ولايق نباشد اى ثقات

ون زعطر وحى كم كشتندوكم

بدفغان شان كه تطيرنا بكم

٣٨١

رنج بيماريست مارا زين مقال

نيست نيكو وعظمتان مارا بفال

كر بيا غازيد نصحى آشكار

ماكنيم آن دم شمارا سنكسار

ما بلغو ولهو فربه كشته ايم

در نصيحت خويش را نسرشته ايم

هست قوت ما دروغ ولاف ولاغ

شورش معده است مارازين بلاغ

هركرا مشك نصيحت سودنيست

لا جرم بابوى بدخو كردنيست

مشركانرازان نجس خواندست حق

كاندرون شك زادند از سبق

كرم كوزادست در سركين ابد

مى نكرداند بعنبر خوى خود." (١)

"قال الشافعي رحمه الله : من انتهض لطلب مدبره ؛ فإن اطمأن إلى موجود ينتهي إليه فكره ، فهو مشبه ، وإن اطمأن إلى نفي محض ، فهو معطل ، وإن اطمأن إلى موجود واعتراف بالعجز عن إدراكه ، فهو موحد ، فأهل السنة يثبتونتعالى صفات ثبوتية وينزهونه عما لا يليق به ، فهم إنما يدعون الله تعالى ، فما من مؤمن يدعو الله ويسأله شيئا إلا أعطاه إما في الدنيا وإما في الآخرة.

ويقول : هذا ما طلبت في الدنيا ، وقد ادخرته لك إلى هذا اليوم حتى يتمنى العبد أنه ليته لم يعط شيئا في الدنيا.

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ٢٩٨/٧

ويقال : لم يوفق العبد للدعاء إلا لإرادة الله إجابته ، لكن وقوع الإجابة حقيقة ، إنما يكون في الزمان المتعين للدعاء كالسلطان إذا كان في وقت الفرح والاستبشار لا يرد السائل البتة.

قال الفضل بن عياض والناس وقوف بعرفات : ما تقولون لو قصد هؤلاء الوفد بعض الكرماء يطلبون منه دانقا أكان يردهم ، فقالوا : لا.

فقال : والله للمغفرة في جنة كرم الله أهون على الله من الدانق في جنة كرم ذلك الرجل ، فعرفات وزمان الوقوف من مظان الإجابة.

وكذا جميع أمكنة العبادات وأوقات الطاعات ؛ لأن الله تعالى إذا رأى عبده حيث أمر رضي عنه واستجاب دعاءه ، ونعم ما قال سفيان حيث قال بعضهم : ادع الله ، فقال : ترك الذنوب هو الدعاء.

قال بعض العارفين بالله : الصلاة أفضل الحركات والصوم أفضل السكنات والتضرع في هياكل العبادات يحل ما عقدته الأفلاك الدائرات.

ولا بد من **حسن الظن بالله.**

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٤٨

حكي عن بعض البله ، وهو في طواف الوداع أنه قال له رجل وهو يمازحه : هل أخذت من الله براءتك من النار ، فقال الأبله له : وهل أخذ الناس ذلك ، فقال : نعم ، فبكى ذلك الأبله ، ودخل الحجر وتعلق بأستار الكعبة ، وجعل يبكي ويطلب من الله أن يعطيه كتابه بعتقه من النار ، فجعل أصحابه والناس يطوفون يعرفونه أن فلانا مزح معك ، وهو لا يصدقهم ،

٢٠١

بل بقي مستمرا على حاله ، فبينما هو كذلك سقطت عليه ورقة من طرف الميزاب فيها براءته وعتقه من النار فسر بها وأوقت الناس عليها ، وكان من آية ذلك الكتاب أنه يقرأ من كا ناحية على السواء ، لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها ، فعلم الناس أنه من عند الله.

(وكفته اند دعا لفظي جامع است بيست خصلت از خصال حسنات در ضمن آن مجتمع همجون معجوني ساخته ازا خلاط متفرق وآن عبادتست واخلاص وحمد وشكر وثنا تهليل وتوحيد وسؤال ورغبت ورهبت وندا وطلب مناجات وافتقار وخضوع وتذلل ومسكنت واستعانت واستكانت والتجاء رب العالمين باين كلمات مختصر جه كفت) ادعوني أستجب لكم.

(ترابا اين بيست خصلت تراميد هد تايدانى كه اين قرآن جوامع الكلم است).

قال في "ترويح القلوب" : الأدب في ابتداء كل توجه أو دعاء أو اسم التوبة.

وذكر محامد الله ، والثناء عليه والتشفع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصلاة عليه ، وهو مفتاح باب السعادة ، وأكل الحلال ، وهو الترياق المجرب والتبري من الحول والقوة وترك الالتجاء لغير الله **وحسن الظن بالله** ، وجمع الهمة وحضور

القلب وغاية الدعاء ، إظهار الفاقة ، وإلا فالله يفعل ما يريد :

جز خضوع وبندكى واضطرار

اندرين حضرت ندارد اعتبار

في الحديث : "إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها ، وإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم" ، "وما سئل الله شيئا أحب إليه من أن يسأل العافية".

كما في "كشف الأسرار" : ومنه عرف أن مسح اليدين على الوجه عقيب الدعاء سنة ، وهو الأصح كما في "القنية".

قال في "الأسرار المحمدية" : كان عليه السلام يأمر أصحابه بمسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء ، ويحرض عليه.

وسر ذلك أن الإنسان حال دعائه متوجه إلى الله تعالى بظاهره وباطنه ، ولذا يشترط حضور القلب فيه ، وصحة الاستحضار فسر الرفع والمسح أن اليد الواحدة تترجم عن توجهه بظاهره ، واليد الأخرى عن توجهه بباطنه ، واللسان مترجم عن جملته ومسح الوجه هو التبرك ، والتنبيه على الرجوع إلى الحقيقة الجامعة بين الروح والبدن ؛ لأن وجه الشيء حقيقة ، والوجه الظاهر مظهرها ، والمستحب أن يرفع يديه عند الدعاء إلى حذاء صدره.

كذا فعله النبي عليه السلام.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٤٨

كما رواه ابن عباس رضي الله عنهما ، والأفضل أن يبسط كفيه ويكون بينهما فرجة ، وإن قلت : ولا يضع إحدى يديه على الأخرى ، فإن كان وقت عذر أو برد ، فأشار بالمسبحة قام مقام بسط كفيه ، والسنة أن يخرج بدنه حين الدعاء من كميه.

". (١)

"لتفتنه بها وهو لا يعلم فرأى ان ذلك من مواهب ربه له في دار الدنيا فخر ساجدافأثبتها الله له أرضا مقدسة كما ظن الى أن مات على حسن ظنه بربه ومثال من أساء بربه ظنه مثال من أرسل الله إليك ملك رحمة ليرشده للخير فقال إنما أنت شيطان حيث تغويني فصير الله له الملك شيطانا كما ظن وفي الحديث أنا عند ظن عبدي بي وقال عليه السلام قبل موته بثلاثة أيام : "لا يموتن أحد إلا وهو **يحسن الظن بالله** وهو من إمارات اليقين".

در روايت آمده است از بعض صحابه رسول عليه السلام كه رسول اورا خبر داده بودكه تو والى شوى در مصر حكم كنى وقتى قلعه را حصار كرده بودند وآن صحابي نيز در ميان بو دسائر اصحابرا كفت مردار كفه منجنيق نهيدو بسوى كفار در قلعه اندازيد ون من آنجا رسم قتال كنم ودر حصار بكشايم ون از سبب اين جرأت رسيدند كفت رسول صلى الله عليه وسلم مراخبرداده است كه من والى مصر شوم وهنوز نشدم يقين ميدانم كه نميرم تا والى نشوم فهم كن كه قوت ايمان اينست والا ازروى عرف معلوم است كه ون كسى را در كفه منجنيق نهند وبيندازند حال اوه باشد.

ظاهر وباطن ما آينه يكديكرند.

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ١٥٣/٨

سينه صاف ترازاب روانم دادند ﴿عليهم دآايرة السوء﴾ أي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم لا يتجاوزهم إلى غيرهم فقد أكذب الله ظنهم وقلب ما يظنونه بالمؤمنين عليهم بحيث لا يتخطاهم ولا يظفرون بالنصرة أبدا وهذا كقوله تعالى ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء وبالفارسية : وبرين كمان برند كانست كردش بديعنى ايشان منكوب ومغلوب خواهندشد.

قال المولى أبو السعود في التوبة قوله عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنجوما ار ادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله تعالى : غلبت أيديهم بعد قول اليهود ما قالوا انتهى فإن قلت كيف يحمل على الدعاء وهو للعاجز عرفا والله منزله عن العجز قلت هذا تعليم من الله لعباده إنه يجوز الدعاء عليهم كقوله : قاتلهم الله ونحوه قال ابن الشيخ السوء بالفتح صفة مشبهة من ساء يسوء بضم العين فيها سوأ فهو سوء ويقابله من حيث المعنى قولك حسن يحسن حسنا فهو حسن وهو فعل لازم بمعنى قبح وصار فاسدا رديئا بخلاف ساءه يسوءه سوأ ومساءة أي أحزنه نقيض سره فإنه متعد ووزنه في الماضي فعل بفتح العين ووزن ما كان لازما فعل بضم العين وفعل يأتي فاعله على فعل كصعب صعوبة فهو صعب والسوء بضم السين مصدر لهذا اللازم والسوء بضم السين مصدر لهذا اللازم والسوء بالفتح مشترك بين اسم الفاعل من اللازم وبين مصدر المتعدى وقيل السوء بالفتح والضم لغتان من ساء بمعنى كالكره والكره والضعف والضعف خلا أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء وإما المضموم فجار مجرى الشر المناقض للخير ومن ثمة أضيف الظن إلى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن لا تضاف إليه إلا على التأويل المذكور وإما دائرة السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة يصح أن يقع عليه اسم السوء كقوله تعالى إن أراد بكم أو أراد بكم رحمة كما في بعض التفاسير والدائرة عبارة عن الخط المحيط تعالى إن أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة كما في بعض التفاسير والدائرة عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت في الحادثة والمصيبة المحيطة لمن وقعت هي عليه فمعنى الآية يحيط بهم السوء إحاطة الدائرة بالشيء أو بمن فيها بحيث لا سبيل إلى الانفكاك عنها بوجه إلا أن أكثر استعمالها

١٥

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢

" (١).

"يقول الفقير يشير إليه القول المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم ولا شك أن الأنبياء معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده بإجماع العلماء ومن سائر الكبائر عمدا بعد الوحي فاستغفارهم لا يكون إلا عما لا يليق بشأنهم من ترك الأولى ونحوه على ما فصل في أول سورة الفتح فدل قوله واستغفرك لما لا أعلم على أنه قد يصدر من الإنسان الذنب وهو لا يشعر وذلك بالنسبة إلى الأمة قد يكون كفرا وقد يكون غيره فكما لا بد من الاستغفار بالنسبة إلى عامة الذنوب فكذا لا بد من تجديد الإسلام بالنسبة إلى الكفر وإن كان ذلك احتياطا إذ باب الاحتياط مفتوح في كل شأن إلا نادرا وقد صح أن إتيان كلمة الشهادة على وجه العادة لا يرفع

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ١٣/٩

الكفر فلا بد من الرجوع قصدا عن قول وفعل ليس فيهما رضى الله وهو باستحضار الذنب إن علم صدوره منه أو بالاستغفار مطلقا إن صدر عنه ولو كان ذلك كفرا على أنا نقول إن إمكان صدور الكفر عام للعوام والخواص ما داموا لم يصلوا إلى غاية الغايات وهي مرتبة الذات الأحدية وإليه يشير قول سهل التستري قدس سره ولوصلوا ما رجعوا ألا ترى أن إبليس كفر بالله مع تمكن يده في الطاعات خصوصا في العرفان فإنه أفحم كثيرا من أهل المعرفة لكنه كان من شأنه الكفر والرجوع إلى المعصية لأنه لم يدخل عالم الذات ولو دخل لم يتصور ذلك منه إذ لا كفر بعد الإيمان العياني ولهذا قال عليه السلام : "اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ويقينا ليس بعده كفر" فاعرف يا أأيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ ٨٣

أي كونوا على جانب منه وأبعدوا عنه فإن الاجتناب بالفارسية بايك سوشدن.

والظن اسم لما يحصل من أمارة ومتى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز حد التوهم وإبهام الكثير لإيجاب الاحتياط والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أي قبيل وتوضيح المقام أن كثيرا لما بين بقوله من الظن كان عبارة عن الظن فكان المأمور باجتنابه بعض الظن إلا أنه علق الاجتناب بقوله كثيرا لبيان أنه كثير في نفسه ولا بد لنا من الفرق بين تعريف الظن الكثير وتنكيره فلو عرف وقيل اجتنبوا الظن الكثير يكون التعريف للإشارة إلى ما يعرفه المخاطب بأنه ظن كثير غير قليل ولو نكر يكون تنكيره للأفراد والبعضية ويكون المأمور باجتنابه بعض أفراد الظن الموصوف بالكثرة من غير تعيينه أي بعض هو وفي التكليف على هذا الوجه فائدة جليلة وهي أن يحتاط المكلف ولا يجترىء على ظن ما حتى يتبين عنده أنه مما يصح اتباعه ولا يجب الاجتناب عنه ولو عرف لكان المعنى اجتنبوا حقيقة الظن الموصوف بالكثرة أو جميع أفراده لا ما قل منه وتحريم الظن المعرف تعريف الجنس والاستغراق لا يؤدي إلى احتياط المكلف لكون المحرم معينا فيجتنب عنه ولا يجتنب عن غيره وهو الظن القليل سواء كان ظن سوء وظن صدق ومن المعلوم أن هذا المعنى غير مراد بخلاف ما لو نكر الظن الموصوف بالكثرة فإن المحرم حينئذ اتباع الفرد المبهم من أفراد تلك الحقيقة وتحريمه يؤدي إلى احتياط المكلف إلى ين يتبين عنده أن ما يخطر بباله من الظن من أي نوع من أنواع الظن فإن من الظن ما يجب اتباعه **كحسن الظن بالله** تعالى وفي الحديث أن حسن الظن من الإيمان والظن فيما لا قاطع فيه من العمليات كالوتر فإنه لما ثبت بخبر الواحد لم يكن مقطوعا به فقلنا بالوجوب فلا يكفر جاحده بل يكون ضالا ومبتدعا لرده خبر الواحد ويقتص لكونه فرضا عمليا وفي الأشباه ويكفر بإنكار أصل الوتر والأضحية انتهى ومن الظن ما يحرم كالظن في الإلهيات أي بوجود الإله وذاته وصفاته وما يليق به من الكمال وفي النبوات فمن قال آمنت بجميع الأنبياء ولا أعلم آدم نبي أم لا يكفر وكذا من آمن بأن نبينا عليه السلام رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه إلى يوم القيامة لا يكون مؤمنا وكالظن حيث يخالفه قاطع مثل الظن بنبوة الحسنين أو غيرهما من خلفاء هذه الأمة وأوليائها مع وجود قوله تعالى وخاتم النبيين وقوله عليه السلام : "لا نبي بعدي" أي لا مشرعا ولا متابعا فإن مثل هذا الظن حرام ولو قطع كان كفرا وكظن السوء بالمؤمنين خصوصا بالرسول عليه السلام وبورثته الكمل وهم العلماء بالله تعالى قال تعالى : وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال عليه السلام : "إن الله حرم من المسلم عرضه ودمه وأن يظن به ظن السوء" والمراد بعضه جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه ويتحامى أن ينتقص.

قال الصائب :
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٦١
بدكمانى لازم بد باطنان افتاده است
كوشه از خلق جا كردم كمين ند اشتند
ومن الظن ما يباح كالظن في الأمور المعاشية يعني ظن درامور دنيا ومهمات معاش ودرين صورت بدكمانى موجب سلامت وانتظام مهام است واز قبيل حزم شمرده اند كما قيل :
بدنفس مباش وبد كمان باش
وزفتنه ومكردر امان باش
٨٤
." (١)

"وفي كشف الأسرار المباح كالظن في الصلاة والصوم والقبلة أمر صاحبه بالتحري فيها والبناء على غلبة الظن وفي تفسير الكاشفي تحردرى أمر قبله وبنا نهادن بر غلبه ظن در امور اجتهاديه مندوبست.
ومعنى التحري لغة الطلب وشرعا طلب شيء من العبادات بغالب الرأي عند تعذر الوقول على حقيقته ﴿إن بعض الظن إثم﴾ يستحق العقاب عليه وذلك البعض كثير وهو تعليل للأمر بالاجتناب بطريق الستئناف التحقيقي والاثم الذنب يستحق العقوبة عليه وهمزته منلقبة من الواو كأنه يثم الأعمال أي يكثرها فإن قلت أليس هذا ميلا إلى مذهب الاعتزال؟ قلت : بلى لولا التشبيه أي في كأنه قاله سعدي المفتي وقال أيضا تبع المصنف في ذلك الزمخشري واعترض عليه بأن تصريف هذه الكلمة لا تنفك عنه الهمزة بخلاف الواوي وأنها من باب علم والواوي من باب ضرب قلت والزمخشري نفسه ذكرها في الأساس في باب الهمزة انتهى ودلت الآية على أن أكثر الظنون من قبيل الإثم لأن الشيطان يلقى الظنون في النفس فتظن النفس الظن الفاسد وعلى أن بعض الظن ليس باثم بل هو حقيقته وهو ما لم يكن من قبيل النفس بل كان باللراسة الصحيحة بأن يرى القلب بنور اليقين ما جرى في الغيب وفي الحديث أن في كل أمة محدثين أو مروعين على الشك من الراوي فإن يكن في هذها لأمة فإن عمر منهم والمحدث المصيب في رأيه كأنما حدث بالأمر المروع الذي يلقى الأمر في روعه أي قلبه وفي فتح الرحمن ولا يقدم على الظن إلا بعد النظر في حال الشخص فإن كان موسوما بالصلاح فلا يظن به السوء بأدنى توهم بل يحتاط في ذلك ولا تظنن السوء إلا بعد أن لا تجد إلى الخير سبيلا.
قال الصائب :
سيلاب صاف شدزهم آغوشيء محيط
باسينه كشاده كدورت هـ ميكند
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٦١

---
(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ٦٨/٩

وأما الفساق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم وفي منهاج العابدين للإمام الغزالي قدس سره إذا كان ظاهر الإنسان الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول صلاته وصدقته ولا يلزمك البحث بأن تقول قد فسد الزمان فإن هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمؤمنين مأمور به انتهى وفي الحديي من أتاه رزق من غير مسألة فرده فإنما يرده على الله قال الحسن : لا يرد جو آئز الأمراء الأمرائى أو أحمق وكان بعض السلف يستقرض لجميع حوائجه ويأخذ الجوائز ويقضي بها دينه والحيلة فيه أن يشتري بمال مطلق ثم ينقد ثمنه من أي مال شاء وعن الإمام الأعظم أن المبتلي بطعام السلطان والظلمة يتحرى إن وقع في قلبه حله قبل وأكل وإلا لا لقوله عليه السلام استفت قلبك قال الشيخ أبو العباس قدس سره : من كان من فقراء هذا الزمان أكالا لأموال الظلمة مؤثرا للسماع ففيه نزغة يهودية قال تعالى : سماعون للكذب أكالون للسحت قال سفيان الثوري رضي الله عنه : الظن ظنان أحدهما إثم وهو أن تظن وتتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم به والمراد بأن بعض الظن إثم ما أعلنته وتكلمت به من الظن وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام فيه وأنت اليوم في زمان أعمل وأسكت وظن بالناس ما شئت أي لأنهم أهل لذلك والمظنون موجود فيهم وعنه أيضا أن صحبة الأشرار تورث حسن الظن بالأخيار وطلب المتوكل اجارية

٨٥

الدقاق بالمدينة وكان من أقران الجنيد ومن أكابر مصر فكاد يزول عقله لفرط حبها فقالت لمولاها : أحسن الظن بالله وبي فإني كفيلة لك بما تحب فحملت إليه فقال لها المتوكل : اقرئي فقرأت أن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ففهم المتوكل ما أرادت فردها.

". (١)

"روى انه لما نزل قوله تعالى ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ جمع رسول الله A اقاربه وانذرهم فقال « يا بنى كعب بن لوى انقذوا انفسكم من النار يا بنى مرة بن كعب انقذوا انفسكم من النار يا بنى عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يا بنى هاشم انقذوا انفسكم من النار يا بنى عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة انقذى نفسك من النار فانى لا املك لكم من الله شيأ » يعنى لا اقدر على دفع مكروه عنكم فى الآخرة ان اراد الله ان يعذبكم وانما اشفع لمن اذن الله لى فيه وانما يأذن لى اذا لم يرد تعذيبه انما قال عليه السلام فى حقهم هكذا لترغيبهم فى الايمان والعمل لئلا يعتمدوا على قرابته ويتهاونوا ولا بد من الوصية والتحذير فباب الدين لان الانسان اذا انس باهل الشر يخاف ان يتخلق باخلاقهم ويعمل عملهم فيجره ذلك الهوى الى الهاوية كما قيل

نفس از همنفس بكيرد خوى ... بر حذر باش از لقاى خبيث

باد جون برفضاى بد كذرد ... بوى بد كيرد از هواى خبيث

وكتب ابو عبيد الصورى الى بعض اخوانه اما بعد فانك قد اصبحت تأمل الدنيا بطول عمرك وتتمنى على الله الامانى بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا والسلام وحسن الظن بالله تعالى انما يعتبر بعد اصلاح الحال بالاخلاق والاعمال

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ٦٩/٩

قال الحسن ان قوما ألهتهم الامانى حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة يقول احدهم انى احسن الظن بربى وكذب لو احسن الظن لاحسن العمل وتلا قوله تعالى ﴿ وذلكم ظنكم ﴾ الآية اللهم وفقنا للعلم والعمل قبل الاجل." (١)

"« من مات ولم يشرك بالله شيأ دخل الجنة » ورأى ابو العباس شريح فى مرض موته كأن القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه وتعالى يقول اين العلماء فجاؤا فقال ماذا عملتم فيما علمتم فقلنا يا رب قصرنا واسأنا فاعاد السؤال فكأنه لم يرض به واراد جوابا آخر فقلت اما انا فليس فى صحيفتى شرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال الله تعالى اذهبوا فقد غفرت لكم ومات شريح بعده بثلاث ليال وهذا من حسن الظن بالله تعالى

كنونت كه جشمست اشكى ببار ... زبان در دهانست عذرى بيار

كنون بايدت عذر تقصير كفت ... نه جون نفس ناطق زكفتن بخفت

غنيمت شمار اين كرامى نفس ... كه بى مرغ قيمت ندارد قفس

واعلم ان للشرك مراتب وللمغفرة مراتب . فمراتب الشرك ثلاث الجلى والخفى والاخفى . وكذلك مراتب المغفرة . فالشرك الجلى بالاعيان وهو للعوام وذلك بان يعبد شيء من دون الله تعالى كالاصنام والكواكب وغيرها فلا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية فى اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية . والشرك الخفى بالاوصاف وهو للخواص وذلك شوب العبودية بالالتفات الى غير الربوبية فى العبادة كالدنيا والهوى وما سوى المولى فلا يغفر الا بالوحدانية وهى افراد الواحد للواحد بالواحد . والشرك الاخفى وهو للاخص وذلك رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهى فناء الناسوتية فى بقاء اللاهوتية ليبقى بالهوية دون الانانية فان الله لا يغفر بمراتب المغفرة ان يشرك به بمراتب الشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اى لمن يشاء المغفرة فيستغفر الله تعالى من مراتب الشرك فيغفر له بمراتب المغفرة ومن يشرك بالله بمراتب الشرك فقد افترى اثما عظيما اى جعل بينه وبين الله حجابا من اثبات وجود الاشياء وانانيته وهى اعظم الحجب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

نيستى جولانكه اهل دلست ... شاهراه عاشقان كاملست

جون وجودت محو كردى ازميان ... نوروحدت جشم دل را شد عيان

شرك رهزن باشداى دل در طريق ... ذكر توحيد خدارا كن رفيق." (٢)

"﴿ ليس بامانيكم ﴾ جمع امنية بالفارسية « آرزوكردن » ﴿ ولا امانى اهل الكتاب ﴾ اى ليس ما وعد الله من الثواب يحصل بامانيكم ايها المسلمون ولا بامانى اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح . وامانى المسلمين ان يغفر لهم جميع ذنوبهم من الصغائر والكبائر ولا يؤاخذوا بسوء بعد الايمان . وامانى اهل الكتاب ان لا يعذبهم الله ولا يدخلهم النار الا اياما معدودة لقولهم ﴿ نحن ابناء الله واحباؤه ﴾ فلا يعذبنا

وعن الحسن ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا

---

(١) تفسير حقي، ١/٣١٥

(٢) تفسير حقي، ٢/٤٨٥

ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن بالله لاحسنوا العمل
قال بعضهم الرجاء ما قارنه عمل والا فهو امنية والامنية منية اى موت اذ هى موجبة لتعطيل فوائد الحياة : قال السعدى
قيامت كه بازار نيهو نهند منازل باعمال نيكونهند
بضاعت بجندانكه آرى برى اكر مفلسى شرمسارى برى
كسى راكه حسن عمل بيشتر بدركاه حق منزلت بيشتر
ثم انه تعالى اكد حكم الجملة الماضية وقال ﴿ من يعمل سوأ ﴾ عملا قبيحا ﴿ يجز به ﴾ عاجلا او آجلا لما روى انه لما نزلت قال ابو بكر رضى الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام « اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاواء » قال بلى يا رسول الله قال « هو ذلك » قال ابو هريرة رضى الله عنه لما نزل قوله تعالى ﴿ من يعمل سوأ يجز به ﴾ بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه الآية من شيء قال « اما والذى نفسى بيده لكما انزلت ولكن يسروا وقاربوا وسددوا » اى اقصدوا السداد اى الصواب « ولا تفرطوا فتجهدوا انفسكم فى العبادة لئلا يفضى ذلك بكم الى الملال فتتركوا العمل » كذا فى المقاصد الحسنة ﴿ ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ﴾ اى ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره فى دفع العذاب عنه ﴿ ومن يعمل من الصالحات ﴾ من للتبعيض اى بعضها وشيأ منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفى وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتقسط عنه الصلاة فى بعض الاحوال ﴿ من ذكر او انثى ﴾ فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان ﴿ وهو مؤمن ﴾ حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور لانه لا اعتداد بالعمل بدون الايمان فيه ﴿ فاولئك ﴾ المؤمنون العاملون ﴿ يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ اى لا ينقصون مما استحقوه من جزاء اعمالهم مقدار النقير وهى النقرة اى الحفرة التى فى ظهر النواة ومنها تنبت النخلة وهو علم فى القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فالبحرى ان لا يزاد عقاب العاصى لان المجازى ارحم الراحمين وفى الحديث." (١)
"فعلى العاقل ان يتدارك حاله ولا يطول آماله
قال الامام الغزالى قدس سره من زرع واجتهد وجمع بيدرا ثم يقول ارجو ان يحصل لى منه مائة قفيز فذلك منه رجاء والآخر لا يزرع زرعا ولا يعمل يوما فذهب ونام واغفل سنته فاذا جاء وقت البيادر يقول ارجو ان يحصل لى مائة قفيز فهو امنية بلا اصل فكذلك العبد اذا اجتهد فى عبادة الله تعالى والانتهاء عن معصية الله يقول ارجو ان يتقبل الله هذا اليسير ويتم هذا التقسير ويعظم الثواب ويعفو عن الزلل فهذا منه رجاء . واما اذا اغفل ذلك وترك الطاعات فارتكب المعاصى ولم يبال سخط الله ولا رضاه ووعده ووعيده ثم اخذ يقول انا ارجو من الجنة والنجاة من النار فذلك منه امنية لا حاصل تحتها ويبين هذا قوله عليه السلام « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من يتبع نفسه هواها ويتمنى على الله D » قال بعضهم ان الغموم ثلاثة . غم الطاعة ان لا تقبل . وغم المعصية ان لا تغفر . وغم المعرفة ان لا تسلب
قال يوسف بن اسباط دخلت على سفيان فبكى ليله اجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب فحمل تبنا وقال الذنوب اهون

---

(١) تفسير حقي، ٣/١٠١

على الله تعالى من هذا انما اخشى ان يسلبنى الله الاسلام فكل الرسل والابدال والاولياء مع كل هذا الاجتهاد فى الطاعة والحذر عن المعصية فأى شئ تقول اما كان لهم **حسن الظن بالله** قال بلى فانهم كانوا اعلم بسعة رحمة الله واحسن ظن بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون الاجتهاد امنية وغرور جعلنا الله واياكم من العالمين بكتابه والواصلين الى جنابه دون من نسى الله واتبع هواه آمين آمين الف آمين." (١)

"﴿ ولا تفسدوا فى الارض ﴾ بالكفر والمعاصى ﴿ بعد اصلاحها ﴾ ببعث الانبياء وشرع الاحكام

قال الحدادى وقيل معناه لا تعصوا فى الارض فيمسك المطر عنها ويهلك الحرث بمعاصيكم ﴿ وادعوه خوفا وطمعا ﴾ مصدران فى موقع الحال اى خائفين من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطامعين فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ﴿ ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ وتذكير قريب مع انه مسند الى ضمير الرحمة لتأويل الرحمة بالرحم فان الرحم بضم الراء بمعنى الرحمة قال الله تعالى ﴿ واقرب رحما ﴾ قال الكسائى اراد ان اتيان رحمة الله قريب كقوله ﴿ وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ﴾ اى لعل اتيانها والمعنى ان رحمة الله قريب من الداعين بلسان ذاكر شاكر وقلب حاضر طاهر وترجيح للطمع وتغليب لجانب الرحمة وتنبيه على وسيلة الاجابة اعنى الاحسان المفسر « بان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » وفى الحديث « ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة » يعنى ليكن الداعى ربه على يقين بان الله يجيب لان رد الدعاء اما للعجز فى اجابته او لعدم كرم فى المدعو او لعدم علم المدعو بدعاء الداعى وهذه الاشياء منتفية عن الله تعالى فانه عالم كريم قادر لامانع له من الاجابة

قال سهل ما اظره عبد فقره الى الله تعالى فى وقت الدعاء فى شئ يحل به الا قال الله تعالى لملائكته لولا انه لا يحتمل كلامى لأجبته لبيك وحكى ان موسى عليه السلام مر برجل يدعو ويتضرع فقال موسى لو كانت حاجته بيدى لقضيتها فاوحى الله تعالى اليه انا ارحم به منك ولكنه يدعونى وله غنم وقلبه فى غنمه وانا لا اقبل دعوة عبد قلبه عند غيرى فذكر ذلك للرجل فتوجه الى الله بقلبه فقضيت حاجته فيلزم حضور القلب **وحسن الظن بالله** فى اجابة الدعاء وحكى عن بعض البله وهو فى طواف الوداع انه قال له رجل وهو يمازحه هل اخذت من الله براءتك من النار فقال الابله لا وهل اخذ الناس ذلك فقال نعم فبكى ذلك الابله ودخل الحجر وتعلق باستار الكعبة وجعل يبكى ويطلب من الله ان يعطيه كتابه بعتقه من النار فجعل اصحابه والناس يلومونه ويعرفونه ان فلانا مزح معك وهو لا يصدقهم بل بقى مستقرا على حاله فبينا هو كذلك اذ سقطت عليه ورقة من جهة الميزاب فيها مكتوب عتقه من النار فسر بها واوقف الناس عليها وكان من آية ذلك الكتاب ان يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها فلعم الناس انه من عند الله . قيل دعاء العامة بالاقوال . ودعاء الزاهدين بالافعال .." (٢)

"والثالث ان المغفرة فضل عظيم من الله تعالى فلا بد للمؤمن **حسن الظن بالله** تعالى فانها ليست بمقطوعة

قيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام (انى اعلمك خمس كلمات هن عماد الدين ما لم تعلم ان قد زال ملكى فلا

---

(١) تفسير حقي، ٤/١٦٣

(٢) تفسير حقي، ٤/١٦٩

تترك طاعتى)
همه تحت وملكى يذيرد زوال ... يجز ملك فرمانده لا يزال
(وما لم تعلم ان خزائنى قد نفذت فلا تهتم برزقك)
در دائره قسمت ما نقطه تسليم ... لطف أنجه تو انديشى وحكم آنجه توفرمايى
(وما لم تعلم ان عدوك قد مات يعنى ابليس فلا تامن من مفاجأته ولا تدع محاربته)
كجاسر برآريم ازين عاروننك ... كه با او بصلحيم وباحق بجنك
(وما لم تعلم انى قد غفرت لك فلا تعب المذنبين)
مكن بنامه سياهى ملامت من مست ... كه آكه است كع تقدير برسرش جه نوشت
(وما لم تدخل جنتى فلا تأمن مكرى)
زاهد ايمن مشو از بازى غيرت زنهار ... كه ره از صومعة تادير مغان اين همه نيست
فعلى العاقل ان يجتهد الى آخر العمر كى يفكر الله عنه سيآت وجوده الفانى ويستره بانوار جماله وجلاله والله ذو الفضل العظيم لمن تجاوز عما عنده راغبا فيما عند الله والفضل العظيم هو البقاء بالله بعد الفناء فيه كما فى التاويلات النجمية." (١)

"قال فى كشف الاسرار الغرة بالله حسن الظن به مع سوء العمل وفى الخبر (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة) ونعم ما قيل
ان السفينة لا تجرى على اليبس ... فلا بد من الاعمال الصالحة فان بها النجاة وبه يلتحق الاواخر
ففى الآية حسم المادة الطمع فى الانتفاع بالغير مع اهمال الاسلام او الطاعات اعتمادا على صلاح الغير فان يوم القيامة يوم عظيم لا ينفع فيه من له اتصال الولادة فما ظنك بما سواها ويشتغل كل احد بنفسه الا من C تعالى
وعن كعب الاحبار تقول امرأة من هذه الامة لولدها يوم القيامة يا ولدى أما كان لك بطنى وعاء وحجرى وطاء وثديي سقاء كما قال الشيخ سعدى قدس سره
نه طفلى زبان بسته بودى زلاف ... همى روزى آمد بجوفت زناف
جونافت بريدند روزى كست ... به بستان مادر در آويخت دست
كنار وبرمادر دليذير ... بهشت است وبستان ازو جوة شير
فاحمل عنى واحدا فقد اثقلنى ذنوبى فيقول هيهات يا اماه كل نفس بما كسبت رهينة فاذا حملت عنك فمن يحمل عنى
من وتو دو محتاج يك مائده ... نه ازمن نه از تو بمن فائده
وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول الله A « انه ليكون للوالدين على ولدهما دين فاذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول ان ولدكما فيود ان لو كان اكثر من ذلك » فلا يليق للمؤمن الاهمال فى العبادة والتوبة والندم اغترار واعتمادا

---

(١) تفسير حقي، ٤/٤١٤

على مجرد الكرم ذكر فى الاسرائيليات ان الكليم عليه السلام مرض فذكر له دواء المرض فابى وقال يعافينى بغير دواء فطالت علته فاوحى الله تعالى ان الاعمال اسباب ووسائل للجنات والدرجات وان لم تكن عللا موجبة فكما ان اهل الدنيا يباشرون الاسباب فى تحصيل مرامهم فكذلك ينبغى لاهل الآخرة ان يباشروا الاعمال الصالحة فى تحصيل الدرجات العالية والمطالب الاخروية

ومن هذا المقام ما حكى عن ابراهيم بن ادهم قدس سره انه لما منع من دخول الحمام بلا اجرة تأوه وقال اذا منع من دخول بيت الشيطان بلا شئ فأنى يدخل بيت الرحمن بلا شئ

قال بعض الكبار لا ينبغى للمؤمن ان يتطير ويعد نفسه ن الاشقياء فيتكاسل فى العمل بل ينبغى ان **يحسن الظن بالله** تعالى ويجاهد فى طريقه فان للاعتقاد تأثيرا بليغا وقد وعد الله ووعد الشيطان ووعده الله تعالى صدق محض لانه هو الولى ووعد الشيطان كذب محض لانه هو العدو فالاصغاء لكلام الولى خير من استماع كلام العدو فلا تغتر بتغرير الشيطان والنفس ولا بالحياة الدنيا فان دولتها ذاهبة وزينتها زائلة وليس لها لاحد وفاء." (١)

"﴿ قالوا ﴾ لما ضاقت عليهم الحيل ولم يبق لهم علل ﴿ انا تطيرنا بكم ﴾ اصل التطير التفاؤل بالطير فانهم يزعمون ان الطائر السانح سبب للخير والبارح سبب الشر كما سبق فى النمل ثم استعمل فى كل ما يتشاءم به والمعنى انا تشاء منا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شواتهم ان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بكل ما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين

وقال النقشبندى قد تشاء منا بقدومكم اذا منذ قدمتم الى ديارنا ما نزل القطر علينا وما اصابنا هذا الشر الا من قبلكم اخرجوا من بيننا وارجعوا الى اوطانكم سالمين وانتهوا عن دعوتكم ولا تتفوهوا بها بعد . وكان عليه السلام يحب التفاؤل ويكره التطير والفرق بينهما ان الفأل انما هو من طريق **حسن الظن بالله** والتطير انما هو من طريق الاتكال على شئي سواه وفى الخبر لما توجه النبى عليه السلام نحو المدينة لقى بريدة بن اسلم فقال « من انت يا فتى » قال بريدة فالتفت عليه السلام الى ابى بكر فقال « برد امرنا وصلح » اى سهل ومنه قوله « الصوم فى الشتاء الغنيمة الباردة » ثم قال عليه السلام « ابن من انت يا فتى » قال ابن اسلم فقال عليه السلام لابى بكر رضى الله عنه « سلمنا من كيدهم »

وفى الفقه لو صاحت الهامة او طير آخر فقال رجل يموت المريض يكفر ولو خرج الى السفر ورجع فقال ارجع لصياح العقعق كفر عند البعض وفى الحديث « ليس عبد الا سيدخل فى قلبه الطيرة فاذا احس بذلك فليقل انا عبد الله ما شاء الله لا قوة الا بالله لا يأتى بالحسنات الا الله ولا يذهب بالسيآت الا الله اشهد ان الله على كل شئ قدير ثم يمضى بوجهه » يعنى يمضى مارا بوجهه اى بجهة وجهه فعدى يمضى بالباء لتضمين معنى المرور قالوا من تطيرنا منهيا عنه حتى منعه مما يريده من حاجته فانه قد يصيبه ما يكرهه كما فى عقد الدر ﴿ لئن لم تنتهوا ﴾ والله لئن لم تمتنعوا عن مقالتكم ههذ ولم تسكتوا عنا : وبالفارسية [واكر نه باز ايستيد ازدعواى خود] ﴿ لنرجمنكم ﴾ [الرجم : سنكسار كردن] اى لنرمينكم بالحجارة ﴿ وليمسنكم منا عذاب اليم ﴾ [وبشما رسد ازما عذابى دردناى] اى لا نكفى برجمكم بحجر او حجرين بل

---

(١) تفسير حقي، ٤٤٢/١٠

نديم ذلك عليكم الى الموت وهو العذاب الاليم او ليمسنكم بسبب الرجم منا عذاب مؤلم . وفسر بعضهم الرجم بالشتم فيكون المعنى لا نكتفى بالشتم بل يكون شتمنا مؤديا الى الضرب والايلام الحسى حكى ان دباغا مر بسوق العطارين فغشى عليه وسقط فاجتمع عليه اهل السوق وعالجوه بكل ما يمكن من الاشياء العطرة فلم يفق بل اشتد عليه الحال ولم يدر احد من اين صار مصروعا ثم اخبر اقرباؤه بذلك فجاء اخوه وفى كمه شئ من نجاسة الكلب فسحقه حتى اذا وصلت رائحته الى شمه افاق وقام وهكذا حال الكفار كما قال جلال الدين قدسر سره فى المثنوى." (١)

"﴿ وقال ربكم ﴾ ايها الناس ﴿ ادعونى ﴾ وحدونى واعبدونى ﴿ استجب لكم ﴾ اى اثبكم بقرينة قوله تعالى ﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتى ﴾ يتعظمون عن طاعتى ﴿ سيدخلون جهنم ﴾ حال كونهم ﴿ داخرين ﴾ اى صاغرين اذلاء فان الدخور بالفارسية خوارشدن من دخر كمنع وفرح صغر وذل وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة فاقيم الثانى مقام الاول للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من افضل ابوابها فاطلق العام على الخاص مجازا (قال الكاشفى) مراد ازدعا سؤالست يعنى بخواهيدكه خزانه من مالا مالست وكرم من بخشنده آمال كدام كداست نياز بيش آورده كه نقد مراد بر كف اميدش ننهادم وكدام محتاج زبان سؤال كشادكه رقعه حاجتش رابتوقيع اجابت موشح نساحتم

برآستان ارادت كه سرنهادشبى ... كه لطف دوست برويش دريخه نكشود

يقال ادعونى بلا غفلة استجب لكم بلا مهلة ادعونى بلا خفاء استجب لكم بالوفاء ادعونى بلا خطا استجب لكم بالعطا ادعونى بشرط الدعاء وهو الاكل من الحلال قيل الدعاء مفتاح الحاجة واسنانه لقمة الحلال قال الحكيم الترمذى قدس سره من دعا الله ولم يعمر قبل ذلك سبيل الدعاء بالتوبة والانابة واكل الحلال واتباع السنن ومراعاة السر كان دعاؤه مردودا واخشى ان يكون جوابه الطرد واللعن ويقال كل من دعاه استجاب له اما بما سأله او بشىء آخر هو خير له منه ويقال الكافر ليس يدعوه حقيقة لأنه انما يدعو من له شريك والله تعالى لا شريك له وكذا المعطلة لأنهم انما يعدبون الها لا صفات له من الحياة والسمع والبصر والكلام والقدرة والارادة بزعمهم فهم لا يعبدون الله تعالى وكذا المشبهة انما يدعون الها له جوارح واعضاء والله تعالى منزه عن ذلك فانه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير قال الشافعى c من انتهض لطلب مدبره فان اطمأن الى موجود ينتهى اليه فكره فهو مشبه وان اطمأن الى نفى محض فهو معطل وان اطمأن الى موجود واعتراف بالعجزان ادراكه فهو موحد فأهل السنة يثبتون لله تعالى صفات ثبوتية وينزهونه عمالا يليق به فهم انما يدعون الله تعالى فما من مؤمن يدعو الله ويسأله شيأ الا اعطاه اما فى الدنيا واما فى الآخرة ويقول له هذا ما طلبت فى الدنيا وقد ادخرته لك الى هذا اليوم حتى يتمنى العبد انه ليته لم يعط شيأ فى الدنيا ويقال لم يوفق العبد للدعاء الا لارادة الله اجابته لكن وقوع الاجابة حقيقة انما يكون فى الزمان المتعين للدعاء كالسلطان اذا كان فى وقت الفرح والاستبشار لا يرد السائل البتة قال الفضيل بن عياض والناس وقوف بعرفات ما تقولون لو قصد هؤلاء الوفد بعض الكرماء يطلبون منه دانقا اكان يردهم فقالوا لا فقال والله للمغفرة فى جنت كرم الله اهون على الله من الدانق فى جنت كرم ذلك الرجل فعرفات وزمان

---

(١) تفسير حقي، ٣٣٣/١١

الوقوف من مظان الاجابة وكذا جميع امكنة العبادات واوقات الطاعات لأن الله تعالى اذا رأى عبده حيث امر رضى عنه واستجاب دعاءه ونعم ما قال سفيان حيث قال بعضهم ادع الله فقال ترك الذنوب هو الدعاء قال بعض العارفين بالله الصلاة افضل الحركات والصوم افضل السكنات والتضرع فى هياكل العبادات يحل ما عقدته الافلاك الدآئرات ولا بد من حسن الظن بالله (حكى) عن بعض البله وهو فى طواف الوداع أنه قال له رجل وهو يمازحه هل اخذت من الله برآءتك من النار فقال الابله له وهل اخذ الناس ذلك فقال نعم فبكى ذلك الابله ودخل الحجر وتعلق بأستار الكعبة وجعل يبكى ويطلب من الله أن يعطيه كتابه يعتقه من النار فجعل اصحابه والناس يطوفون يعرفونه ان فلانا مزح معك وهو لا يصدقهم بل بقى مستمرا على حاله فبينما هو كذلك سقطت عليه ورقة من طرف الميزاب فيها برآءته وعتقه من النار فسر بها واوقت الناس عليها وكان من آية ذلك الكتاب انه يقرأ من كل ناحية على السوآء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها فعلم الناس أنه من عند الله وكفته اند دعا لفظى جامع است بيست خصلت از خصال حسنات درضمن آن مجتمع همجون معجونى ساخته ازاخلاط متفرق وآن عبادتست واخلاص وحمد وشكر وثنا وتهليل وتوحيد وسؤال ورغبت ورهبت وندا وطلب مناجات وافتقار وخضوع وتذلل ومسكنت واستعانت واستكانت والتجاء رب العالمين باين كلمات مختصرجه كفت ادعونى استجب لكم ترابا اين بيست خصلت تراميد هد تابدانى كه اين قرآن جوامع الكلم است." (١)

"قال فى ترويح القلوب الادب فى ابتدآء كل توجه او دعاء او اسم التوبة وذكر محامد الله والثناء عليه والتشفع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والصلاة عليه وهو مفتاح باب السعادة واكل الحلال وهو الترياق المجرب والتبرى من الحول والقوة وترك الالتجاء لغير الله وحسن الظن بالله وجمع الهمة وحضور القلب وغاية الدعاء اظهار الفاقة والا فالله يفعل ما يريد

جز خضوع وبندكى واضطرار ... اندرين حضرت ندارد اعتبار

فى الحديث اذا سألتم الله فاسألوه ببطون اكفكم ولا تسألوه بظهورها واذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم وما سئل الله شيأ احب اليه من أن يسأل العافية كما فى كشف الاسرار ومنه عرف أن مسح اليدين على الوجه عقيب الدعاء سنة وهو الاصح كما فى القنية قال فى الاسرار المحمدية كان عليه السلام يأمر اصحابه بمسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء ويحرض عليه وسر ذلك أن الانسان حال دعائه متوجه الى الله تعالى بظاهره وباطنه ولذا يشترط حضور القلب فيه وصحة الاستحضار فسر الرفع والمسح أن اليد الواحدة تترجم عن توجهه بظاهره واليد الاخرى عن توجهه بباطنه واللسان مترجم عن جملته ومسح الوجه هو التبرك والتنبيه على الرجوع الى الحقيقة الجامعة بين الروح والبدن لأن وجه الشىء حقيقة والوجه الظاهر مظهرها والمستحب ان يرفع يديه عند الدعاء الى حذآء صدره كذا فعله النبى عليه السلام كما رواه ابن عباس رضى الله عنهما والافضل أن يبسط كفيه ويكون بينهما فرجة وان قلت ولا يضع احدى يديه على الاخرى فان كان وقت عر او برد فأشار بالمسبحة قام مقام بسط كفيه والسنة ان يخرج يديه حين الدعاء من كميه قال سلطان العارفين ابو يزيد البسطامى قدس سره دعوت الله ليلة فاخرجت احدى يدى والاخرى ما قدرت على اخراجها من شدة البرد فنعست فرأيت فى منامى

---

(١) تفسير حقي، ١٢/٤٢٣

ان يدى الظاهر مملوءة نورا والاخرى فارغة فقلت ولم ذلك يا رب فنوديت ان اليد التى خرجت للطلب ملأناها والتى توارت حرمت ثم ان قوله." (١)

"﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات ﴾ من اهل المدينة ﴿ والمشركين والمشركات ﴾ من اهل مكة عطف على يدخل والتعذيب هو ما حصل لهم من الغيظ بنصر المؤمنين وفى تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب وقد تثاقل كثير منهم فلم يخرجوا معه عليه السلام ثم اعتذروا فقالوا بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم ولو صدقوا عند الناس فما صدقوا عند الله وقد قال تعالى ﴿ يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ اى صدقهم عند الله لا عند الخلق ولذلك قال عليه السلام « جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم وألسنتكم » اشارة الى مقام التحقيق والتصديق فان الدعوى بغير برهان كذب . برهان بايد صدق را . ورنه زدعواها جهسود ﴿ الظانين بالله ظن السوء ﴾ صفة لطائفتى اهل النفاق واهل الشرك وظن السوء منصوب على المصدر والاضافة فيه كالاضافة فى سيف شجاع من حيث ان المضاف اليه فى الحقيقة هو موصوف هذا المجرور والتقدير سيف رجل شجاع فكذا التقدير هنا ظن الامر السوء وهو ان الله لا ينصر رسوله ولا يرجعهم الى مكة فاتحين والى المدينة سالمين كما قال ﴿ بل ظننتم ان لن ينقلب الرسل والمؤمنون الى اهليهم ابدا ﴾ وبالفارسية كمان بردند بخدا كمان بد . وقال فى كشف الكشاف ان ظن السوء مثل رجل صدق اى الظن السئ الفاسد المذموم انتهى وعند البصر بين لا يجوز اضافة الموصوف الى صفته ولا عكسها لان الصفة والموصوف عبارتان عن شئ واحد فاضافة احدهما الى الآخر اضافة الشئ الى نفسه وفى التأويلات النجمية ﴿ الظانين بالله ظن السوء ﴾ فى ذاته وصفاته بالاهواء والبدع وفى افعاله واحكامه بالظلم والعبث قال بعض العارفين مثال من احسن فى الله ظنه مثال من سلط الله عليه الشيطان ليفتنه ويمتحنه فلما جاءه الشيطان أخبره بأنه رسول من عند الله وانه رسول رحمة وقال جئتك لأشد عضدك فى الخير وألهمك رشدك لتكون عند ربك فى درجة العرش فحسن بربه ظنه وخر ساجدا فصبر الله له الشيطان ملكا كما ظن كما روى ان الجن صنعت لسليمان عليه السلام ارضا وصفحتها بالزمرد الاخضر وخصبتها باللؤلؤ والجواهر لتفتنه بها وو لا يعلم فرأى ان ذلك من مواهب ربه له فى دار الدنيا فخر ساجدا لله فأثبتها الله له ارضا مقدسة كما ظن الى أن مات على حسن ظنه بربه ومثال من اساء بربه ظنه مثال من أرسل الله اليه ملك رحمة ليرشده للخير فقال انما أنت شيطان حيث تغوينى فصير الله له الملك شيطانا كما ظن وفى الحديث « أنا عند ظن عبدى بى » وقال عليه السلام قبل موته بثلاثة ايام « لا يموتن احد الا وهو **يحسن الظن بالله** وهو من امارات اليقين »." (٢)

"﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ﴾ اى كونوا على جانب منه وابعدوا عنه فان الاجتناب بالفارسية بايك سوشدن . والظن اسم لما يحصل من امارة ومتى قويت ادت الى العلم ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز حد التوهم وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتأمل فى كل ظن ظن حتى يعلم انه من اى قبيل وتوضيح المقام ان كثيرا لما بين بقوله من الظن كان عبارة عن الظن فكان المأمور باجتنابه بعض الظن الا انه علق الاجتناب بقوله كثيرا لبيان انه كثير فى نفسه ولا بد لنا

---

(١) تفسير حقي، ١٢/٤٢٤

(٢) تفسير حقي، ١٣/٤٧٩

من الفرق بين تعريف الظن الكثير وتنكيره فلو عرف وقيل اجتنبوا الظن الكثير يكون التعريف للاشارة الى ما يعرفه المخاطب بأنه ظن كثير غير قليل ولو نكر يكون تنكيره للافراد والبعضية ويكون المأمور باجتنابه بعض افراد الظن الموصوف بالكثرة من غير تعيينه اى بعض هو وفى التكليف على هذا الوجه فائدة جليلة وهى ان يحتاط المطلف ولا يجترئ على ظن ما حتى يتبين عنده انه مما يصح اتباعه ولا يجب الاجتناب عنه ولو عرف لكان المعنى اجتنبوا حقيقة الظن الموصوف بالكثرة او جميع افراده لا ما قل منه وتحريم الظن المعرف تعريف الجنس والاستغراق لا يؤدى الى احتياط المكلف لكون المحرم معينا فيجتنب عنه ولا يجتنب عن غيره وهو الظن القليل سوآء كان ظن سوء وظن صدق ومن المعلوم ان هذا المعنى غير مراد بخلاف ما لو نكر الظن الموصوف بالكثرة فان المحرم حينئذ اتباع الفرد المبهم من افراد تلك الحقيقة وتحريمه يؤدى الى احتياط المكلف الى ان يتبين عنده ان ما يخطر بباله من الظن من اى نوع من انواع الظن فان من الظن ما يجب اتباعه **كحسن الظن بالله** تعالى وفى الحديث « ان حسن الظن من الايمان » والظن فيما لا قاطع فيه من العمليات كالوتر فانه لما ثبت بخبر الواحد لم يكن مقطوعا به فقلنا بالوجوب فلا يكفر جاحده بل يكون ضالا ومبتدعا لرده خبر الواحد ويقتص لكونه فرضا عمليا وفى الاشباه ويكفر بانكار اصل الوتر والاضحية انتهى

ومن الظن ما يحرم كالظن فى الالهيات اى بوجود الاله وذاته وصفاته وما يليق به من الكمال وفى النبوات فمن قال آمنت بجميع الانبياء ولا اعلم ءآدم نبى ام لا يكفر وكذا من آمن بأن نبينا عليه السلام رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه الى يوم القيامة لا يكون مؤمنا وكالظن حيث يخالفه قاطع مثل الظن بنبوة الحسنين او غيرهما من خلفاء هذه الامة واوليائها مع وجود قوله تعالى ﴿ وخاتم النبيين ﴾ وقوله عليه السلام « لا نبى بعدى »." (١)

"« من أتاه رزق من غير مسألة فرده فانما يرده على الله » قال الحسن لا يرد جوآئز الامرآء الامرآئى او أحمق وكان بعض السلف يستقرض لجميع حوآئجه ويأخذ الجوائز ويقضى بها دينه والحيلة فيه أن يشترى بمال مطلق ثم ينقد ثمنه من اى مال شاء وعن الامام الاعظم ان المبتلى بطعام السلطان والظلمة يتحرى ان وقع فى قلبه حله قبل واكل والا لا لقوله عليه السلام استفت قلبك قال الشيخ ابو العباس قدس سره من كان من فقرآء هذا الزمان اكالا لاموال الظلمة مؤثرا للسماع ففيه نزغة يهودية قال تعالى ﴿ سماعون للكذب اكالون للسحت ﴾ قال سفيان الثورى رضى الله عنه الظن ظنان احدهما اثم وهو أن تظن وتتكلم به والآخر ليس بأثم وهو ان تظن ولا تتكلم به والمراد بأن بعض الظن اثم ما اعلنته وتكلمت به من الظن وعن الحسن كنا فى زمان الظن بالناس حرام فيه وأنت اليوم فى زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت اى لانهم اهل لذلك والمظنون موجود فيهم وعنه ايضا ان صحبة الاشرار تورث حسن الظن بالاخيار وطلب المتوكل اجارية الدقاق بالمدينة وكان من اقران الجنيد ومن اكابر مصر فكاد يزول عقله لفرط حبها فقالت لمولاها **احسن الظن بالله** وبى فانى كفيلة لك بما تحب فحملت اليه فقال لها المتوكل اقرئى فقرأت ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ففهم المتوكل ما ارادت فردها (وروى) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله A كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله فقال « يا فلان هذه زوجتى صفية » وكانت قد زارته فى العشر الاول من رمضان فقال يا رسول الله ان كنت اظن

---

(١) تفسير حقي، ٧٧/١٤

بغيرك فانى لم اكن أظن بك فقال عليه السلام « ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم » كما فى الاحياء وفيه اشارة الى الحذر من مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم من الغيبة والى الاتقاء عن تزكية النفس فان النفس والشيطان لهما شأن عجيب فى باب المكر والاغوآء والقاء الفتنة والفساد نسأل الله المنان أن يجعلنا فى أمان ﴿ ولا تجسسوا ﴾ اصله لا تتجسسوا حذف منه احدى التاءين اى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين وعيوبهم تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب فان جس الخبر طلبه والتفحص عنه فاذا نقل الى باب التفعل يحدث معنى التكلف منضما الى ما فيه من معنى الطلب يقا لجسست الاخبار اى تفحصت عنها واذا قيل تجسستها يراد معنى التكليف كالتلمس فانه تفعل من اللمس وهو المس باليد لتعرف حال الشئ فاذا قيل تلمس يحدث معنى التكلف والطلب مرة بعد اخرى وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله." (١)

"هنا قال " يخرجهم من الظلمات إلى النور "ــ جمع الظلمات وأفرد النور ــ وقال سبحانه " وأن هذا صراطي ــمفردــ مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ــجمع سبيلــ فتفرق بكم عن سبيله " دائم الحق واحد والكفر أجناس متعددة يجمعها الباطل فالله يقول في هذه الآية : " الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " الله يا أخي يجيب من سأله ويعطي من طلبه ويأوي من التجأ إليه ومن **حسن الظن بالله** أن تعلم أن الله لا يضيع من لجأ إليه ، الإكثار من صلاة الليل والدعاء في ثلث الليل الآخر والتضرع بين يدي رب العالمين والتماس رحمة الله تبارك وتعالى مع عدم اليأس والقنوط والإلحاح على الله تعالى من أعظم ما ينال به الإنسان خيري الدنيا والآخرة فإن جعلت الله وليك بحق تولاك الله تبارك وتعالى ومن تولاه الله لا يضيع وأنت حينما تردد مع أئمتك أو مع نفسك قول المؤمنين في دعائهم " اللهم إنه لا يعز من عاديت ولا يذل من واليت "رددها وأنت تفقه معناها ولا يعجبك آخر التاءات والسجع وتنشغل به أو بلحن الكلام إنما انشغل بمعنى الكلام اللهم لا يعز من عاديت من عادى الله لا يمكن أن تكتب له العزة مهما بلغ ومن تولى الله فإنه عزيز ولو أراد أن يذله الناس، اللهم لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت قلها في وترك في سجودك في أدبار الصلوات وأنت موقن بها والتمس من الله الرحمة والغفران أن يكون الله وليك فإن كان الله وليك فاعلم أنه لا يقدر على غلبتك أحد وليس غلبتك أن تظهر منتصرا على أقرانك ولكن العبرة بالمآل العبرة بالعاقبة العبرة بالوقوف بين يدي الله تعالى العبرة أن لا تعض يديك يوم القيامة يقول الله في." (٢)

"قوله تعالى : ﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن ﴾ قال ابن عباس : نهى الله تعالى المؤمن أن يظن بالمؤمن شرا . وقال سعيد بن جبير : هو الرجل يسمع من أخيه كلاما لا يريد به سوءا أو يدخل مدخلا لا يريد به [سوءا] ، فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءا . وقال الزجاج : هو أن يظن بأهل الخير سوءا ، فأما أهل السوء والفسق ، فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم . قال القاضي أبو يعلى : هذه الآية تدل على أنه لم ينه عن جميع الظن؛ والظن على أربعة أضرب . محظور ، ومأمور

---

(١) تفسير حقي، ٧٩/١٤

(٢) تأملات قرآنية للمغامسي، ١٩/٢

به ، ومباح ومندوب إليه ، فأما المحظور ، فهو سوء الظن بالله تعالى ، والواجب : حسن الظن بالله ، وكذلك سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة محظور ، وأما الظن المأمور به ، فهو ما لم ينصب عليه دليل يوصل إلى العلم به ، وقد تعبدنا بتنفيذ الحكم فيه ، والاقتصار على غالب الظن ، وإجراء الحكم عليه واجب ، وذلك نحو ما تعبدنا به من قبول شهادة العدول ، وتحري القبلة ، وتقويم المستهلكات ، وأروش الجنايات التي لم يرد بمقاديرها توقيف ، فهذا وما كان من نظائره قد تعبدنا فيه بأحكام غالب الظنون . فأما الظن المباح : فكالشاك في الصلاة إذا كان إماما ، أمره النبي A بالتحري والعمل على ما يغلب في ظنه ، وإن فعله كان مباحا ، وإن عدل عنه إلى البناء على اليقين كان جائزا . وروى أبو هريرة قال : قال رسول الله A « إذا ظننتم فلا تحققوا » وهذا من الظن الذي يعرض في قلب الإنسان في أخيه فيما يوجب الريبة فلا ينبغي له أن يحققه . وأما الظن المندوب إليه : فهو إحسان الظن بالأخ المسلم يندب إليه ويثاب عليه . فأما ما روي في الحديث : « احترسوا من الناس بسوء الظن » فالمراد : الإحتراس بحفظ المال ، مثل أن يقول : إن تركت بابي مفتوحا خشيت السراق .

قوله تعالى : ﴿ إن بعض الظن إثم ﴾ قال المفسرون : هو ما تكلم به مما ظنه من السوء بأخيه المسلم ، فإن لم يتكلم به فلا بأس ، وذهب بعضهم إلى أنه يأثم بنفس ذلك الظن وإن لم ينطق به .

قوله تعالى : ﴿ ولا تجسسوا ﴾ وقرأ أبو رزين ، والحسن ، والضحاك ، وابن سيرين ، وأبو رجاء ، وابن يعمر : بالحاء . قال أبو عبيدة : التجسس والتحسس واحد ، وهو التبحث ومنه الجاسوس . وروي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال : التجسس ، بالجيم : البحث عن عورات الناس ، وبالحاء : الاستماع لحديث القوم . قال المفسرون : التجسس : البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم؛ فالمعنى : لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذ ستره الله . وقيل لابن مسعود : هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا ، فقال : إنا نهينا عن التجسس ، فإن يظهر لنا شيء نأخذه به .." (١)

"الطمأنينة ورجاء رحمة الله

Q كبر سني، وأنظر إلى شبابي وما حدث فيه، فأستعيذ بالله مما كان فيه، وأستغفر الله، وأسمع عن أي عذاب في القبر أو جهنم فيرتعد بدني، وأنا الآن أقوم بأداء الفرائض، ولا أكثر من النوافل، وأحب الاستمتاع بزوجتي كثيرا، فهل من سبيل للاطمئنان على النهاية؟

A ليس هناك سبيل إلى الاطمئنان على النهاية إلا رجاء رحمة الله سبحانه، فلا أحد يستطيع أن يطمئن على نهايته إلا من الله سبحانه، فاطلب من الله الثبات حتى الممات، فرسولك محمد صلى الله عليه وسلم كان يكثر في اليمين من قول: (لا، ومقلب القلوب!) وكان يكثر في الدعاء: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب! صرف قلبي على طاعتك)، وأهل الإيمان يقولون: ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ [آل عمران:٨]، وإبراهيم الخليل يقول للمشركين: ﴿ ولا أخاف ما تشركون به ﴾ [الأنعام:٨٠] أي: أنا لا أخاف من الأصنام (إلا أن يشاء ربي شيئا) أي: إذا شاء الله لي

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٥/٤٠٣

شيئا آخر، خفت من هذه الأصنام، فعليك دائما أن تكون خائفا وجلا من الله سبحانه، وتسأله الثبات حتى الممات، **وأحسن الظن بالله** سبحانه وتعالى.." (١)

" على المشارفة ليصح وقوع خافوا جزاءا له ضرورة أنه لا خوف بعد حقيقة الموت وترك الورثة وفي ترتيب الأمر عل بالوصف المذكور في حيز الصلة المشعر بالعلية إشارة إلى أن المقصود من الأمر أن لا يضيعوا اليتامى حتى لا تضيع أولادهم وفيه تهديد لهم بأنهم إن فعلوه أضاع الله أولادهم ورمز إلى أنهم إن راعوا الأمر حفظ الله تعالى أولادهم أخرج إبن جرير عن الشيباني قال : كنا في القسطنطينية أيام مسلمة بن عبدالملك وفينا إبن محيريز وإبن الديلمي وهانيء بن كلثوم فجعلنا نتذاكر ما يكون في آخر الزمان فضقت ذرعا مما سمعت فقلت لإبن الديلمي : ياأبا بشر يودني أنه لا يولد لي ولد أبدا فضرب بيده على منكبي وقال : ياإبن أخي لا تفعل فإنه ليست من نسمة كتب الله أن تخرج من صلب رجل إلا وهي خارجة إن شاء وإن أبى ثم قال : ألا أدلك على أمر إن أنت أدركته نجاك الله تعالى منه وإن تركت ولدا من بعدك حفظهم الله تعالى فيك قلت : بلى فتلا وليخش الذين الآية وفي وصف الذرية بالضعاف بعث على الترحم والظاهر أن من خلفهم ظرف لتركوا و في التصريح به مبالغة في تهويل تلك الحالة وجوز أن يكون حالا من ذرية و ضعافا كما قال أبو البقاء : يقرأ بالتفخيم على الأصل وبالإمالة لأجل الكسرة وجاز ذلك مع حرف الإستعلاء لأنه مكسور مقدم ففيه إنحدار وكذلك خافوا يقرأ بالتفخيم على الأصل وبالإمالة لأن الخاء تنكسر في بعض الأحوال وهو خفت وقريءضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى فليتقوا الله في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وإنما أمرهم سبحانه بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما أمرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى ولما لم ينفع الأول بدون الثاني لم يقتصر عليه مع إستلزامه له عادة وليقولوا لليتامى أو للمريض أو لحاضري القسمة أو ليقولوا في الوصية قولا سديدا ٩ فيقول الوصي لليتيم ما يقول لولده من القول الجميل الهادي له إلى حسن الآداب ومحاسن الأفعال ويقول عائد المريض ما يذكره التوبة والنطق بكلمة الشهادة **وحسن الظن بالله** وما يصده عن الإسراف بالوصية وتضييع الورثة ويقول الوارث لحاضر القسمة ما يزيل وحشته أو يزيد مسرته ويقول الموصي في إيصائه مالا يؤدي إلى تجاوز الثلث والسديدعلى ما قال الطبرسي المصيب العدل الموافق للشرع وقيل : مالا خلل فيه و يقال سد قوله يسد بالكسر إذا صار سديدا وأنه ليسد في القول فهو مسد إذا كان يصيب السداد أي القصد وأمر سديد وأسد أي قاصد والسداد بالفتح الإستقامة والصواب وكذلك السدد مقصور منه وأما السداد بالكسر فالبلغة وما يسد به ومنه قولهم : فيه سداد من عوزقاله غير واحدوفي درة الغواص في أوهام الخواص أنهم يقولون : سداد من عوز فيفتحون السينوهو لحنوالصواب الكسر وتعقبه إبن بري بأنه وهم فإن يعقوب بن السكيت سوى بين الفتح والكسر في إصلاح المنطق في باب فعال وفعال بمعنى واحد فقال : يقال سداد من عوز وسداد وكذا حكاه إبن قتيبة في أدب الكاتب وكذا في الصحاح إلا أنه زادوا الكسر أفصح نعم ذكر فيها أن سداد القارورة وسداد الثغر بالكسر لا غير وأنشد قول العرجي : أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر فليحفظ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إستئناف

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ٢٧/٧٦

جيء به لتقرير ما فصل من الأوامر والنواهي و ظلما إما حال أي ظالمين أو مفعول لأجله وقيل : منصوب على المصدرية أي أكل ظلم على معنى أكلا على ." (١)

" الكذب لأنه تصور ماذكر وإيراده باللفظ فكأن التمنى مبدأ له فلذا صحح التعبير عنه ونه قول عثمان رضى الله تعالى عنه : ماتعنيت ولاتمنيت منذ أسلمت والباء فى بأمانيكم مثلها فى زيد بالباب وليست زائدة والزيادة محتملة ونفاها البعض واسم ليس مستتر فيها عائد على الوعد بالمعنى المصدرى أو بمعنى الموعود فهو استخدام كما قال السعد وقيل : عائد على الموعود الذي تضمنه عامل وعد الله أو على إدخال الجنة أو العمل الصالح وقيل : عائد على الايمان المفهوم من الذين آمنوا وقيل على الأمر المتحاور فيه بقرينة سبب النزول

أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن السدى قال : التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين : نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيمم ولن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى مثل ذلك فقال المسلمون : كتابنا بعد كتابكم ونبينا صلى الله عليه و سلم بعد نبيكم وديننا بعد دينكم وقد أمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم فنحن خير منكم نحن على دين ابراهيم وإسماعيل وإسحق ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا فأنزل الله تعالى ليس بأمانيكم وقوله سبحانه : ومن أحسن الخ أى ليس وعد الله تعالى أو ماوعد سبحانه من الثواب أو إدخال الجنة أو العمل الصالح أو الايمان أو ادخال الجنة أو العمل الصالح أو الايمان أو ماتحاورتم تم فيه حاصلا بمجرد أمانيكم أيها المسلمون ولأمانى اليهود والنصارى وإنما يحصبل بالسعى والتشمير عن ساق الجد لامتثال الأمر ويؤيد عود الضمير على الإيمان المفهوم مما قبله أنه أحرج ابن أبى شيبة عن الحسن موقوفا ليس الإيمان بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل إن قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولاحسنة لهم وقالوا : **نحسن الظن بالله** تعالى وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل وأحرج البخارى فى تاريخه عن أنس مرفوعا ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن هو ماوقر فى القلب فأما علم القلب فالعلم النافع وعلم اللسان حجة على بنى آدم

وروى عن مجاهد وابن زيد أن الخطاب لأهل الشرك فانهم قالوا : لانبعث ولانعذب كما قال أهل الكتاب لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وأيد بانه لم يجر للمسلمين ذكر فى الأمانى وجرى للمشركين ذكر فى ذلك أى ليس الأمر بأمانى المشركين وقولهم : لابعث ولاعذاب ولابأمانى أهل الكتاب وقولهم ماقالوا : وقرر سبحانه ذلك بقوله عز من قائل : من يعمل سوءا يجز به عاجلا أو أجلا فقد أخرج الترمذى وغيره عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال : كنت عند النبى صلى الله عليه و سلم فنزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يأبا بكر ألا أقرئك نزلت على فقلت : بلى يارسول الله فأقرأنيها فلا أعلم إلا أنى وجدت انقصاما فى ظهرى حتى تمطأت لها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : مالك يأبكر قلت : بأبى وأمى يارسول الله وأينا لم يعمل السوء وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أما أنت وأصحابك يأبكر المؤمنون فتجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله تعالى ليس عليكم ذنوب وأما الآخرون فيجمع لهم ذلك حتى يجزون يوم القيامة

---

(١) روح المعاني، ٢١٤/٤

وأخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وبلغت منهم ماشاء الله تعالى فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : سددوا وقاربوا فان كل ماأصاب المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها والاحاديث بهذا المعنى أكثر من أن تحصى ولهذا أجمع عامة العلماء على أن الأمراض والأسقام ومصائب الدنيا وهمومها وإن قلت مشقتها يكفر الله تعالى بها الخطيئات ." (١)

"كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بأعمالكم خلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا فاليوم أذيقكم العذاب على ما حرمتم من الثواب والكل عندي محتمل ولا قطع فتدبر

وأختلفوا في أن الحفظة هل يتجددون كل يوم وليلة أم لا فقيل : إنهم يتجددون وملائكة الليل غير ملائكة النهار دائما إلى الموت وقيل : إن ملائكة الليل يذهبون فتأتي ملائكة النهار ثم إذا جاء الليل ذهبوا ونزل ملائكة الليل الأولون لا غيرهم وهكذا وقيل : إن ملائكة الحسنات يتجددون دون ملائكة السيئات وهو الذي يقتضيه حسن الظن بالله تعالى واختلف في مقرهم بعد موت المكلف فقيل : يرجعون مطلقا إلى معابدهم في السماء وقيل : يبقون حذاء قبر المؤمن يستغفرون له حتى يقوم من قبره وصحح غير واحد أن كاتب الحسنات لا ينحصر في واحد لحديث رأيت كذا وكذا يبتدرونها أيهم يكتبها أول والحكمة في هؤلاء الحفظة أن المكلف إذا علم أن أعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤوس الأشهاد كان ذلك أزجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح إذا وثق بلطف سيده واعتمد على ستره وعفوه لم يحتشم منه احتشامه من خدمة المطلعين عليه وقول الامام : يحتمل أن تكون الفائدة في الكتابة أن توزن تلك الصحائف يوم القيامة لأن وزن الأعمال غير ممكن بخلاف وزن الصحائف فانه ممكن ليس بشيء كما لا يخفى والقول بوزن الصحائف أنفسها قول لبعضهم هذا ويرسل إا مستأنف أو عطف على القاهر لأنه بمعنى الذي يقهر وعطفه كما زعم أبو البقاء على يتوفاكم وما بعده من الأفعال المضارعة ليس بشيء كاحتمال جعله حالا من الضمير في القاهر أو في الظرف لأن الواو الحالية كما أشرنا اليه آنفا لا تدخل على المضارع وتقدير المبتدأ لا يخرجه عن الشذوذ على الصحيح وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقيل : هو متعلق بمحذوف وقع حالا من حفظة إد لو تأخر لكان صفة أي كائنين عليكم

وقيل : متعلق بحفظة وهو جمع حافظ ككتبة وكاتب و حتى في وقله تعالى : حتى إذا جاء أحدكم الموت هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل : ويرسل عليكم حفظة يحفظون ما يحفظون منكم مدة حياتكم حتى إذا انتهت مدة أحدكم وجاء أسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الآخرون المفوض اليهم ذلك وانتهى هناك حفظ الحفظة والمراد بالرسل على ما أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أعوان ملك الموت ونحوه ما أخرجناه عن قتادة قال : إن ملك الموت له رسل يباشرون قبض الأرواح ثم يدفعونها إلى ملك الموت

---

(١) روح المعاني، ٥/١٥٢

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن الكلبي أن ملك الموت هو الذي يلي ذلك ثم يدفع الروح ان كانت مؤمنة إلى ملائكة الرحمة وان كانت كافرة إلى ملائكة العذاب والأكثرون على أن المباشر ملك الموت وله أعوان من الملائكة واسناد الفعل الى المباشر والمعاون معا مجاز كما يقال بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم وقد جاء اسناد الفعل الى ملك الموت فقط باعتبار أنه المباشر والى الله تعالى باعتبار أنه سبحانه الآمر الحقيقي وقد أشرنا فيما تقدم ان بعض الصوفية قدس الله تعالى أسرارهم قال : ان المتوفي تارة يكون ." (١)

" ويراعى فيه المعنى بخلاف العلم ولذلك قال الشاعر : وقلما أبصرت عيناك ذا لقب

إلا ومعناه إن فتشت في لقبه بدخولها في لكن الشائع في غير ذلك وفي الحديث كنواأولادكم قال عطاء : مخافة الألقاب وقال عمر رضي الله تعالى عنه : أشيعوا الكنى فإنها سنة ولنا في الكنى كلام نفيس ذكرناه في الطراز المذهب فمن أراده فليرجع إليه ومن لم يتب عما نهي عنه من التنابز أو من الأمور الثلاثة السابقة أو مطلقا ويدخل ما ذكر فأولئك هم الظالمون

١١

- بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب والإفراد أولا والجمع ثانيا مراعاة للفظ ومراعاةللمعنى يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن أي تباعدوا منه وأصل اجتنبه كان على جانب منه ثم شاع في التباعد اللازم له وتنكير كثيرا ليحتاط في كل ظن ويتأمل حت يعلم أنه من أيالقبيل فإن من الظن ما يباح اتباعه كالظن في الأمور المعاشية ومنه ما يجب كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات كالواجبات الثابتة بغير دليل قطعي **وحسن الظن بالله** عز و جل ومنه ما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ففي الحديث إن الله عال حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء وعن عائشة مرفوعا من أساء بأخيه الظن فقد أساء بربه الظن إن الله تعالى يقول : اجتنبوا كثيرا من الظن ويشترط في حرمة هذا أن يكون المظنون به ممن شوهد منه التستر والصلاح وأونست منه الأمانة وأما من يتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث كالدخول والخروج إلى خانات الخمر وصحبة الغواني الفاجرات وإدمان النظر إلى المرد فلا يحرم ظن السوء فيه وإن كان الظان لم يره يشرب الخمر ولا يزني ولا يعبث بالشباب أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن سعيد بن المسيب قال : كتب إلى بعض أخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم أن صنع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك ولا تظن بكلمة خرجت من امريء مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا ومنعرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه ومن كتم سره كانت الخيرة في يده وما كافيت منعصى الله تعالفيك بمثل أن تطيع الله تعالى فيه وعليك بأخوان الصدق فكن في اكتسابهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة عند عظيم البلاء ولا تهاون بالحلف فيهينك الله تعالى ولا تسألن عما لم يكون ولا تضع حديثك إلا عند من تشتهيه وعليك بالصدق وإن قتلك واعتزل عدوك واحذر صديقفك إلا الأمين إلا من خشي الله تعالى وشاور في أمرك الذين يخشون ربهم بالغيب

---

(١) روح المعاني، ١٧٦/٧

وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وأنتاليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت واعلم أن ظن السوء إن كان اختياريا فالأمر واضح وإذا لم يكن اختياريا فالمنهي عنه العمل بموجبه من احتقار المظنون به وتنقيصه وذكره بما ظن فيه وقد قيل نظير ذلك في الحسد على تقدير كونه غير اختياري ولا يضر العمل بموجبه بالنسبة إلى الظان نفسه كما إذا ظن بشخص أنه يريد به سوءا فتحفظ من أن يلحقه منه أذى على وجه لا يلحق ذلك الشخص به نقص وهو محمل خبر إن من الحزم سوء الظن وخبر الطبراني احترسوا من الناس بسوء الظن وقيل : المنهي عنه الأسترسال معه وترك إزالته بنحو تأويل سببه من خبر ونحوه وإلا فالأمر الغير الأختياري نفسه لا يكون مورد التكليف وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ثلاث لازمات أمتي الطيرة والحسد وسوء الظن فقال رجل : ما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه قال : إذا حسدت فاستغفر الله وإذا ظننت ." (١)

"ثم تعطى الكتب بالأعمال «فأما من أوتي كتابه بيمينه» فيغلب عليه الفرح وينادى بأعلى صوته على رءوس الأشهاد «فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه» ١٩ خذوه فانظروه واقرءوه ، وذلك لأنه بلغ غاية السرور فأراد أن يطلع عليه معارفه وغيرهم ليعلموا أنه كان في الدنيا على الحق ، كما أن من ينجح بالفحص يعلن بالمذيا ع أو غيره نجاحه ويري شهادته لمن يراه فرحا بها

(٤٠٢/٤)

بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ٤٠٣

مع أنها قد لا توصله لشيء ولو أوصلته فإنه وما توصله إليه فان ، فكيف بتلك الشهادة الباقية المخلدة الموصلة إلى دار النعيم التي لمثلها يعمل العاملون وبها يتنافس المتنافسون ؟ ويقول لهم أيضا «إني ظننت» تيفنت في الدنيا «أني ملاق حسابيه» في الآخرة لأنه كان يعتقد ما جاء به الرسل من البعث والحساب والثواب والعقاب وكان **حسن الظن بالله** والله عند ظن عبده به

»." (٢)

"قالوا إنما أخبرناه حينما سألنا عن جزاء السارق بعد إنكارنا لسرقة الصواع لعلمنا أننا براء من سرقته ، فذكرنا له ذلك لئلا يؤثر علينا كذبا ، هذا ولا يقال كيف يجوز ليعقوب عليه السلام وهو نبي أن يقول هذا القول لما فيه من إخفاء الحكم الشرعي ، لأن هذا مشروط فيما إذا كان المسروق منه مؤمنا تابعا لشريعته ومن يعامل معاملة المؤمنين بالمثل ، لا إذا كان كافرا ، وكان عليه السلام يظن أن حكومة مصر كافرة إذ ذاك ، قالوا فلم يقبل عذرهم ، لذلك «قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا» أردتموه في بنيامين فزينت لكم أنفسكم إيقاع السوء به كما زينته لكم قبلا في يوسف «فصبر جميل» على فعلكم هذا معى بأخويكم ، اذهبوا عني «عسى الله أن يأتيني بهم جميعا» يوسف وبنيامين وروبيل.

---

(١) روح المعاني، ١٥٦/٢٦

(٢) بيان المعاني، ٢٩٦/١

قال هذا من قبيل الإلهام الإلهي **وحسن الظن بالله** ، إذ كان حزينا على يوسف فاشتد حزنه على بنيامين وروبيل أيضا وما بعد الشدة إلا الفرج ، وأنه عليه السلام لم يصدق أولاده بهلاك يوسف وقد وقر في صدره أنه سيرده الله عليه ويرى تأويل رؤيته وهو يترقب ذلك كله ، ولذلك قال عسى إلخ «إنه هو العليم» بحالي ووجدي عليهم «الحكيم ٨٣» فيما يدبره ويقضيه من إتيانهم إلي «وتولى عنهم» ولا هم ظهره وأعرض عنهم لأنه لما سمع كلامهم ضاق صدره ولم يبق بوسعه مكالمتهم ولم يقدروا أن يعيدوا عليه الكلام لما رأوا من شدة حزنه فانكفوا عنه ثم طلبهم ليوقفهم على حاله «وقال يا أسفى على يوسف» الأسف أشد الحزن لأن الحزن إذا تقادم وأتاه حزن آخر جدد الأول فكان أوجع للقلب ، وأعظم لهيجان الحزن الأول الماكث فيه ، قال متمم ابن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على أخيه مالك وصار يبكي ويقول :

يقول أتبكي كل قبر رأيته لقبر توى بين اللوى والدكائك

فقلت له إن الأسى يبعث الأسى فدعني فهذا كله قبر مالك." (١)

"بيان المعاني ، ج ٣ ، ص : ٢٤٦

يحفظه ، ولما وصلوا قصوا له القصة وما تفرع عنها من المناجاة ومكالمة الملك لأخيهم ، فقال لهم ومن أعلم الملك بأن السارق عندنا يؤخذ بسرقته لو لا أنكم أخبرتموه ؟

قالوا إنما أخبرناه حينما سألنا عن جزاء السارق بعد إنكارنا لسرقة الصواع لعلمنا أننا براء من سرقته ، فذكرنا له ذلك لئلا يؤثر علينا كذبا ، هذا ولا يقال كيف يجوز ليعقوب عليه السلام وهو نبي أن يقول هذا القول لما فيه من إخفاء الحكم الشرعي ، لأن هذا مشروط فيما إذا كان المسروق منه مؤمنا تابعا لشريعته ومن يعامل معاملة المؤمنين بالمثل ، لا إذا كان كافرا ، وكان عليه السلام يظن أن حكومة مصر كافرة إذ ذاك ، قالوا فلم يقبل عذرهم ، لذلك «قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا» أردتموه في بنيامين فزينت لكم أنفسكم إيقاع السوء به كما زينته لكم قبلا في يوسف «فصبر جميل» على فعلكم هذا معى بأخويكم ، اذهبوا عني «عسى الله أن يأتيني بهم جميعا» يوسف وبنيامين وروبيل.

قال هذا من قبيل الإلهام الإلهي **وحسن الظن بالله** ، إذ كان حزينا على يوسف فاشتد حزنه على بنيامين وروبيل أيضا وما بعد الشدة إلا الفرج ، وأنه عليه السلام لم يصدق أولاده بهلاك يوسف وقد وقر في صدره أنه سيرده الله عليه ويرى تأويل رؤيته وهو يترقب ذلك كله ، ولذلك قال عسى إلخ «إنه هو العليم» بحالي ووجدي عليهم «الحكيم ٨٣» فيما يدبره ويقضيه من إتيانهم إلي «وتولى عنهم» ولا هم ظهره وأعرض عنهم لأنه لما سمع كلامهم ضاق صدره ولم يبق بوسعه مكالمتهم ولم يقدروا أن يعيدوا عليه الكلام لما رأوا من شدة حزنه فانكفوا عنه ثم طلبهم ليوقفهم على حاله «وقال يا أسفى على يوسف» الأسف أشد الحزن لأن الحزن إذا تقادم وأتاه حزن آخر جدد الأول فكان أوجع للقلب ، وأعظم لهيجان الحزن الأول الماكث فيه ، قال متمم ابن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على أخيه مالك وصار يبكي ويقول :

يقول أتبكي كل قبر رأيته لقبر توى بين اللوى والدكائك

(١) بيان المعاني، ٣٤٨/١

فقلت له إن الأسى يبعث الأسى فدعني فهذا كله قبر مالك

يعني أن الحزن يجدد الحزن ، وانما تأسف على يوسف مع أن الحادث مصيبة أخيه ، ." (١)

"بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ٤٠٣

مع أنها قد لا توصله لشيء ولو أوصلته فإنه وما توصله إليه فان ، فكيف بتلك الشهادة الباقية المخلدة الموصلة إلى دار النعيم التي لمثلها يعمل العاملون وبها يتنافس المتنافسون ؟ ويقول لهم أيضا «إني ظننت» تيفنت في الدنيا «أني ملاق حسابيه» في الآخرة لأنه كان يعتقد ما جاء به الرسل من البعث والحساب والثواب والعقاب وكان **حسن الظن بالله** والله عند ظن عبده به

«فهو في عيشة راضية» ٢١ لأمنه مما كان يخافه وقد أعطي أمنينه «في جنة عالية» ٢٢ مرتفعة مكانا ومكانة «قطوفها» ثمارها التي تقطف منها للأكل «دانية» ٢٣ للمتناول قائما وقاعدا ومضطجعا لا تحيجه لحركه أو آلة ولا لأمر بل بمجرد ما تخطر بباله تصير أمامه وتقول لهم الملائكة «كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم» لهذا اليوم «في الأيام الخالية» ٢٤ الماضية من أيام الدنيا ، وهذه الآية السادسة التي تدل على أن العمل دخل في دخول الجنة كما ذكرنا في مثلها في الآية ٧٢ من سورة الزخرف والآية ٣٢ من سورة النحل المارتين والآية ٤٣ من سورة الأعراف في ج ١ «وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول» بصوت منخفض ملؤه الحزن والأسى والأسف والحرقة والندم والتأوه لسوء ما يرى وخيبة ما يلقى «يا ليتني لم أوت كتابيه ٢٥ ولم أدر ما حسابيه» ٢٦ كما كنت في الدنيا ، وإذا كان من يسقط بالفحص قد يؤدي به الحال إلى الانتحار لشدة استيائه ويتوارى عن الناس خجلا ، فلا لوم على من يسقط في الآخرة أن يقول ما قال ويقول «يا ليتها» الموتة الأولى «كانت القاضية» ٢٧ عليه القاطعة لهذه الحياة المشئومة يا ويلتا ويا حسرتا «ما أغنى عني ماليه» ٢٨ شيئا مما أنابه من العذاب ، وقد «هلك عني سلطانيه» ٢٩ الذي كنت أحتمي به في الدنيا من قوة وسلطة وحجة وعقل وبقيت ذليلا حقيرا ،

فيقول الله تعالى لخزنة جهنم «خذوه فغلوه ٣٠ ثم الجحيم صلوه» ٣١ أحرقوه بها «ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا» بذراع يعلمه الله وليس مما نعرف من الذراع ويقال لهم «فاسلكوه» ٣٢ بأن تلف على جسده مرات حتى تستغرقه ، فيكون كأنه أدخل فيها ، لأن معنى السلك الإدخال ، قال تعالى (أنزل من." (٢)

"عن عبد الله بن مسعود : ﴿ اتقوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ قال : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر ، وروي مرفوعاً عن عبد الله قال : قال رسول الله A : « اتقو الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى » وروي عن أَنَس أنه قال : لا يتقي اللَّهَ العبدُ حق تقاته حتى يخزن لسانه ، وقد ذهب سعيد بن جبير وأبو العالية إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله مَا استطعتم ﴾ [التغابن : ١٦] . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ اتقوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ قال : لم تنسخ ولكن حق تقاته أن يجاهدوا في سبيله

---

(١) بيان المعاني، ٢٤٦/٣

(٢) بيان المعاني، ٤٠٣/٤

حق جهاده ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم . وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴾ ، أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم ، لتموتوا عليه ، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه ، أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه ، فعياذاً بالله من خلاف ذلك .

روى الإمام أحمد عن مجاهد : أن الناس كانوا يطوفون بالبيت وابن عباس جالس معه محجن ، فقال : قال رسول الله A : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، ولو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم ، فكيف بمن ليس له طعام إلا الزقوم »

وقال الإمام أحمد ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله A : « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه » وفي الحديث الصحيح عن جابر قال : سمعت رسول الله A يقول : « لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عزّ وجلّ » وعن أنَس قال : « كان رجل من الأنصار مريضاً فجاءه النبي A يعوده فوافقه في السوق فسلم عليه ، فقال له : » كيف أنت يا فلان «؟ قال بخير يا رسول الله أرجو الله وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله A : » لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف « » .

وقوله تعالى : ﴿ واعتصموا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ قيل : ﴿ بِحَبْلِ الله ﴾ أي بعهد الله كما قال في الآية بعدها : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذلة أَيْنَ مَا ثقفوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ الله وَحَبْلٍ مِّنَ الناس ﴾." (١)

"عند إدبار ما يحب منها وإقبال ما يكره لأن اعتماده على الله وسكونه إليه واستناده إليه قد حصنه من خوفها ورجائها فحاله حال من خرج عليه عدو عظيم لا طاقة له به فرأى حصنا مفتوحا فأدخله ربه إليه وأغلق عليه باب الحصن فهو يشاهد عدوه خارج الحصن فاضطراب قلبه وخوفه من عدوه في هذه الحال لا معنى له وكذلك من أعطاه ملك درهما فسرق منه فقال له الملك : عندي أضعافه فلا تهتم متى جئت إلي أعطيتك من خزائني أضعافه فإذا علم صحة قول الملك ووثق به واطمأن إليه وعلم أن خزائنه مليئة بذلك لم يحزنه فوته وقد مثل ذلك بحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه وطمأنينته بثدي أمه لا يعرف غيره وليس في قلبه التفات إلى غيره كما قال بعض العارفين : المتوكل كالطفل لا يعرف شيئا يأوي إليه إلا ثدي أمه كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه سبحانه

فصل الدرجة الخامسة : **حسن الظن بالله** عز وجل فعلى قدر حسن ظنك

بربك ورجائك له يكون توكلك عليه ولذلك فسر بعضهم التوكل **بحسن الظن بالله** والتحقيق : أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به ولا التوكل على من لا ترجوه والله أعلم

فصل الدرجة السادسة : استسلام القلب له وانجذاب دواعيه كلها إليه

وقطع منازعاته وبهذا فسره من قال : أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير

---

(١) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/٣٨١

وهذا معنى قول بعضهم : التوكل إسقاط التدبير يعني الاستسلام لتدبير الرب لك وهذا في غير باب الأمر والنهي بل فيما يفعله بك لا فيما أمرك بفعله

فالاستسلام كتسليم العبد الذليل نفسه لسيده وانقياده له وترك منازعات نفسه وإرادتها مع سيده والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل الدرجة السابعة : التفويض وهو روح التوكل ولبه وحقيقته وهو إلقاء." (١)

"وأحسب أن لفظ الجاهلية من مبتكرات القرآن ، وصف به أهل الشرك تنفيرا من الجهل ، وترغيبا في العلم ، ولذلك يذكره القرآن في مقامات الذم في نحو قوله : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ [المائدة : ٥٠] ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ﴾ [الفتح : ٢٦].

وقال ابن عباس : سمعت أبي في الجاهلية يقول : اسقنا كأسا دهاقا ، وفي حديث حكيم بن حزام : أنه سأل النبيء صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يتحنث بها في الجاهلية من صدقة وعتاقة وصلة رحم.

وقالوا : شعر الجاهلية ، وأيام الجاهلية.

ولم يسمع ذلك كله إلا بعد نزول القرآن وفي كلام المسلمين. أ هـ ﴿التحرير والتنوير حـ ٣ صـ ٢٥٨ ـ ٢٥٩﴾

فصل

قال الفخر :

في قوله : ﴿ظن الجاهلية﴾ قولان :

أحدهما : أنه كقولك : حاتم الجود ، وعمر العدل ، يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ،

والثاني : المراد ظن أهل الجاهلية. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٩ صـ ٣٩﴾

فصل

قال الثعالبي :

وقد وردت أحاديث صحاح في الترغيب في **حسن الظن بالله** عز وجل ، ففي "صحيح مسلم" ، وغيره ، عن النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل يقول سبحانه : " أنا عند ظن عبدي بي... " الحديث ، وقال ابن مسعود : والله الذي لا إله غيره ، لا يحسن أحد الظن بالله عز وجل إلا أعطاه الله ظنه ، وذلك أن الخير بيده ، وخرج أبو بكر بن الخطيب بسنده ، عن أنس ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من حسن عبادة المرء حسن ظنه ". أ هـ ﴿الجواهر الحسان حـ ١ صـ ٣٢٤﴾." (٢)

"قال الآلوسي :

﴿ وليقولوا ﴾ لليتامى أو للمريض أو لحاضري القسمة ، أو ليقولوا في الوصية ﴿ قولا سديدا ﴾ فيقول الوصي لليتيم ما يقول لولده من القول الجميل الهادي له إلى حسن الآداب ومحاسن الأفعال ، ويقول عائد المريض ما يذكره التوبة والنطق

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٢٣٨/١٦

(٢) جامع لطائف التفسير، ٢٩٣/١٧

بكلمة الشهادة **وحسن الظن بالله** ، وما يصده عن الإشراف بالوصية وتضييع الورثة ، ويقول الوارث لحاضر القسمة ما يزيل وحشته ، أو يزيد مسرته ويقول الموصي في إيصائه ما لا يؤدي إلى تجاوز الثلث ، والسديد على ما قال الطبرسي المصيب العدل الموافق للشرع ، وقيل : ما لا خلل فيه ، ويقال سد قوله يسد بالكسر إذا صار سديدا ، وأنه ليسد في القول فهو مسد إذا كان يصيب السداد أي القصد ، وأمر سديد وأسد أي قاصد ، والسداد بالفتح الاستقامة والصواب ، وكذلك السدد مقصور منه ، وأما السداد بالكسر فالبلغة وما يسد به ، ومنه قولهم : فيه سداد من عوز قاله غير واحد وفي "درة الغواص في أوهام الخواص" أنهم يقولون : سداد من عوز فيفتحون السين وهو لحن والصواب الكسر ، وتعقبه ابن بري بأنه وهم فإن يعقوب بن السكيت سوى بين الفتح والكسر في "إصلاح المنطق" في باب فعال وفعال بمعنى واحد ، فقال : يقال سداد من عوز وسداد ، وكذا حكاه ابن قتيبة في "أدب الكاتب" ؛ وكذا في "الصحاح" إلا أنه زاد والكسر أفصح ، نعم ذكر فيها أن سداد القارورة وسداد الثغور بالكسر لا غير ، وأنشد قول العرجي :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا...

ليوم كريهة (وسداد) ثغر فليحفظ. أ هـ ﴿روح المعانى حـ ٤ صـ ٢١٤﴾." (١)

"وأما أسباب التوارث في الإسلام ، فقد ذكرنا أن في أول الأمر قرر الحلف والتبني ، وزاد فيه أمرين آخرين : أحدهما : الهجرة ، فكان المهاجر يرث من المهاجر.

وان كان أجنبيا عنه ، إذا كان كل واحد منهما مختصا بالآخر بمزيد المخالطة والمخالصة ، ولا يرثه غير المهاجر ، وإن كان من أقاربه.

والثاني : المؤاخاة ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤاخي بين كل اثنين منهم ، وكان ذلك سببا للتوارث ، ثم إنه تعالى نسخ كل هذه الأسباب بقوله : ﴿وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ [الأحزاب : ٦] والذي تقرر عليه دين الإسلام أن أسباب التوريث ثلاثة : النسب ، والنكاح ، والولاء. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٩ صـ ١٦٥﴾

لطيفة

قال القاسمى

واستنبط بعضهم من هذه الآية أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالدة بولدها . حيث أوصى الوالدين بولدهما ، فعلم أنه أرحم بهم منهم ، كما جاء فى الحديث الصحيح وقد رأى امرأة من السبى ، فرق بينها وبين ولدها فجعلت تدور على ولدها ، فلما وجدته من السبى أخذته فألصقته بصدرها . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (أترون هذه طارحة ولدها في النار) . قالوا لا يا رسول الله قال (لله أرحم بعباده من هذه بولدها). (١) أ هـ ﴿محاسن التأويل حـ ٣ صـ ٤٠﴾

فصل فى سبب نزول الآية

قال الفخر :

روى عطاء قال : استشهد سعد بن الربيع وترك ابنتين وامرأة وأخا ، فأخذ الأخ المال كله ، فأتت المرأة وقالت يا رسول الله

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٢٠/١٦٠

هاتان ابنتا سعد ، وإن سعدا قتل وان عمهما أخذ مالهما ، فقال عليه الصلاة والسلام : " ارجعي فلعل الله سيقضي فيه " ثم إنها عادت بعد مدة وبكت فنزلت هذه الآية ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمهما وقال : " أعط ابنتي سعد الثلثين ، وأمهما الثمن وما بقي فهو لك ".

فهذا أول ميراث قسم في الإسلام. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٩ صـ ١٦٥﴾

وقال القرطبي :

واختلفت الروايات في سبب نزول آية المواريث ؛ فروى الترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارقطني عن جابر بن عبد الله " أن امرأة سعد بن الربيع قالت : يا رسول الله ، إن سعدا هلك وترك بنتين وأخاه ، فعمد أخوه فقبض ما ترك سعد ، وإنما تنكح النساء على أموالهن ؛ فلم يجبها في مجلسها ذلك.

---

(١) أخرجه البخارى (٥٦٥٣) ومسلم (٢٧٥٤) والبزار (٢٨٧) وابن أبى الدنيا فى " حسن الظن بالله " (١٨) والطبرانى فى الأوسط (٣٠٣٥) وفى الصغير (٢٧٣) والبيهقى فى شعب الإيمان (٧١٣٢) و(١١٠١٨) من حديث عمر بن الخطاب.." (١)

" ولخالد سيف الله ونحو ذلك وقوله بئس الاسم الفسوق أي تسميته فاسقا أو كافرا وقد آمن ومن لم يتب من التنابز فأولئك هم الظالمون وفيه قولان

أحدهما الضارون لأنفسهم بمعصيتهم قاله ابن عباس والثاني هم أظلم من الذين قالوا لهم ذلك قاله ابن زيد

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم

قوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن قال ابن عباس نهى الله تعالى المؤمن أن يظن بالمؤمن شرا وقال سعيد بن جبير هو الرجل يسمع من أخيه كلاما لا يريد به سوءا أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءا وقال الزجاج هو أن يظن بأهل الخير سوءا فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم قال القاضي أبو يعلى هذه الآية تدل على أنه لم ينه عن جميع الظن والظن على أربعة أضرب محظور ومأمور به ومباح ومندوب إليه فأما المحظور فهو سوء الظن بالله تعالى والواجب حسن الظن بالله وكذلك سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة محظور وأما الظن المأمور به فهو ما لم ينصب عليه ." (٢)

"ج٣ص١٧٩

في صغره لأن فيه غرضا ، وهو طيب لحمه ، ولا يجوز في كبره ، وخص من تغيير خلق الله الختان ، والوشم لحاجة ونحوها ، والجمل الأربع من قوله : قال إلى هنا حكاية ما قاله بأي لغة كان مما لا يعلمه إلا الله أو أنه قدر قوله لذلك ، ولا قول

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٢٠/١٩٥

(٢) زاد المسير، ٧/٤٦٩

، وإنما هو ذا!ؤ لما وقع منه. قوله : (بإيثاره ما يدعوه إليه الخ) يعني أن المراد بولايته اتباعه ، وقيد من دون الله ليس احترازيا كما توهم بل بيان لأن اتباعه ينافي متابعة أمر الله فافهم وقوله : ضيع ١ رأس ماله لأنه أعظم الخسران ، وأهونه عدم الفائدة مع بقاء رأس المال ، وأولياء الشيطان أهل الضلال أو جنده. قوله : (معدلا ومهربا الخ) يعني المحيص اسم مكان أو مصدر ميمي من حاص يحيص إذا عدل وولى ، ويقال محيص ومحاص ، وأصل معناه كما قيل الروغان ، ومنه وقعوا في حيص بيص وحاص باص أي في أمر يعسر التخلص منه ، ويقال حاص يحوص أيضا حى وصا وحياصا ، وعنها لا يتعلق بيجدون لأنه لا يتعدى بعن فهو ظرف مستقر كان صفة لمحيصا فلما قدم عليه انتصب على الحال ، ولا يتعلق بمحيصا لأنه إن كان اسم مكان فهو لا يعمل لأنه ملحق بالجوامد ، وان كان مصدرا فمعمول المصدر لا يتقدم عليه ، ومن جوز تقدمه إذا كان ظرفا أو جارا ومجرورا جوزه هنا. قوله : (فالأول مؤكد لنفسه الخ (التأكيد بالمصدران كان لمضمون جملة لا يحتمل غيره يسمى تأكيدا لنفسه نحو له علي ألف عرفا إذ معنى الجملة التي قبله لا تحتمل غير الاعتراف ، وكذا قوله سندخلهم جنات هو الوعد إذ ليس الوعد إلا الأخبار عن إيصال المنافع قبل وقوعه فيكون وعد الله تكيدا لنفسه فإن احتملت غيره فهو تأكيد لغيره لأن مضمون الجملة مغاير له ، ولو احتمالا كقولك زيد قائم حقا فإن الجملة الخبرية تحتمل الصدق ، والكذب ، والحق والباطل ، وكذا حقا هنا بالنسبة لما قبله من الخبر بقطع النظر عن قائله ، وعاملهما محذوف أي

وعدهم الله وعدا وأحقه حقا ، وليس حقا تأكيدا للوعد حتى يقال إنه خبر حقيقة أو متضمن للخبر. قوله : (ويجوز أن ينصب الموصول الخ (يعني أنه مرفوع مبتدأ وخبر ، ويجوز في محله النصب على الاشتغال جوازا مرجوحا لأن المعطوف عليه اسمية ولأن التقدير خلاف الأصل وقوله ووعد الله الخ أي يجوز أن ينتصب وعد الله بقوله : سندخلهم على أنه مصدر له من غير لفظه لأن معناه ما ذكر وحقا حال منه. توله :) جملة مؤكدة بليغة الخ) يعني أنه توكيد ثالث لقوله ة سندخلهم لأن الجملة تذييل للكلام السابق ، والتذييل مؤكد للمذيل والمبالغة ، والبلاغة من الاستفهام ، وتخصيص اسم الذات الجامع ، وبناء أفعل وايقاع القول تمييزا ، وكل ذلك إعلام منه بأن حديثه صدق محض ، وانكار إن قول الصدق يتعلق بقائل آخر أحق منه فالواو اعتراضية ، وجعلها عاطفة مع ما في عطف الإنشاء على الخبر لا حاجة إلى ما فيه من التكلفات فلا يقال كيف تكون مؤكدة ، وهي معطوفة. قوله : (والمقصود من الآية الخ) المواعيد الشيطانية في قوله : يعدهم الخ ووعيده الكاذب الذي غرهم حتى استحقوا الوعيد مقابل بوعد الله الصادق الذي أوصلهم إلى السعادة العظمى ، ولذا بالغ فيه ، وأكده حثا على تحصيله. قوله : (أي ليس ما وعد الله من الثواب الخ) في ليس ضمير مستتر اختلف في مرجعه فقيل يعود على الوعد بالمعنى المصمدي أو بمعنى الموعود فهو استخدام ، وهذا مختار المصنف رحمه الله ، وقيل : إنه الإيمان المفهوم من الذين آمنوا ، وقيل يعود على ما تحاوروا فيه بقرينة سبب النزول ، وأتانيئ مشذد وقرئ بالتخفيف ، وقوله : أيها المسلمون إشارة إلى أن الخطاب على هذا للمسلمين لا للمشركين كما سيأتي ، وفي قوله ليس الإيمان بالتمني إيجاز بديع لأنه يحتمل أنه إشارة إلى تفسير آخر ، وهو أن الضمير راجع للإيمان المفهوم مما قبله كما ذكره غيره ، ويحتمل أن يكون ٥!اده أنه قيل في الأثر هذا ، وهو تأييد لما قبله ، وهذا أقرب ، وفي الكشاف وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما

وقر في القلب ، وصدقه العمل أن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ، ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحسن الظن بالله ، وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل له ، وهذا أخرجه ابن أبي شيبة موقوفا على الحسن ، وأخرجه البخاري في تاريخه عن أنس رضي الله عنه مرفوعا : " ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن هو ما وقر في القلب " فأما علم القلب فالعلم النافع ، وعلم اللسان." (١)

"(٢٠) وحدثنا إبراهيم بن موسى الجوزي قال حدثنا العباس بن محمد الدوري قال حدثنا عبيد الله بن موسى قال حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن الأعمش عن علي بن الأقمر عن الأغر أبي مسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من الليل وأيقظ أهله فصليا ركعتين جميعا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات.

(٢١) وأخبرنا حامد بن شعيب البلخي قال حدثنا أبو عمر المقري قال حدثنا سنيد بن داود عن يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أم سليمان بن داود يا بني لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل يترك الرجل فقيرا يوم القيامة.

(٢٢) حدثنا أبو سعيد المفضل بن محمد الجندي قي المسجد الحرام قال حدثنا صامت بن معاذ قال قرأنا على أبي قرة موسى بن طارق قال ذكر رزعة بن صالح عن زياد بن سعد عن أبان ابن أبي عياش عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن العبد إذا صلى حتى يدركه النعاس وهو ساجد فإن الله عز وجل يباهي به الملائكة يقول انظروا إلى عبدي نفسه عندي وجسده في طاعتي.

قال محمد بن الحسين فيما ذكرته واختصرته بلاغ لمن منع نفسه لذة النوم فآثر القيام وراوح بين الأقدام وتنعم بتلاوة القرآن يرجو بذلك رضى الرحمن عز وجل فلو شهدته يا أخي في الليل المظلم فقلبه لما يتلو من القرآن متدبر وبأمثاله معتبر وفيما حكى متفكر وبالوعد والوعيد لنفسه مذكر فالقلب من ذكر الموت خائف مقلق ولما عمل من الحسنات مشفق فالاستغفار شعاره وهجوم الظلام سروره وحسن الظن بالله الكريم آماله والله ولي التوفيق.

قال محمد بن الحسين بلغني عن شيخ من المتعبدين أنه كان له ورد من الليل يقومه ففتر عن ورده ذات ليلة قال فإذا أنا بجارية قد وقفت على رأسي كأن وجهها قمر وبيدها رق وفيه مكتوب فقال أيها الشيخ أتقرأ قلت نعم قالت اقرأ ما في هذا فأخذته فقرأته فإذا فيه:." (٢)

"طرق عن شعبة، به. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: على شرط الشيخين، ولم يخرجاه (١) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتدركه منيته، وهو يؤمن (٢) بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه " (٣) .

وقال الإمام أحمد أيضا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ١٧٩/٣

(٢) فضل قيام الليل والتهجد للآجري، ص/٨

عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: "لا يموتن أحدكم (٤) إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل". ورواه مسلم من طريق الأعمش، به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا [أبو] (٥) يونس، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله قال: أنا عند ظن عبدي بي، فإن ظن بي خيرا فله، وإن ظن شرا فله " (٦) .

وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين (٧) من وجه آخر، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله [عز وجل] (٨) أنا عند ظن عبدي بي" (٩) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن عبد الملك القرشي، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت -وأحسبه-عن أنس قال: كان رجل من الأنصار مريضا، فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فوافقه في السوق فسلم عليه، فقال له: "كيف أنت يا فلان؟" قال (١٠) بخير يا رسول الله، أرجو الله أخاف ذنوبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف".

ثم قال: لا نعلم رواه عن ثابت غير جعفر بن سليمان. وهكذا رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجة من حديثه، ثم قال الترمذي: غريب. وقد رواه بعضهم عن ثابت مرسلا (١١) .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن

---

(١) المسند (٣٠١/١) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٠٧٠) والمستدرك (٢٩٤/٢).

(٢) في ر: "مؤمن".

(٣) المسند (١٩٢/٢).

(٤) في أ، و:"أحد منكم".

(٥) زيادة من ر.

(٦) المسند (٣٩١/٢).

(٧) في جـ: "الصحيح".

(٨) زيادة من أ.

(٩) صحيح البخاري برقم (٧٥٠٥) من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٥) من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة.

(١٠) في جـ: "فقال".

(١١) سنن الترمذي برقم (٩٨٣) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٦١) ورواه ابن أبي الدنيا في "**حسن الظن بالله**" برقم (٣١) وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٢٦٨/٤).

أما المرسل: فرواه ابن أبي الدنيا في "المرضى والكفارات" برقم (١٠٨) ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من طريق حماد عن ثابت عن عبيد بن عمير مرسلا.." (١)

"في جانب الحرة؟ ما سمعت أحدا يرجع إليك شيئا. قال: "ذاك جبريل، عرض لي من (١) جانب الحرة فقال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة. قلت: يا جبريل، وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، وإن شرب الخمر" (٢) .

الحديث السادس: قال عبد بن حميد في مسنده: أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن ابن أبي ليلى، عن أبي الزبير، عن جابر قال: جاء رجل إلى رسول الله (٣) صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان (٤) ؟ قال: "من مات لا يشرك بالله شيئا وجبت له الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا وجبت له النار". وذكر تمام الحديث. تفرد به من هذا الوجه (٥) .

طريق أخرى: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسن بن عمرو بن خلاد الحراني، حدثنا منصور بن إسماعيل القرشي، حدثنا موسى بن عبيدة، الربذي، أخبر (٦) عبد الله بن عبيدة، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من نفس تموت، لا تشرك بالله شيئا، إلا حلت لها المغفرة، إن شاء الله عذبها، وإن شاء غفر لها: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (٧) .

ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده، من حديث موسى بن عبيدة، عن أخيه عبد الله بن عبيدة، عن جابر؛ أن النبي (٨) صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب". قيل: يا نبي الله، وما الحجاب؟ قال: "الإشراك بالله". قال: "ما من نفس تلقى الله لا تشرك به شيئا إلا حلت لها المغفرة من الله تعالى، إن يشأ أن يعذبها، وإن يشأ أن يغفر لها غفر لها". ثم قرأ نبي الله: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (٩) .

الحديث السابع: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم، حدثنا زكريا، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة" .

تفرد به من هذا الوجه (١٠) .

الحديث الثامن: قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو قبيل، عن عبد الله بن ناشر (١١) من بني سريع قال: سمعت أبا رهم قاصن أهل الشام يقول: سمعت أبا أيوب الأنصاري يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم إليهم، فقال لهم: "إن ربكم، عز وجل، خيرني

---

(١) في أ: "في".

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٤٣) وصحيح مسلم برقم (٩٤).

(٣) في ر، أ: "النبي".

(٤) في د، ر: "ما الموجبات".

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٨٨/٢

(٥) المنتخب لعبد بن حميد برقم (١٠٥٨) وفي إسناده ابن أبي ليلي سيئ الحفظ.

لكن روي من وجه آخر صحيح عن جابر: فرواه مسلم برقم (٩٣) من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر به.

(٦) في أ: "أخبرني".

(٧) وفي إسناده موسى بن عبيدة ضعفه الأئمة، وروايته عن أخيه عبد الله بن عبيدة عن جابر مرسلة أيضا.

(٨) في أ: "نبي الله".

(٩) ورواه ابن أبي الدنيا في **حسن الظن بالله** برقم (٥٦) وابن عدي في الكامل (٦/ ٣٣٤) من طريق معتمر بن سليمان عن علي بن صالح عن موسى بن عبيدة به.

(١٠) المسند (٣/ ٧٩).

(١١) في أ: "ياسر".." (١)

"نزولها ما رواه موسى بن عبيدة عن مصعب بن ثابت قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناس من أصحابه يضحكون، فقال: "اذكروا الجنة، واذكروا النار". فنزلت: ﴿ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ رواه ابن أبي حاتم. وهو مرسل (١)

وقال ابن جرير، حدثني المثنى، حدثنا إسحاق، أخبرنا ابن المكي، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا مصعب بن ثابت، حدثنا عاصم بن عبيد الله، عن ابن أبي رباح، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة، فقال: "ألا أراكم تضحكون؟" ثم أدبر، حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا القهقرى، فقال: "إني لما خرجت جاء جبريل، عليه السلام، فقال: يا محمد، إن الله يقول (٢) لم تقنط (٣) عبادي؟ ﴿ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ (٤)

وقال سعيد، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم ﴾ قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام، ولو يعلم قدر عقابه لبخع نفسه" (٥)

﴿ ونبئهم عن ضيف إبراهيم (٥١) ﴾

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور (٥/٨٦) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم. وموسى بن عبيدة الربذي ضعيف.

(٢) في أ: "يقول الله".

(٣) في ت: "يقنط".

(٤) تفسير الطبري (١٤/٢٧).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٤/٢٧) وابن أبي الدنيا في **حسن الظن بالله** برقم (٦٤) من طريق سعيد به مرسلا، وروى موصولا نحوه عن ابن عمر وأبي سعيد الخدري، أما حديث ابن عمر، فرواه ابن أبي الدنيا في **حسن الظن بالله** برقم (٦٣)

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٢/٣٢٨

من طريق موسى عن عطية، عن ابن عمر مرفوعا: "لو تعلمون قدر رحمة الله عز وجل لا تكلتم وما عملتم من عمل، ولو علمتم قدر غضبه ما نفعكم شيء"، وحديث أبي سعيد، رواه البزار في مسنده ولفظه: "لو تعلمون قدر رحمة الله لا تكلتم – أحسبه قال: عليها". وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٨٤): "إسناده حسن".." (١)

"و في رواية عن شريح بن هانئ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قال فأتيت عائشة فقلت يا أم المؤمنين سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا إن كان كذلك فقد هلكنا فقالت إن الهالك من هلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت فقالت قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بالذي تذهب إليه ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.(١٧/٢٦٨٥)

٥–باب: في حسن الظن بالله تعالى عند الموت

٤٥٨.عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاث يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن.(٨١/٢٨٧٧)

٦–باب: إغماض الميت والدعاء له إذا حضر." (٢)

"

وقطع الطرف يتحدد بمعرفة ما هو طرف لماذا؟ فإن كان الطرف هو العدد الكثير فقطع الطرف أن يُقتل بعضه. وإن كان الطرف هو أرضا واسعة فقطع الطرف أن يأخذ من أرضهم. ولذلك يقول الحق سبحانه:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[الرعد: ٤١]

لقد كانت الأرض الكُفْرِيّة تخسر كل يوم جزءاً منها لينضم هذا الجزء إلى الأرض الإيمانية، هذا بالنسبة لسعة الأرض، وافرض أن الطرف هو المال، فقطع الطرف هنا يكون بأن نأخذ بعض المال كغنائم، ثم هناك المنزلة التي كانت تهابها الجزيرة كلها، كل الجزيرة تهاب قريشاً، وقوافلها التجارية للشمال والجنوب لا تستطيع قبيلة أن تتعرض لها؛ لأن كل القبائل تعرف أنها ستذهب إلى البيت في موسم الحج، فلا توجد قبيلة تتعرض لها لأنها غداً ستذهب إلى قريش، إذن فالسيادة والعظمة كانت لقريش، وساعة تعلم القبائل أن رجال قريش قد كسروا وانهزموا، وأن رحلتهم إلى الشام أصبحت مهددة، فإنهم يبحثون عن فريق آخر يذهبون إليه.

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٤/٥٤٠

(٢) مختصر صحيح المسلم، ١/٢٠١

إن قطع الطرف كان على أشكال متعددة، فإن كان طرفَ عدوٍ فيقتل بعضهم، وإن كان طرف أرض فبعضها يؤخذ وتذهب إلى أرض إيمانية، وإن كانت عظمة وقهرا تأتهم الهزيمة، وإن كان نفوذاً في الجزيرة فهو يتزلزل ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾.

ولنلحظ أن الحق قد قال: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفاً ﴾ – لم يقل ليستأصل – لأن الله سبحانه وتعالى أبقى على بعض الكفار لأن له في الإيمان دوراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتلئا بالعطف والرحمة والحنان على أمته، وكان **يحسن الظن بالله** أن يهديهم، ولذلك تعددت آيات القرآن التي تتحدث في هذا الأمر. ها هو ذا الحق يقول:﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىا آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَاذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾[الكهف: ٦]

وفي موقع آخر بالقرآن الكريم يقول الحق:﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ * إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَآءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[الشعراء: ٣-٤]

والله يقول لرسول صلى الله عليه وسلم: " فإنّما عليك البلاغ " والرسول يحب أن يهتدي إلى الإيمان كل فرد في أمته، فقال الحق: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١) ".

"

والأمنية – كما عرفنا – هي أن يطمح الإنسان إلى شيء ممتع مسعد بدون رصيد من عمل، إنَّ الحق سبحانه وتعالى حينما استخلف الإنسان في الأرض طلب منه أن يستقبل كل شيء صالح في الوجود استقبال المحافظ عليه، فلا يفسد الصالح بالفعل، وإن أراد الإنسان طموحاً إلى ما يسعد، فعليه أن يزيد الصالح صلاحاً.

والمثل الذي نضربه لذلك، عندما يوجد بئر يشرب منها الناس، فهذه البئر لها حواف وجوانب وأطراف، وتفسد البئر إذا جاء أحد لهذه الحوافي وأزاح ما فيها من الأتربة ليطمر البئر.

ومن يرد استمرار صلاح البئر فهو يتركها كما هي وبذلك يترك الصالح على صلاحه. وإن شاء إنسان أن يطمح إلى عمل مسعد ممتع له ولغيره فهو يعمل ليزيد الصالح صلاحاً.. كأن يأتي إلى جوانب البئر ويبني حولها جداراً من الطوب كي لا يتسلل التراب إلى الماء أو على الأقل يصنع غطاءً للبئر، فإن طمح الإنسان اكثر فهو يفكر في راحة الناس ويحاول أن يوفر عليهم الذهاب إلى البئر ليملأوا جِرارهم وقِربهم فيفكر في رفع المياه بمضخة ماصة كابسة إلى صهريج عال، ثم يخرج من هذا الصهريج الأنابيب لتصل إلى البيوت، فيأخذ كل واحد المياه وهو مرتاح، إنه بذلك يزيد الصالح صلاحاً.

أما إن أراد الإنسان أن يطمح إلى ممتع دون عمل.. فهذه هي الأماني الكاذبة. ولو ظل إنسان يحلم بالأمنيات ولا ينفذها بخطة من عمل.. فهذه هي الأماني التي لا ثمرة لها سوى الخيبة والتخلف.

إذن فالأمنية هي أن يطمح إنسان إلى أمر ممتع مسعد بدون رصيد من عمل. ونعلم أن الحق سبحانه وتعالى أعطانا من كل شيء سببا، ولنلحظ أن الحق قد قال:﴿ فَأَتْبَعَ سَبَباً ﴾[الكهف: ٨٥]

---

(١) تفسير الشعراوي، ص/٥١٨

أي أن الإنسان مطالب بأن يصنع أشياء تُرَقِّي أساليب الحياة في الأرض، فالله ضمن للإنسان الخليفة مقومات الحياة الضرورية، وعندما يريد الإنسان الترف والتنعم فلا بد أن يكدح. ومثال ذلك: لقد أعطى الحق الإنسان المطر فينزل الماء من السماء، وينزل ماء المطر في مجارٍ محددة، حفرها المطر لنفسه، وقد يكون في كل مجرى تراب من صخور أو طمي؛ لذلك يقوم الإنسان بترويق المياه، ويرفعها في صهاريج لتأتيه إلى المنزل،وبدلاً من أن يشربها بيده من النهر مباشرة، يصنع كوباً جميلاً. وصنع الإنسانُ الكوبَ في البداية من الفخار، ثم من مواد مختلفة كالنحاس ثم البللور. وهكذا نجد أن كل ترف يحتاج إلى عمل يوصل إليه، فليست المسألة بالأماني.

وكذلك الانتساب إلى الدين، ليست المسألة أن يمتثل الإنسان وينتسب إلى الدين شكلاً، فالرسول صلى الله عليه وسلم جاء ليحكم بين الناس جميعاً، ولا يمكن لواحد أن ينتسب شكلاً إلى الإسلام ليأخذ المميزات ويتميز بها عن بقية خلق الله من الديانات الأخرى، لا؛ فالإنسان محكوم بما يدين به.

والمسلم أول محكوم بما دان به.

كذلك قال الحق: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ والخطاب هنا لمن؟. إن كان الخطاب للمؤمنين فالحق يوضح لهم: يا أيها المؤمنون ليست المسألة مسألة أماني، ولكنها مسألة عمل؛ لأن انتسابكم للإسلام لا يعفيكم من العمل؛ فكم من أناس يعبرون الدنيا وتنقضي حياتهم فيها ولا يصنعون حسنة، فإذا قيل لهم: ولماذا تعيشون الحياة بلا عمل؟ يقولون: أحسنّا الظن بالله. ونسمع الحسن البصري يقول لهؤلاء: ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، إن قوماً ألهتهم أمانيّ المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا: **نحسن الظن بالله** وكذبوا، لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل به.

وسبحانه يقول لهؤلاء: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾. أما إن كان الخطاب موجهاً لغير المؤمنين؛ فالحق لم يمنع عطاء الدنيا لمن أخذ بالأسباب حتى ولو لم يؤمن. أما جزاء الآخرة فهو وعد منه سبحانه للمؤمنين الذين عملوا صالحاً، وهو الوعد الحق بالجنة، هذا الوعد الحق ليس بالأماني بل إن الوصول إلى هذا الوعد يكون بالعمل.

إذن فقد يصح أن يكون الخطاب بـ ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ شاملاً أيضا الكفار والمنافقين وأهل الكتاب. وكان للكفار بعض من الأماني كقول المنكر للبعث:﴿ وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىا رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً ﴾[الكهف: ٣٦]

هذه هي أماني الكفار. ولن يتحقق هذا الوعد بالجنة لأهل الكتاب، فقد قال الحق عن أمانيهم:﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىا ﴾[البقرة: ١١١]

وقالوا:﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً ﴾[البقرة: ٨٠]

كل هذه أماني خادعة؛ لأن منهج الله واحد على الناس أجمعين، من انتسب للإسلام الذي جاء خاتماً فليعمل؛ لأن القضية الواضحة التي يحكم بها خلقه هي قوله سبحانه: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً ﴾.

وأبو هريرة رضي الله عنه يقول: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سدّدوا وقاربوا فإن في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها ".

وقال بعض العلماء: المراد بالسوء في هذه الآية هو الشرك بالله؛ لأن الله وعد أن يغفر بعض الذنوب. واستند في ذلك إلى قوله الحق:﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾[فاطر: ٣٦]

كأن الجزاء المؤلم يكون للكفار، أما الذين آمنوا فالإيمان يرفعهم إلى شرف المنزلة ليقبل الله توبتهم ويغفر لهم، فسبحانه الحق جعل الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما، وجعل صلاة الجمعة إلى صلاة الجمعة كفارة لما بينهما، وجعل الحج كفارة لما سبقه، وكل ذلك امتيازات إيمانية. أما جزاء الكفار فهو: " مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً ﴾.

ولا يقال فلان لا يجد إلا إذا بحث هذا الشخص عن شيء فلم يجده، فالإنسان بذاته لا يستغنى، ولكن من يعمل سوءا فليبحث لنفسه عن ولي أو نصير ولن يجد.

والولي هو الذي يلي الإنسان، أي يقرب منه، ومثلها النصير والمعاون، ولا يلي الإنسان ولا يقرب منه إلا من أحبه. ومادام قد أحب قويٌّ ضعيفاً، فهو قادر على الدفاع عنه ومعاونته.

ولماذا أورد الحق هنا " الولي " ، و " النصير "؟. والولي -كما عرفنا - هو القريب الذي يلي الإنسان، أما كلمة " نصير " فتوحي أن هناك معارك وخصومة بين المؤمن وغيره، وهناك قوة كبرى قد يظهر للإنسان أنها لا تسأل عنه لأنه في سلام ورخاء، إن هذه القوة عندما تعلم أن هناك خصوماً للمؤمن تأتي لنصرته، بينما لا يجد الكافر ولياً ولا نصيراً، ولن يجد من يقرب منه ولن يجد من ينصره إن عضته الأحداث، وعض الأحداث هو الذي يجعل الناس تتعاطف مع المصاب حتى إن البعيد عن الإنسان يفزع إليه لينصره، لكن أحداً لا ينصر على الله.

ومن بعد ذلك يقول الحق: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ... ﴾

(١) ".

"عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث " لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل " ورواه مسلم من طريق الأعمش به وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يونس عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " إن الله قال أنا عند ظن عبدي بي فإن ظن بي خيرا فله فإن ظن بي شرا فله " وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يقول الله أنا عند ظن عبدي بي " .

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الملك القرشي حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت وأحسبه عن أنس قال : كان رجل من الأنصار مريضا فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فوافقه في السوق فسلم عليه فقال له "كيف أنت

(١) تفسير الشعراوي، ص/٦١٠

يا فلان ؟ " قال : بخير يا رسول الله أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف " ثم قال : لا نعلم رواه عن ثابت غير جعفر بن سليمان .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديثه ثم قال الترمذي غريب وكذا رواه بعضهم عن ثابت مرسلا .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن

١٣٤@@@." (١)

"" صفحة رقم ٣٧١ "

رتب تعالى مصير من كان تابعا لإبليس إلى النار لإشراكه وكفره وتغيير أحكام الله تعالى ، رتب هنا دخول الجنة على الإيمان وعمل الصالحات .

(وعد الله حقا (لما ذكر أن وعد الشيطان هو غرور باطل ، ذكر أن هذا الوعد منه تعالى هو الحق الذي لا ارتياب فيه ، ولا شك في إنجازه . والذين مبتدأ ، وسيدخلهم الخير . ويجوز أن يكون من باب الاشتغال أي : وسندخل الذين آمنوا سندخلهم . وانتصب وعد الله حقا على أنه مصدر مؤكد لغيره ، فوعد الله مؤكدا لقوله : سيدخلهم ، وحقا مؤكد لوعد الله .

(ومن أصدق من الله قيلا (القيل والقول واحدا ، أي : لا أحد أصدق قولا من الله . وهي جملة مؤكدة أيضا لما قبلها . وفائدة هذه التواكيد المبالغة فيما أخبر به تعالى عباده المؤمنين ، بخلاف مواعيد الشيطان وأمانته الكاذبة المخلفة لأمانيه .

النساء : (١٢٣) ليس بأمانيكم ولا . . . . .

(ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب (قال ابن عباس ، والضحاك ، وأبو صالح ، ومسروق ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم : الخطاب للأمة . قال بعضهم : اختلفوا مع قوم من أهل الكتاب فقالوا : ديننا أقدم من دينكم . وأفضل ، فنبينا قبل نبيكم . وقال المؤمنون : كتابنا يقضي على الكتب ، ونبينا خاتم الأنبياء ، ونحو هذا من المحاورة فنزلت . وقال مجاهد وابن زيد : الخطاب لكفار قريش ، وذلك أنهم قالوا : لن نبعث ولن نعذب ، وإنما هي حياتنا لنا فيها النعيم ، ثم لا عذاب . وقالت اليهود : نحن أبناء الله وأحباؤه . إلى نحو هذا من الأقوال كقولهم .

(لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى (فرد الله تعالى على الفريقين .

وقال الزمخشري في ليس : ضمير وعد الله ، أي : ليس ينال ما وعد الله من الثواب بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب . والخطاب للمسلمين ، لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به ، ولذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان . وعن الحسن : ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب ، وصدقه العمل . إن قوما ألهتم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : **نحسن الظن بالله** ، وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل . ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم : إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا ، لأوتين مالا وولدا إن لي عنده للحسنى . وكان أهل الكتاب يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك انتهى

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ١٣٣/٣

.

وعلى هذه الأقوال وقع الاختلاف في اسم ليس ، وأقر بها أن الذي يعود الضمير عليه هو الوعد من أنه تعالى يدخلهم الجنة ، ويليه أن يعود على الإيمان المفهوم من قوله :) والذين ءامنوا وعملوا الصالحات (كما ذهب إليه الحسن ، ثم إنه يعود على ما وقعت فيه محاورة المؤمنين وأهل الكتاب ، أو ما قالته قريش وأهل الكتاب على ما مر ذكره . وقال الحوفي : اسم ليس مضمر فيها على معنى : ليس الثواب عن الحسنات ولا العقاب على السيئات بأمانيكم ، لأن الاستحقاق إنما يكون بالعمل ، لا بالأماني . وقال أبو البقاء : ليس مضمر فيها ولم يتقدم له ذكر ، وإنما دل عليه سبب الآية ، وذلك أن اليهود والنصارى قالوا : نحن أصحاب الجنة . وقال المشركون : لا نبعث . فقال : ليس بأمانيكم أي : ليس ما ادعيتموه بأمانيكم . وقرأ الحسن ، وأبو جعفر ، وشيبة بن نصاح ، والحكم ، والأعرج : بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ساكنة الياء ، جمع على فعالل ، كما يقال : قراقير وقراقر ، جمع قرقور .

(من يعمل (قال الجمهور : اللفظ عام ، والكافر والمؤمن مجازيان بالسوء يعملانه . فمجازاة الكافر النار ، والمؤمن بنكبات الدنيا . فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لما نزلت قلت : يا رسول الله ما أشد هذه الآية جاءت قاصمة الظهر ، فقال (صلى الله عليه وسلم))." (١)

"﴿وعد الله حقا ﴾ لما ذكر أن وعد الشيطان هو غرور باطل ، ذكر أن هذا الوعد منه تعالى هو الحق الذي لا ارتياب فيه ، ولا شك في إنجازه. والذين مبتدأ ، وسيدخلهم الخير. ويجوز أن يكون من باب الاشتغال أي : وسندخل الذين آمنوا سندخلهم. وانتصب وعد الله حقا على أنه مصدر مؤكد لغيره ، فوعد الله مؤكدا لقوله : سيدخلهم ، وحقا مؤكد لوعد الله.

﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ القيل والقول واحدا ، أي : لا أحد أصدق قولا من الله. وهي جملة مؤكدة أيضا لما قبلها. وفائدة هذه التواكيد المبالغة فيما أخبر به تعالى عباده المؤمنين ، بخلاف مواعيد الشيطان وأمانته الكاذبة المخلفة لأمانيه.

﴿ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب﴾ قال ابن عباس ، والضحاك ، وأبو صالح ، ومسروق ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم : الخطاب للأمة. قال بعضهم : اختلفوا مع قوم من أهل الكتاب فقالوا : ديننا أقدم من دينكم. وأفضل ، فنبينا قبل نبيكم. وقال المؤمنون : كتابنا يقضي على الكتب ، ونبينا خاتم الأنبياء ، ونحو هذا من المحاورة فنزلت. وقال مجاهد وابن زيد : الخطاب لكفار قريش ، وذلك أنهم قالوا : لن نبعث ولن نعذب ، وإنما هي حياتنا لنا فيها النعيم ، ثم لا عذاب. وقالت اليهود : نحن أبناء الله وأحباؤه. إلى نحو هذا من الأقوال كقولهم.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٤٧

﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ﴾ فرد الله تعالى على الفريقين.

وقال الزمخشري في ليس : ضمير وعد الله ، أي : ليس ينال ما وعد الله من الثواب بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب. والخطاب للمسلمين ، لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به ، ولذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان.

---

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (الكتب العلمية)، ٣/٣٧١

وعن الحسن : ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب ، وصدقه العمل. إن قوما ألهتم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : **نحسن الظن بالله** ، وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل. ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم : إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا ، لأوتين مالا وولدا إن لي عنده للحسنى. وكان أهل الكتاب يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك انتهى. وعلى هذه الأقوال وقع الاختلاف في اسم ليس ، وأقر بها أن الذي يعود الضمير عليه هو الوعد من أنه تعالى يدخلهم الجنة ، ويليه أن يعود على الإيمان المفهوم من قوله : ﴿والذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ كما ذهب إليه الحسن ، ثم إنه يعود على ما وقعت فيه محاورة المؤمنين وأهل الكتاب ، أو ما قالته قريش وأهل الكتاب على ما مر ذكره. وقال الحوفي : اسم ليس مضمر فيها على معنى : ليس الثواب عن الحسنات ولا العقاب على السيئات بأمانيكم ، لأن الاستحقاق إنما يكون بالعمل ، لا بالأماني. وقال أبو البقاء : ليس مضمر فيها ولم يتقدم له ذكر ، وإنما دل عليه سبب الآية ، وذلك أن اليهود والنصارى قالوا : نحن أصحاب الجنة. وقال المشركون : لا نبعث. فقال : ليس بأمانيكم أي : ليس ما ادعيتموه بأمانيكم. وقرأ الحسن ، وأبو جعفر ، وشيبة بن نصاح ، والحكم ، والأعرج : بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ساكنة الياء ، جمع على فعالل ، كما يقال : قراقير وقراقر ، جمع قرقور.

﴿من يعمل﴾ قال الجمهور : اللفظ عام ، والكافر والمؤمن مجازيان بالسوء يعملانه. فمجازاة الكافر النار ، والمؤمن بنكبات الدنيا. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لما نزلت قلت : يا رسول الله ما أشد هذه الآية

٣٥٥

جاءت قاصمة الظهر ، فقال صلى الله عليه وسلم : "إنما هي المصيبات في الدنيا" وقالت بمثل هذا التأويل عائشة رضي الله عنها. وقال به : أبي بن كعب ، وسأله الربيع بن زياد عن معنى الآية وكأنه خافها فقال له : أي ما كنت أظنك إلا أفقه مما أرى ، ما يصيب الرجل خدش أو غيره إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر. وخصص الحسن ، وابن زيد بالكفار يجازون على الصغائر والكبائر. وقال الضحاك : يعني اليهود والنصارى والمجوس وكفار العرب ، ورأى هؤلاء أن الله تعالى وعد المؤمنين بتكفير السيئات. وخصص السوء ابن عباس ، وابن جبير بالشرك. وقيل : السوء عام في الكبائر.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٤٧

﴿عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ روى ابن بكار عن ابن عامر ولا يجد بالرفع على القطع.

". (١)

"" صفحة رقم ٢١٨ "

التنابز فسق والجمع بينه وبين الإيمان مستقبح) ومن لم يتب (عما نهى عنه) فأولئك هم الظالمون (بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب

الحجرات : (١٢) يا أيها الذين . . . . .

---

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٢٨٩/٣

) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن (كونوا منه على جانب وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات **وحسن الظن بالله** سبحانه وتعالى وما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الأمور المعاشية) إن بعض الظن إثم (مستأنف للأمر والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كأنه يثم الأعمال أي بكسرها) ولا تجسسوا (ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الخمس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته) ولا يغتب بعضكم بعضا (ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل (صلى الله عليه وسلم) عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكرهه فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته) أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا (تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله) فكرهتموه (تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى إن صح ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم إنكار." (١)

" والحرمات قصاص وقالت فرقة قوله والحرمات قصاص مما قبله وهو ابتداء امر كان في اول الاسلام ان من انتهك حرمتك نلت منه مثل ما اعتدى عليك واتقوا الله قيل معناه في ان لا تعتدوا وقيل في ان لا تزيدوا على المثل وقوله تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الآية سبيل الله هنا الجهاد واللفظ يتناول بعد جميع سبله وفي الصحيح أن أبا أيوب الانصاري كان على القسطنطينية فحمل رجل على عسكر العدو فقال قوم ألقى هذا بيده الى التهلكة فقال أبو أيوب لا إن هذه الآية نزلت في الانصار حين ارادوا لما ظهر الإسلام ان يتركوا الجهاد ويعمروا اموالهم واما هذا فهو الذي قال الله تعالى فيه ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله وقال ابن عباس وحذيفة بن اليمان وجمهور الناس المعنى لا تلقوا بايديكم بأن تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة واحسنوا قيل معناه في اعمالكم بامتثال الطاعات روي ذلك عن بعض الصحابة وقيل المعنى واحسنوا في الإنفاق في سبيل الله وفي الصدقات قاله زيد بن اسلم وقال عكرمة المعنى واحسنوا الظن بالله عز و جل ت ولا شك ان لفظ الآية عام يتناول جميع ما ذكر والمخصص يفتقر الى دليل فاما **حسن الظن بالله** سبحانه فقد جاءت فيه احاديث صحيحة فمنها أنا عند ظن عبدي بي وفي صحيح مسلم عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه و سلم قبل وفاته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** انتهى واخرج أبو بكر بن الخطيب بسنده عن أنس ان النبي صلى الله عليه و سلم قال من حسن عبادة المرء حسن ظنه انتهى قال عبد الحق في العاقبة اما **حسن الظن بالله** عز و جل عند الموت فواجب للحديث انتهى ويدخل في عموم الآية انواع المعروف قال أبو عمر ." (٢)

---

(١) تفسير البيضاوي - موافق للمطبوع، ٢١٨/٥

(٢) تفسير الثعالبي، ١٥١/١

" من يدى وءاخذه ويسقط وأخذه ونحوه عن الزبير وابن مسعود والواو في قوله وطائفة قد أهمتهم أنفسهم واو الحال ذهب أكثر المفسرين إلى أن اللفظة من الهم الذى هو بمعنى الغم والحزن وقوله سبحانه يظنون بالله غير الحق معناه يظنون أن دين الأسلام ليس بحق وأن أمر محمد صلى الله عليه و سلم يضمحل قلت وقد وردت أحاديث صحاح في الترغيب في حسن الظن بالله عز و جل ففي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه و سلم حاكيا عن الله عز و جل ليقول سبحانه أنا عند ظن عبدي بي الحديث وقال ابن مسعود والله الذي لا آله غيره لا يحسن احد الظن بالله عز و جل إلا اعطاه الله ظنه وذلك أن الخير بيده وخرج أبو بر بن الخطيب بسنده عن أنس أن النبي صلى الله عليه و سلم قال من حسن عبادة المرء حسن ظنه ا هـ وقوله ظن الجاهلية ذهب الجمهور إلى أن المراد مدة الجاهلية القديمة قبل الإسلام وهذا كقوله سبحانه حمية الجاهلية وتبرج الجاهلية وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد في هذه الآية ظن الفرقة الجاهلية وهم أبو سفيان ومن معه قال قتادة وابن جريج قيل لعبد الله ابن أبي بن سلول قتل بنو الخزرج فقال وهل لنا من الأمر من شيء يريد أن الرأي ليس لنا ولو كان لنا منه شيء لسمع من رأينا فلم يخرج فلم يقتل أحد منا وقوله سبحانه قل أن الأمر كله لله اعتراض اثناء الكلام فصيح ومضمنه الرد عليهم وقوله سبحانه يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية اخبر تعالى عنهم على الجملة دون تعيين وهذه كانت سنته في المنافقين لا اله إلا هو وقوله سبحانه ويقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا هي مقالة سمعت من معتب بن قشير المغموص عليه بالنفاق وباقي الآية بين وقوله تعالى وليبتلي الله ما في صدوركم اللاء في ليبتلي متعلقة بفعل متأخر ." (١)

" الثاني أن يريد وما يمكنكم ولا يسعكم الاختفاء عن أعضائكم والاستتار عنها بكفركم ومعاصيكم وهذا هو منحي السدي وعن ابن مسعوج قال اني لمستتر بأستار الكعبة اذ دخل ثلاثة نفر قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فتحدثوا بحديث فقال أحدهم أترى الله يسمع ما قلنا فقال الآخر يسمع اذا رفعنا ولا يسمع اذا أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع منه شيئا فانه يسمعه كله فجئت رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبرته بذلك فنزلت هذه الآية وما كنتم تستترون وقرأ حتى بلغ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قال الشيخ أبو محمد بن ابي زيد في آخر مختصر المدونة له واعلم أن الأجساد التي أطاعت أو عصت هي التي تبعث يوم القيامة لتجازي والجلود التي كانت في الدنيا والألسنة والأيدي والأرجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد انتهى قال القرطبي في تذكرته واعلم أن عند أهل السنة أن تلك الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم في ذلك انتهى ومعنى أرادكم أهلككم والردى الهلاك وفي صحيح البخاري ومسلم عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول قبل وفاته ثلاث لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز و جل وذكره ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله عز و جل وزاد فيه فان قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم الله تبارك وتعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فأصبحتم من الخاسرين انتهى ونقله أيضا صاحب التذكرة وقوله تعالى فإن يصبروا مخاطبة للنبي صلى الله عليه و سلم والمعنى فان يصبروا أولا يصبروا واقتصر لدلالة الظاهر على ما ترك وقوله تعالى وان يستعتبوا معناه وان طلبوا العتبى وهي الرضا فما هم ممن يعطاها ويستوجبها قال أبو

(١) تفسير الثعالبي، ١/٣٢٤

حيان قراءة الجمهور وأن يستعتبوا مبنيا للفاعل ومن المعتبين مبنيا للمفعول أي وأن يعتذروا فما هم من المعذروين انتهى ثم وصف تعالى ." (١)

"المسألة الثالثة : ما رأيت للمفسرين في تخصيص هذه الأعضاء الثلاثة بالذكر سبباً وفائدة ، وأقول لا شك أن الحواس خمسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس ، ولا شك أن آلة اللمس هي الجلد ، فالله تعالى ذكر ههنا من الحواس وهي السمع والبصر واللمس ، وأهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم ، لأن الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه ، لأن إدراك الذوق إنما يتأتى بأن تصير جلدة اللسان والحنك مماسة لجرم الطعام ، فكان هذا داخلاً فيه فبقي حس الشم وهو حس ضعيف في الإنسان ، وليس لله فيه تكليف ولا أمر ولا نهي ، إذا عرفت هذا فنقول نقل عن ابن عباس أنه قال المراد من شهادة الجلود شهادة ا لفروج قال وهذا من باب الكنايات كما قال : ﴿وَلَـٰكِن لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ (البقرة : ٢٣٥) وأراد النكاح وقال : ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَآائِطِ﴾ (النساء : ٤٣) والمراد قضاء الحاجة وعن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال : "أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه" وعلى هذا التقدير فتكون هذه الآية وعيداً شديداً في الإتيان بالزنا ، لأن مقدمة الزنا إنما تحصل بالكف ، ونهاية الأمر فيها إنما تحصل بالفخذ.

ثم حكى الله تعالى أنهم يقولون لتلك الأعضاء ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ومعناه أن القادر على خلقكم وإنطاقكم في المرة الأولى حالما كنتم في الدنيا ثم على خلقكم وإنطاقكم في المرة الثانية وهي حال القيامة والبعث يستبعد منه إنطاق الجوارح والأعضاء ؟

ثم قال تعالى : ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾ والمعنى إثبات أنهم كانوا يستترون عند الإقدام على الأعمال القبيحة ، إلا أن استتارهم ما كان لأجل خوفهم من أن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وذلك لأنهم كانوا منكرين للبعث والقيامة ، ولكن ذلك الاستتار لأجل أنهم كانوا يظنون أن الله لا يعلم الأعمال التي يقدمون عليها على سبيل الخفية والاستتار. عن ابن مسعود قال : كنت مستتراً بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر عللى ثقفيان وقرشي فقال أحدهم : أترون الله يسمع ما تقولون ؟

فقال الرجلان إذا سمعنا أصواتنا سمع وإلا لم يسمع. فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلّم فنزل ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾

.

جزء : ٢٧ رقم الصفحة : ٥٦٢

ثم قال تعالى : ﴿وَذَالِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وهذا نص صريح في أن من ظن بالله تعالى أنه يخرج شيء من المعلومات عن علمه فإنه يكون من الهالكين الخاسرين ، قال أهل التحقيق الظن قسمان ظن حسن بالله تعالى وظن فاسد ، أما الظن الحسن فهو أن يظن به الرحمة والفضل ، قال صلى الله عليه وسلّم حكاية عن الله عزّ وجلّ : "أنا عند ظن عبدي بي" وقال صلى الله عليه وسلّم : "لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**" ، والظن القبيح فاسد وهو أن يظن بالله أنه يعزب عن علمه بعض هذه الأحوال ، وقال قتادة : الظن نوعان ظن منج وظن مرد ، فالمنج

---

(١) تفسير الثعالبي، ٨٦/٤

قوله ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ (الحاقة : ٢٠) وقوله ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ (البقرة : ٤٦) ، وأما الظن المردي فهو قوله ﴿وَذَالِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ قال صاحب "الكشاف" ﴿تَعْمَلُونَ * وَذَالِكُمْ﴾ رفع بالابتداء و﴿بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلاً من ذلكم وأرداكم الخبر.

ثم قال : ﴿فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ يعني إن أمسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار مثوى لهم أي مقاماً لهم ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ أي لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها ، ونظيره قوله تعالى : ﴿أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ (إبراهيم : ٢١) وقرىء وإن يستعتبوا فما هم من الممعتبين أي أن يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون أي لا سبيل لهم إلى ذلك.

جزء : ٢٧ رقم الصفحة : ٥٦٢

٥٦٥

اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة على كفر أولئك الكفار أردفه بذكر السبب الذي لأجله وقعوا في ذلك الكفر فقال : ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ وفيه مسائل :

المسألة الأولى : قال صاحب "الصحاح" : يقال قايضت الرجل مقايضة أي عاوضته بمتاع ، وهما قيضان كما يقال بيعان ، وقيض الله فلاناً أي جاءه به وأتى به له ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ .

." (١)

"ارجعوا إلى أبيكم﴾ دوني ﴿فقولوا﴾ له ، أي : متلطفين في خطابكم ﴿يا أبانا﴾ وأكدوا مقالتكم فإنه ينكرها وقولوا ﴿إن ابنك سرق﴾ فإن قيل : كيف يحكمون عليه بأنه سرق من غير بينة وهو قد أجابهم بالجواب الشافي ، فقال : الذي جعل الصاع في رحلي هو الذي جعل البضاعة في رحالكم ؟

أجيب : بأنهم لما شاهدوا الصاع وقد أخرج من متاعه غلب على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه إلى السرقة في ظاهر الأمر لا في حقيقة الحال ، ويدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم ﴿وما شهدنا﴾ عليه ﴿إلا بما علمنا﴾ ظاهرا من رؤيتنا الصاع يخرج من وعائه ، وأما قوله : وضع الصاع في رحلي من وضع البضاعة في رحالكم ، فالفرق ظاهر ؛ لأن هناك لما رجعوا بالبضاعة إليهم اعترفوا بأنهم هم الذين وضعوها في رحالهم ، وأما هذا الصاع فإن أحدا لم يعترف بأنه هو الذي وضع الصاع في رحله ، فلهذا السبب غلب على ظنهم أنه سرق ، فشهدوا بناء على الظن ﴿وما كنا للغيب﴾ ، أي : ما غاب عنا حين أعطينا الموثق ﴿حافظين﴾ ، أي : ما كنا نعلم أن ابنك يسرق ، ويصير أمرنا إلى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا ، وإنما قلنا : ونحفظ أخانا مما لنا إلى حفظه سبيل ، وحقيقة الحال غير معلومة لنا ، فإن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى ، فلعل الصاع دس في رحله ، ونحن لا نعلم ذلك ، فلعل حيلة دبرت في ذلك غاب عنا علمها كما صنع في رد بضاعتنا.

﴿واسأل القرية﴾ ، أي : أهلها على حذف المضاف ، وهو مجاز مشهور ، وقيل : إنه مجاز لكنه من باب إطلاق المحل

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع، ص/٣٩٣٨

وإرادة الحال ﴿التي كنا فيها﴾ وهي مصر عما أخبرناك به يخبروك بصدقنا ، فإن الأمر قد اشتهر عندهم ، وقيل : هي قرية من قرى مصر كانوا ارتحلوا منها إلى مصر ﴿و﴾ اسأل ﴿العير﴾ ، أي : القافلة ، وهم قوم من كنعان جيران يعقوب عليه السلام ﴿التي أقبلنا فيها﴾ والسؤال طلب الأخبار بأداته من الهمزة ، أو هل أو غيرهما ، والقرية الأرض الجامعة لحدود فاصلة وأصلها من قريت الماء جمعته ، والعير قافلة الحمير من العير بالفتح وهو الحمار هذا هو الأصل ثم كثر حتى استعمل في غير الحمير ، ولما كان ذلك بالإنكار لما يتحقق من كرم أخيهم أكدوه بقولهم ﴿وإنا﴾ ، أي : والله إنا ﴿لصادقون﴾ في أقوالنا ، ولما رجعوا إلى أبيهم وقالوا له ما قال كبيرهم ، فكأنه قيل : فما قال لهم ؟

فقيل :

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٤١

﴿قال﴾ لهم ﴿بل سولت﴾ ، أي : زينت تزيينا فيه غي ﴿لكم أنفسكم أمرا﴾ ، أي : حدثتكم بأمر ففعلتموه ، وإلا فما أدرى الملك أن السارق يؤخذ بسرقته ﴿فصبر جميل﴾ ، أي : فأمري صبر جميل ، أو فصبر جميل صبري ، أو أجمل ، وقدم مثل ذلك في واقعة يوسف إلا أنه قال فيها : ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ (يوسف ، ١٨) وقال هنا ﴿عسى الله أن يأتيني بهم﴾ ، أي : بيوسف وشقيقه بنيامين والأخ الثالث الذي أقام بمصر ﴿جميعا﴾ ، أي : فلا يتخلف منهم أحد ، وإنما قال يعقوب عليه السلام

١٤٥

هذه المقالة ؛ لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم أن الله تعالى سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب ، فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله تعالى وتفرس أن هذه الأفعال نشأت عن يوسف عليه السلام ، وأن الأمر يرجع إلى سلامة واجتماع ، ثم علل هذا بقوله : ﴿إنه هو العليم﴾ ، أي : البليغ العلم بما خفي عنا من ذلك فيعلم أسبابه الموصلة إلى المقاصد ﴿الحكيم﴾ ، أي : البليغ فيما يدبره ويقضيه.

﴿و﴾ لما ضاق قلب يعقوب عليه السلام بسبب الكلام الذي سمعه من أبنائه في حق بنيامين ﴿تولى عنهم﴾ ، أي : انصرف بوجهه عنهم لما توالى عنده من الحزن ﴿وقال يا أسفا﴾ ، أي : يا أسفي ﴿على يوسف﴾ ، أي : تعال هذا أوانك ، والأسف اشد الحزن والحسرة ، والألف بدل من ياء المتكلم ، وإنما تأسف على يوسف دون أخويه ، والحادث إنما هو مصيبتهما ؛ لأن مصيبته كانت قاعدة المصائب ، والحزن القديم إذا صادفه حزن آخر كان ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الأول ، كما قال متمم بن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على أخيه مالك :

*فقالوا أتبكي كل قبر رأيته ** لقبر ثوى بين اللوى والدكادك ؟

*

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٤٥

فقلت نعم إن الأسى يبعث الأسى ** فدعني فهذا كله قبر مالك." (١)

"ولما كان الصباح محل رجاء للإفراج فكان شر الإتراح ما كان فيه ، قال تعالى ﴿فأصبحتم﴾ أي : بسبب ما أعطيتموه من النعم لتستنقذوا أنفسكم به من الهلاك ، كان سبب هلاككم ﴿من الخاسرين﴾ أي : العريقين في الخسارة المحكوم بخسارتهم في جميع ذلك اليوم.

قال المحققون : الظن قسمان أحدهما : حسن ، والآخر : فاسد ، فالحسن ، أن يظن بالله تعالى الرحمة والفضل والإحسان قال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى : "أنا عند ظن عبدي بي". وقال صلى الله عليه وسلم "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله".

والظن الفاسد أن يظن أن الله تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الأحوال. وقال قتادة : الظن نوعان : منجي ومردي ، فالمنجي : قوله : ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ (الحاقة : ٢٠)

وقوله تعالى : ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون﴾ (البقرة : ٤٦)

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٦١١

والمردي : هو قوله تعالى : ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرادكم﴾.

﴿فإن يصبروا فالنار مثوى﴾ أي : منزل ﴿لهم﴾ أي : إن أمسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار مقاما لهم ﴿وإن يستعتبوا﴾ أي : يسألوا العتبى وهو ، الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعا مما هم فيه ﴿فما هم من المعتبين﴾ أي : المجابين إليها ، ونحوه قوله عز وجل : ﴿أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾ (إبراهيم : ٢١)

ولما ذكر وعيدهم في الدنيا والآخرة أتبعه سبب كفرهم الذي هو سبب الوعيد فقال تعالى :

﴿وقيضنا﴾ قال مقاتل : هيأنا وقال الزجاج : سببنا ﴿لهم﴾ أي : للكفرة وأصل التقييض : التيسير والتهيئة يقال : قيضته للدواء هيأته له ويسرته ، وهذان ثوبان قيضان أي : كل منهما مكافئ للآخر في الثمن وقوله تعالى : ﴿قرناء﴾ أي : نظراء من الشياطين حتى أضلوهم ، جمع قرين قال تعالى : ﴿ومن

٦١٢

يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ ﴿فزينوا لهم﴾ أي : من القبائح ﴿ما بين أيديهم﴾ أي : من أمر الدنيا حتى آثروها على الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ أي : من أمر الآخرة فدعوهم إلى التكذيب وإنكار البعث ، وقال الزجاج : زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ، وما خلفهم من أمر الدنيا بأن الدنيا قديمة ولا صانع إلا الطبائع والأفلاك ، قال القشيري : إذا أراد الله بعبده سوءا قيض له إخوان سوء وقرناء سوء يحملونه على المخالفات ويدعونه إليها ، ومن ذلك الشيطان ، وشر منه النفس وبئس القرين ، تدعو اليوم إلى ما فيه الهلاك وتشهد غدا عليه ، وإذا أراد الله بعبده خيرا قيض الله له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه إليها.

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع، ١٠٤/٢

وروي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إذا أراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته شيطانا فلا يرى حسنا إلا قبحه عنده ولا قبيحا إلا حسنه عنده". وعن عائشة : إذا أراد الله بالوالي خيرا قيض له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه ، وإن أراد غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه ، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من عصمه الله تعالى".

تنبيه : في الآية دلالة على أنه تعالى يريد الكفر من الكافرين لأنه تعالى قيض لهم قرناء سوء فزينوا لهم الباطل ، وهذا يدل على أنه تعالى أراد منهم الكفر ولكن لا يرضاه كما قال تعالى : ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ (الزمر : ٧)

﴿

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٦١١

وحق﴾ أي : وجب وثبت ﴿عليهم القول﴾ أي : كلمة العذاب ، وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم ، وحمزة والكسائي بضم الهاء والميم ، والباقون بكسر الهاء وضم الميم وقوله تعالى : ﴿في أمم﴾ محله نصب على الحال من الضمير في عليهم أي : حق عليهم القول كائنين في جملة أمم كثيرة ، وفي بمعنى مع ﴿قد خلت﴾ أي : لم تتعظ أمة منهم بالأخرى ﴿من قبلهم﴾ أي : في الزمان ﴿من الجن والأنس﴾ قد عملوا مثل أعمالهم ، وقوله تعالى : ﴿إنهم﴾ أي : جميع المذكورين منهم وممن قبلهم ﴿كانوا خاسرين﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب وقوله تعالى :

﴿وقال الذين كفروا﴾ أصله وقالوا أي : المعرضون ، ولكنه قال ذلك تنبيها على الوصف الذي أوجب إعراضهم ﴿لا تسمعوا﴾ أي : شيئا من مطلق السماع ﴿لهذا القرآن﴾ وعينوه بالإشارة احترازا عن غيره من الكتب القديمة كالتوراة ، قال القشيري : لأنه مقلب القلوب وكل من استمع له صبا إليه ﴿والغوا﴾ أي : اهزؤوا ﴿فيه﴾ أي : اجعلوه ظرفا للغو بأن تكثروا من الخرافات والهذيانات واللغط واللغو والتصدية أي : التصفير والتصفيق وغيرها ، وقال ابن عباس : كان بعضهم يعني قريشا يعلم بعضا إذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر ، واللغو : هو من باب لغي بالكسر يلغى بالفتح إذا تكلم بما لا فائدة فيه ﴿لعلكم تغلبون﴾ أي : ليكون حالكم حال من

٦١٣." (١)

"منتهى الكلام في هذا البحث أما على مذهب أصحابنا فهذا الإشكال غير لازم لأن عندنا البنية ليست شرطا للحياة ولا للعلم ولا للقدرة فالله تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل جزء من أجزاء هذه الأعضاء وعلى هذا التقدير فالإشكال زائل وهذه الآية يحسن التمسك بها في بيان أن البنية ليست شرطا للحياة ولا لشيء من الصفات المشروطة بالحياة والله أعلم

المسألة الثالثة ما رأيت للمفسرين في تخصيص هذه الأعضاء الثلاثة بالذكر سببا وفائدة وأقول لا شك أن الحواس خمسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس ولا شك أن آلة اللمس هي الجلد فالله تعالى ذكر ههنا من الحواس وهي السمع

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع، ٣/٤١٠

والبصر واللمس وأهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم لأن الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لأن إدراك الذوق إنما يتأتى بأن تصير جلدة اللسان والحنك مماسة لجرم الطعام فكان هذا داخلا فيه فبقي حس الشم وهو حس ضعيف في الإنسان وليس لله فيه تكليف ولا أمر ولا نهي إذا عرفت هذا فنقول نقل عن ابن عباس أنه قال المراد من شهادة الجلود شهادة االفروج قال وهذا من باب الكنايات كما قال ولاكن لا تواعدوهن سرا (البقرة ٢٣٥) وأراد النكاح وقال أو جاء منكم من الغائط (النساء ٤٣) والمراد قضاء الحاجة وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال (أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه) وعلى هذا التقدير فتكون هذه الآية وعيدا شديدا في الإتيان بالزنا لأن مقدمة الزنا إنما تحصل بالكف ونهاية الأمر فيها إنما تحصل بالفخذ

ثم حكى الله تعالى أنهم يقولون لتلك الأعضاء لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شى ء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ومعناه أن القادر على خلقكم وإنطاقكم في المرة الأولى حالما كنتم في الدنيا ثم على خلقكم وإنطاقكم في المرة الثانية وهي حال القيامة والبعث يستبعد منه إنطاق الجوارح والأعضاء

ثم قال تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم والمعنى إثبات أنهم كانوا يستترون عند الإقدام على الأعمال القبيحة إلا أن استتارهم ما كان لأجل خوفهم من أن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وذلك لأنهم كانوا منكرين للبعث والقيامة ولكن ذلك الاستتار لأجل أنهم كانوا يظنون أن الله لا يعلم الأعمال التي يقدمون عليها على سبيل الخفية والاستتار عن ابن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر عللى ثقفيان وقرشي فقال أحدهم أترون الله يسمع ما تقولون فقال الرجلان إذا سمعنا أصواتنا سمع وإلا لم يسمع فذكرت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنزل وما كنتم تستترون

ثم قال تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وهذا نص صريح في أن من ظن بالله تعالى أنه يخرج شيء من المعلومات عن علمه فإنه يكون من الهالكين الخاسرين قال أهل التحقيق الظن قسمان ظن حسن بالله تعالى وظن فاسد أما الظن الحسن فهو أن يظن به الرحمة والفضل قال (صلى الله عليه وسلم) حكاية عن الله عز وجل (أنا عند ظن عبدي بي) وقال (صلى الله عليه وسلم) (لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**) والظن القبيح فاسد وهو أن يظن بالله أنه يعزب عن علمه بعض هذه الأحوال وقال قتادة الظن نوعان ظن منج وظن مرد فالمنح قوله إنى ظننت أنى ملاق حسابيه (الحاقة ٢٠) وقوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم." (١)

" صفحة رقم ٣٠٧

الحال غير معلومة لنا فإن الغيب لا يعلمه إلا الله فلعل الصواع دس في رحله ونحن لا نعلم بذلك) واسأل القرية التي كنا فيها (يعني واسأل أهل القرية إلا أن حذف المضاف للإيجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد بالقرية مصر ، وقال ابن عباس : هي قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش) والعير التي أقبلنا فيها (يعني واسأل القافلة التي كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب) وإنا لصادقون (يعني فيما قلناه وإنما

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ١٠١/٢٧

أمرهم أخوهم الذي أقام بمصر بهذه المقالة مبالغة في إزالة التهمة عن أنفسهم عند أبيهم لأنهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف) قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا (فيه اختصار تقديره فرجعوا إلى أبيهم فأخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وأمرهم أن يقولوه لأبيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعني بل زينت لكم أنفسكم أمرا وهو حمل أخيكم معكم إلى مصر لطلب نفع عاجل فآل أمركم إلى ما آل ، وقيل : معناه بل خيلت لكم أنفسكم أنه سرق ما سرق) فصبر جميل (تقدم تفسيره في أول السورة.

وقوله) عسى الله أن يأتيني بهم جميعا (يعني بيوسف وبنيامين والأخ الثالث الذي أقام بمصر وإنما قال يعقوب هذه المقالة لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل **حسن الظن بالله** عز وجل لأنه إذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع إلى الفرج ، وقيل : إن يعقوب علم بما يجري عليه وعلى بنيه من أول الأمر وهو رؤيا يوسف وقوله) يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا (" فلما تناهى الأمر قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) إنه هو العليم (يعني بحزني ووجدي عليهم) الحكيم (فيما يدبره ويقضيه.

(

يوسف : (٨٤ - ٨٦) وتولى عنهم وقال...

" وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون " (قوله تعالى : (وتولى عنهم (يعني وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تناهى حزنه واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فعند ذلك أعرض عنهم) وقال يا أسفى على يوسف (الأسف أشد الحزن وإنما جدد حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لأن الحزن القديم إذا صادفه حزن آخر كان ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الأول كما قال متمم بن نويرة لما رأى قبرا جيدا جدد حزنه على أخيه مالك :

يقول أتبكي كل قبر رأيته

لقد ثوى بين اللوى والدكادك

فقلت له إن الأسى يبعث الأسى

فدعني فهذا كله قبر مالك

فأجاب بأن الحزن يجدد الحزن ، وقيل : إن يوسف وبنيامين لما كانا من أم واحدة كان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه ووجده وجدد حزنه على يوسف لأن يوسف كان أصل المصيبة ، وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله يا أسفا على يوسف فقال هذه شكاية وإظهار جزع فلا يليق بعلو منصبه ذلك." (١)

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع، ٣٠٧/٣

"٣- قال رسول الله ((الندم توبة) صحيح أحمد وابن ماجه.

٤- قال رسول الله ((من لا يتب لا يتب عليهِ) صحيح طبراني.

٥- قال رسول الله ((يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة) مسلم.

٦- قال رسول الله ((إن الله احتجز التوبة عن صاحب كل بدعة) صحيح البيهقي والطبراني.

٧- قال رسول الله ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له) حسن ابن ماجه والحاكم.

٨- قال ((من كف غضبه كف الله عنه عذابه، ومن خزن لسانه ستر الله عورته، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره) حسن رواه أبو يعلي.

٩- قال رسول الله ((ما من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ، فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله بذلك الذنب إلا غفر الله له) صحيح رواه أحمد والنسائي وأبي داود والترمذي.

١٠- قال رسول الله ((ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة، أو ذنب هو مقيم عليه لا يفارقه حتى يفارق الدنيا، إن المؤمن خلق مفتناً تواباً نساء، إذا ذكر ذكر) صحيح رواه طبراني في الكبير.

١١- قال رسول الله ((قال الله تعالى يا ابن آدم قم إلي أمش إليك وأمشِ إليّ أهرول إليك) صحيح رواه بخاري ومسلم بألفاظ مختلفة والإمام أحمد.

باب المساجد والقبلة

١- قال رسول الله ((إذا دخل المسجد قال (أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) قال إذا قال ذلك حفظ منه سائر اليوم) صحيح أبو داود.

٢- قال رسول الله ((من بنى لله مسجداً صغيراً كان أو كبيراً بنى الله له بيتاً في الجنة) حسن الترمذي.

٣- قال رسول الله ((من تفل تجاه القبلة، جاء يوم القيامة وتفله بين عينيه) صحيح أبو داود وابن حبان.

باب **حسن الظن بالله**

١- قال رسول الله ((لا يموتن أحدٌ منكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** تعالى) صحيح مسلم وأحمد وأبو داود.

٢- قال رسول الله ((عجبت للمؤمن إن الله تعالى لم يقضِ له قضاء إلا كان خيراً له) صحيح أحمد وأبو نعيم.." [١]

---

(١) كنوز السنة النبوية، ص/٩٦

ما يكفر الخطايا والذنوب....١٦٠

باب متى يكون المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء...١٦٢." (١)

"فالموت خير لهم لا محالة لأنه يوصل إلى الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن النغص ، ولا يفوت إلا القليل النكد . والوسيلة وإن كانت مكروهة نظرا إلى ذاتها لكنه لا يتركها العاقل نظرا إلى غايتها كالفصد ونحوه . والنهي عن تمني الموت في قوله A « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به وإن كان ولا بد فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا إلي وأمتني ما كانت الوفاة خيرا لي » محمول على تمن سببه عدم الصبر على الضر ونكد العيش كما قال قائل :

ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه

ألا رحم المهيمن روح عبد ... تصدق بالوفاة على أخيه

فإن ذلك نوع من عدم الرضا بالقضاء ويدل على الجزع وضيق العطن وينافي قضية التوكل والتسليم ، أو على تمن سببه الجزم بالوصول إلى نعيم الآخرة فإن ذلك خارج عن قانون الأدب ، ونوع من الأخبار بالغيب لا يليق إلا ببعض أولياء الله . روي أن عليا عليه السلام كان يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا . فقال له ابنه الحسن : ما هذا بزي المحاربين . فقال : يا بني ، لا يبالي أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت . وعن حذيفة أنه Bه كان يتمنى الموت ، فلما احتضر قال Bه : حبيب جاء على فاقة لا يفلح من ندم . يعني على التمني . وقال عمار بصفين : الآن ألاقي الأحبة ، محمدا وحزبه . وكان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت ويحن إليه لجزمهم بلقاء الله و نيل ثوابه وذلك لمكان البشارة ، فأما أحدنا فلا يليق به تمني الموت إلا على سبيل الرجاء **وحسن الظن بالله** « أنا عند ظن عبدي بي » وعن النبي A « لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي على الأرض يهودي » وليس لهم أن يقلبوا هذا السؤال على محمد A فيقولوا : إنك تدعي أن الدار الآخرة خالصة لك ولأمتك دون من ينازعك في الأمر ، فارض بأن نقتلك ونقتل أمتك فإنا نراك وأمتك في الضر الشديد والبلاء العظيم ، وبعد الموت تتخلصون إلى دار الكرامة والنعيم ، لأنه A بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الأحكام ولا يتم المقصود إلا بحياته وحياة أمته ، فله A أن يقول لأجل هذا لا أرضى بالقتل مع أن المؤمن من هذه الأمة قلما يخلو من النزاع والشوق إلى لقاء ربه ، فالعبد المطيع يحب الرجوع إلى سيده ، والعبد الآبق يكره العود إلى مولاه ، ولهذا جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وبذلوا أرواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية." (٢)

"والقيل : مصدر قال قولا . وعن ابن السكيت أن القيل والقال اسمان لا مصدران . عن أبي صالح قال : جلس أهل الكتب أهل التوراة والإنجيل وأهل القرآن كل صنف يقول لصاحبه نحن خير منكم فنزلت : ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ﴾ وقال مسروق وقتادة : احتج المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب : نحن أهدى منكم؛ نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم . وقال المسلمون : نحن أهدى منكم وأولى بالله؛ نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا

---

(١) كنوز السنة النبوية، ص/١٩٢

(٢) تفسير النيسابوري، ٢٧٢/١

يقضي على الكتب التي قبله فنزلت . ثم أفلج الله حجة المسلمين على من ناواهم من أهل الأديان بقوله : ﴿ ومن يعمل من الصالحات ﴾ وبقوله : ﴿ ومن أحسن دينا ﴾ الآيتان . وقيل : الخطاب في : ﴿ أمانيكم ﴾ لعبدة الأوثان وأمانيهم أن لا يكون حشر ولا نشر ولا معاد ولا عقاب وإن اعترفوا به لكنهم يصفون أصنامهم بأنها شفعاؤهم عند الله . وقيل : الخطاب للمسلمين وأمانيهم أن يغفر لهم وإن ارتكبوا الكبائر ، وأما أماني أهل الكتاب فقولهم : ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ﴾ [البقرة : ١١١] ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] ﴿ ولن تمسنا النار إلا أياما معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] واسم « ليس » مضمر فقيل : أي ليس وضع الدين على أمانيكم . وقيل : ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله : ﴿ سندخلهم ﴾ وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب أي أثر فيه وصدقه العمل ، إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : نحن **نحسن الظن بالله** وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل . ويؤيد هذا المعنى قوله بيانا للمذكور : ﴿ من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ﴾ فمن هنا استدلت المعتزلة بالآية على القطع بوعيد الفساق ونفي الشفاعة ، وأجيب بأنه مخصوص بالكفار لأنهم مخاطبون بالفروع عندنا . سلمنا أنه يعم المؤمن والكافر إلا أنه مخصوص في حق المؤمن بقوله : ﴿ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ سلمنا لكن لم لا يجوز أن يكون جزاؤهم الآلام والأسقام والهموم والغموم الدنيوية؟ روي أنه لما نزلت الآية قال أبو بكر : كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ فقال A : « غفر الله لك يا أبا بكر؛ ألست تمرض أليس يصيبك اللأواء؟ فهو ما تجزون » عن عائشة أن رجلا قرأ هذه الآية فقال : أنجزى بكل ما نعمل لقد هلكنا . فبلغ النبي A كلامه فقال : « يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبة في جسده وبما يؤذيه » وعن أبي هريرة لما نزلت الآية بكينا وحزنا وقلنا : « يا رسول الله ما أبقت هذه الآية لنا شيئا ، فقال A : أبشروا فإنه لا يصيب أحدا منكم مصيبة في الدنيا إلا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التي تقع في قدمه »." (١)

"﴿ يريد أن ينقض ﴾ [الكهف : ٧٧] وهذا أقرب كقوله ﴿ لا يخفف عنهم العذاب ﴾ [البقرة : ١٦٢] ويؤيده ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهو وافيها سبعين خريفا . وإنما اختصت هذه السورة بقوله ﴿ من غم ﴾ وهو الأخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه مخلصا لأنه بولغ ههنا في أهوال النار بخلاف ما في السجدة وإنما أضمر ههنا قبل قوله ﴿ وذوقوا ﴾ بخلاف « السجدة » . وقيل لهم ذوقوا لأنه وقع الاختصار ههنا على ﴿ عذاب الحريق ﴾ وهناك أطنب فقيل ﴿ ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾ [السجدة : ٢٠] وايضا قد تقدم ذكر القول في تلك السورة كثيرا بخلافه هنا والله تعالى أعلم .

التأويل : ﴿ إن زلزلة الساعة ﴾ هلاك الاستعداد الفطري ﴿ شيء عظيم ﴾ ﴿ وتذهب كل مرضعة ﴾ هي مواد الشياء فإن لكل شيء مادة ملكوتية ترضع رضيعها من الملك وتربيه ﴿ وتضع كل ذات حمل ﴾ وهي الهيوليات ﴿ حملها ﴾ وهو الصور الكمالية التي خلقت الهوليات لأجلها ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ الغفلة والعصيان وحب الدنيا والجاه والرياسة وغيرها ﴿ وما هم بسكارى ﴾ العشق والمحبة والمعرفة ﴿ فإنا خلقناكم من تراب ﴾ أي كنتم ترابا ميتا فبعثنا التراب بأن

---

(١) تفسير النيسابوري، ٣/٨١

خلقنا منه آدم ، ثم أمتنا منه النطفة ، ثم بعثناها بأن جعلناها علقة ثم مضغة ثم خلقا آخر لنبين لكم أمر البعث والنشور ﴿ ونقر في الأرحام ﴾ أمهات العدم ﴿ ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾ وهو وقت إيجاده بحسب تعلق الإرادة به ، وفيه دليل على أنه لا يبعد أن يكون الفاعل كاملا في فاعليته ولكن لا تتعلق إرادته بالمقدور فيبقى في حيز العدم إلى حين تعلق الإرادة به ، ومنه يظهر حدوث العالم ﴿ ثم نخرجكم طفلا ﴾ من أطفال المكونات خارجا من رحم العدم مستعدا للتربية والكمال . ﴿ ومنكم من يتوفى ﴾ عن الشهوات فيحيا بحصول الكمالات ﴿ ومنكم من يرد ﴾ إلى أسفل سافلين الطبيعة ﴿ وترى ﴾ أرض القالب ﴿ هامدة فإذا أنزلنا عليها ﴾ ماء حياة المعرفة والعلم ﴿ اهتزت ﴾ ﴿ ذلك بأن الله هو الحق ﴾ في الإلهية ﴿ وإنه يحيي ﴾ القلوب الميتة ﴿ وأن الساعة ﴾ قيامة العشق والخدمة للطالبين الصادقين ﴿ آتية وأن الله يبعث ﴾ القلوب المحبوسة في قبور الصدور ﴿ عذاب الحريق ﴾ بنار الشهوات لكنه لا يحس بها في الدنيا لأنه نائم بنوم الغفلة فإذا مات انتبه ﴿ من كان يظن ﴾ فيه أن العبد يجب أن يكون حسن الظن بالله ﴿ ثم ليقطع ﴾ مادة تقديريي في الأزل ونزول أحكامي في القدور ﴿ فلينظر هل ﴾ ينقطع أم لا ﴿ هذان خصمان ﴾ يعني النفس الكافرة والروح المؤمنة ﴿ قطعت لهم ثياب ﴾ بتقطيع خياط القضاء على قدرهم وهي ثياب نسجت من سدى مخالفات الشرع ولحمة موافقات الطبع . ﴿ يصب من فوق رؤسهم ﴾ حميم الشهوات النفسانية . وفي لفظ الفوق دلالة على أنهم مغلوبون تحتها ، وفيه أن الخيالات الفاسدة تنصب من الدماغ إلى القلب . ﴿ يصهر به ما في بطونهم ﴾ من الأخلاق الحميدة الروحانية ﴿ والجلود ﴾ أي يفسد أحوالهم الباطنة والظاهرة بفساد تخيلاتهم ، ولا مخلص لهم عن دركات تلك الملكات لغاية رسوخها والله أعلم بالصواب .." (١)

"وإنما قال ﴿ ولا تنابزوا ﴾ ولم يقل ولا تنبزوا على منوال ﴿ ولا تلمزوا ﴾ لأن النبز لا يعجز الإنسان عن جوابه غالبا فمن ينبز غيره بالحمار كان لذلك الغير أن ينبزه بالثور مثلا ولا كذلك اللمز فإن الملموز كثيرا ما يغفل عن عيب اللامز فلا يحضره في الجواب شيء فيقع اللمز من جانب واحد فقط . ثم أكد النهي عن التنابز بقوله ﴿ بئس الاسم ﴾ أي الذكر ﴿ الفسوق ﴾ وفي قوله ﴿ بعد الإيمان ﴾ وجوه أحدها : استقباح الجمع بين الأمرين كما تقول « بئس الشأن الصبوة بعد الشيخوخة » أي معها . وثانيها بئس الذكر أن يذكروا الرجل بالفسق أو باليهودية بعد إيمانه ، وكانوا يقولون لمن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه . وثالثها أن يجعل الفاسق غير مؤمن كما يقال للمتحول عن التجارة إلى الفلاحة « بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة » فمعنى بعد الإيمان بدلا عن الإيمان ﴿ ومن لم يتب ﴾ عما نهي عنه ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ لأن الإصرار على المنهي كفر إذ جعل المنهي . كالمأمور فوضع الشيء في غير موضعه قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ﴾ فيه تأديب آخر . ومعنى اجتنبوا كونوا منه في جانب . وإنما قال ﴿ كثيرا ﴾ ولم يقل الظن مطلقا لأن منه ما هو واجب كحسن الظن بالله وبالمؤمنين كما جاء في الحديث القدسي « أنا عند ظن عبدي بي » قال النبي A « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » وقال « إن حسن الظن من الإيمان » ومنه ما هو محظور وهو سوء الظن بالله وبأهل الصلاح . عن النبي A « إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء » وهو الذي أمر في

---

(١) تفسير النيسابوري، ٥/٣٩٥

الآية باجتنابه . ومنه ما هو مندوب إليه وهو إذا كان المظنون به ظاهر الفسق وإليه الإشارة بقوله A « من الحزم سوء الظن » وعن النبي A « احترسوا من الناس بسوء الظن » ومنه المباح كالظن في المسائل الاجتهادية . قال أهل المعاني : إنما نكر ﴿ كثيرا ﴾ ليفيد معنى البعضية المصرح بها في قوله ﴿ إن بعض الظن إثم ﴾ ولو عرف لأوهم أن المنهي عنه هو الظن الموصوف بالكثرة والذي يتصف بالقلة مرخص فيه . والهمزة في الإثم عوض عن الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها بإحباطه . تأديب آخر ﴿ ولا تجسسوا ﴾ وقد يخص الذي بالحاء المهملة بتطلب الخبر والبحث عنه كقوله ﴿ فتحسسوا من يوسف وأخيه ﴾ [يوسف : ٨٧] فبالجيم تفعل من الجس ، وبالحاء من الحس . قال مجاهد : معناه خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله .." (١)

"يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ الآية قال السيوطي رواه الثعلبي بغير اسناد وروى معناه الاصبهانى فى الترغيب عن عبد الرحمن بن أبى ليلى واخرج ابن المنذر عن ابن جريج قالوا زعموا ان قوله تعالى لا يغتب بعضكم بعضا نزلت فى سلمان الفارسي أكل ثم رقد فنفخ فذكر رجلان أكله رقادة والله تعالى أعلم إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ تعليل مستانف للامر والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة بدل من الواو كأنَّه يثم الأعمال ويكسرها والمراد بالظن هاهنا ما يقابل اليقين سواء كان جانب الوجود فيه راجحا أو لا وتحقيق المقام ان الظن على اقسام منها ما يجب اتباعه وهو **حسن الظن بالله** تعالى والمؤمنين والمؤمنات وما يحصل بدليل شرعى فيه شبهة حيث لا قاطع فيه من العمليات وكذا فى العلميات ان لم يعارضه قاطع من احوال المبدأ والمعاد ومنها ما يحرم اتباعه كسوء الظن بالمؤمنين والمؤمنات لا سيما بالصالحين منهم والظن فى الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع ومنها ما ليس من القسمين المذكورين كالظن فى الأمور المعاشية ونحوها - والإثم انما هو بعض الظن يعنى قسم الثاني منها والله سبحانه امر بالاجتناب عن كثير من الظن احتياطا ومبالغة فى اجتناب الإثم وفيجتنب عما هو اثم وعما هو يشبه به قال رسول الله صلعم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهة الحديث وَلا تَجَسَّسُوا الجس فى اللغة المس باليد والتجسس تفحص الاخبار باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس والمراد هاهنا لا تبحثوا عن عيوب الناس ولا تتبعوا عوراتهم حتى لا يظهر عليكم ما ستره الله منها عن أبى هريرة ان رسول الله صلعم قال إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافروا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو ينزل رواه ملك واحمد وابن." (٢)

"وعلى كل تقدير فالجملة من قوله : " يابني " وما بعدها منصوبة بقول محذوف على رأي البصريين ، أي : فقال يابني ، وبفعل الوصية ؛ لأنها في معنى القول على رأي الكوفيين ، [قال النحاس : يا بني نداء مضاف ، وهذه ياء النفس لا يجوز هنا إلا فتحها ؛ لأنها لو سكنت لا لتقى سكنان ، وبمعناه ﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم : ٢٢] ونحوه].

وقال الراجز : [الرجز] ٧٩٧. رَجْلاَنِ مِنْ ضَبَّةَ أَخْبَرَانَا

إِنَّا رَأَيْنَا رَجُلاً عُرْيَانَا

---

(١) تفسير النيسابوري، ٤٦/٧

(٢) تفسير المظهرى، ص/٦١٢٤

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٥٠١
بكسر الهمزة على إضمار القول ، أو لإجراء الخبر مجرى القول ، ويؤيد تعلّقها بالوصية قراءة ابن مسعود : " أن يا بني " بـ " أن " المفسرة ولا يجوز أن تكون هنا مصدرية لعدم ما يَنْسبك منه مصدر.
قال الفراء : ألغيت " أن " لأن التوصية كالقول ، وكل كلام رجع إلى القول جاز فيه دخول " أن " وجاز إلغائها ، وقال النحويون : إنما أراد " أن " وألغيت ليس بشيء.
ومَنْ أَبَى جعلها مفسرة ـ وهم الكوفيون ـ يجعلونها زائدة.
و " يعقوب " علم أعجمي ولذلك لا ينصرف ، ومن زعم أنه سُمِّي يعقوب ؛ لأنه وُلِد عقب العيص أخيه ، وكانا توأمين ، أو لأنه كثر عَقَبهُ ونَسْله فقد وهم ؛ لأنه كان ينبغي أن ينصرف ، لأنه عربي مشتق.
ويعقوب أيضاً ذَكَرُ الْحَجَل ، إذ سمي به المذكر انصرف ؛ والجمع يَعَاقِبَة وَيَعَاقِيب ، و " اصْطَفَى " ألفه عن ياء تلك الياء منقلبة عن " واو " ؛ لأنها من الصَّفْوة ، ولما صارت الكلمة أربعة فصاعداً ، قلبت ياء ، ثم انقلبت ألفاً.
اصْطَفَى : اختار.
قال الراجز : [الرجز] ٧٩٨. يا ابْنَ مُلُوكٍ وَرِّثُوا الأَمْلاَكَا
خِلاَفَةَ اللهِ الَّتِي أَعْطَاكَا
لَكَ اصْطَفَاهَا وَلَهَا اصْطَفَاكَا
والدين : الإسلام.
و " لكم " أي لأجلكم ، والألف واللام في " الدين " للعهد ؛ لأنهم كانوا عرفوه.
٥٠٣
قوله : ﴿فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ﴾ هذا في الصورة عن الموت ، وهو في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا كقولك : " لا تصلِّ إلا وأنت خاشع " ، فنهيك له ليس عن الصلاة ، وإنما هو عن ترك الخشوع في حال صلاته ، والنُّكْتة في إدخال حرف النهي على الصلاة ، وهي غير مَنْهِي عنها هي إظهارُ أَنَّ الصلاة التي لا خشوع فيها كَلاَ صلاة ، كأنه قال : أنهاك عنها إذا لم تُصَلِّها على هذه الحالة ، وكذلك المعنى في الآية الكريمة إظهار أن موتهم لا على حال الثابت على الإسلام موت لا خير فيه ، وأن حقّ هذا الموت ألا يجعل فيهم.
[وعن الفضيل بن عياض أنه قال : " إلا وأنتم مسلمون " ، أي : مسلمون الظن ، أي محسنون الظن بربكم ، وروي عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه سولم قبل موته بثلاثة أيام يقول : " لا يموتن أحد إلا وهو **يحسن الظن بالله** تعالى "].
وأصل تموتُن : تَمُوتُونَنَّ : النون الأولى علامة الرفع ، والثانية المشددة للتوكيد ، فاجتمع ثلاثة أمثال فحذفت نون الرفع ؛ لأن نون التوكيد أولى بالبقاء لدلالتها على معنى مستقلّ ، فالتقى سكنان : الواو والنون الأولى المدغمة ، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين ، وبقيت الضمة تدلّ عليها ، وهكذا كل ما جاء في نظائره.

قوله : ﴿إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ هذا استثناء مفرغ من الأحوال العامة ، و " أنتم مسلمون " مبتدأ وخبر في محلّ نصب على الحال ، كأنه قال تعالى : " لا تموتنّ على كل حالا إلا على هذه الحال " ، والعامل فيها ما قبل إلا.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٥٠١

" أم " في أم هذه ثلاثة أقوال : أحدها ـ وهو المشهور ـ : أنها منقطعة والمنقطعة تقدر بـ " بل " ، وهمزة الاستفهام.

وبعضهم يقدرها بـ " بل " وحدها ، ومعنى الإضراب انتقال من شيء إلى شيء لا إبطال.

ومعنى الاستفهام الإنكار والتوبيخ فيؤول معناه إلى النفي ، أي : بل أكنتم شهداء يعني لم تكونوا.

الثاني : أنها بمعنى همزة الإستفهامن وهو قول ابن عطية والطبري ، إلا أنهما اختلفا في محلها.

فإن ابن عطية قال : و " إم " تكون بمعنى ألف الاستفهام ف يصدر الكلام ، لغة يمانية.

٥٠٤

(١) ".

"والثاني : أن يكون " ظَنُّكُمْ " بدلاً ، والموصول خبره ، و " أَرْدَاكُمْ " حال أيضاً.

الثالث : أن يكون الموصول خبراً ثانياً.

الرابع : أن يكون " ظنكم " بدلاً أو بياناً ، والموصول هو الخبر ، و " أَرْدَاكُمْ " خبر ثاني.

الخامس : أن يكون ظنكم والموصول والجملة من " أرْداكم " أخباراً إلا أن أبا حيان ردَّ على الزمخشري قوله : " وَظَنُّكُمْ وَأَرْدَاكُمْ " خبران قال : لأن قوله " وَذلِكُمْ " إشارة إلى ظنهم السابق فيصير التقدير : وظنكم بربكم أنه لا يعلم ظنكم بربكم فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدأ وهو لا يجوز وهذا نظير ما منعه النحاة من قولك : سَيِّد الجارية مالكها.

وقد منع ابن عطية كون " أَرْدَاكُمْ " حالاً ، لعدم وجود " قد ".

وتقدَّم الخلاف في ذللك.

فصل قال المفسرون : وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أي ظنكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون أرادكم أهلككم.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : طرحكم ف يالنار ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ وهنذا نص صريح في أن من ظن أنه يخرج شيء من المعلومات عن علم الله فإنه يكون من الهالكين الخاسرين.

قال المحققون : الظن قسمان : أحدهما : حسن ، والآخر : فاسد.

فالحسن أن يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والإحسان ، قال عليه الصلاة والسلام حكايةً عن الله عز وجل : " أنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي " وقال عليه الصلاة والسلام : " لاَ يمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلاَّ وهُوَ **حَسَنُ الظَّنِّ بالله** ".

والظن القبيح أن يظن أنه تعالى أنه يعرب عن علمه بعض الأحوال.

وقال قتادة :

١٢٩

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٤٠٠

والظن نوعان : مُنْجِي ومُرْدِي فالمنجي قوله : ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة : ٢] وقوله : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ﴾ [البقرة : ٤٦] والمردي هو قوله ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾.

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ١٢٦

قوله تعالى : ﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي سكن لهم ، يعني إن أمسكوا عن الاستغاثة لفرجٍ يتنظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار مثوى لهم أيم مقاماً لهم.

قوله : ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ العامة على فتح الياء من " يَسْتَعْتِبُوا " وكسر التاء الثانية مبنياً للفاعل ﴿فما هم من المعتبين﴾ بكسر التاء اسم الفاعل ومعناه وإن طلبوا العُتْبَى وهي الرضا فما هم ممن يعطاها.

والمعتب الذي قبل عتابه وأجيب إلى ما سأل ، يقال : أعتبني فلانٌ ، أي أرضاني بعد إسخاطه إيَّاي ، وا ستعتبته طلبتمنه أن يعتب أي يرضى.

وقيل : المعنى وإن طلبوا زوال ما يعتبون فيه فماهم من المجابين إلى إزالة العتب.

وأصل العتب المكان النَّائي بنازله ، ومنه قيل لأسكفَّة الباب والمرقاة : عتبة ، ويعبر بالعتب عن الغلظة التي يجدها الإنسان في صدره على صاحبه ، وعتبت فلاناً أبرزت له الغلظة ، وأعتبته أزلت عبتاه كأشكيته وقيل : حملته على العتب.

وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد : وإن يُستعتبوا مبنياً للمفعول فما هم من المُعْتِبِينَ اسم فاعل بمعنى إن يطلب منهم أن يرضوا فما هم فاعلون ذلك ، لأنهم فارقوا دار التكليف ، وقيل : معناه أن يطلب ما لا يعتبون عليه فما هم ممَّن يريد العُتْبَى وقال أبو ذؤيب : ٤٣٦٣. أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِهِ تَتَوَجَّعُ

والدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

١٣٠

قوله : " وَقَيَّضْنَا لَهُمْ " بعثنا لهم وولكنا ، وقال مقاتل : هَيَّأْنَاهُ.

وقال الزجاج : سينالهم وأصل التقييض التيسير والتهيئة ، قضيته للداء هيأته له ويسّرته ، وهذان ثوبان قيِّضان أي كل منهما مكافىء للآخرة في الثمن.

والمقايضة المعارضة ، وقوله ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً﴾ [الزخرف : ٣٦] أي نسهل ونيسر ليستولي عليه استيلاء القَيْض على البَيْض.

والقيض في الأصل قشر البيض الأعلى.

قال الجوهري : ويقال : قايضت الرجل مقايضة أي عاوضته بمتاع ، وهما قيضان كما يقال : بيعان.

وقيَّض الله فلاناً لفلان أي جاء به ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ و المراد بالقرناء النظراء من الشياطين حتى أضلوهم ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا حتى أثروه على الآخر " وَمَا خَلْفَهُمْ " من أمر الآخرة فدعوهم إلى التكذيب وإنكار البعث.

وقال الزجاج : زينوا (لهم ماب ين أيديهم من أمر الآخرة أنَّه لا بعث ولا جنة ولا نار ، وما خلفهم من أمر الدنيا وأن الدنيا قديمة ، ولا صانع إلا الطبائع والأفلاك.

وقيل : مابين أيديهم أعمالهم التي يعملونها وما خلفهم ما يعزمون أن يعملوه.

وقال ابن زيد : مابين أيديهم ما مضى من أعمالهم الخبيثة (وما بقي من أعمالهم الخسيسة)).

فصل دلت هذه الآية على أنه تعالى يريد الكفر من الكافر ؛ لأنه تعالى قيَّض لهم قرناء

١٣١

". (١)

"" صفحة رقم ٦٠١ "

ب

) أماني أهل الكتاب (

والخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله

وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إن قوما ألهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا في الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا **نحسن الظن بالله** وكذبوا لو احسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل له وقيل إن المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت

ويحتمل ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا

) لأوتين مالا وولدا (مريم ٧٧

) إن لي عنده للحسنى (فصلت ٥٠ وكان اهل الكتاب يقولون نحن أبناء الله واحباؤه

لن تمسنا النار الا أياما معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله

وعن مجاهد إن الخطاب للمشركين

قوله

) من يعمل سوءا يجز به (وقوله

) ومن يعمل من الصالحات (

بعد ذكر تمني اهل الكتاب نحو من قوله

) بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته (البقرة ٨١ وقوله

) والذين آمنوا وعملوا الصالحات (

عقيب قوله

) وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة (البقرة ٨٠ واذا أبطل الله الأماني وأثبت ان الأمر كله معقود بالعمل وان من اصلح

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٤٣٧

عمله فهو الفائز

ومن اساء عمله فهو الهالك تبين الأمر ووضح ووجب قطع الأماني وحسم المطامع والإقبال على العمل الصالح ولكنه فصيح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الأذهان

فإن قلت ما الفرق بين (من) الأولى والثانية قلت الأولى للتبعض أراد ومن يعمل بعض الصالحات لأن كلا لا يتمكن من عمل كل الصالحات لاختلاف الأحوال وإنما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة في بعض الأحوال

والثانية لتبيين الإبهام في

) من يعمل (

فإن قلت كيف خص." (١)

"أجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع.

وروى علقمة عن

عبد الله بن مسعود قال: كيف أنتم ! لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم الكبير، وتتخذ سنة مبتدعة يجري عليها الناس فإذا غير منها شئ قيل: غيرت السنة.

قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال: إذا كثر قراؤكم.

قل فقهائكم، وكثر أمراؤكم، وقل أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين.

وقال سفيان بن عيينة: بلغنا عن ابن عباس أنه قال: لو إن حملة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبهم الله، ولكن ي لبوا به الدنيا فأبغضهم الله، وهانوا على الناس.

وروى عن أبي جعفر محمد بن علي في قول الله تعالى: " فكبكبوا (١) فيها هم والغاوون " قال: قوم وصفوا الحق والعدل بألسنتهم، وخالفوه إلى غيره..سيأتي لهذا الباب مزيد بيان في أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى.

باب ما ينبغي لصاحب القرآن إن يأخذ نفسه به ولا يغفل عنه فأول ذلك أن يخلص في طلبه لله عزوجل كما ذكرنا، وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن في ليله ونهاره، في الصلاة أو في غير الصلاة لئلا ينساه.

وروى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه وينبغي له أن يكون لله حامدا، ولنعمه شاكرا، وله ذاكرا، وعليه متوكلا، وبه مستعينا وإليه راغبا، وبه معتصما، وللموت مستعدا. وينبغي له أن يكون خائفا من ذنبه، راجيا عفو ربه، ويكون الخوف في صحته أغلب عليه، إذا لا يعلم بما يختم له، ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه، **لحسن الظن بالله**، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن ".

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ١/٦٠١

أي أنه يرحمه ويغفر له.
وينبغي له أن يكون عالما بأهل زمانه، متحفظا من سلطانه، ساعيا في خلاص نفسه، ونجاة مهجته، مقدما بين يديه ما يقدر عليه من عرض دنياه، مجاهدا لنفسه في ذلك ما استطاع.
وينبغي له أن يكون أهم أموره عنده الورع في دينه، واستعمال تقوق الله ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه.

---

(١) آية ٩٤ سورة الشعراء.

(*)."(١)

"عندك فما كلفك الله ما لا تقدر.
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قول عمر، فقال رجل من الانصار: يا رسول الله، * أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا * فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرف السرور في وجهه لقول الانصاري.
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بذلك أمرت).
قال علماؤنا رحمة الله عليهم: فخوف الاقلال من سوء الظن بالله، لان الله تعالى خلق الارض بما فيها لولد آدم، وقال في تنزيله: " خلق لكم ما في الارض جميعا " " وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه " [الجاثية: ١٣].
فهذه الاشياء كلها مسخرة للآدمي قطعا لعذره وحجة عليه، ليكون له عبدا كما خلقه عبدا، فإذا كان العبد **حسن الظن بالله** لم يخف الاقلال لانه يخلف عليه، كما قال تعالى: " وما أنفقتم من شئ فهو يخلقه وهو خير الرازقين (١) " [سبأ: ٣٩] وقال: " فإن ربي (٢) غني كريم " [النمل: ٤٠]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: " سبقت رحمتي غضبي يا بن آدم أنفق أنفق عليك يمين الله ملاى (٣) سحا لا يغيضها شئ الليل والنهار).
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا).
وكذا في المساء عند الغروب يناديان أيضا، وهذا كله صحيح رواه الائمة والحمد لله.
فمن استنار صدره، وعلم غنى ربه وكرمه أنفق ولم يخف الاقلال، وكذلك من ماتت شهواته عن الدنيا واجتزأ باليسير من القوت المقيم لمهجته، وانقطعت مشيئته لنفسه، فهذا يعطي من يسره وعسره ولا يخاف إقلالا.
وإنما يخاف الاقلال من له مشيئة في الاشياء، فإذا أعطي اليوم وله غدا مشيئة في شئ خاف ألا يصيب غدا، فيضيق عليه الامر في نفقة اليوم لمخافة إقلاله.
روى مسلم عن أسماء بنت أبي بكر قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (انفحي أو انضحي (٤) أو أنفقي ولا تحصى
فيحصى الله عليك ولا توعى (٥) فيوعى عليك).

---

(١) تفسير القرطبي، ٢٠/١

وروى النسائي عن عائشة قالت: دخل علي

---

(١) راجع ج ١٤ ص ٣٠٧ (٢) راجع ج ١٣ ص ٢٠٦ (٣) أي دائمة الصب والهطل بالعطاء.

(٤) قال النووي: (والنفح والنضح العطاء، ويطلق النضح أيضا على الصب فلعله المراد هنا ويكون أبلغ من النفح).

(٥) الايعاء: جعل الشئ في الوعاء، أي لا ؟ تجمعي وتشحى بالنفقة فيشح عليك.

(*)."[(١)]

"تنشرح له النفس وتستبشر بقضاء الحاجة وبلوغ الامل، **فيحسن الظن بالله** عزوجل، وقد قال: (أنا عند ظن عبدي بي).

وكان عليه السلام يكره الطيرة، لانها من أعمال أهل الشرك، ولانها تجلب ظن السوء بالله عزوجل.

قال الخطابي: الفرق بين الفأل والطيرة أن الفأل إنما هو من طريق **حسن الظن بالله**، والطيرة إنما هي من طريق الاتكال على شئ سواه.

وقال الاصمعي: سألت ابن عون عن الفأل فقال: هو أن يكون مريضا فيسمع يا سالم، أو يكون باغيا (١) فيسمع يا واجد، وهذا معنى حديث الترمذي، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا طيرة وخيرها الفأل)، قيل: يا رسول الله وما الفأل ؟ قال: (الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم).

وسيأتي لمعنى الطيرة مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

روى عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه، وثلاثة لا ينالون الدرجات العلا، من تكهن أو استقسم أو رجع من سفر من طيرة.

الموفية عشرين - قوله تعالى: (ذلك فسق) إشارة إلى الاستقسام بالازلام.

والفسق الخروج، وقد تقدم (٢).

وقيل يرجع إلى جميع ما ذكر من الاستحلال لجميع هذه المحرمات، وكل شئ منها فسق وخروج من الحلال إلى الحرام، والانكفاف عن هذه المحرمات من الوفاء بالعقود، إذ قال: " أوفوا بالعقود " [المائدة: ١].

الحادية والعشرون - قوله تعالى: (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) يعني أن ترجعوا إلى دينهم كفارا.

قال الضحاك: نزلت هذه الآية حين فتح مكة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة لثمان بقين من رمضان سنة تسع، ويقال: سنة ثمان، ودخلها ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم " ألا من قال لا إله إلا الله فهو آمن، ومن وضع السلاح

فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن ".

وفي " يئس " لغتان، يئس ييئس يأسا، وأيس يأيس

---

(١) تفسير القرطبي، ٢٥٣/١

(١) الباغى: الذى يطلب الشئ الضال.

(٢) راجع ج ١ ص ٢٤٤ وما بعدها.

(*)."(١)

"الشرائع ووضوح ملة محمد صلى الله عليه وسلم.

قال ابن عطية: وقائل هذه المقالة قصد إلى أكبر فساد بعد أعظم صلاح فخصه بالذكر.

قلت: وأما ما ذكره الضحاك فليس على عمومه، وإنما ذلك إذا كان فيه ضرر على المؤمن، وأما ما يعود ضرره على المشركين فذلك جائز، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد عور ماء قليب (١) بدر وقطع شجر الكافرين.

وسيأتي الكلام في قطع الدنانير في " هود (٢) " إن شاء الله تعالى.

(وادعوه خوفا وطمعا) أمر بأن يكون الإنسان في حالة ترقب وتخوف وتأميل لله عز وجل، حتى يكون الرجاء والخوف للإنسان كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامته، وإن انفرد أحدهما هلك الإنسان، قال الله تعالى: " نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم.

وأن عذابي هو العذاب الأليم (٣) ".

فرجى وخوف.

فيدعو الإنسان خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه، قال الله تعالى: " ويدعوننا رغبا ورهبا (٤) ".

وسيأتي القول فيه.

والخوف: الانزعاج لما لا يؤمن من المضار.

والطمع: توقع المحبوب، قال القشيري.

وقال بعض أهل العلم: ينبغي أن يغلب (٥) الخوف الرجاء طول الحياة، فإذا جاء الموت غلب الرجاء.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**).

صحيح أخرجه مسلم.

قوله تعالى: (إن رحمة الله قريب من المحسنين) ولم يقل قريبة.

ففيه سبعة أوجه: أولها أن الرحمة والرحم واحد، وهي بمعنى العفو الغفران، قاله الزجاج واختاره النحاس.

وقال النضر بن شميل: الرحمة مصدر، وحق المصدر التذكير، كقوله: " فمن جاءه موعظة (٦) ".

وهذا قريب من قول الزجاج، لأن الموعظة بمعنى الوعظ.

وقيل: أراد بالرحمة الإحسان،

---

(١) تفسير القرطبي، ٦٠/٦

(١) القليب (بفتح القاف): البئر العادية القديمة التى لا يعلم لها رب ولا حافر، تكون في البراري.

(٢) راجع ج ٩ ص ٨٤.

(٣) راجع ج ١٠ ص ٣٤.

(٤) راجع ج ١١ ص ٣٣٦.

(٥) هذا يخالف ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاءه بميزان تريص ما زاد أحدهما على الآخر، وفى رواية " لاعتدلا ".

وورد عن حذيفة رضى الله عنه حين احتضر: اللهم إنك أمرتنا أن نعدل بين الخوف والرجاء والآن الرجاء فيك أمثل.

(٦) راجع ج ٣ ص ٣٤٧.

(*)."[١]

"وعن معقل بن يسارعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ليس من يوم يأتي على ابن آدم إلا ينادي فيه يابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل غدا عليك شهيد فاعمل في خيرا أشهد لك به غدا فإني لو قد مضيت لم ترني أبدا ويقول الليل مثل ذلك " ذكره أبو نعيم الحافظ

وقد ذكرناه في كتاب التذكرة في باب شهادة الأرض والليالي والأيام والمال.

وقال محمد بن بشير فأحسن: / ش مضى أمسك الأدنى شهيدا معدلا / وويومك هذا بالفعال شهيد / ش / ش فإن تك بالأمس اقترفت إساءة / وفثن بإحسان وأنت حميد / ش / ش ولا ترج فعل الخير منك إلى غد / ولعل غدا يأتي وأنت فقيد / ش قوله تعالى: " وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرادكم " أي أهلككم فأوردكم النار.

قال قتادة: الظن هنا بمعنى العلم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** فإن قوما أساءوا الظن بربهم فأهلكهم " فذلك قوله: " وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ".

وقال الحسن البصري: إن قوما ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي وكذب، ولو أحسن الظن لأحسن العمل، وتلا قول الله تعالى: " وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ".

وقال قتادة: من استطاع منكم أن يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل، فإن الظن اثنان ظن ينجي وظن يردي.

وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية: هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها ويتكلمون على المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا مفاليس، ثم قرأ: " وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ".

قوله تعالى: " فان يصبروا فالنار مثوى لهم " أي فإن يصبروا في الدنيا على أعمال أهل النار فالنار مثوى لهم.

نظيره: " فما أصبرهم على النار " [البقرة: ١٧٥] على ما تقدم.

---

(١) تفسير القرطبي، ٢٢٧/٧

" وإن يستعتبوا " في الدنيا وهم مقيمون على كفرهم " فما هم من المعتبين ".

وقيل: المعنى " فإن يصبروا "

---

(١) راجع ج ٢ ص ٢٣٦ طبعة ثانيه.

(*)." (١)

"وأخرج ابن جرير عن عكرمة حسبته أسنده قال : إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه أخرج كتابا من تحت العرش فيه : إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين ، قال : فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو قال مثلا أهل الجنة.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير وأبو الشيخ عن عبد الله بن عمرو قال : إن لله مائة رحمة فأهبط منها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا يتراحم بها الجن والإنس وطائر السماء وحيتان الماء ودواب الأرض وهوامها وما بين الهواء واختزن عنده تسعا وتسعين رحمة حتى إذا كان يوم القيامة اختلج الرحمة التي كان أهبطها إلى أهل الدنيا فحواها إلى ما عنده فجعلها في قلوب أهل الجنة وعلى أهل الجنة.

وأخرج ابن جرير عن أبي المخارق زهير بن سالم قال : قال عمر لكعب : ما أول شيء ابتدأه الله من خلقه فقال كعب : كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مدد ولكن كتب بأصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت : أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب **حسن الظن بالله** عن أبي قتادة عن." (٢)

"قال : ما كنتم تظنون.

وأخرج ابن جرير عن السدي رضي الله عنه ﴿وما كنتم تستترون﴾ قال : تستخفون.

وأخرج أحمد والطبراني ، وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود ، وابن ماجة ، وابن حبان ، وابن مردويه ، عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** فإن قوما قد أرادهم سوء ظنهم بالله عز وجل قال الله عز وجل ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾.

الآية ٢٥.

أخرج الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله ﴿وقيضنا لهم قرناء﴾ قال : شياطين.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم﴾ قال : الدنيا يرغبونهم فيها ﴿وما خلفهم﴾ قال : الآخرة زينوا لهم." (٣)

---

(١) تفسير القرطبي، ٣٥٣/١٥

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢٤/٦

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٠١/١٣

"أخرج عبد الرزاق ، وابن المنذر عن قتادة في قوله : ﴿يومئذ تعرضون﴾ قال : تعرضون ثلاث عرضات فأما عرضتان ففيهما الخصومات والمعاذير وأما الثالثة فتطاير الصحف في الأيدي.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : تعرض الناس ثلاث عرضات يوم القيامة فأما عرضتان ففيهما خصومات ومعاذير وجدال وأما العرضة الثالثة فتطير الصحف في الأيدي اللهم اجعلنا ممن تؤتيه كتابه بيمينه ، قال : وكان بعض أهل العلم يقول : إني وجدت أكيس الناس من قال : ﴿هاؤم اقرؤوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ قال : ظن ظنا يقينا فنفعه الله بظنه ، قال : وذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم

كان يقول : من استطاع أن يموت وهو **يحسن الظن بالله** فليفعل.

وأخرج أحمد ، وعبد بن حميد الترمذي ، وابن ماجة ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في أيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله.

وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن أبي موسى قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : في قوله : ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ قال : عرضتان فيهما." (١)

"كتاب **حسن الظن بالله** الجزء الأول ." (٢)

" ١ - حدثنا خالد بن خداش بن عجلان المهلبي حدثنا مهدي بن ميمون عن واصل مولى أبي عيينة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله ح وحدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول قبل موته بثلاث : لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز و جل [ص ١٤] ." (٣)

" ٤ - حدثنا الحسن بن عرفة قال حدثنا النضر بن إسماعيل البجلي عن بن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز و جل فإن قوما قد أرادهم سوء ظنهم بالله فقال لهم وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرادكم فأصبحتم من الخاسرين ." (٤)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٧٢/١٤

(٢) **حسن الظن بالله**، ص/١

(٣) **حسن الظن بالله**، ص/١٣

(٤) **حسن الظن بالله**، ص/١٩

" ٦ – حدثني هارون بن عبد الله قال حدثنا أبو داود حدثنا صدقة بن موسى عن محمد بن واسع عن سمير بن نهار قال أبو بكر هكذا قال سمير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم : إن **حسن الظن بالله** من حسن العبادة [ص ٢٢]. " (١)

" ٩ – حدثني محمد بن الحسين حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا عمار بن يوسف قال : رأيت حسن بن صالح في منامي فقلت قد كنت متمنيا للقائك فماذا عندك فتخبرنا به فقال أبشر فلم أر مثل **حسن الظن بالله** عز و جل شيئا ." (٢)

" ٧ – حدثنا محمد بن الحسين حدثنا أبو عمر الضرير حدثنا سهيل أخو حزم القطعي قال : رأيت مالك بن دينار رحمه الله في منامي فقلت يا أبا يحي ليت شعري ماذا قدمت به على الله عز و جل قال قدمت بذنوب كثيرة محاها عني **حسن الظن بالله** . " (٣)

" ١١ – حدثنا علي بن يزيد بن عيسى قال حدثنا خلف بن تميم قال : قلت لعلي بن بكار ما **حسن الظن بالله** قال لا يجمعك والفجار في دار واحدة . " (٤)

" ٨٣ – حدثنا محمد بن علي بن الحسن عن إبراهيم بن الأشعث عن الفضيل بن عياض عن سليمان عن خيثمة قال قال عبد الله : والذي لا إله غيره ما أعطي عبد مؤمن شيئا خيرا من **حسن الظن بالله** عز و جل والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله عز و جل الظن إلا أعطاه الله عز و جل ظنه ذلك بأن الخير في يده ." (٥)

" وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن عبد الله بن عمرو قال : إن لله مائة رحمة فأهبط منها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا يتراحم بها الجن والإنس وطائر السماء وحيتان الماء ودواب الأرض وهوامها وما بين الهواء واختزن عنده تسعا وتسعين رحمة حتى إذا كان يوم القيامة اختلج الرحمة التي كان أهبطها إلى أهل الدنيا فحواها إلى ما عنده فجعلها في قلوب أهل الجنة وعلى أهل الجنة

وأخرج ابن جرير عن أبي المخارق زهير بن سالم قال : قال عمر لكعب : ما أول شيء ابتدأه الله من خلقه ؟ فقال كعب : كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مدد ولكن كتب بأصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت : أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي

---

(١) **حسن الظن بالله**، ص/٢١

(٢) **حسن الظن بالله**، ص/٢٣

(٣) **حسن الظن بالله**، ص/٢٣

(٤) **حسن الظن بالله**، ص/٢٥

(٥) **حسن الظن بالله**، ص/٩٦

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله عن أبي قتادة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " قال الله للملائكة : ألا أحدثكم عن عبدين من بني إسرائيل ؟ أما أحدهما فيرى بنو إسرائيل أنه أفضلهما في الدين والعلم والخلق والآخر أنه مسرف على نفسه

فذكر عند صاحبه فقال : لن يغفر الله له

فقال : ألم يعلم أني أرحم الراحمين ألم يعلم رحمتي سبقت غضبي وأني أوجبت لهذا العذاب

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : فلا تألوا على الله "

وأخرج ابن أبي شيبة وابن ماجه عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة فجعل في الأرض منها رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والبهائم بعضها على بعض وأخر تسعا وتسعين إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة رحمة "

وأخرج مسلم وابن مردويه عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السموات والأرض فجعل منها في الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة "

- الآية ١٣ - ١٨ ." (١)

" وأخرج ابن جرير عن السدي رضي الله عنه وما كنتم تستترون قال : تستخفون

وأخرج أحمد والطبراني وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود وابن ماجة وابن حبان وابن مردويه عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله فإن قوما قد أرادهم سوء ظنهم بالله عز و جل قال الله عز و جل وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين "

الآية ٢٥ أخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله وقيضنا لهم قرناء قال : شياطين

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله فزينوا لهم ما بين أيديهم قال : الدنيا يرغبونهم فيها وما خلفهم قال : الآخرة زينوا لهم نسيانها والكفر بها

الآيات ٢٦ - ٢٨ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته فكان المشركون يطردون الناس عنه ويقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أخفى قراءته لم يسمع من يحب أن يسمع القرآن فأنزل الله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها الإسراء ١١٠ ." (٢)

" كان يقول : " من استطاع أن يموت وهو يحسن الظن بالله فليفعل "

---

(١) الدر المنثور، ٣/٢٥٤

(٢) الدر المنثور، ٧/٣٢٠

وأخرج أحمد وعبد بن حميد الترمذي وابن ماجة وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في أيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله "

وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن أبي موسى قال : سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول : في قوله : يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية قال : " عرضتان فيهما الخصومة والجدال والعرضة الثالثة تطير الصحف في أيدي الرجال "

وأخرج ابن جرير والبيهقي في البعث عن ابن مسعد قال : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فتطاير الكتب بالأيمان والشمائل

وأخرج ابن المبارك عن عمر قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنه أيسر لحسابكم وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتجهزوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال : إن الله يقف عبده يوم القيامة فيبدي سيئاته في ظهر صحيفته فيقول له : أنت عملت هذا ؟ فيقول : نعم أي رب فيقول له : إني لم أفضحك به وإني غفرت لك فيقول عند ذلك : هاؤم اقرؤوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه حين نجا من فضيحته يوم القيامة

وأخرج ابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر والخطيب عن أبي عثمان النهدي قال : إن المؤمن ليعطى كتابه في ستر من الله فيقرأ سيئاته فيتغير لونه ثم يقرأ حسناته فيرجع إليه لونه ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات فعند ذلك يقول : هاؤم اقرؤوا كتابية

وأخرج أحمد عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه فأنظر إلى بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم ومن خلفي مثل ذلك وعن يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك فقال رجل : يا رسول الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين ." (١)

"" " صفحة رقم ٥٠٤ " "

قوله : (فلا تموتن إلا (هذا في الصورة عن الموت ، وهو في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا كقولك : " لا تصل إلا وأنت خاشع " ، فنهيك له ليس عن الصلاة ، وإنما هو عن ترك الخشوع في حال صلاته ، والنكتة في إدخال حرف النهي على الصلاة ، وهي غير منهي عنها هي إظهار أن الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة ، كأنه قال : أنهاك عنها إذا لم تصلها على هذه الحالة ، وكذلك المعنى في الآية الكريمة إظهار أن موتهم لا على حال الثابت على الإسلام موت لا خير فيه ، وأن حق هذا الموت ألا يجعل فيهم . [وعن الفضيل بن عياض أنه قال : " إلا وأنتم مسلمون " ، أي : مسلمون الظن ، أي محسنون الظن بربكم ، وروي عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه سولم قبل موته بثلاثة أيام يقول : " لا يموتن أحد إلا وهو **يحسن الظن بالله** تعالى "] . وأصل تموتن : تموتونن : النون الأولى علامة الرفع ، والثانية المشددة للتوكيد ، فاجتمع ثلاثة أمثال فحذفت نون الرفع ؛ لأن نون التوكيد أولى بالبقاء لدلالتها على معنى

(١) الدر المنثور، ٢٧١/٨

مستقل ، فالتقى سكنان : الواو والنون الأولى المدغمة ، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين ، وبقيت الضمة تدل عليها ، وهكذا كل ما جاء في نظائره .

قوله : (إلا وأنتم مسلمون (هذا استثناء مفرغ من الأحوال العامة ، و " أنتم مسلمون " مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال ، كأنه قال تعالى : " لا تموتن على كل حالا إلا على هذه الحال " ، والعامل فيها ما قبل إلا .

(أم كنتم شهدآء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون (

" أم " في أم هذه ثلاثة أقوال :

أحدها وهو المشهور : أنها منقطعة والمنقطعة تقدر ب " بل " ، وهمزة الاستفهام . وبعضهم يقدرها ب " بل " وحدها ، ومعنى الإضراب انتقال من شيء إلى شيء لا إبطال . ومعنى الاستفهام الإنكار والتوبيخ فيؤول معناه إلى النفي ، أي : بل أكنتم شهداء يعنى لم تكونوا . الثاني : أنها بمعنى همزة الإستفهامن وهو قول ابن عطية والطبري ، إلا أنهما اختلفا في محلها . فإن ابن عطية قال : و " إم " تكون بمعنى ألف الاستفهام ف يصدر الكلام ، لغة يمانية .." (١)

"" " صفحة رقم ١٢٩ " "

والثاني : أن يكون " ظنكم " بدلا ، والموصول خبره ، و " أرداكم " حال أيضا .

الثالث : أن يكون الموصول خبرا ثانيا .

الرابع : أن يكون " ظنكم " بدلا أو بيانا ، والموصول هو الخبر ، و " أرداكم " خبر ثاني .

الخامس : أن يكون ظنكم والموصول والجملة من " أرداكم " أخبارا إلا أن أبا حيان رد على الزمخشري قوله : " وظنكم وأرداكم " خبران قال : لأن قوله " وذلكم " إشارة إلى ظنهم السابق فيصير التقدير : وظنكم بربكم أنه لا يعلم ظنكم بربكم فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدأ وهو لا يجوز وهذا نظير ما منعه النحاة من قولك : سيد الجارية مالكها .

وقد منع ابن عطية كون " أرداكم " حالا ، لعدم وجود " قد " . وتقدمم الخلاف في ذللك .

فصل

قال المفسرون : وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أي ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون أرادكم أهلككم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : طرحكم ف يالنار) فأصبحتم من الخاسرين (وهنذا نص صريح في أن من ظن أنه يخرج شيء من المعلومات عن علم الله فإنه يكون من الهالكين الخاسرين .

قال المحققون : الظن قسمان :

أحدهما : حسن ، والآخر : فاسد . فالحسن أن يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والإحسان ، قال عليه الصلاة والسلام

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٥٠٤/٢

حكاية عن الله عز وجل : " أنا عند ظن عبدي بي " وقال عليه الصلاة والسلام : " لا يموتن أحدكم إلا وهو **حسن الظن بالله** " . والظن القبيح أن يظن أنه تعالى أنه يعرب عن علمه بعض الأحوال . وقال قتادة :." (١)

"" صفحة رقم ٢٩١ "

جزآء بما كانوا بئاياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنآ أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أوليآؤكم فى الحيواة الدنيا وفى الاخرة ولكم فيها ما تشتهأنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم (٢

فصلت : (٢١) وقالوا لجلودهم لم . . . . .

) وقالوا (يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار .) لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء (حدثنا عقيل بن محمد : إن أبا الفرج البغدادي القاضي أخبرهم عن محمد بن جرير ، حدثنا أحمد بن حازم الغفاري ، أخبرنا علي بن قادم الفزاري ، أخبرنا شريك ، عن عبيد المكيت ، عن الشعبي ، عن أنس ، قال : ضحك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم حتى بدت نواجذه ، ثم قال : (ألا تسألوني مم ضحكت) .

قالوا : مم ضحكت يارسول الله ؟

قال : (عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة ، قال : يقول يا رب أليس وعدتني أن لا تظلمني ؟ قال : فإن لك ذاك . قال : فإني لا أقبل علي شاهدا ، إلا من نفسي . قال : أو ليس كفى بي شهيدا ، وبالملائكة الكرام الكاتبين ؟ قال : فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل) .

قال : (فيقول لهن بعدا لكن وسحقا عنكن كنت أجادل) .

قال الله تعالى :) وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾

فصلت : (٢٢) وما كنتم تستترون . . . . .

) وما كنتم تستترون (أي تستخفون في قول أكثر المفسرين ، وقال مجاهد : تتقون . قتادة : تظنون .) أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (أخبرنا الحسين بن محمد ابن فنجويه ، حدثنا هارون بن محمد بن هارون وعبد الله بن عبد الرحمن الوراق ، قالا : حدثنا محمد بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن كثير وأبو حذيفة ، قالا : حدثنا سفيان عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن وهب بن ربيعة ، عن ابن مسعود ، قال : إني لمستتر بأستار الكعبة ، إذ جاء ثلاثة نفر ، ثقفي وختناه قريشيان ، كثير شحم بطونهم ، قليل فقههم ، فحدثوا الحديث بينهم ، فقال أحدهم : أترى يسمع ما قلنا ؟ فقال الآخر : إذا رفعنا يسمع ، وإذا خفضنا لم يسمع ، وقال الآخر : إن كان يسمع إذا رفعنا فإنه يسمع إذا خفضنا . فأتيت النبي (صلى الله عليه وسلم) فذكرت له ذلك ، فأنزل الله تعالى) وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم (. . . إلى قوله : فأصبحتم من الخاسرين والثقفي عبد ياليل وختناه القريشيان ربيعة وصفوان بن أمية .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١٢٩/١٧

فصلت : (٢٣) وذلكم ظنكم الذي . . . . .

) وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم (أهلككم .) فأصبحتم من الخاسرين (قال قتادة : الظن هاهنا بمعنى العلم ، وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) (لا يموتن أحدكم ، إلا وهو **يحسن الظن بالله** ، وإن قوما أساءوا." (١)

"إن ذا القرنين لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما أزداد به إيمانا ويقينا قال إنك لا تطيق ذلك . قال لعل الله يطوقني . قال لا تغتم لغد واعمل في اليوم لغد وإن آتاك الله من الدنيا سلطانا أو مالا فلا تفرح به وإن صرف عنك فلا تأس عليه وكن **حسن الظن بالله** عز وجل وضع يدك على قلبك فما أحببت أن تصنع بنفسك فاصنعه بأخيك ولا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب ورد الغضب بالكظم وسكنه بالتودة وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا .

(١٨٠) وحدثنا أبو كريب حدثني المحاربي عن عاصم الأحول عن الشعبي عن مسروق في قول السائل أين الزاهدون في الدنيا والراغبون في الآخرة قال مسروق ما كنت أفضل عليهما شيئا .

(١٨١) وحدثنا أبو كريب نا المحاربي عن عاصم الأحول قال بلغني أن ابن عمر سمع رجلا يقول أين الزاهدون في الدنيا والراغبون في الآخرة فأراه قبر النبي × وأبي بكر وعمر وقال عن هؤلاء تسأل .

الدنيا دار من لا دار له

(١٨٢) حدثني محمد بن العباس بن محمد نا الحسين بن محمد نا أبو سليمان النصيبي عن أبي إسحاق عن زرعة عن عائشة قالت قال رسول الله ×

الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له .

(١٨٣) حدثني حمزة بن العباس أنا عبدان بن عثمان أنا عبد الله أنا عبد الرحمن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن قال قال عبد الله بن مسعود لوددت أني من الدنيا فرد كالراكب الغادي الرائح .

(١٨٤) وحدثني حمزة أنا عبدان أنا عبد الله أنا محمد بن سليم قال قال الحسن ما من مسلم يرزق رزق يوم بيوم ولا يعلم أنه قد خير له إلا عاجز أو قال غبي الرأي .

(١٨٥) وحدثني حمزة أنا عبدان أنا عبد الله أنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال قال أبو الدرداء

الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما أوى إليه .

الدنيا لا تساوي شربة ماء." (٢)

"﴿ أَرْدَاكُمْ ﴾ ﴿ الخاسرين ﴾

(٢٣) - وَهَذَا الظَّنُّ الفَاسِدُ بِأَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ هُوَ الذِي أَرْدَاكُمْ وَأَوْصَلَكُمْ إِلَى الهَلَكَةِ ، فَصِرْتُمْ اليَومَ مِنَ الهَالِكِينَ الخَاسِرِينَ .

---

(١) الكشف والبيان . موافق للمطبوع، ٨/٢٩١

(٢) ذم الدنيا، ص/٤٠

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ A " لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلاَّ وَهُوَ **يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ** ، فَإِنَّ قَوْماً أَرْدَاهُمْ سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ ، فَقَالَ تَعَالَى : وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ . . ") (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجه عَنْ جَابِرٍ) .

أَرْدَاكُمْ – أَهْلَكَكُمْ .." (١)

"نسقي به، فلما عذرهما سقى لهما ماشيتهما ﴿ثم تولى إلى الظل فقير﴾ الذي كان جالسا تحته وهو ظل شجرة وهو شجر صحراوي معروف يقال السمر، ولما تولى إلى الظل سأل ربه الطعام لشدة جوعه إذ خرج من مصر بلا زاد ولا دليل ولولا حسن(١) ظنه في ربه لما خرج هذا الخروج فقال: ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير﴾ أي(٢) طعام ﴿فقير﴾ أي محتاج إليه شدة الاحتياج. وفي أقرب ساعة وصلت البنتان إلى والدهما فسألهما عن سبب عودتهما بسرعة فأخبرتاه، فقال لإحداهما اذهبي إليه وقولي له: ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ وهو معنى قوله تعالى ﴿فجاءته إحداهما﴾ استجابة الله له ﴿تمشي على استحياء﴾ واضعة كم درعها على وجهها حياء. وقد قال فيها عمر رضي الله عنه إنها ليست سلفعا(٣) من النساء خراجة ولاجة، وبلغت الرسالة المختصرة وكأنها برقية ونصها ما أخبر الله تعالى به في قوله: ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾!! وقد ورد أنها لما كانت تمشي أمامه تدله على الطريق هبت الريح فكشفت ساقيها قال لها موسى: امشي ورائي ودليني على الطريق بحصى ترميها نحو الطريق وهذا الذي دلها على أمانته لما وصفته لأبيها بأنه ﴿قوي أمين﴾ كما سيأتي فيما بعد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب **حسن الظن بالله** تعالى وقوة الرجاء فيه عز وجل والتوكل عليه.

٢- بيان فضل الحياء وشرف المؤمنات اللائي يتعففن عن الاختلاط بالرجال.

٣- بيان مروءة موسى في سقيه للمرأتين.

٤- فضل الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه.

٥- ستر الوجه عن الأجانب سنة المؤمنات من عهد قديم وليس كما يقول المبطلون هو عادة جاهلية، فبنتا شعيب نشأتا في دار النبوة والطهر والعفاف وغطت إحداهما وجهها عن موسى حياء وتقوى.

فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين(٢٥) قالت إحداهما

١- وتوكله على ربه عز وجل.

٢- لفظ الخير يطلق عدة إطلاقات فقد أطلق على الطعام كما هنا وأطلق على العبادة كما في قوله: (فعل الخيرات) وعلى

---

(١) أيسر التفاسير لأسعد حومد، ص/٤١٢٠

القوة في قوله (أهم خير أم قوم تبع) وعلى المال في قوله (وإنه لحب الخير لشديد).

٣- السلفع من النساء: الجريئة على الرجال.." (١)

"وأكذبهم الله تعالى في قولهم فقال ﴿وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ أي ما يريدون بهذا الاعتذار إلا الفرار من وجه العدو، وقال تعالى فيهم ومن أصدق من الله قيلا: ﴿ولو دخلت عليهم﴾ المدينة ﴿من أقطارها﴾ أي من جميع نواحيها من شرق وغرب وشمال وجنوب(١) ﴿ثم سئلوا الفتنة﴾ أي طلب منهم العدو الغازي الذي حل عليهم المدينة الردة أي العودة إلى الشرك ﴿لآتوها﴾ أعطوها فورا ﴿وما تلبثوا بها إلا يسيرا﴾ حتى يرتدوا عن الإسلام ويصبحوا كما كانوا مشركين والعياذ بالله من النفاق والمنافقين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- مشروعية التذكير بالنعم ليشكرها المذكرون بها فتزداد طاعتهم لله ورسوله.

٢- عرض غزوة الأحزاب أو الخندق عرضا صادقا لا أمثل منه في عرض الأحداث للعبرة.

٣- بيان أن غزوة الخندق كانت من أشد الغزوات وأكثرها ألما وتعبا على المسلمين.

٤- بيان أن **حسن الظن بالله** ممدوح، وأن سوء الظن به تعالى كفر ونفاق.

٥- بيان مواقف المنافقين الداعية إلى الهزيمة ليكون ذلك درسا للمؤمنين.

٦- تقرير النبوة المحمدية بإخبار الغيب التي أخبر بها رسول الله فكانت كما أخبر من فتح فارس والروم واليمن.

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا(١٥) قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا(١٦)

قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا(١٧) قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين

---

١ - ثم العطف بها هنا للترتيب الرتبي، إذ كان مقتضى الظاهر أن يكون العطف بالواو، لأن المذكور بعد حرف العطف داخل في فعل الشرط ووارد عليه جوابها فعدل عن الواو إلى ثم لأجل التنبيه على أن ما بعد ثم أهم من الذي قبلها أي أنهم مع ذلك يأتون الفتنة.." (٢)

"مرة﴾ أي النشأة الأولى في الدنيا ثم أماتكم ثم أحياكم ﴿وإليه ترجعون﴾ وها أنتم قد رجعتم فالقادر على هذا كله قادر على أن ينطقنا وعلى كل شيء أراد إنطاقه، وقوله ﴿وما كنتم تستترون(١) أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ أي وما كنتم تستخفون فتتركوا محارم الله بل كنتم تجاهرون بذلك لعدم إيمانكم بالبعث والجزاء ﴿وذلكم ظنكم

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٦٥/٤

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ٢٠١/٤

الذي ظننتم بربكم﴾ وهو ظن سيء ﴿أرداكم﴾ أي أهلككم ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وهذا هو الخسران المبين وقوله تعالى في الآية الأخيرة من هذا السياق (٢٣) فإن يصبروا أي أعداء الله الذين شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم فالنار مثوى أي مأوى لهم لا يخرجون منها أبدا. وإن يستعتبوا أي يطلبوا العتبى أي الرضا فيرضى عنهم فيدخلوا الجنة ﴿فما هم من المعتبين﴾ أي فما هو بحاصل لهم أبدا فهم إذا بشر التقديرين والعياذ بالله تعالى من حال أهل النار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض مفصل بحال أهل النار فيها.

٢- التحذير من فعل الفواحش وكبائر الذنوب فإن جوارح المرء تشهد عليه.

٣- التحذير من سوء الظن بالله تعالى ومن ذلك أن يظن المرء أن الله لا يطلع عليه. أو لا يعلم ما يرتكبه، أو أنه لا يحاسبه أو لا يجزيه.

٤- وجوب **حسن الظن بالله** تعالى وهو أن يرجو أن يغفر الله له إذا تاب من زلة زلها، وأن يرجو رحمته وعفوه إذا كان في حال العجز عن الطاعات ولا سيما عند العجز عن العمل للمرض والضعف كالكبر ونحوه فيغلب جانب الرجاء على جانب الخوف.

وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والأنس إنهم

١- في الصحيحين حادثة ذكرت أنها سبب نزول هذه الآية وهي أن عبد الله بن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قريشيان وآخر قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا. قال عبد الله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ﴿وما كنتم تستترون﴾ الخ ..." (١)

"خامسا: الأمر بإقام الصلاة كاملة الأركان مستوفاة الشروط والواجبات، وجميع مكملاتها.

سادسا: بيان أن الله لا يكلف الناس في عبادته إلا المستطاع الذي لا يكون فيه مشقة وضنى، والله يعلم أن الناس مهما حرصوا وجدوا واجتهدوا واشتدوا في العبادة، فلن يوفوا الله حقه ولن يبلغوا الغاية، قال تعالى: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ ، وقال: ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ ، وقال: ﴿ ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ ، وقال: ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ .

سابعا: الأمر بإيتاء الزكاة المفروضة.

ثامنا: الحث على الإنفاق في سبيل الله والجهات التي أمر بالنفقة فيها.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٥٧١/٤

تاسعا: الحث على جميع أفعال الخير من صدقة، أو نفقة واجبة أو مستحبة، أو فعل طاعة من صلاة، أو صيام، أو حج، أو صلة رحم، أو بر والدين، أو نحو ذلك.

عاشرا: الأمر بالاستغفار بعد فعل الخير.

حادي عشر: التنبيه على أن العبد لا يخلو من التقصير والخطأ، ومن الأمراض الخطرة الفتاكة الخفية: الرياء، وكثير ما يكون في الصدقة.

ثاني عشر: ذكر ما يدعو إلى حسن الظن بالله والتشويق إلى طلب مغفرته.

الأدلة لما تقدم:." (١)

" ٣٥ فيه وادعوه خوفا وطمعا جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفا راجيا كما قال الله تعالى يرجون رحمته ويخافون عذابه فإن موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدة عقابه وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه قال تعالى نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ومن عرف فضل الله رجاه ومن عرف عذابه خافه ولذلك جاء في الحديث ولو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى واعلم أن الخوف على ثلاث درجات الأولى أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر فوجود هذا كالعدم والثانية أن يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة والثالثة أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس وهذا لا يجوز وخير الأمور أوسطها والناس في الخوف على ثلاث مقامات فخوف العامة من الذنوب وخوف الخاصة من الخاتمة وخوف خاصة الخاصة من السابقة فإن الخاتمة مبنية عليها والرجاء على ثلاث درجات الأولى رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية فهذا هو الرجاء المحمود والثانية الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور والثالثة أن يقوي الرجاء حتى يبلغ الأمن فهذا حرام والناس في الرجاء على ثلاث مقامات فمقام العامة رجاء ثواب الله ومقام الخاصة رجاء رضوان الله ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه إن رحمت الله قريب من المحسنين حذفت تاء التأنيث من قريب وهو خبر عن الرحمة على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو العفو أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي أو لأنه صفة موصوف محذوف وتقديره شيء قريب أو على تقدير النسب أي ذات قرب وقيل قريب هنا ليس خبر عن الرحمة وإنما هو ظرف لها الرياح بشرا قرئ الرياح." (٢)

"٣- و في صدد جملة وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أورد ابن كثير حديثا رواه الإمام أحمد عن جابر قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول قبل موته بثلاث: لا يموتنّ أحدكم إلّا و هو يحسن الظنّ بالله عزّ و جلّ». و هناك صيغ أخرى أوردها ابن كثير في الحثّ على إحسان الظنّ بالله و كون الله عند ظنّ عبده به»

. و ليس في الأحاديث ما يفيد أنها تأويل للجملة القرآنية التي يتبادر لنا أنها أوسع شمولا مما تضمنته الأحاديث حيث

---

(١) الأنوار الساطعات لآيات جامعات، ٣/٣٧٢

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١/٣٩٨

توجب على المسلمين أن يظلوا مسلمين أنفسهم إلى الله عزّ و جلّ مخلصين له وحده في كل حال حتى الموت. و الله أعلم.

٤- و يروي الطبري عن أهل التأويل أن المقصود من جملة وَ لا تَفَرَّقُوا هو نهي المسلمين عن الفرقة و الاختلاف فيما بينهم و الحثّ على الإلفة و الجماعة و هو الوجيه السديد. و قد أورد في سياقها حديثا عن أنس عن رسول الله جاء فيه: «إنّ بنيإسرائيل افترقت على إحدى و سبعين فرقة و إنّ أمتي ستفترق على اثنتين و سبعين فرقة كلّهم في النّار إلّا واحدة فقيل يا رسول الله ما هي؟ فقبض يده و قال الجماعة.

و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا». و قد روى أبو داود و الترمذي عن أبي هريرة هذه الصيغة: «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين و سبعين فرقة و تفرّقت النصارى على إحدى أو ثنتين و سبعين فرقة و تفرّقت أمتي على ثلاث و سبعين فرقة اثنتان و سبعون في النار و واحدة في الجنة و هي الجماعة» «٢». و قد يصح أن يساق في هذا المقام حديث رواه الخمسة عن عبد الله جاء فيه: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلّا الله و أني رسول الله إلّا بإحدى ثلاث النفس بالنفس و الثيّب الزاني و المفارق لدينه التارك للجماعة». حيث ينطوي فيه بيان عظم جريمة الافتراق عن الجماعة. و هناك أحاديث صحيحة أخرى يصح أن تساق في هذا

---

(١)".)

"فالواجب على من أراد السلامة أن يحسن الظن بجميع المسلمين ، ويعتقد فيهم أنهم كلهم صالحون ، ففي الحديث : " خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : حسن الظن بالله ،

١٢٩

وحسن الظن بعباد الله ، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : سوء الظن بالله ، وسوء الظن بعباد الله " وبالله التوفيق.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٢٩

ثم وبخ الحق - تعالى - النصارى على منع الناس من بيت المقدس وإيذاء من يصلي فيه ، وطرح الأقذاء فيه ، مع زعمهم أنهم على الحق دون غيرهم ، قاله ابن عباس ، أو كفار قريش حيث منعوا المسلمين من الصلاة فيه ، وصدوا رسول الله عن الوصول إليه ، قاله ابن زيد ، والتحقيق : أن الحق تعالى وبخ الجميع.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٢٩

قلت : ﴿من﴾ مبتدأ ، و ﴿أظلم﴾ خبر ، و ﴿أن يذكر﴾ إما منصوب على إسقاط الخافض وتسلط الفعل عليه ، أي : من أن يذكر ، أو بدل اشتمال من ﴿مساجد﴾ ، أو مجرور بالحروف المحذوف ، قاله سيبويه. و ﴿خائفين﴾ حال من الواو.

(٢) ".

---

(١) التفسير الحديث، ص/٤٣٨٧

(٢) البحر المديد . موافق للمطبوع، ١/١٥٠

"العبادات ، وفي الانتهاء يرجع العمل إلى الباطن ، فيبقى القلب على الدوام في عين الشهود والحضور ، وتفتر ظواهر الأعضاء ، فيظن أن ذلك تهاون بالعبادة ، وهيهات هيهات!! ، فذلك استغراق لمخ العبادات ولبابها وغاياتها ، ولكن أعين الخفافيش تكل عن درك نور الشمس. هـ.

قال شيخ شيوخنا - سيدي عبد الرحمن العارف - بعد نقل كلام القشيري في هذا المعنى : وما أشار إليه ظاهر في أن أهل القلوب لا يتعاطون كل طاعة. وإنما يتعاطون من الطاعات ما يجمعهم ولا يفرقهم. ولذلك قال الجنيد : أحب للصوفي ألا يقرأ ولا يكتب ؛ لأنه أجمع لهمه ، قال : وأحب للمريد ألا يشتغل بالتكسب وطلب الحديث ؛ لئلا يتغير حاله. هـ. قلت : ومن رزقه الله شيخ التربية فما عينه له فهو عين ذكره ، يسير به كيفما كان.

هذا ما يتعلق بحال الذكر الذي قدمه الله تعالى ، وأما التفكر فهو أعظم العبادات وأفضل القربات ، هو عبادة العارفين ومنتهى المقربين. وفي الخبر : " تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة ".

وقال الجنيد رضي الله عنه : أشرف المجالس وأعلاها : الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد ، والتنسم بنسيم المعرفة ، والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد ، والنظر لحسن الظن بالله تعالى. ثم قال : يا لها من مجالس ، ما أجلها ، ومن شراب ما ألذه ، طوبى لمن رزقه. وقال القشيري رضي الله عنه التفكر نعت كل طالب ، وثمرته : الوصول بشرط العلم ، فإذا سلم الفكر عن الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق. هـ.

". (١)

"" اعتق رقبة " وقيل : نزلت في المقداد ، مر برجل في غنمه فأراد قتله ، فقال : لا إله إلا الله ، فقتله وظفر بأهله وماله ، وقيل : القاتل : محلم بن جثامة ، والمقتول : عامر بن الأضبط. والله تعالى أعلم.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٨٦

الإشارة : يستفاد من الآية : الترغيب في خصلتين ممدوحتين وخصوصا عند الصوفية :

الأولى : التأني في الأمور والرزانة والطمأنينة ، وعدم العجلة والخفة والطيش. وفي الحديث : " من تأنى أصاب أو كاد ، ومن استعجل أخطأ أو كاد " ولا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه ، ويفهم عن الله أنه مراد الله في ذلك الوقت.

والثانية : حسن الظن بعباد الله كافة ، واعتقاد الخير فيهم ، وعدم البحث عما اشتمل عليه بواطنهم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : " أمرت أن أحكم بالظواهر والله يتولى السرائر " وقال لأسامة : " هلا شققت عن قلبه " ، حين قتل من قال : لا إله إلا الله ، أو لغيره. وفي الحديث : " خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : حسن الظن بالله ، وحسن الظن بعباد الله ، وخصلتان ليس فوقهما من الشر شيء : سوء الظن بالله ، وسوء الظن بعباد الله " والله تعالى أعلم.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٨٦

قلت : ﴿من المؤمنين﴾ : حال من ﴿القاعدين﴾ ، و ﴿غير﴾ بالرفع : صفة للقاعدين ، وبالنصب : حال ، وبالجر : بدل من المؤمنين ، و ﴿درجة﴾ : نصب على إسقاط الخافض ، أو على المصدر ، أو لأنه متضمن معنى التفضيل ، أو على الحال

---

(١) البحر المديد . موافق للمطبوع، ١/٥٦٢

، أي : ذوي درجة. و ﴿أجرا عظيما﴾ : مصدر لفضل ، لأنه بمعنى أجرا ، أو مفعول ثان لفضل ، لأنه بمعنى أعطى ، أي : أعطاهم زيادة على القاعدين أجرا عظيما ، و ﴿درجات﴾ وما بعده ، كل واحد بدل من ﴿أجرا﴾ ، و ﴿درجات﴾ : نصب على المصدر ، كقولك : ضربته أسواطا ، و ﴿أجرا﴾ : حال ، تقدمت عليها ؛ لأنها نكرة و ﴿مغفرة ورحمة﴾ : على المصدر بإضمار فعلهما.

٨٧

". (١)

"الإشارة : يؤخذ من تقديم الرحمة الواسعة على البأس الشديد أن جانب الرجاء أقوى من جانب الخوف ؛ لأن حسن الظن بالله مطلوب من العبد على كل حال ، لأن الرجال وحسن الظن يستوجبان محبة العبد وإيحاشه إلى سيده بخلاف الخوف ، وهذا مذهب الصوفية : أن تغليب الرجاء هو الأفضل في كل وقت ، ومذهب الفقهاء أن حال الصحة ينبغي تغليب الخوف لينزجر عن العصيان ، وحال المرض يغلب الرجاء ؛ إذ لا ينفع حينئذ ، فالصوفية يرون أن العبد معزول عن الفعل ، فليس له قدرة على فعل ولا ترك. وإنما ينظر ما تفعل به القدرة ، فهو كحال المستشرف على الموت. والفقهاء يرون أن العبد له كسب واختيار. والله تعالى أعلم.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٢٠

قلت : ﴿هلم﴾ : اسم فعل ، وهو عند البصريين بسيط ، وعند الكوفيين مركب. انظر البيضاوي.

يقول الحق جل جلاله : ﴿سيقول الذين آشركوا﴾ في الاحتجاج لأنفسهم : ﴿لو شاء الله﴾ عدم شركنا ﴿ما أشركنا ولا﴾ أشرك ﴿آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ من البحائر وغيرها ، فلو لم نكن على حق مرضى عند الله ما أمهلنا ولا تركنا عليه ؛ فإمهاله لنا وتركه لنا على ما نحن فيه دليل على أنه أراده منا.

والجواب عن شبهتهم : أنه خلاف ما أنزل الله على جميع رسله ، والحق تعالى لم يتركهم على ذلك ، بل بعث لهم الرسل يكلفهم بالخروج عنه ، والإرادة خلاف التكليف ، وأيضا : قولهم هذا لم يصدر منهم على وجه الاعتذار ؛ وإنما صدر منهم على وجه المخاصمة والاحتجاج. ولا يصح الاحتجاج بالقدر. والحاصل أنهم تمسكوا بالحقيقة ورفضوا الشريعة ، وهو كفر وزندقة ، إذ لا بد من الجمع بين الحقيقة في الباطن ، والتمسك بما جاءت به الرسل من الشريعة في الظاهر ، وإلا فهو على باطل.

". (٢)

"﴿وعدهم﴾ بأن لا بعث ولا حساب ، أو المواعد الباطلة ؛ كشافعة الآلهة. والاتكال على كرامة الآباء ، وتأخير التوبة ، وطول الأمل ، ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾ وباطلا. والغرور : تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب. قاله البيضاوي. الإشارة : ينبغي لك أيها الإنسان أن تكون مضادا للشيطان ، فإذا امتنع من الخضوع لآدم فاخضع أنت لأولاد آدم ؛

---

(١) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ١٢٤/٢

(٢) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ٤٤٦/٢

بالتواضع واللين ، وإذا كان هو مجتهدا في إغواء بني آدم بما يقدر عليه ، فاجتهد أنت في نصحهم وإرشادهم ، وتعليمهم ووعظهم وتذكيرهم ، بقدر ما يمكنك ، واستعمل السير إليهم بخيلك ورجلك ، حتى تنقذهم من غروره وكيده. وإذا كان هو يدلهم على الشرك الجلي والخفي ، في أموالهم وأولادهم ، فدلهم أنت على التوحيد ، والإخلاص ، في اعتقادهم وأعمالهم وأموالهم. وإذا كان يعدهم بالمواعد الكاذبة ، فعدهم أنت بالمواعد الصادقة ؛ **كحسن الظن بالله** ، إن صحبه العمل بما يرضيه. فإن فعلت هذا كنت من عباد الله الذين ليس له عليهم سلطان.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٠٥

١٠٧

قلت : ﴿أفأمنتم﴾ : الهمزة للتوبيخ ، والفاء للعطف على محذوف ، أي : أنجوتم من البحر فأمنتم.

يقول الحق جل جلاله : ﴿إن عبادي﴾ المخلصين ، الذين يتوكلون علي في جميع أمورهم ، ﴿ليس لك عليهم سلطان﴾ أي : تسلط وقدرة على إغوائهم ؛ حيث التجأوا إلي ، واتخذوني وكيلا ؛ ﴿وكفى بربك وكيلا﴾ ؛ حافظا لمن توكل عليه ، فيحفظهم منك ومن أتباعك.

ثم ذكر ما يحث على التعلق به ، والتوكل عليه في جميع الأحوال الدينية والدنيوية ، فقال : ﴿ربكم الذي يزجي﴾ ؛ يجري ﴿لكم الفلك﴾ ويسيرها ﴿في البحر لتبتغوا من فضله﴾ بالتجارة والربح ، وجلب أنواع الأمتعة التي لا تكون عندكم ، ﴿إنه كان بكم رحيما﴾ في تسخيرها لكم ؛ حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه في سيرها ، وسهل عليكم ما يعسر من أسباب معاشكم ومعادكم.

". (١)

"المال. قال صلى الله عليه وسلم : " نحن معاشر الأنبياء لا نورث " وقيل : يرثني في الحبورة ، وكان عليه السلام حبرا.

﴿ويرث من آل يعقوب﴾ النبوة والملك والمال. قيل : هو يعقوب بن إسحاق. وقال الكلبي ومقاتل : هو يعقوب بن ماثان ، أخو عمران بن ماثان ، أبي مريم ، وكانت زوجة زكريا أخت أم مريم ، وماثان من نسل سليمان عليه السلام ، فكان آل يعقوب أخوال يحيى. قال الكلبي : كان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم ، وكان زكريا رئيس الأحبار يومئذ ، فأراد أن يرث ولده حبورته ، ويرث من بني ماثان ملكهم. هـ.



جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٠٨

واجعله رب رضيا﴾ أي : مرضيا ، فعيل بمعنى مفعول ، أي : ترضى عنه فيكون مرضيا لك ، ويحتمل أن يكون مبالغة من الفاعل ، أي : راضيا بتقديرك وأحكامك التعريفية والتكليفية. والله تعالى أعلم.

الإشارة : طلب الوارث الروحاني- وهو وارث العلم والحال - جائز ليبقى الانتفاع به بعد موته. وقيل : السكوت والاكتفاء

---

(١) البحر المديد. موافق للمطبوع، ٤/١٥٠

بالله أولى ، ففي الحديث : " يرحم الله أخانا زكريا ، وما كان عليه من يرثه " وقوله تعالى : ﴿نداء خفيا﴾. الإخفاء عند الصوفية أولى في الدعاء والذكر وسائر الأعمال ، إلا لأهل الاقتداء من الكملة ، فهم بحسب ما يبرز في الوقت.

وقوله تعالى : ﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾. فيه قياس الباقي على الماضي ، فالذي أحسن في الماضي يحسن في الباقي ، فهذا أحد الأسباب في تقوية **حسن الظن بالله** ؛ وأعظم منه من **حسن الظن بالله** ؛ لما هو متصف به تعالى من كمال القدرة والكرم ، والجود والرأفة والرحمة ، فإن الأول ملاحظ للتجربة ، والثاني ناظر لعين المنة. قال في الحكم : " إن لم تحسن ظنك به لأجل وصفه ، حسن ظنك به لوجود معاملته معك ، فهل عودك إلا حسنا ؟ وهل أسدى إليك إلا مننا ؟ ".

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٠٨

". (١)

"وقوله تعالى : ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات﴾ ، فيه إشارة إلى بيان سبب حصول الخصوصية ؛ لأن بابها هو المسارعة إلى عمل الخيرات وأنواع الطاعات ، وأوكدها ثلاثة : دوام ذكر الله ، **وحسن الظن بالله** ، وبعباد الله. وفي الحديث : " خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : **حسن الظن بالله** ، وحسن الظن بعباد الله " وقوله : ﴿ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ ، هذه حالة الطالبين المسترشدين المتعطشين إلى الله ، يدعونه رغبا في الوصول ، ورهبا من الانقطاع والرجوع ، وقد تكون للواصلين ؛ رغبا في زيادة الترقي ، ورهبا من الوقوف أو الإبعاد. وقال بعضهم : الرغب والرهب حاصلتان لكل مؤمن ، إذ لو لم تكن رغبة لكان قنوطا ، وهو كفر ، ولو لم تكن رهبة لكان أمنا ، والأمن كفر. والله تعالى أعلم.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٧٧

٣٧٨

يقول الحق جل جلاله : ﴿و﴾ اذكر ﴿التي أحصنت فرجها﴾ على الإطلاق من الحلال والحرام ، والتعبير عنها بالموصول ؛ لتفخيم شأنها ، وتنزيهها عما زعموه في حقها. ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ أي : أجرينا روح عيسى فيه وهو في بطنها ، أو نفخنا في درع جيبها من ناحية روحنا ، وهو جبريل عليه السلام ، فأحدثنا بذلك النفخ عيسى عليه السلام ، وإضافة الروح إليه تعالى ؛ لتشريف عيسى عليه السلام ، ﴿وجعلناها وابنها﴾ أي قضيتهما ، أو حالهما ، ﴿آية للعالمين﴾ ، فإن من تأمل حالهما تحقق بكمال قدرته تعالى. وإنما لم يقل آيتين ، كما قال : ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ [الإسراء : ١٢] ؛ لأن مجموعهما آية واحدة ، وهي ولادتها إياه من غير فحل. وقيل : التقدير : وجعلناها آية وابنها كذلك ، فآية مفعول المعطوف عليه ، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه. والله تعالى أعلم.

". (٢)

"فقيل : يخلد في النار ، وقيل : في المشيئة. هـ. وقال أبو الحجاج الضرير رحمه الله :

وتوبة الكافر تمحو اثمه

---

(١) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ٣٠٢/٤

(٢) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ٥٦٤/٤

لا خلاف فيه بين الأمه << وتوبة العاصي على الإرجاء

وقيل كالأول بالسواء << إذ لا يكون دونه في الحال

وهو عندي أحسن الأقوال << دليله : تتابع الظواهر

شاملة مسلم وكافر

﴿وأسلموا له﴾ أي : اخضعوا له ، وانقادوا لأمره. قال القشيري : أي : أخلصوا في طاعتكم ، والإسلام ـ الذي هو الإخلاص بعد الإنابة ـ : هو أن يعلم نجاته بفضله ، لا بإنابته ؛ فبفضله يصل إلى إثابته ، لا بإنابته يصل إلى فضله. هـ. ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب﴾ في الدنيا ، أو في الآخرة ، إن لم تتوبوا قبل نزول العقاب. قال القشيري : العذاب هنا ، قيل : الفراق ، وقيل : هو أن يفوته وقت الرجوع بسوء الإياس. هـ. ﴿ثم لا تنصرون﴾ : لا تمنعون منه أبدا.

الإشارة : لا يعظم عندك الذنب عظمة تصدك عن **حسن الظن بالله** ، فإن من استحضر عظمة ربه صغر في عينه كل شيء. وتذكر قضية الرجل الذي قتل تسعا وتسعين نفسا ، ثم سأل راهبا : هل له توبة ؟ فقال : لا ، فكمل به المائة ، ثم سأل عارفا ، فقال له : ومن يحول بينك وبينها ؟ لكن اخرج من القرية التي كنت تعصي فيها ، واذهب إلى قوم يعبدون الله في مكان ، فذهب ، فأدركه الموت في الطريق ، فلما أحس بالموت انحاز بصدره إلى القرية التي قصدها ، ثم مات ، فاختصمت فيه ملائكة العذاب وملائكة الرحمة فقال لهم الحق تعالى : قيسوا من القرية التي خرج منها ، إلى القرية التي قصدها ، فإلى أيهما هو أقرب هو منها ؟ فوجدوه أقرب إلى القرية التي قصدها بشبر ، فأخذته ملائكة الرحمة. إلى غير ذلك من الحكايات التي لا تحصى في هذا المعنى.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٧٢

(١) ".

"جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٣٨

الإشارة : أعداء الله هم الجاحدون لوحدانيته ولرسالة رسله ، وهم الذين تشهد عليهم جوارحهم ، وأما المؤمن فلا ، نعم إن مات عاصيا شهدت عليه البقع أو الحفظة ، فإن تاب أنسى الله حفظته ومعالمه في الأرض ذنوبه. قال في التذكرة : إن العبد إذا صدق في توبته أنسى الله ذنوبه لحافظيه ، وأوحى إلى بقع الأرض وإلى جميع جوارحه : أن اكتموا مساوىء عبدي ، ولا تظهروها ، فإنه تاب إلي توبة صادقة ، بنية مخلصة ، فقبلته وتبت عليه ، وأنا التواب الرحيم.

وفي الآية حث على **حسن الظن بالله** ، وفي الحديث : " لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل " وقال أيضا : " يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي... " الحديث فمن ظن خيرا لقي خيرا ، ومن ظن شرا لقي شرا. وبالله التوفيق.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٣٨

يقول الحق جل جلاله : ﴿وقيضنا﴾ أي : سيرنا ، أو : قدرنا ، ﴿لهم﴾ أي : كفار مكة في الدنيا ﴿قرناء﴾ سواء من الجن

---

(١) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ٦/٤١٥

والإنس ، أو : سلطنا عليهم نظراء لهم من الشياطين يستولون عليهم ، كقوله : ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾

٣٤٠

" .(١)

"وقال صلى الله عليه وسلم : " إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة ، فيقال لأحدهم : هلم ، فيجيء بغمه وكربه ، فإذا جاء أغلق دونه ، ثم يفعل به هكذا مرارا ، من باب إلى باب ، حتى يأتيه الإياس " بالمعنى من البدور السافرة.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٦٧

يقول الحق جل جلاله : ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ أي : كونوا في جانب منه ، يقال : جنبه الشر إذا أبعده عنه ، أي : جعله في جانب منه ، و " جنب " يتعدى

١٦٩

إلى مفعولين ، قال تعالى : ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ [إبراهيم : ٣٥] ، ومطاوعه ، اجتنب ، ينقص مفعولا ، وإبهام " الكثير " لإيجاب التأمل في كل ظن ، حتى يعلم من أي قبيل هو ، فإن من الظن ما يجب اتباعه ؛ كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات ، **وحسن الظن بالله** تعالى ، ومنه ما يحرم ، وهو ما يوجب نقصا بالإلهيات والنبوات ، وحيث يخالفه قاطع ، وظن السوء بالمؤمنين ، ومنه ما يباح ، كأمور المعاش.

﴿إن بعض الظن إثم﴾ تعليل للأمر بالاجتناب ، قال الزجاج : هو ظنك بأهل الخير سوءا ، فأما أهل الفسق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر عليهم ، وقيل المعنى : اجتنبوا اجتنابا كثيرا من الظن ، وتحرزوا منه ، إن بعض الظن إثم ، وأولى كثيره ، والإثم : الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : " إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث " ، فالواجب ألا يعتمد على مجرد الظن ، فيعمل به ، أو يتكلم بحسبه.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٦٩

" .(٢)

"قال ابن عطية : وما زال أولو العزم يحترسون من سوء الظن ، ويجتنبون ذرائعه. قال النووي : واعلم أن سوء الظن حرام مثل القول ، فكما يحرم أن تحدث غيرك بمساوئ إنسان ؛ يحرم أن تحدث نفسك بذلك ، وتسيء الظن به ، والمراد : عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء ، فأما الخواطر ، وحديث النفس ، إذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه ، فمعفو عنه باتفاق ؛ لأنه لا اختيار له في وقوعه ، ولا طريق له إلى الانفكاك عنه. هـ. وقال في التمهيد : وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " حرم الله من المؤمن : دمه وماله وعرضه ، وألا يظن به إلا الخير " هـ. ونقل أيضا أن عمر بن عبد

---

(١) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ٥١١/٦

(٢) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ٢٤٤/٧

العزيز كان إذا ذكر عنده رجل بفضل أو صلاح ، قال : كيف هو إذا ذكر عنده إخوانه ؟ فإن قالوا : ينتقص منهم ، وينال منهم ، قال عمر : ليس هو كما تقولون ، وإن قالوا : إنه يذكر منهم جميلا ، ويحسن الثناء عيلهم ، قال : هو كما تقولون إن شاء الله. هـ. وفي الحديث أيضا : " خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير ، **حسن الظن بالله** ، وحسن الظن بعباد الله ، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : سوء الظن بالله ، وسوء الظن بعباد الله ". ﴿ولا تجسسوا﴾ لا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايبهم ، يقال : تجسس الأمر : إذا تطلبه وبحث عنه ، تفعل من : الجس. وعن مجاهد : خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله. وقال سهل : لا تبحثوا عن طلب ما ستر الله على عباده ، وفي الحديث : " لا تتبعوا عورات المسلمين ؛ فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ".

١٧٠

". (١)

"لا يسخر لا يهزأ ولا يحتقر ولا يعيب ، والسخرية والسخرى : الازدراء والاحتقار ، ويقال : سخر به وسخر منه. وقد تكون السخرية : بمحاكاة القول أو الفعل أو الإشارة. قوم هم الرجال دون النساء ، فالقوم مختص بالرجال ، لأنهم قوامون على النساء. ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يعب بعضكم بعضا ، ولا تعيبوا ، فتعابوا ، واللمز : الطعن والتنبيه إلى المعايب بقول أو إشارة باليد أو العين أو نحوهما.

ولا تنابزوا بالألقاب أي لا تتداعوا بالمكروه من الألقاب ، فإن النبز مختص بلقب السوء عرفا ، ومنه : يا فاسق ، ويا كافر. بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي ساء الاسم والصيت ، وهو المذكور من السخرية واللمز والتنابز ، بأن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الإيمان واشتهارهم به ، والمراد تهجين نسبة الكفر والفسق إلى المؤمنين ، مأخوذ من قولهم : طار اسمه في الآفاق أي ذكره وشهرته. ومن لم يتب من ذلك المنهي عنه. فأولئك هم الظالمون فهم لا غيرهم ظلمة ، بوضع العصيان موضع الطاعة ، وتعريض النفس للعذاب.

اجتنبوا تباعدوا وكونوا بمنأى عنه أو على جانب منه. كثيرا من الظن الظن حد وسط بين العلم (اليقين) والشك أو الوهم ، وهو ما يطرأ للنفس بسبب شبهة أو أمارة قوية أو ضعيفة. وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل من أي نوع ، فبعض الظن واجب الاتباع كالاجتهاد في الأحكام العملية **وحسن الظن بالله** ، وبعضه حرام كالظن في الإلهيات والنبوات ، أو عند مصادمة الدليل القاطع ، وظن السوء بالمؤمنين ، وبعضه مباح كالظن في الأمور المعاشية.." (٢)

"ذكر الزمخشري : روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من حق المؤمن على المؤمن أن يسميه بأحب أسمائه إليه. وكانت التكنية من السنة والأدب الحسن »

قال عمر رضي الله عنه : « أشيعوا الكنى فإنها منبهة ، وقد لقب أبو بكر بالعتيق

ج ٢٦ ، ص : ٢٦٢

---

(١) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ٧/٢٤٥

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٦/٢٦٦

و الصديق ، وعمر بالفاروق ، وحمزة بأسد الله ، وخالد بسيف الله ، وقل من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب ، ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها- من العرب والعجم- تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير » .

٢- كذلك حرمالله سبحانه بدلالة النهي أيضا في الآية الثانية ثلاثة أشياء :

هي سوء الظن بأهل الخير والصلاح والإيمان ، والتجسس ، والغيبة.

والظن أنواع « ١ » :

الأول- ظن واجب أو مأمور به : **كحسن الظن بالله** تعالى وبالمؤمنين ، كما

جاء في الحديث القدسي فيما رواه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة : « أنا عند ظن عبدي بي »

و

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن جابر : « لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** »

و

قال أيضا فيما رواه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة : « حسن الظن من حسن العبادة »

ومثل قبول شهادة العدول ، وتحري القبلة ، وتقويم المستهلكات وأروش الجنايات غير المقدرة شرعا.

الثاني- ظن محظور أو حرام : كسوء الظن بالله ، وبأهل الصلاح ، وبالمسلمين مستوري الحال ، ظاهري العدالة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه ، وأن يظن به ظن السوء » ذكره القرطبي والألوسي

، و

قال أيضا عن عائشة مرفوعا : « من أساء بأخيه الظن فقد أساء الظن بربه ، إن الله تعالى يقول : اجتنبوا كثيرا من الظن .. » "(١)

"و ليست المصائب في الدنيا دليلا على عدم الرضا ، وليس النجاح فيها دليلا على الرضا.

ج ٢٨ ، ص : ٢٥١

٣- على المؤمنين تهوين المصائب على أنفسهم ، والاشتغال بطاعة الله تعالى ، والعمل بكتابه ، وإطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في العمل بسنته ، فإن تولوا عن الطاعة ، فليس على الرسول صلى الله عليه وسلم إلا التبليغ.

٤- على الناس قاطبة توحيد الله وعبادته وحده ، فلا إله إلا هو ، ولا معبود سواه ، ولا خالق غيره ، وعليهم التوكل على الله ، **وحسن الظن بالله** ، والاعتماد عليه بعد تعاطي الأسباب ، والقيام بما يقتضيه الواجب من السعي والعمل في الحياة.

التحذير من فتنة الأزواج والأولاد والأموال والأمر بالتقوى والإنفاق [سورة التغابن (٦٤) : الآيات ١٤ الى ١٨]

يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم (١٤) إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم (١٥) فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٦/٢٨٢

يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (١٦) إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم (١٧) عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم (١٨)

الإعراب :

وأنفقوا خيرا لأنفسكم خيرا إما منصوب ب أنفقوا ويراد به هنا المال ، أو منصوب بفعل مقدر دل عليه. أنفقوا أي وآتوا خيرا ، أو وصف لمصدر محذوف ، أي وأنفقوا إنفاقا خيرا ، أو خبر كان مقدرة ، أي وأنفقوا وكان الإنفاق خيرا ..

ج ٢٨ ، ص : ٢٥٢." (١)

"و ليس لكم أن تضعفوا وتحزنوا ، وأنتم الأعلون ، والعاقبة والنصر لكم أيها المؤمنون ، بمقتضى سنة الله في جعل العاقبة للمتقين ، وقتلاهم في الجنة ، وقتلى الكافرين في النار. والمراد بالنهي عن الوهن والحزن : النهي عن الاستسلام ، والعودة إلى التأهب والاستعداد ، مع صدق العزيمة ، وقوة الإرادة ، **وحسن الظن بالله** ، والتوكل عليه والثقة بالنصر.

وكيف تضعفون بسبب الآلام والجراح والقتل ، فإن كنتم قد أصابتكم جراح ، وقتل منكم طائفة في أحد ، فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح ، بل وتعرضوا لألم أكثر في بدر ، فإن هزمتم في أحد ، فقد انتصرتم في بدر ، والأيام دول ، والحرب سجال ، ويوم لكم ويوم عليكم ، وذلك كله لحكمة ، فنجعل للباطل دولة في يوم ، وللحق دولة في أيام ، والعاقبة والنصر في النهاية

ج ٤ ، ص : ١٠٠

للمتقين المخلصين. جاء في السيرة أن أبا سفيان صعد الجبل يوم أحد ، فمكث ساعة ، ثم قال : أين ابن أبي كبشة ؟ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأبو كبشة زوج حليمة السعدية ، وهو أبوه من الرضاع ، أين ابن أبي قحافة ؟ - أي أبو بكر- أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أبو بكر ، وها أنا ذا عمر ، فقال أبو سفيان : يوم بيوم ، والأيام دول ، والحرب سجال. فقال عمر رضي الله عنه : لا سواء ، قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار ، فقال : إنكم تزعمون ذلك ، فقد خبنا إذن وخسرنا « ١ » .

إن تقلب الأحوال بين الدول ليظهر العدل ويستقر النظام ، ويعلم الناظر في السنن العامة ، وليظهر الله علمه بتحقق إيمان المؤمنين ، وانكشاف الصابرين على مناجزة الأعداء ، كقوله : ليميز الله الخبيث من الطيب [الأنفال ٨/ ٣٧] أي ليعلم الناس الفرق بينهما ويميزوه ، ولذا." (٢)

"و السبب في شناعة الشرك : أنه كذب محض وافتراء صريح ، وأنه وكر الخرافات والأباطيل ، ومنه تنشأ سائر الجرائم التي تهدم حياة الأفراد ونظام الجماعات ، ويتنافى مع رقي العقول ، وطهارة النفوس ، وصفاء الأرواح ، ويحجب نور الإيمان الصحيح عن النفاذ إلى القلب.

أما التوحيد ففيه عزة النفس ، وتحرير الإنسان من العبودية لأحد من البشر أو لشيء في الكون ، والسمو بالذات البشرية

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٦٤/٢٨

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٠٤/٤

إلى عبادة الله والاتكال عليه

(١) قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب.

ج ٥ ، ص : ١٠٧

و الإخلاص له ، وفي ذلك كله راحة النفس ، واطمئنان القلب ، وصفاء الروح ، وتنوير البصيرة ، والظفر بعون الله ونصره ، والاستجابة لنداء الفطرة ، والاعتماد على مصدر الخير الحقيقي ، والثقة التامة بمن بيده إنقاذ العبد ونجاته من مخاطر الدنيا ومضارها ، والتخلص من أوزار المعصية في الآخرة.

ومن وسائل المغفرة المتروكة للبشر والمقيدة بالمشيئة الإلهية أيضا : الدعاء مع الإيمان والإخلاص والاستقامة **وحسن الظن بالله** تعالى ، وفعل الحسنات ، لقوله عز وجل : إن الحسنات يذهبن السيئات [هود ١١/ ١١٤] ، والتوبة الصادقة النصوح التي حث عليها القرآن بعد التفريط وارتكاب الذنب جهلا.

نماذج أخرى من أعمال أهل الكتاب والجزاء عليها [سورة النساء (٤) : الآيات ٤٩ الى ٥٥]." (١)

"٢- للدعاء آداب وصفات تحسن معه : وهي الخشوع والاستكانة والتضرع ، وكونه سرا في النفس ليبعد عن الرياء ، وأن يكون الإنسان في حالة بين الرجاء والخوف ، فيدعو خوفا من عقاب الله ، وطمعا في ثوابه ، قال الله تعالى : ويدعوننا رغبا ورهبا [الأنبياء ٢١/ ٩٠].

قال بعض أهل العلم : ينبغي أن يغلب الخوف الرجاء طوال الحياة ، فإذا جاء الموت غلب الرجاء.

أخرج مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** » .

وينبغي عدم الاعتداء في الدعاء : بالجهر الكثير والصياح ، أو يدعو الإنسان أن تكون له منزلة نبي ، أو يدعو في محال ونحو هذا من الشطط ، أو يدعو طالبا معصية وغير ذلك ، أو يدعو بما ليس في الكتاب والسنة ، فيتخير ألفاظا مفقرة ، وكلمات مسجعة ، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء ، والأولى ترك كل ذلك.

ومجمل آداب الدعاء : أن يكون على طهارة ، وأن يستقبل القبلة ، وتخلية القلب من الشواغل ، وافتتاحه واختتامه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ورفع اليدين نحو السماء ، وإشراك المؤمنين فيه ، وتحري ساعات الإجابة كثلث الليل الأخير ، ووقت إفطار الصائم ، ويوم الجمعة ، وحال السفر والظلم وغير ذلك « ١ » .

(١) روح المعاني للالوسي : ٨/ ١٤٠

ج ٨ ، ص : ٢٤٢

٣- ودل قوله تعالى : إنه لا يحب المعتدين على أن كل من خالف أمر الله ونهيه ، فإنه يكون معاقبا إذا ارتكب محرما ، فإن لم يكن من المحرمات فالأولى تركه.

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٠٣/٥

٤- استدل الحنفية بقوله تعالى : ادعوا ربكم تضرعا وخفية على أن إخفاء التأمين « آمين » أولى من الجهر بها لأنه دعاء. وقال الشافعي رحمه الله :

إعلانه أفضل.." [1]

"(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤))

٦٩- أن الإنسان يؤيد كلامه بالشواهد إذا احتمل التكذيب أي إذا كان كلامك محتمل أن يكذبه الشخص الأخر برهن له بالشواهد فقالوا اسأل القرية التي كنا فيها وإنا لصادقون . لأنه مادام الشك في كلامهم فليؤخذ الخبر من مصادر أخرى خذ من مصادر أخرى لكي تتأكد من كلامنا .

٧٠- أن الصبر الجميل عاقبته حميدة والفرق بينه وبين الصبر العادي . الصبر الجميل الذي لا يبوح فيه صاحبه بالشكوى بل يفوض أمره لله .

٧١- **حسن الظن بالله** عز وجل٤٢ وهذا من مقتضيات التوحيد وعكسه من قادح التوحيد

يعقوب كم سنه الآن بعيد عن ولده اكثر من عشرين سنه تقريبا ومع ذلك قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعا ما قال عسى أن يأتيني بالولد هذا الصغير الآن هو يعرف أنه حي لكن أسير في مصر عند الملك ...... لكن هو يقول على هذا وعلى الأول وما عنده يقين أن يوسف مات إلى الآن وما يدرى أين يوسف لكن لازال ظنه بالله قويا (عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً)

٧٢- أن البكاء لا ينافي الصبر (وَقَالَ يَا أسفي عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ) فمن البكاء والدمع انقلب سواد عينيه بياضا من كثره البكاء . ما هو الفرق بين البكاء والنياحه ؟ وهل يجوز لمن مات له ميت أن يبكى عليه ؟." [2]

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٣ ، ص : ٥٧

قال صاحب الانتصاف : وإنما لجأ الزمخشري إلى تقدير تركوا بقوله شارفوا أن يتركوا لأن جوابه قوله خافوا عليهم والخوف عليهم إنما يكون قبل تركهم إياهم. وذلك في دار الدنيا. فقد دل على أن المراد بالترك الإشراف عليه ضرورة ، وإلا لزم وقوع الجواب قبل الشرط وهو باطل. ونظيره فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف أى. شارفن بلوغ الأجل.

ثم قال : ولهذا المجاز في التعبير عن المشارفة على الترك بالترك سر بديع. وهو التخويف بالحالة التي لا يبقى معها مطمع في الحياة ، ولا في الذب عن الذرية الضعاف. وهي الحالة التي وإن كانت من الدنيا ، إلا أنها لقربها من الآخرة ، ولصوقها بالمفارقة ، صارت من حيزها ، ومعبرا عنها بما يعبر به عن الحالة الكائنة بعد المفارقة من الترك « ١ ».

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٨/٢٤٤

(٢) ١٠٠ فائدة من سورة يوسف، ص/٣٩

وقوله ضعافا صفة لذرية. وفي وصف الذرية بذلك بعث على الترحم وحض على امتثال ما أمر الله به.

والفاء في قوله فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا لترتيب ما بعدها على ما قبلها. فقد رتب الأمر بالتقوى على الأمر بالخشية وإن كانا أمرين متقاربين لأن الأمر الأول لما عضد بالحجة – وهي الخوف على ذريتهم – اعتبر كالحاصل فصح التفريع عليه.

والمعنى : فليتقوا الله في كل شأن من شئونهم وفي أموال اليتامى فلا يعتدوا عليها. وليقولوا لغيرهم قولا عادلا قويما مصيبا للحق وبعيدا عن الباطل.

قال الآلوسى وقوله وليقولوا أى لليتامى أو للمريض أو لحاضري القسمة ، أو ليقولوا في الوصية قولا سديدا فيقول الوصي لليتيم ما يقول لولده من القول الجميل الهادي له إلى حسن الآداب ومحاسن الأفعال. ويقول عائد المريض للمريض : ما يذكره بالتوبة **وحسن الظن بالله** ، وما يصده عن الإسراف في الوصية وتضييع الورثة. ويقول الوارث لحاضر القسمة : ما يزيل وحشته أو يزيد مسرته. ويقول الموصى في إيصائه : ما لا يؤدى إلى تجاوز الثلث.

ثم قال ، والسديد : المصيب العدل الموافق للشرع. يقال : سد قوله يسد – بالكسر – إذا صار سديدا والسداد – بالفتح – الاستقامة والصواب. وأما السداد – بالكسر – فهو ما يسد به الشيء » « ٢ ».

قال بعض العلماء : وفي الآية الكريمة ما يبعث الناس كلهم على أن يغضبوا للحق من

---

(١) هامش تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٧٨.

(٢) تفسير الآلوسى ج ٤ ص ٢١٤. – بتصرف وتلخيص – .." (١)

"أخبرنا عمران بن موسى بن

مجاشع حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان عن عثمان بن أبي سودة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا عاد الرجل أخاه أو زاره قال الله تعالى طبت فطاب ممشاك وتبوأت منزلا في الجنة أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني حيوة بن شريح أن بشر بن أبي عمرو الخولاني أخبره أن الوليد بن قيس التجيبي أخبره أن أبا سعيد الخدري أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة من عاد مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح إلى الجمعة وأعتق رقبة أخبرنا أبو يعلى حدثنا هارون بن معروف حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن عبد ربه بن سعيد حدثني المنهال بن عمرو أخبرني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك (سبع مرات) فإن كان في أجله تأخير عوفي من وجعه ذلك أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب حدثنا يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جاء الرجل يعوده قال اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوا أو يمشي لك إلى صلاة (قلت)

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٥٧/٣

وفي الرقى في الطب أحاديث في الدعاء للمريض باب **حسن الظن بالله** تعالى أخبرنا عمر بن محمد الهمداني حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبي حدثنا محمد بن المهاجر عن يزيد بن عبيدة عن حبان أبي النضر قال خرجت عائدا ليزيد بن الأسود فلقيت واثلة بن الأسقع وهو يريد عيادته فدخلنا عليه فلما رأى واثلة بسط يده وجعل يشير إليه فأقبل واثلة حتى جلس فأخذ يزيد بكفي واثلة فجعلهما على وجهه فقال له واثلة كيف ظنك بالله قال ظني بالله والله حسن قال فأبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله جل وعلا أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيرا له وإن ظن شرا فله." (١)

"باب **حسن الظن بالله** تعالى أخبرنا محمد بن عبد الله الدمشقي بجرجان وإسحاق بن إبراهيم ببست حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا هشام بن الغاز حدثني حبان أبو النضر قال سمعت واثلة بن الأسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الله جل وعلا أنه قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن في ما شاء أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث وذكر ابن سلم آخر معه أن أبا يونس حدثهم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى يقول أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله وإن ظن شرا فله (قلت) في الصحيح بعضه أخبرنا أبو خليفة حدثنا أبو داود الطيالسي عن حماد بن سلمة عن محمد بن واسع عن شتير بن نهار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الظن من حسن العبادة باب ما جاء في فضل الدعاء أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن منصور عن ذر عن يسيع الحضرمي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ثم قرأ هذه الآية ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أخبرنا أبو خليفة حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا عمران القطان عن قتادة عن سعيد بن أبي الحسن أخي الحسن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شئ أكرم على الله من الدعاء أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن علي بن زهير بجرجان حدثنا أبي حدثنا هوذة بن خليفة حدثنا عمرو أو عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد." (٢)

"باب في ذكر حُسن الظن وأنه ثمن الجنةِ

٥- أخبرنا ناطق بن عبدالله المستظهري، وجماعة إجازة، قالوا، ثنا الشريف أبونصر #١٩# الزينبي، ثنا أبومحمد الحسن المقري، أخبرني أبومحمد الحسين بن زيد مولى الموفق، حدثني محمد بن القاسم، حدثني إسماعيل بن علي الخزاعي، ثنا محمد بن إبراهيم الصيرفي، ثنا أبو نواس: الحسن بن هانئ الحكمي، عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) موارد الظمآن، ص/١٨٣

(٢) موارد الظمآن، ص/٥٩٥

لا يموتن أحدكم حتى **يحسن الظن بالله**؛ فإن حُسن الظن ثمن الجنة.

اللفظة الأخيرة غريبة لم نكتبها إلا بهذا السند.." (١)

"[ومن أصدق من الله قيلا] أى ومن أصدق من الله قولا ؟ والاستفهام معناه النفي ، أى لا أحد أصدق قولا من الله ، قال ابو السعود : والمقصود معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه ، بوعد الله الصادق لأوليائه

[ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب] أى ليس ما وعد الله تعالى من الثواب ، يحصل بأمانيكم ايها المسلمون ، ولا بأماني أهل الكتاب ، إنما يحصل بالإيمان والعمل الصالح . قال الحسن البصري : (ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب ، وصدقه العمل ، ان قوما الهتهم الأماني ، حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : **نحسن الظن بالله** ، وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل)

[من يعمل سوءا يجزى به] أى من يعمل السوء والشر ، ينال عقابه عاجلا أم آجلا

[ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا] أى لا يجد من يحفظه او ينصره من عذاب الله

[ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن] أى ومن يعمل الاعمال الصالحة ، سواء كان ذكرا أو أنثى بشرط الايمان

[فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا] أى يدخلهم الله الجنة ، ولا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب أعمالهم ، كيف لا والمجازي هو أرحم الراحمين ! ! وانما قال : [وهو مؤمن] ليبين ان الطاعة لاتنفع من دون الايمان . . ثم قال تعالى :

[ومن أحسن دينا ممن اسلم وجهه لله] ؟ أى لا أحد احسن دينا ممن انقاد لأمر الله وشرعه ، وأخلص عمله لله

[وهو محسن] أى مطيع لله مجتنب لنواهيه

[وإتبع ملة ابراهيم حنيفا] أى واتبع الدين الذي كان عليه (ابراهيم) خليل الرحمن ، مستقيما على منهاجه وسبيله ، وهو دين الاسلام

[واتخذ الله إبراهيم خليلا] أى صفيا اصطفاه لمحبته وخلته . قال ابن كثير : فانه انتهى إلى درجة الخلة ، التى هي أرفع مقامات المحبة ، وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه

[ولله ما في السموات وما في الارض] أى جميع ما في الكائنات ، ملكه وعبيده وخلقه ، وهو المتصرف في جميع ذلك لا راد لما قض ، ولا معقب لما حكم

[وكان الله بكل شيء محيطا] أى علمه نافذ في جميع الامور ، لا تخفى عليه خافية

[ويستفتونك في النساء] أى يسألونك عما يجب عليهم في أمر النساء

[قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب] أى قل لهم يا محمد : الله يبين لكم ما سألتم في شأنهن ، ويبين لكم ما يتلى في القرآن من أمر ميراثهن

[في يتامى النساء اللاتي لا تأتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن] أى ويفتيكم أيضا في اليتيمات اللواتى ترغبون في

---

(١) موجبات الجنة لابن الفاخر الأصبهاني، ص/١٩

نكاحهن لجمالهن أو لمالهن ، ولا تدفعون لهن مهورهن كاملة ، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك . قال ابن عباس : كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه ، فاذا فعل ذلك ، لم يقدر أحد أن يتزوجها أبدا ، فإن كانت جميلة وأحبها تزوجها وأكل مالها ، وان كانت دميمة منعها الرجال حتى تموت ، فإذا ماتت ورثها ، فحرم الله ذلك ، ونهى عنه

[والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط] أى وبفتيكم فى المستضعفين الصغار ان تعطوهم حقوقهم ، وان تعدلوا مع اليتامى في الميراث والمهر ، وقد كان أهل الجاهلية لا يورثون الصغار ، ولا النساء ، ويقولون : كيف نعطي المال ، من لا يركب فرسا ولا يحمل سلاحا ، ولا يقاتل عدوا! ؟ فنهاهم الله عن ذلك ، وأمرهم ان يعطوهم نصيبهم من الميراث

[وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما] أى وما تفعلوه من عدل وبر فى أمر النساء واليتامى ، فإن الله يجازيكم عليه ، قال ابن كثير : وهذا تهييج على فعل الخيرات وامتثال الاوامر ، وان الله سيجزي عليه أوقر الجزاء. . ثم ذكر تعالى حكم نشوز الرجل فقال :

(١) ".

" ٦١ - ﴿ وينجي الله الذين اتقوا ﴾ أي اتقوا الشرك ومعاصي الله والباء في ﴿ بمفازتهم ﴾ متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول : أي ملتبسين بمفازتهم قرأ الجمهور ﴿ بمفازتهم ﴾ بالإفراد على أنها مصدر ميمي والفوز : الظفر باخير والنجاة من الشر قال المبرد : المفازة مفعلة من الفوز وهو السعادة وإن جمع فحسن : كقولك السعادة والسعادات والمعنى ينجيهم الله بفوزهم : أي بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿ بمفازاتهم ﴾ جمع مفازة وجمعها مع كونها مصدرا لاختلاف الأنواع وجملة ﴿ لا يمسهم السوء ﴾ في محل نصب على الحال من الموصول وكذلك جملة ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ في محل نصب على الحال : أي ينفي السوء والحزن عنهم يوجوز أن تكون الباء في بمفازتهم للسببية : أي بسبب فوزهم مع انتفاء مساس السوء لهم وعدم وصول الحزن إلى قلوبهم لأنهم رضوا بثواب الله وأمنوا من عقابه

وقد أخرج ابن أبي حاتم قال السيوطي بسند صيحيح وابن مردويه عن ابن عباس قال : أنزلت ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا ﴾ الآية في مشركي أهل مكة وأخرج ابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال : كنا نقول ليس لمفتتن توبة وما الله بقابل منه شيئا عرفوا الله وآمنوا به وصدقوا رسوله ثم رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم وكانوا يقولونه لأنفسهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة أنزل الله فيهم ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا ﴾ الآيات قال ابن عمر : فكتبتها بيدي ثم بعثت بها إلى هشام بن العاصي وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد قال : لما أسلم وحشي أنزل أنزل الله ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾ قال وحشي وأصحابه : قد ارتكبنا هذا كله فأنزل الله ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا ﴾ الآية وأخرج البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة قال : [خرج النبي صلى الله عليه و سلم على رهط من أصحابه وهم يضحكون ويتحدثون فقال : والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم انصرف وأبكى القوم وأوحى الله إليه : يا محمد لم تقنط عبادي فرجع النبي صلى الله عليه و سلم فقال : أبشروا وسددوا وقاربوا] وأخرج ابن مردويه والبيهقي في

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابونى، ١/١٩٩

سننه عن عمر بن الخطاب أنها نزلت فيمن أفتن وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس أنها نزلت في مشركي مكة لما قالوه إن الله لا يغفر لهم ما قد اقترفوه من الشرك وقتل الأنفس وغير ذلك وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيبهقي في الشعب عن ثوبان : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : [ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ إلى آخر الآية فقال رجل ومن أشرك ؟ فسكت النبي صلى الله عليه و سلم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات] وأخرج أحمد وعبد بن حيمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف والحاكم وابن مردويه عن أسماء بنت يزيد [سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقرأ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم] وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في **حسن الظن بالله** وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود أنه مر على قاص يذكر الناس فقال : يا مذكر الناس لا تقنط الناس ثم قرأ ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا ﴾ الآية وأخرج ابن جرير عن ابن سيرين قال : قال علي : أي آية أوسع ؟ فجعلوا يذكرون آيات من القرآن ﴿ من يعمل سوءا أو يظلم نفسه ﴾ الآية ونحوها فقال علي : ما في القرآن أوسع من ﴿ يا عبادي ﴾ الآية وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في قوله : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ الآية قال : قد دعا الله إلى مغفرته من زعم أن المسيح ابن الله ومن زعم أن عزيزا ابن الله ومن زعم أن الله فقير ومن زعم أن يد الله مغلولة ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة يقول لهؤلاء ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾ ثم دعا إلى توبته من هو أعظم قولا من هؤلاء من ﴿ قال أنا ربكم الأعلى ﴾ وقال ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ قال ابن عباس ومن آيس العباد من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ أن تقول نفس ﴾ قال : أخبر الله ما العباد قائلون قبل أن يقولوا وعلمهم قبل أن يعلموا ." (١)

" ثم أخبر على حالهم فقال : ٢٤ - ﴿ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم ﴾ أي فإن يصبروا على النار فالنار مثواهم : أي محل استقرارهم وإقامتهم لا خروج لهم منها وقيل المعنى : فإن يصبروا في الدنيا على أعمال أهل النار فالنار مثوى لهم ﴿ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴾ يقال أعتبني فلان : أي أرضاني بعد إسخاطه إياي واستعتبته طلبت منه أن يرضى والمعنى : أنهم إن يسألوا أن يرجع بهم إلى ما يحبون لم يرجع لأنهم لا يستحقون ذلك قال الخليل : تقول استعتبته فأعتبني : أي استرضيته فأرضاني ومعنى الآية : إن يطلبوا الرضى لم يقع الرضى عنهم بل لا بد لهم من النار قرأ الجمهور ﴿ يستعتبوا ﴾ بفتح التحتية وكسر التاء الفوقية الثانية مبنيا للفاعل وقرأوا ﴿ من المعتبين ﴾ بفتح الفوقية اسم مفعول وقرأ الحسن وعبيد بن عمير وأبو العالية يستعتبوا مبنيا للمفعول فما هم من المعتبين اسم فاعل : أي إنهم إن أقالهم الله وردهم إلى الدنيا لم يعملوا بطاعته كما في قوله سبحانه : ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴾

وقد أخرج الطبراني عبن ابن عباس في قوله : ﴿ فهم يوزعون ﴾ قال : يحبس أولهم على آخرهم وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عنه في الآية قال : يدفعون وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال : كنت مستترا بأستار الكعبة

---

(١) فتح القدير، ٦٧١/٤

فجاء ثلاثة نفر : قرشي وثقيفيان أو ثقفي وقرشيان كثير لحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم أسمعه فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخران : إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإنا إذا لم نرفعه لم يسمعه فقال الآخران : إن سمع منه شيئا سمعه كله قال : فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه و سلم فأنزل الله ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ﴾ إلى قوله : ﴿ من الخاسرين ﴾ وأخرج عبد الرزاق وأحمد والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن معاوية بن حيدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [تحشرون ها هنا وأومأ بيده إلى الشام مشاة وركبانا وعلى وجوهكم وتعرضون على الله وعلى أفواهكم الفدام وأول ما يعرب عن أحدكم فخذه وكتفه وتلا رسول الله صلى الله عليه و سلم ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾] وأخرج أحمد وأبو داود الطيالسي وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وابن مردويه عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** تعالى فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال الله : ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾] ." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرأون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ [٢٦] .

﴿ الخبيثات ﴾ أي : من النساء : ﴿ للخبيثين ﴾ أي : من الرجال : ﴿ والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ أي : بحيث لا يكاد يتجاوز كل واحد إلى غيره . والطيب : ضد الخبيث وهو الأفضل من كل شيء والأحسن والأجود . قال أبو السعود : وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الأطيبين ، وخيرة الأولين والآخرين ، تبين كون الصديقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات بالضرورة . واتضح [في المطبوع : إتضح] بطلان ما قيل في حقها من الخرافات ، حسبما نطق به قوله تعالى : ﴿ أولئك مبرأون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ وهو الجنة . وبهذه الآية تم نبأ أهل الإفك .

واعلم أن ما اشتملت عليه الآيات من الأحكام والفوائد والمطالب والآداب ، لا تفي بها مجلدات . إلا أنا نشير إلى شيء من ذلك ، نقتبسه من أهم المراجع ، تتميما لما أجملناه في تأويلها .

فالأول : أن نبأ الإفك كان في غزوة المريسيع تصغير مرسوع ، بئر أو ماء لخزاعة وكانت في شعبان سنة خمس . وسببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن الحارث بن أبي ضرار ، سيد بني المصطلق سار في قومه ومن قدر عليه من العرب يردي حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من أصحابه . وخرج معهم جماعة من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قبلها ، فأغار عليهم ، فسبى ذراريهم وأموالهم . وكانت عائشة رضي الله عنها قد خرجت معه ، عليه الصلاة والسلام ، في هذه الغزوة ، بقرعة أصابتها وكانت تلك عادته مع نسائه . فلما رجعوا من الغزوة ، نزلوا في بعض المنازل . فخرجت عائشة لحاجتها ففقدت عقدا لأختها كانت أعارتها إياه . فرجعت تلتمسه في الموضع الذي فقدته

---

(١) فتح القدير، ٧٢٩/٤

فيه في وقتها . فجاء النفر الذين كانوا يرحلون هودجها ، فظنوها فيه ، فحملوا الهودج ، ولا ينكرون خفته ، لأنها رضي الله عنها كانت فتية السن لم يغشها اللحم الذي كان يثقلها . وأيضا ، فإن النفر لم تساعدوا على حمل الهودج ، لم ينكروا خفته . ولو كان الذي حمله واحدا أو اثنين لم يخف عليهما الحال . فرجعت عائشة إلى منزلهم وقد أصابت العقد ، فإذا ليس لها داع ولا مجيب . فقعدت في المنزل ، وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون في طلبها والله غالب على أمره ، يدبر الأمر فوق عرشه كما يشاء فغلبتها عيناها فنامت فلم تستيقظ إلا بقول صفوان بن المعطل بفتح الطاء المشدودة سلمى ذكواني صحابي فاضل متقدم الإسلام : إنا لله وإنا إليه راجعون . زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صفوان قد عرس في أخريات الجيش لأنه كان كثير النوم كما جاء عنه في صحيح أبي حاتم وفي السنن . فلما رآها عرفها . وكان يراها قبل نزول الحجاب . فاسترجع وأناخ راحلته ، فقربها إليها ، فركبتها . وما كلمها كلمة واحدة . ولم تسمع منه إلا استرجاعه . ثم سار بها يقودها حتى قدم بها ، وقد نزل الجيش في نحر الظهيرة فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته وما يليق به . ووجد الخبيث عدو الله ابن أبي متنفسا . فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه . فجعل يستحكي الإفك ويستوشيه ويشيعه ويذيعه ويجمعه ويفرقه . وكان أصحابه يتقربون إليه . فلما قدموا المدينة أفاض أهل الإفك في الحديث ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم . ثم أستشار أصحابه في فراقها ، فأشار عليه علي رضي الله عنه أن يفارقها ويأخذ غيرها ، تلويحا لا تصريحا . وأشار عليه أسامة وغيره بإمساكها ، وألا يلتفت إلى كلام الأعداء . فعلي ، لما رأى أن ما قيل مشكوك فيه ، أشار بترك الشك والريبة إلى اليقين ، ليتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهم والغم الذي لحقه من كلام الناس فأشار بحسم الداء . وأسامة لما علم حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ولأبيها ، وعلم من عفتها وبراءتها وحصانتها وديانتها ، ما هي فوق ذلك وأعظم منه ، وعرف من كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه ومنزلته عنده ودفاعه عنه ؛ أنه لا يجعل ربة بيته وحبيبته ، من النساء وبنت صديقه بالمنزل الذي أنزلها به أرباب الإفك . وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم على ربه وأعز عليه من أن يجعل تحته امرأة بغيا . وعلم أن الصديقة حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم على ربها من أن يبتليها بالفاحشة وهي تحت رسوله . ومن قويت معرفة الله ومعرفة رسوله وقدره عند الله في قلبه – قال كما قال أبو أيوب وغيره من سادات الصحابة ، لما سمعوا ذلك : ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ وتأمل ما في تسبيحهم لله وتنزيههم له في ذلك المقام ، من المعرفة به وتنزيهه عما لا يليق به أن يجعل لرسوله وخليله وأكرم الخلق عليه ، امرأة خبيثة بغيا . فمن ظن به سبحانه هذا الظن ، فقد ظن به السوء . وعرف أهل المعرفة بالله ورسوله ، أن المرأة الخبيثة لا تليق إلا بمثلها . كما قال تعالى : ﴿ الخبيثات للخبيثين ﴾ فقطعوا قطعا لا يشكون فيه ، أن هذا بهتان عظيم وفرية ظاهرة .

فإن قيل : فما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم توقف في أمرها وسأل عنها وبحث واستشار وهو أعرف بالله وبمنزلته عنده فيما يليق به . وهلا قال : سبحانك هذا بهتان عظيم ، كما قاله فضلاء الصحابة ؟ فالجواب : أن هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سببا لها ، وامتحانا وابتلاء لرسوله صلى الله عليه وسلم ولجميع الأمة إلى يوم القيامة . ليرفع بهذه القصة أقواما ويضع بها آخرين . ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيمانا ، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا . واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي شهرا في شأنها . لا يوحي إليه في ذلك بشيء

ليتم حكمته التي قدرها وقضاها ، ويظهر على أكمل الوجوه ، ويزداد المؤمنون الصادقون إيمانا وثباتا على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده . ويزداد المنافقون إفكا ونفاقا . ويظهر للرسول وللمؤمنين سرائرهم ، ولتم العبودية المرادة من الصديقة وأبيها . وتتم نعمة الله عليهم ، ولتشدد الفاقة والرغبة منها ومن أبيها ، والافتقار إلى الله ، والذل له ، وحسن الظن به ، والرجاء له . ولينقطع رجاؤها من المخلوقين ، وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق . ولهذا وقت لهذا المقام حقه ، لما قال لها أبوها : قومي إليه ، وقد انزل الله عليه براءتها ، قالت : والله ! لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي .

وأيضا ، فكان من حكمة حبس الوحي شهرا ، أن القضية نضجت وتمخضت واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف ، إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها .

وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع . فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ، والصديق ، وأهله وأصحابه ، والمؤمنون . فورد عليهم ورود الغيث على الأرض ، أحوج ما كانت إليه . فوقع منهم أعظم موقع وألطفه . وسروا به أتم السرور ، وحصل لهم به غاية الهناء . فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة ، وأنزل الوحي على الفور بذلك ، لفاتت هذه الحكم وأضعافها ، بل أضعاف أضعافها .

وأيضا فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عندهم ، وكرامته عليه . وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه ، والرد على أعدائه ، وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه ، بل يكون هو وحده المتولي لذلك ، الثائر لرسوله وأهل بيته .

وأيضا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو المقصود بالأذى . والتي رميت زوجته فلم يكن يليق أن يشهد ببراءتها . مع علمه ، أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها ، ولم يظن بها سوءا قط ، وحاشاه وحاشاها . ولذلك لما استعذر من أهل الإفك ، قال : [(١)] فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين . لكن لكمال صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه ، وثقته به ، وفى مقام الصبر والثبات وحسن الظن بالله حقه . حتى جاء الوحي بما أقر عينه وسر قلبه وعظم قدره وظهر لأمته احتفال ربه به واعتناؤه بشأنه .

ولما جاء الوحي ببراءتها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن صرح بالإفك ، فحدوا ثمانين ثمانين . ولم يحد الخبيث عبد الله بن أبي ، مع أنه رأس الإفك . فقيل : لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة . والخبيث ليس أهلا لذلك . ولقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة ، فيكفيه ذلك عن الحد . وقيل : بل كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ، ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه وقيل : الحد لا يثبت إلا بالإقرار أو بينة . وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد فإنه إنما كان يذكر من أصحابه ولم يشهدوا عليه . ولم يكن يذكره بين المؤمنين . وقيل : حد القذف حق الآدمي ، لا يستوفي إلا بمطالبته : وإن قيل إنه حق لله فلا بد من مطالبة المقذوف وعائشة لم تطالب به ابن أبي . وقيل : بل ترك حده لمصلحة

---

(١) من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي ؟ والله ! ما علمت على أهلي إلا خيرا . ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا . وما كان يدخل على أهلي إلا معي

هي أعظم من إقامته . كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مرارا . وهي تأليف قومه وعدم تنفيرهم عن الإسلام . فإنه كان مطاعا فيهم رئيسا عليهم . فلم يؤمن إثارة فتنة في حده ، ولعله ترك لهذه الوجوه كلها . فجلد مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بيت جحش . وهؤلاء من المؤمنين الصادقين ، تطهيرا لهم وتكفيرا . وترك عدو الله ابن أبي إذا فليس هو من أهل ذاك – هذا ما أفاده الإمام ابن القيم رحمه الله في " زاد المعاد " وهو خلاصة الروايات في هذا الباب .

ثم قال رحمه الله : ومن تأمل قول الصديقة ، وقد نزلت براءتها ، فقال لها أبوها : قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : والله ! لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله – علم معرفتها وقوة إيمانها وتوليتها النعمة لربها . وإفراده بالحمد في ذلك المقام ، وتجديدها التوحيد ، وقوة جأشها وإدلالها ببراءة ساحتها ، وأنها لم تفعل ما يوجب قيامها في مقام الراغب في الصلح الطالب له . ولثقتها بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، قالت ما قالت . إدلالا للحبيب على حبيبه ، ولا سيما في مثل هذا المقام الذي هو أحسن مقامات الإدلال ، فوضعته موضعه . ولله ! ما كان أحبها إليه حين قالت : لا أحمد إلا الله فإنه هو الذي أنزل براءتي . ولله ! ذلك الثبات والرزانة منها ، وهو أحب شيء إليها ، ولا صبر لها عنه ، وقد تنكر قلب حبيبها لها شهرا . ثم صادفت الرضاء منه والإقبال ، فلم تبادر إلى القيام إليه ، والسرور برضاه وقربه ، مع شدة محبتها له . وهذا غاية الثبات والقوة . انتهى .

وطرق حديث الإفك متعددة عن أم المؤمنين عائشة وعن ابن الزبير وأم رومان وابن عباس وأبي هريرة وأبي اليسر . ورواه من التابعين عشرة كما في " فتح الباري " وذلك في المسانيد والصحاح والسنن وغيرها . ما بين مطول وموجز . ومن الثاني ما أخرجه الإمام أحمد عن أم رومان قالت : بينا أنا عند عائشة ، إذ دخلت عليها امرأة من الأنصار فقالت : فعل الله بابنها وفعل . فقالت عائشة : ولم ؟ قالت : إنه كان فيمن حدث الحديث قالت : وأي حديث ؟ قالت كذا وكذا . قالت : وقد بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت نعم ، وبلغ أبا بكر ؟ قالت : نعم . فخرت عائشة رضي الله عنها مغشيا عليها . فما أفاقت وإلا وعليها حمى بنافض . قالت : فقمت فدثرتها . قالت : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم قال : فما شأن هذه ؟ فقلت : يا رسول الله أخذتها حمى بنافض . قال : فلعله في حديث تحدث به ؟ قالت : فاستوت عائشة قاعدة ، فقالت : والله لئن حلفت لكم لا تصدقوني ، ولئن اعتذرت إليكم لا تعذروني . فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه حين قال : ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ [يوسف : ١٨] .

قالت : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله عذرها . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر . فدخل فقال : يا عائشة ! إن الله تعالى قد أنزل عذرك . فقالت : بحمد الله لا بحمدك . فقال لها أبو بكر : تقولين هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم .

قالت : وكان فيمن حدث هذا الحديث رجل يعوله أبو بكر . فحلف ألا يصله . فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ﴾ [٢٢] ، إلى آخر الآية . فقال أبو بكر : بلى ، فوصله . تفرد به البخاري .

المطلب الثاني : قال في " الإكليل " في قوله تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك ﴾ [١١] ، نزلت في براءة عائشة مما قذفت به ، فاستدل بها الفقهاء على أن قاذفها يقتل لتكذيبه لنص القرآن قال العلماء : قذف عائشة كفر . لأن الله سبح

نفسه عند ذكره . فقال : ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ [١٦] ، كما سبح نفسه عند ذكر ما وصفه به المشركون من الزوجة والولد . وفي قوله تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ﴾ [١٢] ، تحريم ظن السوء ، وأنه لا يحكم بالظن . وأن من عرف بالصلاح لا يعدل به عنه لخبر مخبر . وأن القاذف مكذب شرعا ، ما لم يأت بالشهداء . وفي قوله تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة ﴾ [١٩] الآية ، الحث على ستر المؤمن وعدم هتكه . أخرج ابن أبي حاتم عن خالد بن معدان ، قال : من حدث بما أبصرت عيناه وسمعت أذناه فهو من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وأخرج عن عطاء قال : من أشاع الفاحشة فعليه النكال وإن كان صادقا .

وأخرج عن عبد الله بن أبي زكريا ، أنه سئل عن هذه الآية فقال : هو الرجل يتكلم عنده في الرجل ، فيشتهي ذلك ولا ينكر عليه .

وفي قوله تعالى : ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ﴾ [٢٢] الآية . النهي عن الحلف ألا يفعل خيرا ، وأن [على] من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها ، يستحب له الحنث . وفيه الأمر بالعفو والصفح .

واستدل من ذهب إلى أن قوله تعالى : ﴿ إن الذين يرمون المحصنات ﴾ [٢٣] الآية ، نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، يقتل قاذفهن ، إذا لم يذكر له توبة ، كما ذكرت في قاذف غيرهن في أول السورة انتهى .

وقال ابن كثير : ذهب بعضهم إلى أنها خاصة بعائشة رضي الله عنها ، والصحيح أن الآية عامة لكل المؤمنات ، ويدخل فيهن أمهات المؤمنين دخولا أوليا ، لا سيما من كانت سبب نزولها ، وهي عائشة .

قال ابن كثير : وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة ، على أن من سبها بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية ، فإنه كافر لأنه معاند للقرآن . وفي بقية أمهات المؤمنين قولان : أصحهما : أنهن كهي . والله أعلم .

الثالث : قال الإمام ابن تيمية في قوله تعالى : ﴿ الخبيثات للخبيثين ﴾ الآية أخبر تعالى أن النساء الخبيثات للرجال الخبيثين . فلا تكون خبيثة لطيب . فإنه خلاف الحصر . وأخبر أن الطيبين للطيبات فلا يكون طيب لخبيثة ، فإنه خلاف الحصر . إذ قد ذكر أن جميع الخبيثات للخبيثين . فلا يبقى خبيثة لطيب ولا طيب لخبيثة . وأخبر أن جميع الطيبات للطيبين . فلا يبقى طيبة لخبيث . فجاء الحصر من الجانبين ، موافقا لقوله : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ [٣] الآية . ولهذا قال من قال من السلف : ما بغت امرأة نبي قط ، فإن السورة نزل صدرها بسبب أهل الإفك .

ولهذا لما صارت شبهة ، استشار النبي صلى الله عليه وسلم في طلاقها . إذ لا يصلح له أن تكون امرأته غير طيبة ، وقد روي أنه : (١)وهو الذي يقر السوء في أهله ، ولهذا كانت الغيرة على الزنى مما يحبها الله وأمر بها . حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : (٢)، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن . ولهذا أذن الله للقاذف إذا كان زوجا ، أن يلاعن ، لأجل ما أمر به من الغيرة ، ولأنها أفسدت فراشه ، وإن حبلت من الزني ، فعليه اللعان ، لئلا يلحق به من ليس منه . ومضت السنة بالتفريق بينهما ، سواء حصلت الفرقة بالتلاعن أو بحاكم أو عند انقضاء لعان الزوج . لأن أحدهما ملعون

---

(١) لا يدخل الجنة ديوث

(٢) أتعجبون من غيرة سعد ؟ لأنا أغير منه ، والله أغير مني

أو خبيث . فاقترانهما يقتضي مقارنة الخبيث للطيب . وفي صحيح مسلم من حديث عمران في الناقة التي لعنتها المرأة ، أنه أمر فأخذ ما عليها وأرسلت . وقال : (١). ولما اجتاز بديار ثمود قال : (٢). فنهى عن عبور ديارهم إلا على وجه الخوف المانع من العذاب . وهكذا السنة في مقارنة الظالمين والزناة وأهل البدع والفجور وسائر المعاصي . لا ينبغي لأحد أن يقارنهم ويخالطهم إلا على وجه يسلم به من عذاب الله عز وجل ، وأقل ذلك أن يكون منكرا لظلمهم ، ماقتا لهم شانئا ما هم فيه بحسب الإمكان . كما في قوله : (٣). وقال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون ﴾ [التحريم : ١١] الآية ، وكذلك ما ذكره عن يوسف وعمله لصاحب مصر لقوم كفار . وذلك أن مقارنة الكفار إنما يفعلها المؤمن في موضعين : أحدهما : أن يكون مكرها عليها . الثاني : أن يكون في ذلك مصلحة دينية ، راجحة على مفسدة المقارنة ، أو أن يكون في تركها مفسدة راجحة في دينه فيدفع أعظم المفسدين باحتمال أدناهما ، وتحصل المصلحة الراجحة باحتمال المفسدة المرجوحة . وفي الحقيقة : المكره هو من يدفع الفساد باحتمال أدناهما . وهو الأمر الذي أكره عليه قال تعالى : ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ [النحل : ١٠٦] ، وقال تعالى : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴾ [٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ [النساء : ٩٧] ، إلى قوله : ﴿ غفورا ﴾ وقال : ﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾ [النساء : ٧٥] ، فقد دلت الآية على النهي عن مناكحة الزاني ، والمناكحة نوع خاص من المصاحبة . والمناكحة في أصل اللغة المجامعة . فقلوبهما تجتمع إذا عقد النكاح بينهما ، ويصير بينهما من التعاطف ما لم يكن قبل ذلك . حتى يثبت ذلك حرمة المصاهرة في غير الربيبة ، بمجرد ذلك في التوارث وعدة الوفاة وغير ذلك . وأوسط ذلك اجتماعهما خاليين في مكان واحد ، وهو المعاشرة المقررة للصداق ، كما أفتى به الخلفاء . وآخر ذلك اجتماع المباضعة . وهذا ، وإن اجتمع بدون عقد نكاح ، فهو اجتماع ضعيف ، بل اجتماع القلوب أعظم من مجرد اجتماع البدنين بالسفاح ودل قوله تعالى : ﴿ والطيبات للطيبين ﴾ على ذلك من جهة المعنى ومن جهة اللفظ ودل أيضا على النهي عن مقارنة الفجار ومزاوجتهم ، كما دل على هذا غير ذلك من النصوص . مثل قوله تعالى : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ [الصافات : ٢٢] . أي : نظراءهم وأشباههم . والزواج أعم من النكاح المعروف . قال تعالى : ﴿ أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ﴾ [الشورى : ٥٠] ، وقال : ﴿ من كل زوج بهيج ﴾ [٥] ، وقال : ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ [التكوير : ٧] ، وقال : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ [الذاريات : ٤٩] ، وقال : ﴿ وخلقناكم أزواجا ﴾ [النبأ : ٨] . وقال : ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ﴾ [التغابن : ١٤] ، وإن كان في الآية نص في الزوجة التي هي الصاحبة وفي الولد منها . فمعنى ذلك : في كل مشابه ومقارن في كل نوع وتابع : ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ﴾ [الإسراء : ١١١] ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ﴾ [الفرقان : ١] ، الآيتين . فالمصاحبة والمصاهرة والمؤاخاة لا تجوز إلا مع طاعة الله على مراد الله . ويدل عليه الحديث

---

(١) لا تصحبنا ناقة ملعونة

(٢) لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين . لئلا يصيبكم ما أصابهم

(٣) من رأى منكم منكرا لظلمهم ، فليغيره بيده الخ

الذي في السنن (١) وفيها (٢) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة (٣) إلى قوله (٤) والضفير الحبل وهذا أمر ببيعها ولو بأدنى ما يقابله . قال أحمد : إن لم يبعها كان تاركا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم . والإماء اللاتي يفعلن هذا ، يكون عامتهن للخدمة . فكيف بأمة التمتع ؟ وإذا وجب إخراج الأمة الزانية عن ملكه ، فكيف بالزوجة الزانية ؟ والعبد نظير الأمة ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : (٥)فهذا يوجب لعنة كل من آوى محدثا . سواء كان إحداثه بالزنى أو السرقة ، أو غير ذلك ، وسواء كان الإيواء بملك اليمين ، أو نكاح ، أو غير ذلك ، لأن أقل ما فيه ترك إنكار المنكر . والمؤمن يحتاج إلى امتحان من يريد أن يصاحبه ويقارنه ، بالنكاح وغيره . قال تعالى : ﴿ إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ [الممتحنة : ١٠] ، وكذلك المرأة التي زنى بها رجل ، فإنه لا يتزوجها إلا بعد التوبة في الأصح . كما دل عليه الكتاب والسنة والآثار . لكن إذا أراد أن يمتحنها . هل هي صحيحة التوبة ؟ فقال ابن عمر : يراودها . فإن أجابته لم تصح توبتها . وإن لم تجبه فقد تابت . ونص عليه أحمد . وقيل : هذا فيه طلب الفاحشة . وقد تنقض التوبة . وقد تأمره نفسه بتحقيق ذلك . ويزين له الشيطان ، لا سيما إن كان يحبها وتحبه ، وقد ذاقته وذاقها . ومن قال بالأول قال : الأمر الذي يقصد به امتحانها ، لا يكون أمرا بما نهى الله عنه . ويمكنه أن لا يطلب الفاحشة بل يعرض . والتعريض للحاجة جائز بل واجب في مواضع كثيرة . وأما نقضها ، فإذا جاز أن تنقض للتوبة معه ، جاز أن تنقضها مع غيره والمقصود أن تكون ممتنعة ممن يراودها . وأما تزيين الشيطان له الفعل . فهذا داخل في كل أمر يفعله الإنسان من الخير يجد فيه محنة . فإذا أراد المؤمن أن يصاحب أحدا ، وقد ذكر عنه الفجور ، وقيل إنه تاب ، أو كان ذلك مقولا صدقا أو كذبا ، فإنه يمتحنه بما يظهر به بره وفجوره ، وكذلك إذا أراد أن يولي أحدا ولاية ، امتحنه ، كما أمر عمر بن عبد العزيز غلامه أن يمتحن ابن أبي موسى ، لما أعجبه سمته . فقال له : قد علمت مكاني عند أمير المؤمنين . فكم تعطيني إذا أشرت عليه بولايتك ؟ فبذل له مالا عظيما . فعلم أنه ليس ممن يصلح للولاية . وكذلك في المعاملات . وكذلك الصبيان والمماليك الذين عرفوا ، أو قيل عنهم الفجور ، وأراد الرجل أن يشتريه فإنه يمتحنه . ومعرفة أحوال الناس تارة تكون بشهادات الناس ، وتارة بالجرح والتعديل ، وتارة بالاختبار والامتحان .

ثم قال ابن تيمية رحمه الله وكما عظم الله الفاحشة ، عظم ذكرها بالباطل – وهو القذف . فقال بعد ذلك : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ [٤] الآية . ثم ذكر رمي الرجل امرأته وما أمر فيه من التلاعن . ثم ذكر قصة أهل الإفك وبين ما في ذلك من الخير للمقذوف ، وما فيه من الإثم للقاذف ، وما يجب على المؤمنين إذا سمعوا ذلك أن يظنوا بإخوانهم من المؤمنين الخير ، ويقولون : هذا إفك مبين . لأن دليله كذب ظاهر . ثم أخبر

---

(١) لا تصاحب إلا مؤمنا . ولا يأكل طعامك إلا تقي

(٢) المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل

(٣) إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد

(٤) ثم إن زنت فليبعها ولو بضفير

(٥) لعن الله من آوى محدثا

أن قول بلا حجة فقال : ﴿ لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ [١٣] ، ثم أخبر أنه لولا فضله عليهم ورحمته لعذبهم بما تكلموا به . وقوله : ﴿ إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ﴾ [١٥] . فهذا بيان لسبب العذاب . وهو تلقي الباطل بالألسنة ، والقول بالأفواه . وهما نوعان محرمان : القول بالباطل والقول بلا علم . ثم قال سبحانه : ﴿ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ [١٦] . فالأول تحضيض على الظن الحسن ، وهذا نهي لهم عن التكلم بالقذف . ففي الأول قوله : ﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ [الحجرات : ١٢] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : [١]وقوله : ﴿ ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ﴾ [١٢] ، دليل على حسن مثل هذا الظن الذي أمر الله به . وفي الصحيح قوله لعائشة : [٢]؟ فهذا يقتضي جواز بعض الظن ، كما احتج البخاري بذلك ، لكن مع العلم بما عليه المرء المسلم من الإيمان الرادع له عن فعل الفاحشة ، يجب أن يظن به الخير دون الشر . وفي الآية نهي عن تلقي مثل هذا باللسان ، ونهي عن قول الإنسان ما ليس له به علم ، لقوله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ [الإسراء : ٣٦] ، والله جعل في فعل الفاحشة والقذف من العقوبة ، ما لم يجعله في شيء من المعاصي . لأنه جعل فيه الرجم وقد رجم قوم لوط إذ كانوا هم أول من فعل فاحشة اللواط . وجعل العقوبة على القاذف بها ثمانين [في المطبوع : ثماني] جلدة ، والرمي بغيرها فيه الاجتهاد . ويجوز عند بعض العلماء أن يبلغ الثمانين ، كما قال علي : لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري . وكما قال عبد الرحمن بن عوف : إذا شرب هذى وإذا هذى افترى . وحد الشرب ثمانون ، وحد المفتري ثمانون . وقوله تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾ [١٩] . وهذا ذم لمن يحب ذلك . وذلك يكون باللقب فقط ، ويكون مع ذلك باللسان والجوارح . وهو ذم لمن يتكلم بها أو يخبر بها . محبة لوقوعها في المؤمنين ، إما حسدا أو بغضا ، أو محبة للفاحشة . فكل من أحب فعلها ، ذكرها . وكره العلماء الغزل من الشعر الذي يرغب فيها . وكذلك ذكرها غيبة محرم ، سواء كان بنظم أو نثر . وكذلك التشبيه بمن يفعلها ، منهي عنها مثل الأمر بها . فإن الفعل يطلب بالأمر تارة وبالإخبار تارة . فهذان الأمران للفجرة الزناة واللوطية ، مثل ذكر قصص الأنبياء والصالحين للمؤمنين . أولئك يعتبرون من الغيرة بهم ، وهؤلاء من الاغترار يعتبرون . فإن أهل الكفر والفسوق والعصيان يذكرون من فصص أشباههم ما يكون به لهم فيه قدوة . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾ [لقمان : ٦] الآية . قيل : أراد الغناء . وقيل : أراد قصص ملوك الكفار . وبالجملة كل ما رغب النفوس في الطاعة ونهاها عن المعصية ، فهو من الطاعة . وما رغب في المعصية ونهى عن الطاعة ، فهو من المعصية ، فأما ذكر الفاحشة وأهلها بما يجب أو يستحب في الشريعة ، مثل النهي عنها وعنهم ، والذم لها ولهم وذكر أهلها مطلقا حيث يسوغ ذلك في وجوههم ومغيبهم – فهذا حسن يجب تارة ويستحب أخرى . كما قص الله قصص المؤمنين والفجار ليعتبروا بالأمرين . وقد ذكر الله عن أنبيائه وعباده الصالحين ، من ذكر الفاحشة وعلائقها على وجه الذم ما فيه عبرة . فقال تعالى

(١) إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث

(٢) ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا

: ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ﴾ [النمل : ٥٤] ، الخ . في مواضع ، وهذا فيه من التوبيخ ما فيه ، وليس من باب القذف واللمز . ثم توعدوه بإخراجه من القرية . وهذا حال أهل الفجور ، إذا كان بينهم من ينهاهم طلبوا إخراجه . وقد عاقب الله على الفاحشة اللوطية بما أرادوا أن يقصدوا به أهل التقوى . حيث أمر بنفي الزاني والمخنث . فمضت السنة ، بنفي هذا وهذا . وهو سبحانه وتعالى أخرج المتقين من بينهم عند نزول العذاب . وكذلك ما ذكره تعالى في قصة يوسف في قوله : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾ [يوسف : ٢٣] ، إلى قوله : ﴿ فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ﴾ [يوسف : ٣٤] ، وما ذكره بعده من قول يوسف : ﴿ ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ﴾ [يوسف : ٥٠] ، وهذا من باب الاعتبار الذي يوجب النفور عن المعصية والتمسك بالتقوى . وكذلك ما بينه في آخرها بقوله تعالى : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ [يوسف : ١١١] الآية ، ومع هذا ، فمن الناس من يحب سماعها لما فيه من ذكر العشق وما يتعلق به ، لمحبته لذلك ولرغبته في الفاحشة ، حتى إن منهم من يسمعها النساء لمحبتهم للسوء ، ولا يختارون أن يسمعوا ما في سورة النور من العقوبة والنهي عن ذلك . حتى قال بعض السلف : كل ما حصلته من سورة يوسف أنفقته في سورة النور . وقد قال تعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ [الإسراء : ٨٢] ، وقال : ﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا ﴾ [التوبة : ١٢٤] الآيات . فكل أحد يحب سماع ذلك لتحريك المحبة المذمومة ، ويبغض سماع ذلك إعراضا عن دفع هذه المحبة ، فهو مذموم ومن هذا ذكر أحوال الكفار والفجار وغير ذلك مما فيه ترغيب في المعصية وصد عن سبيل الله ، ومنه سماع كلام أهل البدع ، والنظر في كتبهم لمن يضره ذلك ، فهذا الباب تجتمع فيه الشبهات والشهوات . والله تعالى ذم هؤلاء في مثل قوله : ﴿ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، وقوله : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ [الشعراء : ٢٢٤] . وقوله : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ﴾ [الشعراء : ٢٢١] ، وما بعدها ، وقوله : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾ [لقمان : ٦] ، وقوله : ﴿ مستكبرين به سامرا تهجرون ﴾ [٦٧] . وقوله : ﴿ وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ﴾ [الأعراف : ١٤٦] ، وقوله : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض ﴾ [الأنعام : ١١٦] ومثل هذا في القرآن كثير ، فأهل المعاصي كثير في العالم ، بل هم أكثر ، كما قال تعالى : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ [الأنعام : ١١٦] [في المطبوع : التوبة : ٦٧] الآية ، وفي النفوس من الشبهات المذمومة والشهوات قولا وعملا ما يعلمه إلا الله ، وأهلها يدعون الناس إليها ويقهرون من يعصيهم ، ويزينونها لمن يطيعهم . فهم أعداء الرسل وأندادهم . فالرسل يدعون إلى الطاعة بالرغبة والرهبة . ويجاهدونهم عليها . وينهون عن المعاصي ويحذرون منها بالرغبة والرهبة . ويجاهدون من يفعلها . قال تعالى : ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ﴾ [التوبة : ٦٧] الآية ، ثم قال : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ [التوبة : ٧١] الآية ، وقوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ [النساء : ٧٦] ، ومثل هذا في القرآن كثير والله سبحانه قد أمرنا بالأمر [بالمعروف] والنهي عن المنكر . والأمر بالشيء مسبوق بمعرفته ، فمن لا يعلم المعروف لا يمكنه الأمر بالمعروف . والنهي عن المنكر مسبوق بمعرفته ، فمن لا يعلمه لا يمكنه النهي عنه . وقد أوجب الله علينا فعل المعروف وترك المنكر . فإن حب الشيء

وفعله ، وبغض ذلك وتركه لا يكون إلا بعد العلم بهما ، حتى يصح القصد إلى فعل المعروف وترك المنكر . فإن ذلك مسبوق بعلمه ، فمن لم يعلم الشيء لم يتصور منه حب له ولا بغض ، ولا فعل ولا ترك . لكن فعل الشيء والأمر به يقتضي أن يعلمه علما مفصلا يمكن معه فعله والأمر به إذا أمر به مفصلا . ولهذا أوجب الله على الإنسان معرفة ما أمر به من الواجبات مثل صفة الصلاة والصيام والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فإذا أمر بأوصاف فلا بد من العلم بثبوتها . فكما أنا لا نكون مطيعين إذا علمنا عدم الطاعة ، فلا نكون مطيعين إذا لم نعلم وجودها . بل الجهل بوجودها كالعلم بعدمها . وكل منهما معصية . فإن الجهل بالتساوي كالعلم بالتفاضل في بيع الأموال الربوية . وأما معرفة ما يتركه وينهى عنه فقد يكتفي بمعرفته في بعض المواضع مجملا . فإن الإنسان يحتاج إلى معرفة المنكر وإنكاره . وقد يحتاج إلى الحجج المبينة لذلك . وإلى الجواب عما يعارض به أصحابها ، و إلى دفع أهوائهم . وذلك يحتاج إلى إرادة جازمة وقدرة على ذلك . ولا يكون ذلك إلا بالصبر ، كما قال تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر : ١ - ٣] ، وأول ذلك أن تذكر الأقوال والأفعال على وجه الذم لها والنهي عنها . وبيان ما فيها من الفساد . فإن الإنكار بالقلب واللسان ، قبل الإنكار باليد ، وهذه طريقة القرآن فيما يذكره تعالى عن الكفار والعصاة ، كما أن فيما يذكره أهل العلم والإيمان على وجه المدح والحب وبيان منفعته والترغيب فيه ، نحو قوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا ﴾ [٨٨ - ٨٩] الآيات . وهذا كثير جدا . فالذي يحب أقوالهم وأفعالهم هو منهم . إما كافر إما فاجر . وليس منهم من هو بعكسه . ولكن لا يثاب على مجرد عدم ذلك . وإنما يثاب على قصده لترك ذلك وإرادته ، وذلك مسبوق بالعلم بقبح ذلك وبغضه لله . وهذا العلم والقصد والبغض هو من الإيمان الذي يثاب عليه ، وهو أدنى الإيمان ، كما قال صلى الله عليه وسلم : [١]إلى قوله : [٢]وتغيير القلب يكون بالبغض لذلك وكراهته ، وذلك لا يكون إلا بعد العلم به وبقبحه . ثم بعد ذلك يكون الإنكار باللسان ثم يكون باليد . والنبي صلى الله عليه وسلم قال : [٣]فيمن رأى المنكر . فأما إذا رآه ولم يعلم أنه منكر . ولم يكرهه ، لم يكن هذا الإيمان موجودا في القلب في حال وجوده ورؤيته ، بحيث يجب بغضه وكراهته ، والعلم بقبحه يوجب جهاد الكفار والمنافقين إذا وجدوا . وإذا لم يكن المنكر موجودا لم يجب ذلك ويثاب من أنكره عند وجوده ، ولا يثاب من لم يوجد عنده حتى ينكره وكذلك ما يدخل في ذلك من الأقوال والأفعال والمنكرات ، قد يعرض عنها كثير من الناس ، إعراضهم عن جهاد الكفار والمنافقين . وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فهؤلاء وإن كانوا من المهاجرين الذين هجروا السيئات ، فليسوا من المجاهدين الذين يجاهدون في إزالتها . حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فتدبر هذا فإنه كثيرا ما يجتمع في كثير من الناس هذان الأمران : بغض الكفر وأهله ، وبغض الفجور وأهله ، وبغض نهيهم وجهادهم ، كما يحب المعروف وأهله ، ولا يحب أن يأمر به ، ولا يجاهد عليه بالنفس والمال . وقد قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا

(١) من رأى منكم منكرا

(٢) وذلك أضعف الإيمان

(٣) وذلك أضعف الإيمان

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ [الحجرات : ١٥] . وقال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ﴾ [التوبة : ٢٤] الآية . قال : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ [المجادلة : ٢٢] . وكثير من الناس ، بل أكثرهم ، كراهتهم للجهاد على المنكرات أعظم من كراهتهم للمنكرات ، ولا سيما إذا كثرت المنكرات وقويت فيها الشبهات والشهوات . فربما مالوا إليها تارة وعنها أخرى . فتكون نفس أحدهم لوامة بعد أن كانت أمارة . ثم إذا ارتقى إلى الحال الأعلى في هجر السيئات ، وصارت نفسه مطمئنة ، تاركا للمنكرات والمكروهات ، لا تحب الجهاد ومصابرة العدو على ذلك ، واحتمال ما يؤذيه من الأقوال والأفعال فإن هذا شيء آخر داخل في قوله : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ﴾ [النساء : ٧٧] ، إلى قوله : ﴿ وكان الله على كل شيء مقيتا ﴾ [النساء : ٨٥] ، والشفاعة : الإعانة . إذ المعين قد صار شفيعا للمعان . فكل من أعان على بر أو تقوى كان له نصيب منه . ومن أعان على الإثم والعدوان كان له كفل منه . وهذا حال الناس فيما يفعلونه بقلوبهم وألسنتهم وأيديهم ، من الإعانة على البر والتقوى والإعانة على الإثم والعدوان ، ومن ذلك الجهاد بالنفس والمال على ذلك من الجانبين . كما قال تعالى قبل ذلك : ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ [النساء : ٧١] ، إلى قوله : ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ [النساء : ٧٦] ، ومن هاهنا يظهر الفرق في السمع والبصر من الإيمان وآثاره والكفر وآثاره . والفرق بين المؤمن وبين الكافر الفاجر . فإن المؤمنين يسمعون إقبال أهل الإيمان فيشهدون رؤيتهم على وجه العلم والمعرفة والمحبة والتعظيم لهم ولأخبارهم وآثارهم ، كرؤية الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم وسمعهم لما بلغهم عن الله . والكافر والمنافق يسمع ويرى على وجه البغض والجهل كما قال تعالى : ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ﴾ [القلم : ٥١] الآية . وقال : ﴿ فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت ﴾ [محمد : ٢٠] ، وقال : ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ﴾ [هود : ٢٠] ، وقال : ﴿ فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم ﴾ [المائدة : ٧١] ، وقال تعالى في حق المؤمنين : ﴿ والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ [الفرقان : ٧٣] ، وقال في حق الكفار : ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ [المدثر : ٤٩] ، والآيات في هذا كثيرة جدا . وكذلك النظر إلى زينة الدنيا فتنة . قال تعالى : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ﴾ [١٣١] ، وفي آخر الحجر . وقوله : ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ﴾ [التوبة : ٥٥] ، وقال : قل للمؤمنين : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ [٣٠] الآية ، وقال : ﴿ ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ﴾ [الكهف : ٢٨] الآية ، وقال : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ [الغاشية : ١٧] الآيات ، وقال : ﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ﴾ [يونس : ١٠١] الآية ، وقال : ﴿ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ﴾ [سبأ : ٩] الآية . وكذلك قال الشيطان : ﴿ إني أرى ما لا ترون ﴾ [الأنفال : ٤٨] ، وقال : ﴿ فلما تراءى الجمعان ﴾ [الشعراء : ٦١] الآيات . وقال : ﴿ إذ يريكهم الله في منامك قليلا ﴾ [الأنفال : ٤٣] الآيات . فالنظر إلى متاع الدنيا على وجه المحبة والتعظيم لها ولأهلها ، منهي عنه . والنظر إلى المخلوقات العلوية والسفلية على وجه الاعتبار

مأمور به . وأما رؤية ذلك عند الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لدفع شر أولئك ، فمأمور به . وكذلك رؤية الاعتبار شرعا في الجملة . فالعين الواحدة ينظر إليها تارة نظرا مأمورا به . إما للاعتبار وإما لبغض ذلك . والنظر إليه لبغض الجهاد منهي عنه . وكذلك المولاة والمعاداة . وقد يحصل للعبد فتنة بنظر منهي عنه ، وهو يظن أنه نظرة عبرة . وقد يؤمر بالجهاد فيظن أن ذلك نظر فتنة ، كالذين قال الله فيهم : ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ﴾ [التوبة : ٤٩] فإنها نزلت في الجد بن قيس لما أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتجهز لغزو الروم فقال : إني مغرم بالنساء وأخاف الفتنة بنساء الروم . فهذا ونحوه مما يكون باللسان من القول . وأما ما يكون من الفعل بالجوارح ، فكل عمل يتضمن محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، داخل في هذا . بل يكون عذابه أشد . فإن الله قد توعد بالعذاب على مجرد المحبة . وهذه قد لا يقترن بها قول ولا فعل . فكيف إذا اقترن ؟ بل على الإنسان أن يبغض ما أبغضه الله تعالى من فعل الفاحشة والقذف بها وإشاعتها في الذين آمنوا . ومن رضي عمل قوم حشر معهم . كما حشرت امرأة لوط معهم . ولم تكن تفعل فاحشة اللواط . فإنه لا يقع من المرأة . ولكن لما رضيت فعلهم ، عمها معهم العذاب . فمن هذا الباب قيل : من أعان على الفاحشة وإشاعتها ، مثل القواد . لما يحصل له من رياسة أو سؤدد أو سحت يأكله . وكذلك أهل الصناعات التي تنفق ، مثل المغنين وشربة [في المطبوع : شربهة] الخمر وضمان الجهات السلطانية وغيرها ، فإنهم يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا . فإنها إذا شاعت تمكنوا من أغراضهم من الرياسة والمال وفعل الفاحشة وتمكنوا من دفع من ينكرها ، بخلاف ما إذا كانت قليلة . ولا خلاف بين المسلمين أن ما يدعوا إلى معصية الله وينهى عن طاعته ، منهي عنه محرم . كما قال تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، أي : ما فيها من ذكر الله وطاعته وامتثال أمره أكبر من ذلك . وقال في الخمر والميسر : ﴿ ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ﴾ [المائدة : ٩١] ، أي : يوقعكم ذلك في معصيته التي هي العداوة والبغضاء ، وهذا من أعظم المنكرات التي تنهى عنه الصلاة ، والخمر تدعو إلى الفحشاء والمنكر ، كما هو الواقع . فإن شارب الخمر تدعوه نفسه إلى الجماع حلالا كان أو حراما . فإن الله سبحانه لم يذكر الجماع ، لأن الخمر لا يدعو إلى الحرام بعينه من الجماع . والسكر يزيل العقل الذي يميز به بين الحلال والحرام . والعقل الصحيح ينهى عن مواقعة الحرام . ولهذا يكثر شارب الخمر من مواقعة الفواحش . ما لا يكثر من غيرها ، حتى ربما يقع على ابنته وابنه ومحارمه . وقد يستغني بالحلال إذا أمكنه . ويدعو شرب الخمر إلى أكل أموال الناس بالسرقة والمحاربة وغير ذلك . لأنه يحتاج إلى الخمر وما يستتبعه من مأكول وغير ذلك من فواحش وغناء . وشرب الخمر يظهر أسرار الرجال ، حتى يتكلم شاربه بما في باطنه وكثير من الناس إذا أرادوا استفهام ما في قلوب الرجال من الأسرار ، سقوهم الخمر ، وربما يشربون معهم ما لا يسكرون به . وأيضا فالخمر تصد الإنسان عن علمه وتدبيره . فجميع الأمور التي تصد عنها وتوقعها من المفاسد داخل في قوله تعالى : ﴿ ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ﴾ [المائدة : ٩١] وكذلك إيقاع العداوة والبغضاء هو منتهى قصد الشيطان ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : [(١)]قالوا بلى يا رسول الله ؛ قال : [(٢)]وقد

(١) ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(٢) إصلاح ذات البين . فإن فساد ذات البين هي الحالقة . لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين

ذكرنا في غير هذا أن الفواحش والظلم وغير ذلك من الذنوب يوقع العداوة والبغضاء وأن كل عداوة أو بغضاء فأصلها من المعصية والشيطان يأمر بالمعصية ليوقع فيما هو أعظم منها ولا يرضى إلا بغاية ما قدر على ذلك . وأيضا فالعداوة والبغضاء شر محض ، لا يحبهما عاقل . بخلاف المعاصي فإن فيها لذة . والنفوس تريدها ، والشيطان يدعو إليها ، ليوقعها في شر لا تهواه . والله سبحانه قد بين ما يريد الشيطان بالخمر والميسر ، ولم يذكر ما يريده الإنسان . ثم قال في سورة النور : ﴿ لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ [٢١] ، وكذلك في البقرة نهى عن اتباع خطواته ، وهو اتباع أمره بالاقتداء والاتباع . وأخبر أنه يأمر بالفحشاء والمنكر والسوء والقول على الله بلا [في المطبوع : لا] علم . وقال فيها : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ [البقرة : ٢٦٨] ، فذكر أن الشيطان يأمر بذلك وبعد هذا : ﴿ والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾ [البقرة : ٢٦٨] ، وقال : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ﴾ [النحل : ٩٠] ، وقال عن نبيه : ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﴾ [الأعراف : ١٥٧] الآية ، وقال عن أمته : ﴿ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، ذكر مثل ذلك في مواضع كثيرة فتارة يخص اسم المنكر بالنهي ، وتارة يقرنه بالفحشاء ، وتارة يقرن معهما البغي . وكذلك المعروف ، تارة يخصه بالأمر ، وتارة يقرن به غيره . كقوله تعالى : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ [النساء : ١١٤] الآية ، وذلك أن الأسماء قد يكون عمومها وخصوصها بحسب الإفراد والتركيب . كلفظ الفقير والمسكين . إذا عرف هذا فاسم المنكر يعم كل ما كرهه الله ونهى عنه . واسم المعروف يعم كل ما يحبه الله ويرضاه . وإذا قرن المنكر بالفحشاء ، فالفحشاء مبناها على المحبة . والمنكر هو الذي تنكره القلوب . فقد يظن أن ما في الفاحشة من المحبة يخرجها عن الدخول فيه . فإن الفاحشة وإن كانت مما تنكره القلوب فإنها تشتهيها النفوس . وكذلك البغي ، قرن بها لأنه أبعد عن محبة النفوس . ولهذا كان جنس عذاب صاحبه أعظم من جنس عذاب صاحب الفحشاء . ومنشؤه من قوة الغضب . ولكل من النفوس لذة بحصول مطلوبها . فالفواحش والبغي مقرونان بالمنكر . وأما الإشراك والقول على الله بلا علم ، فإنه منكر محض . ليس في النفوس ميل إليهما . بل إنما يكونان عن عناد وظلم . فهما منكر محض بالفطرة : ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ [٢١] ، سواء كان الضمير عائدا إلى الشيطان أو إلى المتبع . فإن من أتى ذلك ، فإن كان الشيطان أمره فهو متبعه عابد له . وإن كان الآتي هو الآمر . فالأمر بالفعل أبلغ من فعله . فمن أمر بها غيره رضيها لنفسه .

ومن الفحشاء والمنكر استماع العبد مزامير الشيطان . والمغني هو مؤذنه الذي يدعو إلى طاعته فإن الغناء رقية الزنى . وكذلك من اتباع خطوات الشيطان ، القول على الله بلا علم . كحال أهل البدع والفجور وكثير ممن يستحل مؤاخاة النساء والمرد وإحضارهم في سماع الغناء ودعوى محبة صورهم لله وغير ذلك ، مما فتن به كثير من الناس فصاروا ضالين مضلين . ثم إنه سبحانه نهى المظلوم بالقذف ، أن يمنع ما ينبغي فعله من الإحسان إلى القرابة والمساكين وأهل التوبة . وأمره بالعفو . فإنه كما يحب أن يغفر له فليغفر ، ولا ريب أن صلة الأرحام واجبة ، وإيتاء المساكين واجب ، ومعونة المهاجرين واجبة ، فلا يجوز ترك ما يجب من الإحسان إلى للإنسان بمجرد ظلمه : كما لا يمنع ميراثه وحقه من الصدقات والفيء ، بمجرد ذنب من الذنوب وقد يمنع من ذلك لبعض الذنوب .

وفي الآية دليل على وجوب الصلة والنفقة وغيرها لذوي الأرحام الذين لا يرثون بفرض ولا تعصيب .
فإنه قد ثبت في الصحيح عن عائشة في قصة الإفك ، أن أبا بكر الصديق حلف ألا ينفق على مسطح بن أثاثة ، وكان أحد الخائضين في الإفك في شأن عائشة . وكانت أم مسطح بنت خالة أبي بكر . وقد جعله الله من ذوي القربى الذين نهى عن ترك إيتائهم . والنهي يقتضي التحريم . فإذا لم يجز الحلف على ترك الفعل ، كان الفعل واجبا ، لأن الحلف على ترك الجائز جائز . انتهى كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .
الرابع : قال الزمخشري : لو فليت القرآن كله وفتشت عما أعد به العصاة ، لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة ، رضوان الله عليها ، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه – ما أنزل فيه ، على طرق مختلفة وأساليب مفتنة . كل واحد منها كان في بابه ولم ينزل إلا هذه الثلاث يعني قوله تعالى : ﴿ إن الذين يرمون ﴾ [٢٣] ، إلى قوله تعالى : ﴿ هو الحق المبين ﴾ [٢٥] لكفى بها . حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا . وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة . وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا . وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله ، حتى يعلموا عند ذلك ، أن الله هو الحق المبين . فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر ، بما لم يقع في وعيد المشركين ، عبدة الأوثان ، إلا ما هو دونه في الفظاعة . وما ذلك إلا لأمر . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بالبصرة يوم عرفة . وكان يسأل عن تفسير القرآن . حتى سأل عن هذه الآيات فقال : من أذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته ، إلا من خاض في أمر عائشة ، وهذه منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك . ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة : برأ يوسف بلسان الشاهد : ﴿ وشهد شاهد من أهلها ﴾ [يوسف : ٢٦] ، وبرأ موسى من قول اليهود فيه ، بالحجر الذي ذهب بثوبه . وبرأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى في حجرها : ﴿ إني عبد الله ﴾ [٣٠] ، وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر ، مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات . فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك ؟ وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتنبيه على إنافة محل سيد ولد أدم وخيرة الأولين والآخرين وحجة الله على العالمين .
ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه صلى الله عليه وسلم وتقدم قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الإفك . وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته ، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه .
فإن قلت : إن كانت عائشة هي المرادة ، فكيف قيل : المحصنات ؟ قلت : فيه وجهان :
أحدهما : أن يراد بالمحصنات أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم وأن يخصصن بأن من قذفهن ، فهذا الوعيد لا حق به . وإذا أردن عائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت المرادة أولا .
والثاني : أنها أم المؤمنين ، فجمعت . إرادة لها ولبناتها من نساء الأمة الموصوفات بالإحصان والغفلة والإيمان انتهى .
قال الناصر : والأظهر أن المراد عموم المحصنات والمقصود بذكرهن على العموم ، وعيد من وقع في عائشة ، على أبلغ الوجوه ، لأنه إذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنات ، فما الظن بوعيد من قذف سيدتهن وزوج سيد البشر صلى الله عليه وسلم ؟ على أن تعميم الوعيد أبلغ وأفظع من تخصيصه . هذا ومعنى قول زليخا : ﴿ ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم ﴾ [يوسف : ٢٥] ، فعممت أرادت يوسف ، تهويلا عليه وإرجافا . والمعصوم من عصمه

الله تعالى . انتهى .

الخامس : قال الإمام ابن تيمية في " منهاج السنة " ذهب كثير من أهل السنة إلى أن عائشة رضي الله عنها أفضل نسائه عليه الصلاة والسلام واحتجوا بما في الصحيحين عن أبي موسى وعن أنس رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [١]. والثريد هو أفضل الأطعمة ، لأنه خبز ولحم . كما قال الشاعر :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

وذلك أن البر أفضل الأقوات . واللحم أفضل الإدام ، كما في الحديث الذي رواه ابن قتيبة وغيره . عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : [٢]فإذا كان اللحم سيد الإدام ، والبر سيد الأقوات ، ومجموعهما الثريد ، كان الثريد أفضل الطعام .

وقد صح من غير وجه عن الصادق المصدوق أنه قال : [٣]وفي الصحيح عن عمرو بن العاص قال : قلت : يا رسول الله ! أي : النساء أحب إليك ؟ قال : [٤]قلت : ومن الرجال ؟ قال : [٥]قلت : ثم من ؟ قال : [٦]. وهؤلاء يقولون : قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة : [٧]: إن صح معناه ما أبدلني خيرا لي منها : فإن خديجة نفعته في أول الإسلام نفعا لم يقم غيرها فيه مقامها . فكانت خيرا له من هذا الوجه لكونها نفعته وقت الحاجة، وعائشة صحبته في آخر النبوة وكمال الدين . فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك إلا أول النبوة . فكانت أفضل لهذه الزيادة فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها ، وبلغت من العلم والسن ما لم يبلغه غيرها فخديجة كان خيرها مقصورا على نفس النبي صلى الله عليه وسلم لم تبلغ عنه شيئا ، ولم تنتفع بها الأمة كما انتفعوا بعائشة ، ولأن الدين لم يكن قد كمل حتى تعلمه ، ويحصل لها من كمالاته ما حصل لمن علم وآمن به بعد كماله ، ومعلوم أن من اجتمع همه على شيء واحد ، كان أبلغ فيه ممن تفرق همه في أعمال متنوعة . فخديجة رضي الله تعالى عنها خير له من هذا الوجه . لكن أنواع البر لم تحصر في ذلك . ألا ترى أن من كان من الصحابة أعظم إيمانا ، وأكثر جهادا بنفسه وماله . كحمزة وعلي وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وغيرهم ، هم أفضل من كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وينفعه في نفسه أكثر منهم . كأبي رافع وأنس بن مالك وغيرهما . وفي الجملة ، الكلام في تفضيل عائشة وخديجة ليس هذا موضع استقصائه . لكن المقصود هنا أن أهل السنة مجمعون على تعظيم عائشة ومحبتها ، وإن نساؤه صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين اللواتي مات عنهن ، كانت عائشة أحبهن إليه وأعظمهن حرمة عند المسلمين . وقد ثبت في الصحيح أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، لما يعلمون من محبته

---

(١) فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

(٢) سيد إدام أهل الدنيا والآخرة اللحم

(٣) فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام

(٤) عائشة

(٥) أبوها

(٦) عمر ، وسمى رجالا

(٧) ما أبدلني الله خيرا منها

إياها . حتى أن نساؤه غرن من ذلك . وأرسلن إليه فاطمة رضي الله عنها تقول له : نساؤك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة : فقال لفاطمة : (١)؟ قالت : بلى . قال : (٢)، الحديث في الصحيحين وفي الصحيحين أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (٣)قالت : وعليه السلام ورحمة الله . ترى ما لا نرى . ووهبت سودة بنت زمعة يومها لعائشة رضي الله عنهما ، بإذنه صلى الله عليه وسلم . وكان في مرضه الذي مات فيه يقول : (٤)؟ استبطاء ليوم عائشة . ثم استأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها ، فمرض فيه . وفي بيتها توفي بين سحرها ونحرها وفي حجرها . وكانت رضي الله عنها مباركة على أمته . حتى قال أسيد بن حضير ، لما أنزل الله آية التيمم بسببها : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر . ما نزل بك أمر قط تكرهينه إلا جعل الله فيه للمسلمين بركة . وقد كانت نزلت آية براءتها قبل ذلك ، لما رماها أهل الإفك . فبرأها الله من فوق سبع سموات ، وجعلها من الصينات . وبالله التوفيق . انتهى .

وأغرب الإمام ابن حزم ، فذهب إلى أن أفضل الناس بعد الأنبياء ، نساؤه صلى الله عليه وسلم . معلوم أن عائشة فضلاهن ، وقد أسهب في ذلك في كتابه " الملل " فارجع إليه .

السادس : قال القاشاني رحمه الله تعالى : إنما عظم تعالى أمر الإفك وغلظ في الوعيد عليه ، بما لم يغلظ في غيره من المعاصي ، وبالغ في العقاب عليه بما لم يبالغ به في باب الزنى وقتل النفس المحرمة ، لأن عظم الرذيلة وكبر المعصية ، إنما يكون على حسب القوة التي هي مصدرها . وتتفاوت حال الرذائل في حجب صاحبها عن الحضرة الإلهية والأنوار القدسية ، وتوريطه في المهالك الهيولانية ، والمهاوي الظلمانية ، على حسب تفاوت مبادئها ، فكلما كانت القوة التي هي مصدرها ومبدؤها أشرف . كانت الرذيلة الصادرة منها أردأ . وبالعكس لأن الرذيلة ما قابل الفضيلة . فلما كانت الفضيلة أشرف ، كان ما يقابلها من الرذيلة أخس ، والإفك رذيلة القوة الغضبية . فبحسب شرف الأولى على الباقيتين ، تزداد رداءة رذيلتها .

وذلك أن الإنسان إنما يكون بالأولى إنسانا ، وترقيه إلى العالم العلوي ، وتوجهه إلى الجانب الإلهي وتحصيله للمعارف والكمالات ، واكتسابه للخيرات والسعادت – إنما يكون بها . فإذا فسدت بغلبة الشيطنة عليها ، واحتجبت عن النور باستيلاء الظلمة ، حصلت الشقاوة العظمى ، وحقت العقوبة بالنار . وهو الرين والحجاب الكلي .

ألا ترى أن الشيطنة المغوية للآدمي أبعد عن الحضرة الآلهية ، من السبعية والبهيمية ؟ وأبعد بما لا يقدر قدره ، فالإنسان برسوخ رذيلته النطفية يصير شيطانا ، وبرسوخ الرذيلتين الأخريين ، يصير حيوانا كالبهيمة أو السبع ، وكل حيوان أرجى صلاحا ، وأقرب فلاحا من الشيطان . ولهذا قال تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم ﴾ [الشعراء : ٢٢١ – ٢٢٢] ، ونهى هاهنا عن اتباع خطوات الشيطان . فإن ارتكاب مثل هذه الفواحش لا يكون إلا بمتابعته ومطاوعته ، وصاحبه يكون من جنوده وأتباعه ، فيكون أخس منه وأذل ، محروما من فضل الله الذي هو نور

---

(١) أي : بنية أما تحبين ما أحب

(٢) فأحبي هذه

(٣) يا عائشة ! هذا جبريل يقرأ عليك السلام

(٤) أين أنا اليوم

هدايته ، محجوبا من رحمته التي هي إفاضة كمال وسعادة ، ملعونا في الدنيا والآخرة ، ممقوتا من الله والملائكة . تشهد عليه جوارحه بتبدل صورها وتشوه منظرها . خبيث الذات والنفس . متورطا في الرجس . فإن مثل هذه الخبائث لا تصدر إلا من الخبيثين . كما قال تعالى : ﴿ الخبيثات للخبيثين ﴾ وأما الطيبون المنزهون عن الرذائل ، فإنما تصدر عنهم الطيبات والفضائل . انتهى .

السابع : في سر قرن الزنى بالشرك في قوله تعالى : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ [٣] ، وتحقيق القول في الآية . قال الإمام ابن القيم رحمه الله في " إغاثة اللهفان " : نجاسة الزنى واللواطة أغلظ من غيرها من النجاسات . من جهة أنها تفسد القلب وتضعف توحيده جدا . ولهذا أحظى الناس بهذه النجاسة ، أكثرهم شركا . فكلما كان الشرك في العبد أغلب . كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر ، وكلما كان أعظم إخلاصا ، كان منها أبعد ، كما قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ [يوسف : ٢٤] ، فإن عشق الصور المحرمة نوع تعبد لها . بل هو من أعلى أنواع التعبد . ولا سيما إذ استولى على القلب وتمكن منه ، صار تتيما . والتتيم التعبد . فيصير العاشق عابدا لمعشوقه . وكثيرا ما يغلب حبه وذكره والشوق إليه والسعي في مرضاته وإيثار محابه ، على حب الله وذكره والسعي في مرضاته ، بل كثيرا ما يذهب ذلك من قلب العاشق بالكلية ويصير متعلقا بمعشوقه من الصور . كما هو مشاهد فيصير المعشوق هو إلهه من دون الله عز وجل . يقدم رضاه وحبه على رضا الله وحبه . ويتقرب إليه ما لا يتقرب إلى الله . وينفق في مرضاته ما لا ينفقه في مرضاة الله . ويتجنب سخطه ما لا يتجنب من سخط الله تعالى . فيصير آثر عنده من ربه حبا وخضوعا وذلا وسمعا وطاعة ، ولهذا كان العشق والشرك متلازمين ، وإنما حكى الله سبحانه العشق عن المشركين من قوم لوط ، وعن امرأة العزيز ، وكانت إذ ذاك مشركة ، فكلما قوي شرك العبد بلي بعشق الصور وكلما قوي توحيده صرف ذلك عنه . والزنى واللواطة كمال لذته ، إما يكون من العشق . ولا يخلو صاحبهما منه . وإنما لتنقله من محل إلى محل ، لا يبقى عشقه مقصورا على محل واحد . بل ينقسم على سهام كثيرة لكل محبوب نصيب من تألهه وتعبده . فليس في الذنوب أفسد للقلب والدين من هاتين الفاحشتين . ولهما خاصية في تبعيد القلب من الله ، فإنهما من أعظم الخبائث فإذا انصبغ القلب بهما بعد ممن هو طيب لا يصعد إليه إلا طيب . وكلما ازداد خبثا ازداد من الله بعدا . ولهذا قال المسيح ، فيما رواه الإمام أحمد في "كتاب الزهد " لا يكون البطالون من الحكماء . ولا يلج الزناة ملكوت السماء . ولما كانت هذه حال الزنى كان قريبا للشرك في كتاب الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ [٣] . والصواب القول بأن هذه الآية محكمة . يعمل بها لم ينسخها شيء . وهي مشتملة على خبر وتحريم . ولم يأت من ادعى نسخها بحجة البتة . والذي أشكل منها على كثير من الناس ، واضح بحمد الله تعالى . فإنهم أشكل عليهم قوله : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ [٣] ، هل هو خبر أو نهي أو إباحة ؟ فإن كان خبرا فقد رأينا كثيرا من الزناة ينكح عفيفة . وإن كان نهيا فيكون قد نهى الزاني أن يتزوج إلا بزانية أو مشركة ، فيكون نهيا له عن نكاح المؤمنات العفائف . وإباحة له نكاح المشركات والزواني ، والله سبحانه لم يرد ذلك قطعا . فلما أشكل عليهم ذلك وطلبوا للآية وجها يصح حملها عليه . فقال بعضهم : المراد من النكاح الوطء والزنى . فكأنه قال : الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة . وهذا فاسد . فإنه لا فائدة فيه . ويصان كلام الله تعالى عن

حمله على مثل ذلك . فإنه من المعلوم أن الزاني لا يزني إلا بزانية . فأي فائدة في الإخبار بذلك . ولما رأى الجمهور فساد هذا التأويل أعرضوا عنه ، ثم قالت طائفة : هذا عام اللفظ خاص المعنى . والمراد به رجل واحد وامرأة واحدة . وهي عناق وصاحبها ، فإنه أسلم واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاحها فنزلت هذه الآية .

وهذا أيضا فاسد . فإن هذه الصورة المعينة ، وإن كانت سبب النزول ، فالقرآن لا يقتصر به على محال أسبابه . ولو كان كذلك لبطل الاستدلال به على غيرها . وقالت طائفة : بل الآية منسوخة بقوله : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم ﴾ [٣٢] ، وهذا أفسد من الكل . فإنه لا تعارض بين هاتين الآيتين . ولا تناقض إحدى الأخرى . بل أمر سبحانه بإنكاح الأيامى ، وحرم نكاح الزانية ، كما حرم نكاح المعتدة والمحرمة وذوات المحارم . فأين الناسخ والمنسوخ في هذا ؟ فإن قيل : فما وجه الآية ؟ قيل : وجهها ، والله أعلم . أن المتزوج أمر أن يتزوج المحصنة العفيفة ، وإنما أبيح له نكاح المرأة بهذا الشرط . كما ذكر ذلك سبحانه في سورتي النساء والمائدة . والحكم المعلق على الشرط ينتفي عند انتفائه . والإباحة قد علقت على شرط الإحصان ، فإذا انتفى الإحصان انتفت الإباحة المشروطة به . فالمتزوج إما أن يلتزم حكم الله وشرعه الذي شرعه على لسان رسوله ، أو لا يلتزمه . فإن لم يلتزمه فهو مشرك لا يرضى بنكاحه إلا من هو مشرك مثله ، وإن التزمه وخالفه ، ونكح ما حرم عليه ، لم يصح إنكاح . فيكون زانيا ، فظهر معنى قوله : ﴿ لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ وتبين غاية البيان . وكذلك حكم المرأة . وكما أن هذا الحكم هو موجب القرآن وصريحه ، فهو موجب الفطرة ومقتضى العقل . فإن الله سبحانه حرم على عبده أن يكون قرنانا ديوثا زوج بغي . فإن الله تعالى فطر الناس على استقباح ذلك واستهجانه . ولهذا إذا بالغوا في سب الرجل قالوا : زوج قحبة ، فحرم الله على المسلم أن يكون كذلك . فظهرت حكمة التحريم وبان معنى الآية . والله الموفق .

ومما يوضح التحريم ، وأنه هو الذي يليق بهذه الشريعة الكاملة ، أن هذه الجناية من المرأة تعود بفساد فراش الزوج ، وفساد النسب الذي جعله الله تعالى بين الناس لتمام مصالحهم . وعدوه من جملة نعمه عليهم ، فالزني يفضي إلى اختلاط المياه واشتباه الأنساب . فمن محاسن الشريعة تحريم نكاح الزانية حتى تتوب وتستبرأ . وأيضا ، فإن الزانية خبيثة ، كما تقدم بيانه والله سبحانه جعل النكاح سببا للمودة والرحمة ، والمودة خالص الحب ، فكيف تكون الخبيثة مودودة للطيب ، زوجا له ؟ والزوج سمي زوجا من الازدواج فالزوجان ، الاثنان المتشابهان والمنافرة ثابتة بين الطيب والخبيث شرعا وقدرا . فلا يحصل معها الازدواج والتراحم والتواد . فلقد أحسن كل الإحسان من ذهب إلى هذا المذهب ، ومنع الرجل أن يكون زوج قحبة . فأين هذا من قول من جوز أن يتزوجها ويطأها الليلة ، وقد وطئها الزاني البارحة ؟ وقال : ماء الزاني لا حرمة له . فهب أن الأمر كذلك ، فماء الزوج له حرمة فكيف يجوز اجتماعه مع ماء الزاني في رحم واحد ، والمقصود أن الله سبحانه سمى الزواني والزناة خبيثين وخبيثات . وجنس هذا الفعل قد شرعت فيه الطهارة ، وإن كان حلالا . وسمي فاعله جنبا لبعده عن قراءة القرآن وعن الصلاة وعن المساجد . فمنع من ذلك كله حتى يتطهر بالماء . فكذلك إذا كان حراما يبعد القلب عن الله تعالى وعن الدار الآخرة . بل يحول بينه وبين الإيمان ، حتى يحدث طهرا . كاملا بالتوبة . وطهرا لبدنه بالماء . وقول اللوطية : ﴿ أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾ [الأعراف : ٨٢] ، من جنس قوله سبحانه في أصحاب الأخدود : ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ [البروج : ٨] ، وقوله سبحانه : ﴿ قل يا أهل الكتاب

هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل ﴾ [المائدة : ٥٩] ، وهكذا المشرك إنما ينقم على الموحد تجريده للتوحيد ، وأنه لا يشوبه بالإشراك ، وهكذا المبتدع إنما ينقم على السني تجريده متابعة الرسول وأنه لم يشبها بآراء الرجال ولا بشيء مما خالفها ، فصبر الموحد المتبع للرسول ، على ما ينقمه عليه أهل الشرك والبدعة ، خير له وأنفع ، وأسهل عليه ، من صبره على ما ينقمه الله ورسوله ، عليه من موافقة أهل الشرك والبدعة .

إذا لم يكن بد من الصبر ، فاصطبر على الحق . ذاك الصبر تحمد عقباه

لطيفة :

كتب ابن القاضي شرف الدين ابن المقري ، صاحب " الروض " إلى أبيه ، وقد قطع نفقته :

لا تقطعن عادة بر ، ولا تجعل عتاب المرء في رزقه

فإن أمر الإفك من مسطح يحط قدر النجم من أفقه

وقد جرى منه الذي قد جرى وعوتب الصديق في حقه

فأجابه أبوه شرف الدين بقوله :

قد يمنع المضطر من ميتة إذا عصى بالسير في طرقه

لأنه يقوى على توبة توجب إيصالا إلى رزقه

لو لم يتب من ذنبه مسطح ما عوتب الصديق في حقه

ولما فضل تعالى الزواجر عن الزنى ، وعن رمي العفائف عنه . بين من الزواجر ما عسى يؤدي إلى أحدهما . وذلك في مخالطة الرجال بالنساء ، ودخولهم عليهن ، وفي أوقات الخلوات ، وفي تعليم الآداب الجميلة ، فقال سبحانه :." (١)

"وقال قتادة : الظن ظننان : ظن مرد ، وظن منج ، فأما الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ، ومن قال : ﴿ إني ظننت أني ملاق حسابيه ﴾ [الحاقة : ٢٠] فهذا الظن المنجي - ظن ظنا يقينا - قال : وقال هاهنا : ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ فهذا ظن مرد.

وقوله عن قول الكافرين : ﴿ إن نظن إلا ظنا ﴾ [الجاثية : ٣٢] مثله.

قال قتادة : وذكر لنا أن نبي الله عليه وسلم كان يقول ويروي عن ربه D : " عبدي أنا عند ظنه بي وأنا معه إذا دعاني ".

فمعنى الآية : وهذا الظن الذي ظننتم بربكم أنه لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذي أهلككم لأنكم من أجل هذا الظن الخبيث تجرأتم على محارم الله سبحانه ، وركبتم ما نهاكم عنه فأهلككم ذلك وأصبحتم في القيامة من الذين خسروا أنفسهم فهلكوا.

وقد روى جابر بن عبد الله أن النبي A قال : " من استطاع منكم ألا يموت إلا وهو **يحسن الظن بالله** فليفعل . ثم تلا " ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم " الآية .." (٢)

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية، ٦٥١٠/١٠

"" صفحة رقم ٣٣٨ "

ألا موت يباع فأشتريه

فهذا العيش ما لا خير فيه

ألا رحم المهيمن روح عبد

تصدق بالوفاة على أخيه

فإن ذلك نوع من عدم الرضا بالقضاء ويدل على الجزع وضيق العطن وينافي قضية التوكل والتسليم ، أو على تمن سببه الجزم بالوصول إلى نعيم الآخرة فإن ذلك خارج عن قانون الأدب ، ونوع من الأخبار بالغيب لا يليق إلا ببعض أولياء الله .

روي أن عليا عليه السلام كان يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا .

فقال له ابنه الحسن : ما هذا بزي المحاربين .

فقال : يا بني ، لا يبالي أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت .

وعن حذيفة أنه رضي الله عنه كان يتمنى الموت ، فلما احتضر قال رضي الله عنه : حبيب جاء على فاقة لا يفلح من ندم .

يعني على التمني .

وقال عمار بصفين : الآن ألاقي الأحبة ، محمدا وحزبه .

وكان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت ويحن إليه لجزمهم بلقاء الله ونيل ثوابه وذلك لمكان البشارة ، فأما أحدنا فلا يليق به تمني الموت إلا على سبيل الرجاء **وحسن الظن بالله** (أنا عند ظن عبدي بي) وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) (لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي على الأرض يهودي) وليس لهم أن يقلبوا هذا السؤال على محمد (صلى الله عليه وسلم) فيقولوا : إنك تدعي أن الدار الآخرة خالصة لك ولأمتك دون من ينازعك في الأمر ، فارض بأن نقتلك ونقتل أمتك فإنا نراك وأمتك في الضر الشديد والبلاء العظيم ، وبعد الموت تتخلصون إلى دار الكرامة والنعيم ، لأنه (صلى الله عليه وسلم) بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الأحكام ولا يتم المقصود إلا بحياته وحياة أمته ، فله (صلى الله عليه وسلم) أن يقول لأجل هذا لا أرضى بالقتل مع أن المؤمن من هذه الأمة قلما يخلو من النزاع والشوق إلى لقاء ربه ، فاعبد المطيع يحب الرجوع إلى سيده ، والعبد الآبق يكره العود إلى مولاه ، ولهذا جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وبذلوا أرواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية) رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) [الأحزاب : ٢٣] عن عبادة بن الصامت أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة أو بعض أزواجه إنا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن

إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه .

وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما." (١)

"" صفحة رقم ٥٠١ "

ثم أردف الوعيد بالوعد على سنته المعهودة فقال : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا (قال أهل السنة : لو كان الخلود الدوام لزم التكرار فإذن هو طول المكث المطلق .

وقوله : (أبدا (مفيد للتأبيد .

) وعد الله حقا (مصدران الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لأن قوله : (سندخلهم (وعد منه تعالى ومضمونه هو مضمون وعد الله ، وأما) حقا (فمضمونه أخص من مضمون الوعد لأن الوعد من حيث هو وعد يحتمل أن يكون حقا وأن لا يكون فمضموناهما متغايران تغاير الجنس والنوع) ومن أصدق من الله قيلا (توكيد ثالث بليغ من قبل الاستفهام المتضمن للإنكار .

وفائدة هذه التوكيدات معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وإلقاء أمانية الفارغة والتنبيه على أن قول أصدق القائلين أولى بالقبول من قول من لا أحد أكذب منه .

والقيل : مصدر قال قولا .

وعن ابن السكيت أن القيل والقال اسمان لا مصدران .

عن أبي صالح قال : جلس أهل الكتب أهل التوراة والإنجيل وأهل القرآن كل صنف يقول لصاحبه نحن خير منكم فنزلت : (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب (وقال مسروق وقتادة : احتج المسلمون وأهل الكتاب فال أهل الكتاب : نحن أهدى منكم وأولى بالله ؛ نبينا خاتم الأنبياء ونحن أولى بالله منكم .

وقال المسلمون : نحن أهدى منكم وأولى بالله ؛ نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على الكتب التى قبله فنزلت .

ثم أفلج الله حجة المسلمين على من ناواهم من أهل الأديان بقوله : (ومن يعمل من الصالحات (وبقوله : (ومن أحسن دينا (الآيتان .

وقيل : الخطاب في : (أمانيكم (لعبدة الأوثان ، وأمانيهم أن لا يكون حشر ولا نشر ولا معاد ولا عقاب وإن اعترفوا به لكنهم يصفون أصنامهم بأنها شفعاؤهم عند الله .

وقيل : الخطاب للمسلمين وأمانيهم أن يغفر لهم وإن ارتكبوا الكبائر ، وأما أماني أهل الكتاب فقولهم : (لن يدخل لاجنة إلا من كان هودا أو نصارى) [البقرة : ١١١] (نحن أبناء الله وأحباؤه) [المائدة : ١٨] (ولن تمسنا النار إلا أياما معدودة) [البقرة : ٨٠] واسم (ليس) مضمر فقيل : أي ليس وضع الدين على أمانيكم .

وقيل : ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله : (سندخلهم (وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب أي أثر فيه وصدقه العمل ، إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : نحن **نحسن الظن بالله**

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ١/٣٣٨

وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل .
ويؤيد هذا المعنى قوله بيانا للمذكور : (من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا (فمن هنا استدلت المعتزلة بالآية على القطع بوعيد الفساق ونفي الشفاعة ، وأجيب بأنه مخصوص بالكفار لأنهم مخاطبون بالفروع عندنا . سلمنا أنه يعم المؤمن والكافر إلا أنه مخصوص في حق." (١)
"" صفحة رقم ٧٢ "
[الكهف : ٧٧] وهذا أقرب كقوله) لا يخفف عنهم العذاب) [البقرة : ١٦٢] ويؤيده ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهو وافيها سبعين خريفا. وإنما اختصت هذه السورة بقوله) من غم (وهو الأخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه مخلصا لأنه بولغ ههنا في أهوال النار بخلاف ما في السجدة وإنما أضمر ههنا قبل قوله) وذوقوا (بخلاف) السجدة (. وقيل لهم ذوقوا لأنه وقع الاختصار ههنا على) عذاب الحريق (وهناط أطنب فقيل) ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) [السجدة : ٢٠] وايضا قد تقدم ذكر القول في تلك السورة كثيرا بخلافه هنا والله تعالى أعلم. التأويل : (إن زلزلة الساعة (هلاك الساتعداد الفطري) شيء عظيم ( ) وتذهب كل مرضعة (هي مواد الشياء فإن لكل شيء مادة ملكوكتية ترضع رضيعها من الملك وتربيه) وتضع كل ذات حمل (وهي الهيوليات) حملها (وهو الصور الكمالية التي خلقت الهوليات لأجلها) وترى الناس سكارى (الغفلة والعصيان وحب الدنيا والجاه والرياسة وغيرها) وما هم بسكارى (العشق والمحبة والمعرفة) فإنا خلقناكم من تراب (أي كنتم ترابا ميتا فبعثنا التراب بأن خلقنا منه آدم ، ثم أمتنا منه النطفة ، ثم بعثناها بأن جعلناها علقة ثم مضع غة ثم خلقا آخر لنبين لكم أمر البعث والنشور) ونقر في الأرحام (أمهات العدم) ما نشاء إلى أجل مسمى (وهو وقت إيجاده بحسب تعلق الإرادة به ، وفيه دليل على أنه لا يبعد أن يكون الفاعل كاملا في فاعليته ولكن لا تتعلق إرادته بالمقدور فيبقى في حيز العدم غلى حين تعلق الإرادة به ، ومنه يظهر حدوث العالم) ثم نخرجكم طفلا (من أطفال المكونات خارجا من رحم العدم مستعدا للتربية والكمال.) ومنكم من يتوفى (عن لاشهوات فيحيا بحصول الكمالات) ومنكم من يرد (إلى أسفل سافلين الطبيعة) وترى (أرض القالب) هامدة فإذا أنزلنا عليها (ماء حياة المعرفة والعلم) اهتزت ( ) ذلك بأن الله هو الحق (في الإلهية) وإنه يحيي (القلوب الميتة) وأن الساعة (قيامة العشق والخدمة للطالبين الصادقين) آتية وأن الله يبعث (القلوب المحبوسة في قبور الصدور) عذاب الحريق (بنار الشهوات لكنه لا يحس بها في الدنيا لأنه نائم بنوم الغفلة فإذا مات انتبه) من كان يظن (فيه أن العبد يجب أن يكون حسن الظن بالله) ثم ليقطع (مادة تقديري في الأزل ونزول أحكامي ي القدور) فلينظر هل (ينقطع أم لا) هذان خصمان (يعني النفس الكافرة والروح المؤمنة) قطعت لهم ثياب (بتقطيع خياط القضاء على قدرهم وهي ثياب نسجت من سدى مخالفات الشرع ولحمة موافقات الطبع.) يصب من فوق رؤسهم (حميم الشهوات النفسانية. وفي لفظ الفوق دلالة على أنهم مغلوبون تحتها ، وفيه أن الخيالات الفاسدة." (٢)

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٢/٥٠١

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥/٧٢

"" صفحة رقم ١٦٦ "

بعد الشيخوخة) أي معها .

وثانيها بئس الذكر أن يذكروا الرجل بالفسق أو باليهودية بعد إيمانه ، وكانوا يقولون لمن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه .

وثالثها أن يجعل الفاسق غير مؤمن كما يقال للمتحول عن التجارة إلى الفلاحة (بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة) فمعنى بعد الإيمان بدلا عن الإيمان) ومن لم يتب (عما نهي عنه) فأولئك هم الظالمون (لأن الإسرار على المنهي كفر إذ جعل المنهي كفر إذ جعل المنهي .

كالمأمور فوضع الشيء في غير موضعه قوله) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن (فيه تأديب آخر .

ومعنى اجتنبوا كونوا منه في جانب .

وإنما قال) كثيرا (ولم يقل الظن مطلقا لأن منه ما هو واجب **كحسن الظن بالله** وبالمؤمنين كما جاء في الحديث القدسي (أنا عند ظن عبدي بي) قال النبي (صلى الله عليه وسلم) (لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**) وقال (إن حسن الظن من الإيمان) ومنه ما هو محظور وهو سوء الظن بالله وبأهل الصلاح. عن النبي (صلى الله عليه وسلم) (إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء) وهو الذي أمر في الآية باجتنابه .

ومنه ما هو مندوب إليه وهو إذا كان المظنون به ظاهر الفسق وإليه الإشارة بقوله (صلى الله عليه وسلم) (من الحزم سوء الظن) وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) (احترسوا من الناس بسوء الظن) ومنه المباح كالظن في المسائل الاجتهادية .

قال أهل المعاني : إنما نكر) كثيرا (ليفيد معنى البعضية المصرح بها في قوله) إن بعض الظن إثم (ولو عرف لأوهم أن المنهي عنه هو الظن الموصوف بالكثرة والذي يتصف بالقلة مرخص فيه .

والهمزة في الإثم عوض عن الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها بإحباطه تأديب آخر) ولا تجسسوا (وقد يخص الذي بالحاء المهملة بتطلب الخبر والبحث عنه كقوله) فتحسسوا من يوسف وأخيه) [يوسف : ٨٧] فبالجيم تفعل من الجس ، وبالحاء من الحس .

قال مجاهد : معناه خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله .

عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال في خطبته (يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لاتتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع عورته حتى يفضحه ولو كان في جوف بيته) وهذا الأدب كالسبب لما قبله .

فلما نهى عن ذلك نهى عن سببه أيضا .

تأديب آخر) ولا يغتب (يقال غابه واغتابه بمعنى ، والاسم الغيبة بالكسر وهي ذكر العيب بظهر الغيب ، وسئل." (١)

" باب **حسن الظن بالله**." (٢)

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٦/١٦٦

(٢) غاية المقصد فى زوائد المسند، ١/١٤٧٠

"فقد رتب الأمر بالتقوى على الأمر بالخشية وإن كانا أمرين متقاربين لأن الأمر الأول لما عضد بالحجة – وهى الخوف على ذريتهم – اعتبر كالحاصل فصح التفريع عليه .

والمعنى : فليتقوا الله فى كل شأن من شئونهم وفى أموال اليتامى فلا يعتدوا عليها . وليقولا لغيرهم قولا عادلا قويما مصيبا للحق وبعيدا عن الباطل .

قال الآلوسى وقوله ﴿ وَلْيَقُولُواْ ﴾ أى لليتامى أو للمريض أو لحاضرى القسمة ، أو ليقولوا فى الوصية ﴿ قَوْلاً سَدِيداً ﴾ فيقول الوصى لليتيم ما يقول لولده من القول الجميل الهادى له إلى حسن الآداب ومحاسن الأفعال . ويقول عائد المريض للمريض : ما يذكره بالتوبة **وحسن الظن بالله** ، وما يصده عن الإسراف فى الوصية وتضييع الورثة . ويقول الوارث لحاضر القسمة : ما يزيل وحشته أو يزيد مسرته . ويقول الموصى فى إيصائه : مالا يؤدى إلى تجاوز الثلث .

ثم قال ، والسديد : المصيب العدل الموافق للشرع . يقال : سد قوله يسد – بالكسر – إذا صار سديدا والسداد – بالفتح – الاستقامة والصواب . وأما السداد – بالكسر – فهو ما يسد به الشئ .

قال بعض العلماء : وفى الآية الكريمة ما يبعث الناس كلهم على أن يغضبوا للحق من الظلم ، وأن يأخذوا على أيدى أولياء السوء ، وأن يحرسوا أموال اليتامى ، ويبلغوا حقوق الضعفاء إليه ، لأنهم إن أضاعوا ذلك يوشك أن يلحق أبناءهم وأموالهم مثل ذلك . وأن يأكل قويهم ضعيفهم؛ فإن اعتياد السوء ينسى الناس شناعته ، ويكسب النفوس ضراوة على عمله .

ثم توعد سبحانه الذين يعتدون على حقوق اليتامى بأشد أنواع الوعيد فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الذين يَأْكُلُونَ . . . ﴾ .." (١)

"٥٨٧. لا تزال نفس الرجل معلقة بدينه حتى يقضى عنه

٥٨٨. لا يزال العبد في صلاة ما انتظر الصلاة

٥٨٩. لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك

٥٩٠. لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر

٥٩١. لا تسبوا السطان فإنه فيء الله في أرضه

٥٩٢. لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء

٥٩٣. لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا

٥٩٤. لا يرد الرجل هدية أخيه فإن وجد فليكافئه

٥٩٥. لا تمسح يدك بثوب من لا تكسو

٥٩٦. لا تردوا السائل ولو بشق تمرة

٥٩٧. لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم

٥٩٨. لا تخرقن على أحد سترا

٥٩٩. لا تحقرن من المعروف شيئا

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٨٦٩

٦٠٠. لا تواعد أخاك موعدا فتخلفه

٦٠١. لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به

٦٠٢. لا يموتن أحد إلا وهو **يحسن الظن بالله**

٦٠٣. لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا

٦٠٤. لا تكونوا عيابين، ولا مداحين، ولا طعانين ، ولا متماوتين

٦٠٥. لا تعجبوا بعمل عامل حتى تنظروا بم يختم له

٦٠٦. لا يعجبنكم إسلام رجل حتى تعلموا كنه عقله

٦٠٧. لا تجعلوني كقدح الراكب

٦٠٨. لا يمنعن أحدكم مهابة الناس أن يقوم بالحق إذا علمه

٦٠٩. لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان

٦١٠. لا ترضين أحدا بسخط الله ولا تحمدن أحدا على فضل الله ولا تذمن أحدا على ما لم يؤتك الله فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهة كاره

٦١١. لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها

٦١٢. لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ويفيض اللئام فيضا ويغيض الكرام غيضا ويجترىء الصغير على الكبير واللئيم على الكريم

٦١٣. لن يهلك امرؤ بعد مشورة

٦١٤. لن تهلك الرعية وإن كانت ظالمة مسيئة إذا كانت الولاة هادية مهدية

إياك إياكم

٦١٥. وإياك وما تعتذر منه

٦١٦. إياكم والمدح فإنه الذبح

٦١٧. إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا." (١)

"١١- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (قال الله تعالى يا ابن آدم قم إلي أمش إليك وأمشِ إليّ أهرول إليك) صحيح رواه بخاري ومسلم بألفاظ مختلفة والإمام أحمد.

باب المساجد والقبلة

١- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (إذا دخل المسجد قال (أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) قال إذا قال ذلك حفظ منه سائر اليوم) صحيح أبو داود.

---

(١) شهاب الأخبار – القضاعي، ص/٢٠

٢- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (من بنى لله مسجداً صغيراً كان أو كبيراً بنى الله له بيتاً في الجنة) حسن الترمذي.

٣- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (من تفل تجاه القبلة، جاء يوم القيامة وتفله بين عينيه) صحيح أبو داود وابن حبان.

باب حسن الظن بالله

١- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (لا يموتن أحدٌ منكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى) صحيح مسلم وأحمد وأبو داود.

٢- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (عجبت للمؤمن إن الله تعالى لم يقضِ له قضاء إلا كان خيراً له) صحيح أحمد وأبو نعيم.

٣- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (قال الله تعالى من عَلِم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئاً) حسن طبراني والحاكم.

٤- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله) صحيح أحمد وابن حبان.

باب النيّة والرياء

١- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (يبعث الناس على نياتهم) صحيح أحمد.

٢- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) مسلم.

٣- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (من سمّع سمّع الله به، ومن يرائي الله يرائى به) صحيح بخاري ومسلم.

٤- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (إذا أنزل الله تعالى بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم) صحيح بخاري ومسلم.." (١)

"ج ١ ، ص : ٥٤٥

أصحاب الإبل التي عليها الأحمال الذين جئنا معهم وهم قوم من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وإنا لصادقون (٨٢) في أقوالنا فرجع التسعة إلى أبيهم فقالوا له : ما قال كبيرهم قال أي يعقوب : بل سولت لكم أنفسكم أمرا أي بل زينت لكم أنفسكم إخراج بنيامين عني إلى مصر طلبا للمنفعة فعاد من ذلك ضرر فصبر جميل أي فعلي صبر بلا جزع ولما رجع القوم إلى يعقوب عليه السلام وأخبروه بالواقعة بكى وقال : يا بني لا تخرجون من عندي مرة إلا ونقص بعضكم ، ذهبتم مرة فنقص يوسف ، ومرة ثانية نقص شمعون ، ومرة ثالثة نقص روبيل وبنيامين ثم بكى وقال : عسى الله أن يأتيني بهم أي بيوسف وأخيه الشقيق وأخيه الذي توقف في مصر جميعا فلا يتخلف منهم أحد وإنما قال يعقوب هذه المقالة على

(١) صحيح كنوز السنة النبوية، ص/١١٠

سبيل حسن الظن بالله تعالى ، لأنه إذا اشتد البلاء كان أسرع إلى الفرج ، ولأنه علم بما جرى عليه وعلى بنيه من رؤيا يوسف إنه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم (٨٣) أي الذي لم يبتلني إلا لحكمة بالغة وتولى عنهم أي وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين ، وخرج من بينهم كراهة لما سمع منهم. وقال يا أسفى أي يا شدة حزني على يوسف أي أشكو إلى الله أسفي ولم يسترجع يعقوب أي لم يقل : إنا لله وإنا إليه راجعون ، لأن الاسترجاع خاص بهذه الأمة وابيضت عيناه من الحزن أي ضعف بصره من كثرة البكاء ، فإن الدمع يكثر عند غلبة البكاء ، فتصير العين كأنها بيضاء من بياض الماء الخارج منها فهو كظيم (٨٤) أي ممسك على حزنه فلا يظهره أو ممتلئ من الحزن أو مملوء من الغيظ على أولاده.

قالوا أي الجماعة الذين كانوا في الدار من أولاد أولاده وخدمه : تالله تفتؤا تذكر يوسف أي والله لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا أي فاسدا في جسمك وعقلك أو تكون من الهالكين (٨٥) أي من الأموات فكأنهم قالوا : أنت الآن في بلاء شديد ، ونخاف عليك أن يحصل فيك ما هو أزيد منه وأرادوا بهذا القول منعه عن كثرة البكاء.ال

أي يعقوب لهم : نما أشكوا بثي وحزني إلى الله

أي لا أذكر الحزن العظيم ولا الحزن القليل إلا مع الله أعلم من الله ما لا تعلمون

(٨٦) أي أعلم من رحمته ما لا تعلمون وهو أنه تعالى يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب ، أي إنه يعلم أن رؤيا يوسف صادقة ، ويعلم أن يوسف حي لأن ملك الموت قال له :

اطلبه هاهنا وأشار إلى جهة مصر ويعلم أن بنيامين لا يسرق ، وقد سمع أن الملك ما آذاه وما ضر به فغلب على ظنه أن ذلك الملك هو يوسف فمن ذلك قال : يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه أي استعلموا بعض أخبار يوسف وأخيه بنيامين فإن حالهما مجهولة ومخوفة بخلاف حال روبيل ولا تيأسوا من روح الله أي لا تقنطوا من فرج الله وفضله. وقرأ الحسن وقتادة «من روح الله» بضم الراء ، أي من رحمته إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون (٨٧) لأن اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال أو غير عالم." (١)

"المبحثُ الحادي عشر

تحسين الظن بالله والخوف منه

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ «لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». أخرجه مسلم (١)

وَقَالَ النَّوَوِيّ فِي شَرْح الْمُهَذَّب: مَعْنَى تَحْسِين الظَّنّ بِاَللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَظُنّ أَنَّ اللَّه تَعَالَى يَرْحَمهُ وَيَرْجُو ذَلِكَ بِتَدَبُّرِ الْآيَات وَالْأَحَادِيث الْوَارِدَة فِي كَرَم اللَّه تَعَالَى وَعَفْوه وَمَا وَعَدَ بِهِ أَهْل التَّوْحِيد وَمَا سَيُبَدِّلُهُمْ مِنْ الرَّحْمَة يَوْم الْقِيَامَة كَمَا قَالَ سُبْحَانه وَتَعَالَى فِي الْحَدِيث الصَّحِيح: " أَنَا عِنْد ظَنّ عَبْدِي بِي " هَذَا هُوَ الصَّوَاب فِي مَعْنَى الْحَدِيث وَهُوَ الَّذِي قَالَهُ جُمْهُور الْعُلَمَاء. وَشَذَّ الْخَطَّابِيُّ فَذَكَر تَأْوِيلًا آخَر أَنَّ مَعْنَاهُ أَحْسِنُوا أَعْمَالكُمْ حَتَّى يَحْسُن ظَنّكُمْ بِرَبِّكُمْ، فَمَنْ حَسُن عَمَله حَسُن ظَنّه، وَمَنْ سَاءَ عَمَله سَاءَ ظَنّه، وَهَذَا تَأْوِيل بَاطِل نَبَّهْت عَلَيْهِ لِئَلَّا يُغْتَرّ بِهِ اِنْتَهَى

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجييد، ١/٥٤٤

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِى الْمَوْتِ فَقَالَ «كَيْفَ تَجِدُكَ». قَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّى أَخَافُ ذُنُوبِى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – «لاَ يَجْتَمِعَانِ فِى قَلْبِ عَبْدٍ فِى مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ» أخرجه الترمذي (٢)

قَوْله (لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْب عَبْد) يَدُلّ عَلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي وُجُود الْأَمْرَيْنِ عَلَى الدَّوَام حَتَّى فِي ذَلِكَ الْوَقْت وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَغْلِب الرَّجَاء فِي ذَلِكَ الْوَقْت بِحَيْثُ لَا يَبْقَى مِنْ الْخَوْف شَيْء.

---

(١) – برقم (٢٨٧٧) وأحمد ١/ ٣٢٥ و ٣٣٠ و ٣/ ٢٩٣ (١٤٤٨٩ و١٤٨٥٥ و١٤٩٠٩و١٤٩٥٤و١٤٥٨٨) وأبو داود (٣١١٥) وهـ (٤٣٠٦)

(٢) – الترمذي (٩٩٩) وابن ماجه (٤٤٠٢) ون (١٠٨٣٤) والمجمع ٢/ ٢٩٦ و ٣٢٢ والفتح ١١/ ٣٠١ وك (٢٣٩٤) والصحيحة (١٠٥١) وهو حديث صحيح لغيره.." (١)

"وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلاَ، قَالَ: وَعِزَّتِي لاَ أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أخرجه ابن حبان في صحيحه (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى، إِنْ ظَنَّ بِى خَيْراً فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ». أخرجه أحمد (٢)

وقال المناوي في فيض القدير: (قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي إن ظن) بي (خيراً فله) مقتضى ظنه (وإن ظن) بي (شراً) أي أني أفعل به شراً (فله) ما ظنه فالمعاملة تدور مع الظن فإذا أحسن ظنه بربه وفى له بما أمل وظن والتطير سوء الظن بالله وهروب عن قضائه فالعقوبة إليه سريعة والمقت له كائن، ألا ترى إلى العصابة التي فرت من الطاعون كيف أماتهم؟ قال الحكيم الترمذي: الظن ما تردد في الصدر وإنما يحدث من الوهم والظن هاجسة النفس وللنفس إحساس بالأشياء فإذا عرض أمر دبر لها الحس شأن الأمر العارض فما خرج لها من التدبير فهو هواجس النفس فالمؤمن نور التوحيد في قلبه فإذا هجست نفسه لعارض أضاء النور فاستقرت النفس فاطمن القلب فحسن ظنه لأن ذلك النور يريه من علائم التوحيد وشواهده ما تسكن النفس إليه وتعلمه أن الله كافيه وحسبه في كل أموره وأنه كريم رحيم عطوف به فهذا **حسن الظن بالله** وأما إذا غلب شره النفس وشهواتها فيفور دخان شهواتها كدخان الحريق فيظلم القلب وتغلب الظلمة على الضوء فتحيي النفس بهواجسها وأفكارها وتضطرب ويتزعزع القلب عن مستقره وتفقد الطمأنينة وتعمى عين الفؤاد لكثرة الظلمة والدخان فذلك سوء الظن بالله فإذا أراد الله بعبد خيراً أعطاه حسن الظن بأن يزيده نوراً يقذفه في قلبه ليقشع ظلمة الصدر كسحاب ينقشع عن ضوء القمر ومن لم يمنح ذلك فصدره مظلم لما أتت به النفس من داخل شهواتها والعبد

---

(١) الاستعداد للموت، علي بن نايف الشحود ص/١٩٣

(١) – برقم (٢٤٩٤) موارد والإحسان (٦٤٢) وهب (٧٩٤) وتاريخ البخاري ٨/ ١٢ والحلية ٦/ ٩٨ والمجمع ١٠/ ٣٠٨ (١٨٢٠٠) والصحيحة (٧٤٢) وهو حديث صحيح.

(٢) – ٢/ ٣١٥ (٩٣١٤) والإحسان (٦٤١) والمجمع ٢/ ٣١٩ (٣٨٨٨) وصحيح الجامع (٤٣١٥) وهو حديث صحيح لغيره.." (١)

"ملوم على تقوية الشهوات من استعمالها فإذا استعملها فقد قوّاها، ككانون: كلما ألقيت فيه حطباً ازداد لظماً ودخاناً ..

وعَنِ أَبِي عَيَّاشٍ قَالَ قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – «إِنْ شِئْتُمْ أَنْبَأْتُكُمْ مَا أَوَّلُ مَا يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا أَوَّلُ مَا يَقُولُونَ لَهُ». قُلْنَا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ هَلْ أَحْبَبْتُمْ لِقَائِى فَيَقُولُونَ نَعَمْ يَا رَبَّنَا. فَيَقُولُ لِمَ فَيَقُولُونَ رَجَوْنَا عَفْوَكَ وَمَغْفِرَتَكَ. فَيَقُولُ قَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ مَغْفِرَتِى». أخرجه أحمد (١)

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ «يَخْرُجُ أَرْبَعَةٌ مِنَ النَّارِ – قَالَ أَبُو عِمْرَانَ أَرْبَعَةٌ. وَقَالَ ثَابِتٌ رَجُلاَنِ – فَيُعْرَضُونَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ. قَالَ فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ أَىْ رَبِّ قَدْ كُنْتُ أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتَنِى مِنْهَا أَنْ لاَ تُعِيدَنِى فِيهَا. فَيُنَجِّيهِ اللَّهُ مِنْهَا عَزَّ وَجَلَّ». أخرجه أحمد (٢)

ففي هذه الأحاديث تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة، ومن **حسن الظن بالله** تعالى أن يظن أنه سيرحمه وسيعفو عنه، ففي حال الصحة غلّب الخوف، وإذا دنا الأجل غلّب الرجاء، لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن المتعمد للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له (٣)

—

---

(١) – ٥/ ٢٣٨ (٢٢٧٢٣) وطب (١٦٦٧٥) وهب (١٠٦٣) وطيا (٥٥٩) والمجمع ٢/ ٣٢١ و ١٠/ ٣٥٨ (٣٩٠٣و١٨٤٣٩) والحلية ٨/ ١٧٩ وهو حديث حسن لغيره.

(٢) – برقم (١٤٤٠٥) والإحسان برقم (٦٣٤) ٢/ ١٤ و أبو عوانة ١/ ١٨٧ (٣٤٥) والتوحيد لابن خزيمة (٤٤٠) صحيح.

(٣) – راجع شرح مسلم للنووي ١٧/ ٢٠٩ – ٢١٠ والفتح ١٣/ ٣٨٥ – ٣٨٦." (٢)

"يبلغونه عن الله–عز وجل–من الأحكام، وهذا لا نزاع فيه بين أهل العلم، وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الأنبياء معصومون من المعاصي الكبائر دون الصغائر، وقد تقع الصغيرة منهم لكن الله عز وجل لا يُقرهم عليها بل يُنبههم

---

(١) الاستعداد للموت، علي بن نايف الشحود ص/١٩٤

(٢) الاستعداد للموت، علي بن نايف الشحود ص/١٩٥

عليها فيتركونها، أما في أمور الدنيا فقد يقع الخطأ منهم ثم ينبهون على ذلك. فهؤلاء الأنبياء عليهم السلام فما بالك بما هو دونهم وقد قال نبينا – صلى الله عليه وسلم – (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يُذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم) وليعلم المسلم أن تكفير السيئات الوارد في قوله تعالى (إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا) مشروط باجتناب الكبائر هذا من حيث الوعد ولكن قد يغفر الله لمن يشاء مما هو دون الشرك ، ويدخل في اجتناب الكبائر فعل الفرائض التي يكون تاركها مرتكباً كبيرة كالصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان، واللمم المعفو عنه هو ما يعمله الإنسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا يُقيم عليه، فيُقال ألممت ، ويُقال ما فعلته إلا إلماماً أي الحين بعد الحين ، واللمم هي صغائر الذنوب، كما ذكرنا ، والفقيه كل الفقه هو الذي لا يؤيَس الناس من رحمة الله ولا يُجرئهم على معصية الله ولهذا يؤمر العبد بالتوبة كلما أذنب ، والله رحيم أمر عباده بما يُصلحهم ونهاهم عما يُفسدهم ثم إذا وقعوا في أسباب الهلاك لم يؤيسهم من رحمته بل جعل لهم أسباباً يتوصلون بها إلى رفع الضر عنهم والله يحب العبد المُفتَن التوَاب ، وما دام العبد يُذنب ثم يتوب فقد غفر الله له ، والله عفو غفور تواب يقبل التوب ويغفر الذنب ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار فضلاً منه وإحساناً فاستغفر ربك في كل حين إنه كان غفاراً والله يعدك مغفرة منه وفضلاً وهو واسع المغفرة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وهو الغفور الودود ، واعلم أنك ما دعوت الله ورجوته إلا غفر لك على ما كان فيك ولا يبالي ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرته غفر لك ولا يبالي ولو أتيته بقراب الأرض خطايا ثم لقيته لا تشرك به شيئاً لأتاك بقرابها مغفرة ، والله غفور رحيم ، وينبغي **حسن الظن بالله** والوثوق برحمته وعدم القنوط من عفوه فإن الله عند حسن ظن عبده فليظن عبده به ما شاء ، ومن أصلح ما بقي من عمره يُغفر له ما مضى ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وأخيراً أوصيك بتقوى الله فيما بقي من عمرك فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويُعظم له أجراً ومن يتق الله يرزقه من حيث لا يحتسب ، فاتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة." (١)

"(المعلم الحادي عشر: الإخلاص)

النية لها مرتبتان إحداها تمييز العادة عن العبادة ، الثاني تمييز العبادات بعضها عن بعض، ومن مراتب النية الإخلاص وهو قدر زائد على مجرد نية العمل فلابد من نية نفس العمل والمعمول له وهذا هو الإخلاص.

الإخلاص هو إفراد الله سبحانه بالقصد في الطاعة وتصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين ومن كل شائبة.

الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والمحبة والتعظيم والإجلال وقصد وجه المعبود وحده دون شيء من الحظوظ سواه حتى لتكون صورة العملين واحدة وبينهما في الفضل ما لا يُحصيه إلا الله تعالى.

اعلم رحمك الله أن من تنسب إليه شيء من الشر والظلم لا يُمكن أن تكون عابداً له مهما تكلَفت عبادته فنزَه ربك عمَا لا يليق بمقامه جل وعلا.

المستقل حقيقة هو الله.

---

(١) معالم الطريق إلى الله، أبو فيصل البدراني ص/٢٣

سوء الظن بالله تلقين الشيطان ، وحسن الظن بالله تلقين من الله تعالى.

مقاصد المكلفين في ميزان الشرع: المقصود الذي يجب أن يتوجه إليه العبد هو الله وحده وأن هذا هو الإخلاص الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه ، إلا أن المقاصد تتنوع فيما بينها ذلك أن العباد يقصدون ربهم من جوانب مختلفة فمنهم الذي يعبده تعظيماً له وتوقيراً ، ومنهم الذي يقصد الدخول في طاعته وعبادته، ومنهم الذي يطلب رضوانه ورضاه ومنهم الذي يقصد الأُنس به والتلذذ بطاعته وعبادته ، ومنهم من يرجو التنعم برؤيته في يوم القيامة ، ومنهم من يطلب ثوابه من غير أن يستشعر ثواباً معيناً ، ومنهم من يطلب ثواب معيناً ، ومنهم من يخاف عقابه من حيث الجملة غير ناظر إلى عقاب معين ومنهم من يخشى عقاباً معيناً وتنوع المقاصد باب واسع ، والعبد قد يقصد هذا مرة وهذا مرة وقد يقصد أكثر من واحد من هذه المقاصد وكلها تنتهي إلى غاية واحدة وتعني في النهاية شيئاً واحداً أن العبد يريد الله سبحانه ولا يريد سواه وكل مطلب محقق للإخلاص وأصحاب هذه المقاصد على الصراط المستقيم وعلى الهدى والصواب ، وإن كان العبد لا ينبغي أن يُخلي قصده من الحب والخوف فإن قوام العبادة بهما ومدارها عليهما.." (١)

"الصنف الثالث: محبة أُنس وألف، كمحبة المشتركين في صناعة أو تجارة، ... والطلبة بعضهم لبعض.

الصنف الرابع: محبة ما يلائم طبع الإنسان من الجمادات كمحبة الطعام والشراب والملبس والمركب والمسكن ومحبة الوطن.

والمحبة الطبيعية من قسم المباح؛ إلا إذا اقترن بها نية صالحة فتصير عبادة كمحبة الولد شفقة إذا اقترن بها الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في محبة الأولاد ورحمتهم، والأكل والشرب إذا قُصد به الاستعانة على عبادة الله صار عبادة ، وعلى هذا فالمحبة الطبيعية قد تكون أحياناً مستحبة إذا أدت إلى شيء مستحب، وقد تكون محرمة إذا أدت إلى حرام، كمحبة المال في الأصل هي مباحة فإذا تجاوزت حدها الطبيعي أي إذا صارت زائدة عن الحد فصار يوالي فيه ويعادي فيه فتكون والحال هكذا محبة محرمة ، وخلاصة القول يجب تقديم المحبة الشرعية على الجبلية الطبيعية عند التعارض.

يجب تقديم وإيثار محبة الله ورسوله وما أراده الله وأحبه على ما يريد ... العبد وذلك عند التزاحم ، والمحبة الجبلية لا اختيار للإنسان فيها ولكن لا تُزاحم محبة الله ورسوله وما يحب الله ويريده.

حسن الظن بالله من واجبات التوحيد وسوء الظن به ينافي التوحيد.

هل من لازم إحسان الظن بالله العصمة من الزلل والخطأ؟

لا إشكال في حسن الظن بالله تعالى مع وجود المعاصي وإنما يأتي الإشكال في حال العاصي المُصر على معصيته السادر في غفلته المُستزيد من غيَه المُستهين بحدود ربه وهو مع ذلك يرجو المغفرة.

سر الحياة الطيبة: تفريغ القلب من تألّ ُه غير الله عز وجل كائناً من كان والإقبال على الله وحده.

الأسباب الجالبة لمحبة الله والموجبة لها عشرة:

أحدهما: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض.

---

(١) معالم الطريق إلى الله، أبو فيصل البدراني ص/٤٣

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محاب الله على محابك عند غلبات الهوى والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في." (١)

" لا مانع من مباشرة الأسباب لكن المحظور أو الممنوع أن يلتفت إليها، ويظن بها التأثير المستقل، فالمسبب هو الله -سبحانه وتعالى-، وهو النافع الضار.

يجب على المسلم فعل الأسباب المشروعة المقدور عليها لتحقيق المراد فإن أتت الأمور على ما يريد حمد الله وإن أتت على خلاف ما يريد تعزى بقدر الله وعلم أن ذلك كله وقع بقدر الله وخيرة الرب لعبده خيرٌ من خيرة العبد لنفسه.

إذا جاءت أقدار الله على خلاف ما يُريد المسلم وقد بذل الأسباب المشروعة لتحقيق المراد فليقل قدر الله وما شاء فعل ولا يسترسل مع أحزانه ويعلم أن ربه قضى ما هو خير له ولو بعد حين ولو لم يدركه عقله في الحال.

السعيد يستغفر من المعائب ويصبر على المصائب والشقي يجزع عند المصائب ويحتج بالقدر على المعائب.

استحباب الرضا بقضاء الله عز وجل فيه تفصيل نرضى بالقضاء الذي هو فعل الله عز وجل وأما المقضي الذي هو فعل العبد ففيه تفصيل فإن كان مرضياً لله رضينا به كالطاعات والإيمان وإن كان غير مرضي لله لم نرض به كالمعاصي.

(المعلم الخامس عشر: التوكل)

التوكل هو: صدق الاعتماد على الله عز وجل في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار الدينية والدنيوية مع فعل الأسباب المأمور تعاطيها شرعاً وقدراً.

التوكل نصف الدين والنصف الثاني الإنابة فإن الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة ، والتوكل أعم من الاستعانة فالاستعانة هي الاعتماد على الله فيما يقدر عليه العبد والتوكل هو الاعتماد على الله فيما يقدر عليه العبد ومالا يقدر عليه من جلب منفعة ودفع مضرة ، فالتوكل يكون في جلب المنافع ودفع المضار والاستعانة تكون على العبادة.

حُسن الظن بالله يدعو إلى التوكل على الله والتوكل على الله لابد فيه من **حُسن الظن بالله** والتوكل على الله هو تفويض قبل وقوع المقدور ورضاً بعد وقوع المقدور ومن فعل ذلك فقد قام بالعبودية.

التوكل هو الثقة بحسن اختيار الله وقضاءه وقدره والرضا بمشيئته ، ويتوكل المؤمن على ربه لعلمه بتمام كفايته وكمال قدرته وعميم إحسانه ويثق به.

التوكل على غير الله تعالى أقسام:." (٢)

---

(١) معالم الطريق إلى الله، أبو فيصل البدراني ص/٤٨

(٢) معالم الطريق إلى الله، أبو فيصل البدراني ص/٦٠

"شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة:٢١٦﴾، فعلى المؤمن أن يصبر ويرضى بأمر الله تعالى، وأن يُبصر الرحمة من خلال البلاء، فقد قال صلى الله عليه وسلم: إن عظم الجزاء من عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط. رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه وحسنه الألباني.

واعلم أخي أن وعود الله متحققة لا محالة لمن أقام شرطها قال تعالى (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) (التوبة: من الآية١١١) وقال أيضاً "وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ" (الرعد: من الآية٣١) فعلى المسلم أن يُحسن الظن بربه وخاصة تجاه وعوده الكريمة ولماذا نسيء الظن بربنا وقد علمنا أنه لا يُخلف وعده ولِمَ نتشاءم، والله تعالى يقول: "أنا عند ظن عبدي بي" فمن أحسن الظن به أعانه وبلغه مُراده، ومن أساء بالله الظن لن يعطيه الله تعالى إلا ظنه، وقد استوجب مسيئو الظن بالله غضبه ولعنته قال الله تعالى: "الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً" (الفتح: من الآية٦).

وإن من أسماء الله تعالى البر الرحيم الودود العزيز اللطيف وغيرها من الأسماء الحسنى، فربٌ هذه أسماؤه وتلك صفاته يُظن به ظن السوء؟ والله ما قدرنا الله حق قدره، وما عرفناه حق معرفته، فالمتأمل في الأسماء الحسنى للخالق تعالى لن يجد بُداً من التفاؤل وحسن الظن به والثقة بما عنده من الخير والعطاء الجزيل.

وحسن الظن بالله من العبادات الجليلة، والطاعات القلبية العظيمة التي تدل على حب العبد لربه وتصديقه بوعده وقد قال تعالى: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج/٤٧]. والسبب الكبير في ضعف اليقين تجاه الوعود الربانية، هو: التعلق بالدنيا، والركون إليها، ولهذا فإنك لو تأملتَ لوجدت أن أضعف الناس يقيناً بموعود الله هم أهل الدنيا، الراكنين إليها، وأقواهم يقيناً هم العلماء الربانيون، وأهل الآخرة، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه. قال تعالى: ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٦، ٧]

ولا يُشكل على هذا ما يمر على القارئ من آيات قد يُفهم منها أن فيها نوعاً من التردد في تصديق وعد الله، أو الشك في ذلك، كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وكقوله عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]، فإن هذه الآيات إنما تحكي حالةً عارضة تمر بالإنسان . بسبب ضعفه حيناً، وبسبب استعجاله أحياناً . وليست حالةً دائمةً، وإذا كان الشك في موعود الله لا يصح أن ينسب إلى آحاد المؤمنين، فهو من الأنبياء والمرسلين أبعد وأبعد، ولكن . ولحكمة بالغة . جاءت هذه الآيات لتطمئن المؤمنين من هذه الأمة أن حالات." (١)

---

(١) معالم الطريق إلى الله، أبو فيصل البدراني ص/٧٦

"يقول ابن القيم ـ رحمه الله: فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت وأن لا يرى نفسه إلا مفلساً، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً ولا سبباً يتعلق به ولا وسيلة منه يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف والإفلاس المحض دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع وشملته الكسرة من كل جهاته وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل وكمال فاقته وفقره إليه وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة وضرورة كاملة إلى ربه تبارك وتعالى وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تُجبر إلا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته ، ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية ولا حجاب أغلظ من الدعوى ... انتهى. والله أعلم.

– السؤال الثامن: ما حكم الثقة بالنفس وهل تتنافى الثقة بالنفس مع اتهام السلف لأنفسهم بالتقصير ومع التواضع المشروع؟

الثقة بالنفس بعد التوكل على الله مطلوبة شرعاً، فالمسلم يتعين عليه أن **يُحسن الظن بالله** تعالى، وأن يتفاءل لنفسه الخير والنجاح دائماً، ويسعى باستمرار في سبيل الارتقاء لتحصيل الكمال، ويستخدم لذلك فكره وطاقته، ويبذل جهده وما تيسر له من الوسائل في تحقيق طموحاته والوصول إلى أهدافه، فقد قال الله تعالى: فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴿آل عمران: ١٥٩﴾.

وفي حديث الصحيحين: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي.

وفي رواية لأحمد: أنا عند ظن عبدي بي، فإن ظن بي خيراً فله، وإن ظن بي شراً فله.

وفي حديث مسلم: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل).

وأما عدم الثقة بالنفس: فهو نوع من العجز لا يرتضيه الإسلام، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من العجز، يقول صلى الله عليه وسلم: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال، قال: ففعلت ذلك فأذهب الله عز وجل همي، وقضى عني ديني. رواه الترمذي وحسنه.

وإذا كان عدم الثقة بالنفس خلقا ذميما، فهو ليس مرادفا للتواضع ولا مظهرا من مظاهره، لأن التواضع خلق محمود، وهو لا ينافي الثقة بالنفس، ويكفي دلالة على ذلك ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان متواضعا مع شجاعة وإقدام وتوكل على الله في كل ما هو من أمور الخير.

ولا بأس بالنظر في عواقب الأمور، ووضع احتمال الإخفاق في أمرٍ ما، والنظر في العلاج لما يمكن حصوله، فيحذر من

أسباب الفشل ويحاول إصلاح ما فسد، وأما الاتهام للنفس الذي كان يفعله السلف فهو اتهامهم أنفسهم بعدم الوصول." (١)

"وبغض الكفر والفسوق والعصيان والإ يعاد بالخير والتصديق بالحق **وحسن الظن بالله** والربط على القلب ونحو ذلك والعقاب المعنوي هو بضد الثواب المعنوي.

وثواب الله بنوعيه المادي والمعنوي في الآخرة واقع لا محالة للمؤمنين.

وعقابه الأخروي بنوعيه واقع لا محالة للكافرين الذين قامت عليهم الحجة أما عصاة المؤمنين فهم تحت المشيئة ومآلهم إلى الثواب المادي والمعنوي بفضل الله تعالى.

أما ثواب الله المعنوي واقع لا محالة في الدنيا على خلقه وعقابه المعنوي إن لم يتجاوز ويعفُ واقع لا محالة في الدنيا على خلقه.

بالنسبة لثواب الله المادي في الدنيا كالوعد بالنصرة والحفظ والتمكين في الأرض والكفاية فيما أهم المسلم ونحو ذلك فقد يقع وهو الأصل وقد لا يقع لحكمة ولطف بالعبد والله يقضي له الخير حيث كان ثم يُرضيه به والعاقبة للعبد المتقي ولو بعد حين والله يعلم ونحن لا نعلم وخيرته لعبده خيرٌ من خيرة العبد لنفسه هذا من حيث أفرادهم أما من حيث مجموعهم فهو واقع لا محالة وعلى هذا تُحمل آيات نصرة الله وحفظه وعدم جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ونحوها علماً بأن هذه الوعود من الله خاصة بمن أقام شرطه فيها.

وأما عقاب الله المادي في الدنيا لمن عصاه إن لم يتجاوز الله عنه فقد يقع زجراً للعبد لعلَه يتوب أو لكف شرَه عن المسلمين أو كفارة له بتعجيله أو عبرة لغيره وقد لا يقع استدراجاً له مالم يعفُ الله عنه في الآخرة.

طاعة الله وعبادته هي مصلحة العبد التي فيها سعادته ونجاته وأما إجابة دعائه وإعطائه سُؤله فقد يكون منفعة وقد يكون مضرة.

في سيرك إلى الله لا تُقارن نفسك بأحد من خلق الله لأن الله عز وجل لا يُعامل خلقه معاملة واحدة لأن الخلق مختلفين في معاملتهم لربهم فمنهم الكافر وهم دركات ومنهم المؤمن وهم درجات ويبتلي الله العبد على قدر دينه وهو مع عبده بين القبض والبسط رحمةً منه وحكمة.

الفاعل لما يُريد مطلقاً المستقل عن غيره هو الله تعالى ، واعلم أن المدبر لهذا الكون حقيقةً هو الله تعالى، وأنه لا معطي ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط.

الخلق جميعهم لا يستغنون عن الله عز وجل طرفة عين وإن جحد ذلك بعض." (٢)

"قال رسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «إن اللَّه يقبل توبة العبد ما لم يغرغر». [رواه أحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع].

---

(١) معالم الطريق إلى الله، أبو فيصل البدراني ص/٧٩

(٢) معالم الطريق إلى الله، أبو فيصل البدراني ص/٩٣

حسن الظن بالله تعالى:

وفي الحديث الصحيح: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله».**

والرجاء عند الموت أفضل، لأن الخوف سوط يساق به، وعند الموت يقف البصر، فينبغي أن يتلطف به، ولأن الشيطان يأتي حينئذ بسخط العبد على الله فيما يجري عليه، ويخوفه فيما بين يديه، فحسن الظن أقوى سلاح يدفع به العدو.

وقال سليمان لابنه عند الموت: يا بني، حدثني بالرخص، لعلي ألقى الله تعالى، وأنا أحسن الظن به. انتهى.

فائدة:

يكفي في ذكر الموت قول الله تعالى لنبيه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ - ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

ذكر ابن كثير رحمه الله: وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد، فتقول الروح للجسد: أنت فعلت، ويقول الجسد للروح، أنت أمرت، وأنت سولت، فيبعث الله ملكًا يفصل بينهما، فيقول لهما، إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير، والآخر ضرير، دخلا بستانًا، فقال المقعد للضرير: إني أرى هاهنا ثمارًا، ولكن لا أصل إليها، فقال له الضرير: اركبني فتناولها، فركبه فتناولها، فأيهما المعتدي؟ فيقولان: كلاهما، فيقول لهما الملك: فإنكما قد حكمتما على أنفسكما، يعني أن الجسد للروح كالمطية وهي راكبة (١).

من أقوال الشعراء في الإسلام:

تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجرِ

فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكًا ... وقد نُسِجَتْ أكفانُه وهو لا يدري

وكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحُهم ليلة القدرِ

وكم من صغارٍ يُرتجى طول عمرهم ... وقد أُدخلت أجسادُهم ظلمة القبرِ

وكم من صحيح مات من غير علةٍ ... وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر

---

(١) قال الصابوني: رواه ابن منده في كتاب «الروح» ولم يشر له ابن كثير بضعف. (قل).." (١)

"(٢٢٣٢) - «الترغيب» (٢/ ٢٧٠).

جاء في «تحفة الأحوذي» (ج٩ ص ٢٥٢).

(قوله: «ليس شيء» أي: من الأذكار والعبادات فلا ينافيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. «أكرم» بالنصب خبر ليس أي أفضل «على الله» أي: عند الله «من الدعاء» لأن فيه إظهار الفقر والعجز والتذلل والاعتراف بقوة الله وقدرته). اهـ.

---

(١) ففروا إلى الله - القلموني، أبو ذر القلموني ص/٨٤

٩ – عن سلمان الفارسي عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: «إن الله حييٌ كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صِفرًا خائبتين».

(صحيح) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم – «الترغيب» (٢/ ٢٧٢).

جاء في «تحفة الأحوذي» (جـ٩ ص ٤٣٢):

(قوله: «إن الله حييٌ» فعيل من الحياء أي كثير من الحياء ووصفه تعالى بالحياء يحمل على ما يليق له كسائر صفاته نؤمن بها ولا نكيفها «كريم» هو الذي يعطي من غير سؤال فكيف بعده. «صفرًا» بكسر الصاد المهملة وسكون الفاء أي خاليتين، قال الطيبي: يستوي فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع «خائبتين» من الخيبة وهو الحرمان. وفي الحديث دلالة على استحباب رفع اليدين في الدعاء والأحاديث فيه كثيرة، وأما حديث أنس لم يكن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء فالمراد به المبالغة في الرفع). اهـ.

١٠ – عن أبي هريرة أن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم! اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه».

(صحيح). رواه البخاري في «الأدب المفرد» عن أبي سعيد – ورواه مسلم عن أبي هريرة.

جاء في «شرح مسلم» للنووي رحمه الله تعالى (ج ١٧ ص ١٠، ١١ رقم ٢٦٧٩):

(وليعزم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه) قال العلماء: عزم المسألة: الشدة في طلبها، والجزم من غير ضعف في الطلب، ولا تعليق على مشيئة ونحوها، وقيل: هو **حسن الظن بالله** تعالى في الإجابة. ومعنى الحديث استحباب الجزم في الطلب، وكراهة التعليق على المشيئة، قال العلماء: سبب كراهته أنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه؛ والله تعالى منزه عن ذلك، وهو معنى قوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في آخر الحديث: «فإنه لا مستكره له وقيل سبب الكراهة أن في هذا اللفظ صورة الاستغفار على المطلوب، والمطلوب منه». اهـ.." (١)

"وجاء في (ب – ف): (وليعزم المسألة: أي يجتهد في الطلب، وليعظم الرغبة: أي يكثر في دعائه من طلب ما يشتهيه).

١١ – عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له».

رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي.

جاء في «فتح الباري» لابن حجر رحمه الله تعالى (جـ ١١ ص ١٤٤، ١٤٥):

قوله: (باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له) المراد بالمسألة الدعاء، والضميران لله تعالى، أو الأول ضمير الشأن والثاني لله تعالى جزمًا. ومكره بضم أوله وكسر ثالثه ..

قوله: (فليعزم المسألة) في رواية أحمد عن إسماعيل المذكور «الدعاء» ومعنى الأمر بالعزم الجد فيه، وأن يجزم بوقوع مطلوبه

(١) ففروا إلى الله – القلموني، أبو ذر القلموني ص/١٢٦

ولا يعلق ذلك بمشيئة اللَّه تعالى، وإن كان مأمورًا في جميع ما يريد فعله أن يعلقه بمشيئة اللَّه تعالى. وقيل: معنى العزم أن يحسن الظن بالله في الإجابة.

قوله: (ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطني) في حديث أبي هريرة المذكور بعده «اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت». وزاد في رواية همام عن أبي هريرة الآتية في التوحيد «اللهم ارزقني إن شئت». وهذه كلها أمثلة، ورواية العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عند مسلم تتناول جميع ما يدعى به. ولمسلم من طريق عطاء بن ميناء عن أبي هريرة: «ليعزم في الدعاء» وله من رواية العلاء «ليعزم وليعظم الرغبة» ومعنى قوله: «ليعظم الرغبة» أي يبالغ في ذلك بتكرار الدعاء والإلحاح فيه، ويحتمل أن يراد به الأمر بطلب الشيء العظيم الكثير، ويؤيده ما في آخر هذه الرواية «فإن اللَّه لا يتعاظمه شيء».

قوله: (فإنه لا مستكره له) في حديث أبي هريرة: «فإنه لا مكره له» وهما بمعنى، والمراد أن الذي يحتاج إلى التعليق بالمشيئة ما إذا كان المطلوب منه يتأتى إكراهه على الشيء فيخفف الأمر عليه ويعلم بأنه لا يطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه، وأما اللَّه سبحانه فهو منزه عن ذلك فليس للتعليق فائدة. وقيل: المعنى أن فيه صورة الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه، والأول أولى. وقد وقع في رواية عطاء بن ميناء «فإن اللَّه صانع ما شاء» وفي رواية العلاء «فإن اللَّه لا يتعاظمه شيء أعطاه» قال ابن عبد البر: لا يجوز لأحد أن يقول اللهم أعطني إن شئت وغير ذلك من أمور الدين والدنيا لأنه كلام مستحيل لا وجه له." (١)

"ولم يأمر الله بالتوكل إلا بعد التحرز واستفراغ الوسع كما قال سبحانه: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين (١٥٩)﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أما أركان التوكل:

فالتوكل حال مركبة من عدة أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها: وأول ذلك معرفة العبد بالرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته. وهذه المعرفة أول درجة يضع فيها العبد قدمه في مقام التوكل.

والثاني: إثبات الأسباب على الجوارح، ورفضها عن القلوب، ومن نفاها فتوكله مدخول.

والثالث: اعتماد القلب على الله وسكونه إليه، بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب، ولا سكون إليها.

وعلامة هذا: أن لا يبالي بإقبالها وإدبارها، ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدبار ما يحب منها وإقبال ما يكره؛ لأن اعتماده على الله وسكونه إليه واستناده إليه قد حصنه من خوفها ورجائها.

الرابع: حسن الظن بالله، فحسن الظن بالله يدعو العبد إلى التوكل عليه، إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه.

والخامس: استسلام القلب لله، والانقطاع عما سواه، بأن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف

---

(١) ففروا إلى الله – القلموني، أبو ذر القلموني ص/١٢٧

أراد ولا يمتنع منه، ولا يكون له حركة ولا تدبير، بل يستسلم لتدبير الرب، وهذا في غير باب الأمر والنهي، بل في باب القضاء والقدر، أي فيما يفعله الرب بالعبد، لا فيما أمرك الرب بفعله .. فتنبه.

وروح التوكل ولبه وحقيقته:

تفويض الأمور كلها إلى الله، وإنزالها به طلبا واختيارا لا كرها واضطرارا." (١)

"ورجاحة العقل، وهو حسن المظهر الخارجي للإنسان من طريقة الكلام والصمت، والحركة والسكون، والدخول والخروج، وحسن الهيئة، وحسن السيرة العملية بين الناس، وحسن المعاشرة مع الأهل.

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أنه قال: كان النبي (مربوعا، وقد رأيته في حلة حمراء، ما رأيت شيئا أحسن منه. متفق عليه (١).

وحسن الظن بالله تعالى من حسن العبادة.

قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل» أخرجه مسلم (٢).

وعن أبي بكر – رضي الله عنه – قال: قلت للنبي – صلى الله عليه وسلم – وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما» متفق عليه (٣).

والأخلاق غرائز كامنة، وحسن الخلق ميل النفس نحو الأرفق الأحمد من الأقوال والأفعال، والتخلق بأخلاق الشريعة، والتأدب بآداب الله التي ذكرها في كتابه.

وإذا حسنت أخلاق الإنسان كثر محبوه وقل معادوه، فسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب، ونبتت على جوارحه المحاب، وسال لسانه بكل ما لذ وطاب.

فحسن الخلق ذهب بخيري الدنيا بالآخرة، وخيار الناس أحاسنهم أخلاقا.

وأحسن البشرية أخلاقا على الإطلاق سيد الأولين والآخرين، وسيد ولد آدم، وسيد الأنبياء والرسل محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي قال عنه ربه: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم (٤)﴾ [القلم: ٤].

ولحسن خلقه – صلى الله عليه وسلم – وكمال أدبه، فهو محمود عند الله .. ومحمود عند ملائكته ..

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٨٤٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٣٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٣)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٨١).." (٢)

"والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات، وأكبر مجالس اللهو، فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه بخمس خشبات لتكدرت عليه لذته، وفسد عليه عيشه، وهو في كل نفس يدخل عليه ملك الموت وهو عنه غافل.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٨٥٦/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٦٤١/٣

فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور.

والمشروع عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكينة، ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة، ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى.

ويستحب أن يذكر للمحتضر محاسن أعماله عند موته، لكي يحسن ظنه بربه.

ثم يغسل الميت ويصلى عليه، ثم يدفن، ويبقى في قبره منتظرا يوم البعث، ويظل في قبره منعما أو معذبا حسب عمله، ثم يبعث وينتقل إلى دار القرار في الجنة أو النار.

كما قال سبحانه: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (١٤)﴾ [الروم: ١٤].

وليس معنى الموت انتهاء الحياة وانتهاء المشاكل، بل معناه انتقال الإنسان من حياة صغيرة قصيرة حقيرة فانية إلى حياة أبدية طويلة، إما في سعادة، أو في شقاء. فمعناه نهاية الحياة والأحوال الفانية، وبداية الحياة والأحوال الأبدية.

فالله كتب على جميع الكائنات الموت والفناء، ولكن الإنسان خلق للبقاء، لكنه ينتقل من مرحلة إلى مرحلة، ومن دار إلى دار، حتى يستقر في دار المقام في الجنة أو النار.

والإنسان إذا مات وفارق الحياة لايستطيع أن يأخذ معه من الأموال شيئا، ولو أخذ كل ذهب الدنيا معه لكان كالتراب بالنسبة لنعيم الجنة.

فكل ما في الدنيا لايساوي ثواب حسنة واحدة يوم القيامة، والإنسان إذا مات يذهب بالأعمال إلى الآخرة، وبعد الموت إما أن تنتهي المشكلة ويدخل الجنة، أو تبدأ المشكلة ويدخل النار.

فالناس لا بد لهم من السجن:

فمن دخل السجن في الدنيا، وامتثل أوامر الله إلى أن تنتهي مدة سجنه بالموت." (١)

"مُسْتَكْرِهَ لَهُ)) (١).

قوله: ((فليعزم)) أي يحسن الظن بالله في الإجابة؛ لأنه يدعو رباً كريماً جواداً قديراً، وإذا تأكد هذا الأمر في قلب العبد، فليدعُ مستيقناً بإجابة ربه تعالى له، قال – صلى الله عليه وسلم –: ((ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ)) (٢).

واللَّه تعالى يجيب دعاء عبده على قدر حسن ظنه به، قال تعالى في الحديث القدسي: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ))، وفي لفظ: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ)) (٣)، ففيه ترغيب من اللَّه تعالى لعباده بتحسين ظنونهم، وأنه تعالى يعاملهم على حسبها، فمن ظنّ به خيراً أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميل تفضلاته، ونثر عليه محاسن كراماته وعطائه، ومن لم يكن في ظنه هكذا، لم يكن اللَّه تعالى له هكذا، فعلى العبد أن يكون حسن الظن بربه في جميع حالاته، ويستعين

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣٤٧٠/٤

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له، ٨/ ٧٤، برقم ٦٣٣٧، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم بالدعاء، ولا يقل: إن شئت، ٤/ ٢٠٦٣، برقم ٢٦٧٨.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، باب حدثنا عبد الله بن معاوية، ٥/ ٥١٧، برقم ٣٤٧٩، المستدرك، ١/ ٦٧٠، وصححه الألباني في: صحيح الترمذي، برقم ٣٤٧٩، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٥٩٤.

(٣) أخرجه أحمد، ١٥/ ٣٥، برقم ٩٠٧٦، والطبراني في المعجم الكبير ٢٢/ ٨٧، وصححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٦٦٣.." (١)

"الألفاظ، وأحسن المعاني، وأنبل الأماني.

قوله: ((أحيني ما علمت الحياة خيراً لي)): أسألك بأن تحيني حياة طيبة، بأن يغلب خيري على شرّي، بأن أتمسك بشريعتك، متبعاً لسنة نبيك – صلى الله عليه وسلم –، إذا كانت الحياة خيراً لي، وفي هذا تفويض كامل لله تعالى، وتقديم اختياره تعالى على اختيار نفسه، لعجزه، وضعف اختيار العبد لنفسه، فهو عاجز عن تحصيل مصالحه، ودفع مضارّه إلا بما أعانه الله عليه، ويَسَّره له، وفيه كذلك **حسن الظن بالله** جل وعلا بكمال أفعاله، وصفاته المقترنة بكمال الحكمة والعلم والعدل.

قوله: ((وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي)): بأن تغلب سيئاتي على حسناتي، بأن تقع الفتن والفساد والشر في الدين، ففي هذه الحال يكون الموت خيراً لما فيه من الراحة للمؤمن، والسلامة من البلايا؛ ولهذا جاء النهي في السنة عن تمني الموت لضُر نزل بالعبد لجهله بالعواقب، ففي صحيح البخاري عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ)) (١). أي علّة النهي عن تمني الموت بأن العبد إن كان محسناً فحياته يرجى أن يزداد بها إحساناً، وإن كان مسيئاً فإنه

يسترضي الله بالإقلاع عن الذنوب، وطلب المغفرة.

ثم شرع في سؤال المنجيات الثلاث كما جاء في الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التمني، باب ما يُكره من التمني، برقم ٧٢٣٥.." (٢)

"نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١)، قَالَ: وَخَلَقَ دُونَ ذَلِكَ جَنَّتَيْنِ، وَزَيَّنَهُمَا بِمَا شَاءَ، وَأَرَاهُمَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ كِتَابُهُ فِي عِلِّيِّينَ نَزَلَ تِلْكَ الدَّارَ الَّتِي لَمْ يَرَهَا أَحَدٌ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ لَيَخْرُجُ فَيَسِيرُ فِي مُلْكِهِ، فَمَا تَبْقَى خَيْمَةٌ مِنْ خِيَمِ الْجَنَّةِ إِلا دَخَلَهَا مِنْ ضَوْءِ وَجْهِهِ، فَيَسْتَبْشِرُونَ بِرِيحِهِ، فَيَقُولُونَ: وَاهًا (٢) لِهَذَا الرِّيحِ! هَذَا رِيحُ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ، قَدْ خَرَجَ يَسِيرُ فِي مُلْكِهِ)) (٣).

---

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٣٢

(٢) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٤٤٠

فانظر يا أخي في الله علوّ هذه المنزلة، وتأمّل ما جاء فيها من النعيم المقيم، ألا يهفو قلبك إلى هذه المنزلة العظيمة الأبدية؟ ألا تريد أن تكون من ساكنيها أبد الآبدين، لا تحول عنها ولا تزول، فشمِّرْ يدَ الجدّ في الدعاء من الأن، وأكثر من هذين الدعاءين في النهار، وفي كل فرض ونفل، كما كان يفعل هذا الصحابي الجليل مع **حسن الظن باللَّه** ذي الجلال والإكرام، وأكثر طرق الباب، فإنه سوف يُفتح، قال أبو الدرداء – رضي الله عنه –: ((جدّوا بالدعاء، فإنه من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له)) (٤)، وتذكَّرِ الحديث القدسيَّ، واجعله دائماً أمام عينيك، عن ربِّ العزة والجلال أنه قال: ((يَا عِبادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ

(١) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٢) عجباً.

(٣) الطبراني في المعجم الطبير، ٨/ ٣٠٩، برقم ٩٦٤٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٥٩١.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة، ١٠/ ٢٠٢، وعبد الرزاق، ١٠/ ٤٤٢، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ٥٢،.." (١)

"١٨٨٨ – حدثنا أبو داود قال: حدثنا سلام، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: « لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل»." (٢)

"٢٩٨٧ – حدثنا علي، أنا أبو جعفر، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: « لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل»." (٣)

"١٤٥٨٠ – حدثنا روح، حدثنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله»**." (٤)

"٧٩٤٤ – حدثنا صفوان، أخبرنا محمد بن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قيل للنبي – صلى الله عليه وسلم –: يا رسول الله؛ أي الناس خير؟، قال: "أنا ومن معي"، قال: فقيل له: ثم من يا رسول الله؟، قال: "الذي على الأثر"، قيل له: ثم من يا رسول الله؟، قال: "فرفضهم".

= طريق حماد بن سلمة، به. ورواه الحاكم في المستدرك ٤: ٢٤١، من طريق حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد، بلفظ: "إن **حسن الظن بالله** تعالى من عبادة الله". وأنا أرجح أن صوابه: "من حسن عبادة الله"، وأن كلمة

(١) شرح الدعاء من الكتاب والسنة، ماهر بن عبد الحميد بن مقدم ص/٤٨٦

(٢) مسند أبي داود الطيالسي أبو داود الطيالسي ٣٣٠/٣

(٣) مسند ابن الجعد ابن الجعد ص/٤٣٧

(٤) مسند أحمد مخرجا أحمد بن حنبل ٤٣٧/٢٢

"حسن" سقطت سهوا من الناسخين أو الطابع، لثبوتها في الروايات الأخر. وقال: الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي. ورواه أحمد فيما سيأتي: ٨٦٩٤، عن الطيالسي عن صدقة بن موسى الدقيقى، عن محمد بن واسع، "عن

شتير بن نهار"، عن أبي هريرة، مرفوعا: "إن حسن الظن بالله، من حسن عبادة الله".

وقد وقع اسم التابعي في ذاك الموضع، في المطبوعة ح "شتير"، وكذلك في نقل ابن كثير في جامع المسانيد عن ذاك الموضع من المسند. ولكن وقع فيه في المخطوطة ص "سمير". وهو المعروف من رواية صدقة بن موسى، كما قلنا آنفا. وكذلك رواه الترمذي ٤: ٢٩١، من طريق الطيالسي، عن صدقة بن موسى، بهذا الإسناد واللفظ. وفيه اسم التابعي "سمير". وقال الترمذي: "هذا حديث غريب من هذا الوجه". وهذا ما استطعت جمعه من روايات هذا الحديث، ومن تحقيق اسم التابعي. والحمد لله على التوفيق.

(٧٩٤٤) إسناده صحيح، صفوان: هو ابن عيسى البصري. والحديث سيأتي: ٨٤٦٤، عن يونس، عن ليث، وهو ابن سعد، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة، مرفوعا، وفيه "ثم الذين على الأثر" ثلا مرات، قال: "ثم كأنه رفض من بقى". ورواه أبو نعيم في الحلية ٢: ٧٨، من طريق أبي عاصم، وهو النبيل، عن ابن عجلان، وفيه "ثم الذين على الأثر" مرتين، وقال، "فرفضهم في الرابعة". فكأن الثالثة حذفت اختصارا، أو سقطت سهوا من الناسخين، للنص على الرابعة. ثم قال أبو نعيم: "رواه صفوان بن عيسى، عن ابن عجلان- مثله". ورواية صفوان - معنا هنا - فيها مرة واحدة فقط. =." (١)

"أسمعتهم صوت الرعد".

٨٦٩٤ - وقال رسول الله -صلي الله عليه وسلم -: "إن حسن الظن بالله عز وجل من حسن عبادة الله".

٨٦٩٥ - وقال رسول الله -صلي الله عليه وسلم -: "جددوا إيمانكم" قيل: يا رسول الله وكيف بخدد إيماننا؟ قال: "أكثروا من قول: لا إله إلا الله".

٨٦٩٦ - حدثنا إسحق بن سليمان، ثنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله -صلي الله عليه وسلم - قال: "من أنظر معسرا أو وضع له، أظله الله في ظل عرشه يوم القيامة".

٨٦٩٧ - حدثنا يحيى بن آدم، ثنا ابن مبارك عن الأوزاعي عن قرة بن عبد الرحمن عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم -: "كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر أو قال أقطع".

---

(١) مسند أحمد ت شاكر أحمد بن حنبل ٧٨/٨

(٨٦٩٤) إسناده حسن، رواه الترمذي، والحاكم عن أبي هريرة، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة.

(٨٦٩٥) إسناده حسن، رواه الحاكم عن أبي هريرة، والسيوطي في الجامع الصغير" ورمز له بأنه حديث صحيح.

(٨٦٩٦) إسناده صحيح، رواه مسلم عن أبي اليسر، ولفظه: "من انظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله" ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة.

(٨٦٩٧) إسناده صحيح، رواه السيوطي بألفاظ متعددة: منها "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه "بالحمد لله" أقطع وهذه الرواية أخرجها ابن ماجة، والبيهقي في السنن عن أبي هريرة، ورمز لها السيوطي في الجامع الصغير بالحسن،. ومنها: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه "ببسم الله الرحمن الرحيم" أقطع" رواه عبد القادر الرهاوي في الأربعين عن أبي هريرة، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالضعف، ومنها: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد =." (١)

"دلائل وعلامات

بسم الله الرحمن الرحيم يروى عن بعض الحكماء انه قال

إذا ظن بك الناس انك تعمل عملا من الخير ولست تعمله ى او كنت تعمل عملا من الخير وظنوا انك تعمل اكثر منه ورفضت ان يطلعوا على حقيقة عملك فأنت ممن يحب أن يحمد بما لم يفعل

وان احببت ان يطلعوا عليه فأنت تحب ان تحمد بما قد فعلت

وقال علامة حب الله حب جميع ما احب الله

وعلامة الخوف من الله ترك جميع ما كره الله

وعلامة الحياء من الله الا تنسى الورود على الله وان تكون مراقبا لله في جميع امورك على قدر قرب الله تعالى منك واطلاعه عليك

ومن علامة حسن الظن بالله شدة الاجتهاد في طاعة الله

وعلامة الناصح لله شدة الاقبال على الله وفهم كتابه والعمل به." (٢)

"١٠١٣، ١٠٣٩ حسن الظن بالله عند الموت

٨، ١٢٧٦، ١٣٩١، ١٤٩٩، ١٣٥٢ الأعمال بالخواتيم

١٠٠٤، ١٢٨٥، ١٥٢٤ البكاء على الميت

١٢٥١ النهي عن النوح

١٢٠١ الصبر عند الصدمة الأولى

١٣٥٥، ١٣٨٠، ١٤٣٨ الثناء على الجنازة

---

(١) مسند أحمد ت شاكر أحمد بن حنبل ٣٩٥/٨

(٢) آداب النفوس للمحاسبي الحارث المحاسبي ص/١٥٠

١٤٤٨ الدعاء في الجنازة

١١٥١ القيام للجنازة

١٠١١ من مات على شيء بعث عليه

١٠٧٩ حكم الصلاة على من عليه دين

١١١٧ الصلاة على الشهيد

١١٦٩ عذاب القبر

١٣٧٦ فضل من عال ابنتين أو أختين

١١٣٦ من خلق الصحابة

١٣٦٣، ١٤٩٤، ١٥٠٥ الوفاة النبوية

١٠٧٣ النهي عن تجصيص القبور

١٢٠١ زيارة النساء للقبور

١٥٣٠ النهي عن الحداد فوق ثلاث

١٥٣٥ قول الخير عند الميت

١٥٣٩ فضل من ماتت وزوجها عنها راض

١٥٣٦ ما يقوله من مات له ميت

١٥٦٩ نسمة المؤمن والكافر

كتاب البيوع:

٧٢٠ أحكام بيع العبيد والنخيل

٧٤٤ النهي عن بيع الغرر

٧٧٢ المزابنة

١٨١ توحيد المكيال والميزان." (١)

"٧٢٧ لا حسد إلا في اثنتين

٩٦٣ لا صلاة بعد صلاتين

١٣٩١ لا عليكم أن لا تعجبوا

١٢١٥ لا. قلنا: أيلتزم بعضنا بعضا؟

١٠٠٤ لا، ولكن نهيت عن صوتين أحمقين

٩٠٨ لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله

---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد ت مصطفى العدوي عبد بن حميد ٤٣٩/٢

٧٣٩ لا ومقلب القلوب

١٠٧١ لا يبيتن رجل عند امرأة لا

٨٤٠ لا يبقى أحد يوم عرفة..

١٤٦٢ لا يجتمع حب هؤلاء إلا في قلب مؤمن

٩٦٩، ٩٧٠ لا يخطب أحدكم نفسه

٧٥٤ لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه

١٥٣٠ لا يحل لامرأة أن تحد على ميت فوق

٨٩٠ لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله

١٤٦٤ لا يدخل ولد الزنا الجنة

١١٨٠ لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟

٨٨٣ لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها إلا

٨٥٤ لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما

٩١٧ لا يزني الزاني وهو مؤمن

٩٩٥ لا يسمعه إنس ولا جان إلا شهد له يوم القيامة

٩٨١ لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة

٩٦٢ لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه

٧٣٣ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

٨٦٧ لا يمنعن أحدكم مخافة الناس

١٠٣٩ لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**

١١٧٣ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين." (١)

"١٠١٥ - ثنا يعلى، ثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث، يقول: « لا يموتن أحد منكم إلا وهو **حسن الظن بالله** عز وجل»." (٢)

" باب: في **حسن الظن بالله**." (٣)

"١٩ - باب: لله أفرح بتوبة العبد

٢٩٣٤ - أخبرنا النضر بن شميل، حدثنا حماد بن سلمة، عن سماك (١)، عن النعمان - هو ابن بشير -، أنه سمعه يقول:

---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد ت مصطفى العدوي عبد بن حميد ٢/٤٧٩

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد ت صبحي السامرائي عبد بن حميد ص/٣١٢

(٣) سنن الدارمي الدارمي، أبو محمد ٣/١٧٩٦

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما سافر رجل في أرض تنوفة فقال تحت شجرة ومعه راحلته، عليها زاده وطعامه، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، فعلا شرفا فلم ير شيئا، ثم علا شرفا فلم ير شيئا، ثم علا شرفا فلم ير شيئا، قال: فالتفت فإذا هو بها تجر خطامها، فما هو بأشد فرحا بها من الله بتوبة عبده إذا تاب إليه. [الإتحاف:١٧١٠٩]

٢٠ - باب: في الأمل والأجل

٢٩٣٥ - حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي يعلى (٢)، عن الربيع بن خثيم، عن عبد الله قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا، ثم خط وسطه خطا، ثم خط حوله خطوطا، وخط خطا خارجا من الخط، فقال: هذا الإنسان للخط الأوسط، وهذا الأجل محيط به، وهذه الأعراض للخطوط فإذا أخطأه واحد نهشه الآخر، وهذا الأمل للخط الخارج. [الإتحاف:١٢٥٤٠]

٢١ - باب: ما ذئبان جائعان

٢٩٣٦ - أخبرنا أبو النعمان، حدثنا عبد الله ابن المبارك، عن زكرياء، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه. [الإتحاف:١٦٤٠٢]

٢٢ - باب: في حسن الظن بالله

٢٩٣٧ - أخبرنا أبو النعمان، حدثنا عبد الله ابن المبارك، حدثنا هشام بن الغاز، عن حيان أبي النضر، عن واثلة بن الأسقع، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء. [الإتحاف:١٧٢٤٨]

٢٣ - باب: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾

٢٩٣٨ - حدثنا الحكم بن نافع، عن شعيب، عن الزهري قال: أخبرني سعيد ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله

---

(١) زيد في المطبوعة: ابن حرب ، وليست ثابتة في الأصول.

(٢) زاد في الإتحاف: هو منذر الثوري.." (١)

"٧١٠٨ - حدثنا عبد الله بن عثمان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن الزهري، أخبرني حمزة بن عبد الله بن عمر، أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا أنزل الله بقوم عذابا، أصاب العذاب

---

(١) سنن الدارمي ت الغمري الدارمي، أبو محمد ص/٦٥٥

من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم»

________ W6691 (٢٦٠٢/٦) -[ش أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها باب الأمر **بحسن الظن بالله** تعالى. . رقم ٢٨٧٩

(من كان فيهم) أي من الصالحين. (بعثوا على أعمالهم) حوسبوا وجوزوا حسب أعمالهم فيثاب الصالح لأنه كان تمحيصا له ويعاقب غيره]." (١)

"١٩ - باب الأمر **بحسن الظن بالله** تعالى عند الموت." (٢)

"٨١ - (٢٨٧٧) حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا يحيى بن زكرياء، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، قبل وفاته بثلاث، يقول: « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن»

____

S] ش (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن وفي رواية إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل) قال العلماء هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة وقد سبق في الحديث الآخر قوله سبحانه وتعالى أنا عند ظن عبدي بي قال العلماء معنى **حسن الظن بالله** تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه قالوا وفي حالة الصحة يكون خائفا راجيا ويكونان سواء وقيل يكون الخوف أرجح فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له ويؤيده الحديث المذكور بعده يبعث كل عبد على ما مات عليه ولهذه عقبة مسلم للحديث الأول قال العلماء معناه يبعث على الحالة التي مات عليها ومثله الحديث الآخر بعده ثم بعثوا على نياتهم]." (٣)

"٨٢ - (٢٨٧٧) وحدثني أبو داود سليمان بن معبد، حدثنا أبو النعمان عارم، حدثنا مهدي بن ميمون، حدثنا واصل، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل موته بثلاثة أيام، يقول: « لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل»." (٤)

"٣٥٣٧ - حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا شعبة، عن قتادة عن أنس، قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا عدوى، ولا طيرة، وأحب الفأل الصالح" (١).

٣٥٣٨ - حدثنا أبو بكر، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن سلمة، عن عيسى بن عاصم، عن زر

____

____

(١) صحيح البخاري البخاري ٥٦/٩

(٢) صحيح مسلم مسلم ٢٢٠٥/٤

(٣) صحيح مسلم مسلم ٢٢٠٥/٤

(٤) صحيح مسلم مسلم ٢٢٠٦/٤

= وأخرجه بنحوه مسلم (٢٢٢٣) (١١٣) من طريق محمد بن سيرين، عن أبي هريرة.

الطيرة: التشاؤم بالشيء، وهو مصدر تطير طيرة، وتخير خيرة، ولم يجئ من المصادر هكذا غيرهما، قاله في "النهاية".

قال ابن بطال في "شرح البخاري": جعل الله في فطر الناس محبة الكلمة الطيبة والأنس بها كما جعل فيهم الارتياح بالمنظر الأنيق والماء الصافي، وإن كان لا يملكه ولا يشربه.

وقال الحليمي: وإنما كان - صلى الله عليه وسلم - يعجبه الفأل، لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور **بحسن الظن بالله** تعالى على كل حال.

وقال الطيبي: معنى الترخص في الفأل والمنع من الطيرة هو أن الشخص لو رأى شيئا، فظنه حسنا محرضا على طلب حاجته فليفعل ذلك، وإن رآه بضد ذلك، فلا يقبله، بل يمضي لسبيله، فلو قبل وانتهى عن المضي، فهو الطيرة التي اختصت بأن تستعمل في الشؤم.

(١) إسناده صحيح.

وأخرجه البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤)، وأبو داود (٣٩١٦)، والترمذي (١٧٠٧) من طريق قتادة، به.

وهو في "مسند أحمد" (١٢١٧٩).." (١)

"٤١٦٦ - حدثنا إسحاق بن منصور، أخبرنا أبو شعيب، صالح بن رزيق العطار، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، عن موسى بن علي بن رباح، عن أبيه

عن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن من قلب ابن آدم بكل واد شعبة، فمن أتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأي واد أهلكه، ومن توكل على الله كفاه الشعب (١) " (٢).

٤١٦٧ - حدثنا محمد بن طريف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان

عن جابر، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "لا يموتن أحد منكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**" (٣).

= وأخرجه ابن سعد في "الطبقات" ٦/ ٣٣، وأحمد (١٥٨٥٥) و (١٥٨٥٦)، والبخاري في "التاريخ" ٣/ ٩٢، وفي "الأدب المفرد" (٤٥٣)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٤٦٦)، والطبراني في "الكبير" (٣٤٧٩) و (٣٤٨٠) و (٦٦١٠ - ٦٦١٢)، والبيهقي في "الشعب" (١٣٤٩)، وفي "الآداب" (٩٥١)، والمزي في ترجمة حبة بن خالد من "تهذيب الكمال" ٥/ ٣٥٥ من طرق عن الأعمش، بهذا الإسناد.

قوله: "ما تهزتت" أي: تحركت، كناية عن الحياة.

(١) في (م) والمطبوع: التشعب.

(٢) إسناده ضعيف لجهالة صالح بن رزيق العطار. وقال الذهبي في "الميزان": حديث منكر. وقال المزي: ولا أعلم له غير هذا الحديث.

---

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط ابن ماجه ٤/٥٦٠

وأخرجه المزي في ترجمة صالح من "تهذيب الكمال" ١٣/ ٤٥ من طريق أبي الحسن القطان، عن ابن ماجه، بهذا الإسناد.
(٣) حديث صحيح، وهذا إسناد قوي من أجل أبي سفيان، وهو طلحة بن نافع. أبو معاوية: هو محمد بن خازم، والأعمش: هو سليمان بن مهران. =." (١)

"٤١٦٨ - حدثنا محمد بن الصباح، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن ابن عجلان، عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك ولا تعجز، فإن غلبك أمر، فقل: قدر الله، وما شاء فعل، وإياك واللو، فإن اللو تفتح عمل الشيطان" (١).

= وأخرجه مسلم (٢٨٧٧) (٨١)، وأبو داود (٣١١٣) من طريق الأعمش؛ بهذا الإسناد.
وأخرجه مسلم (٢٨٧٧) (٨٢) من طريق أبي الزبير، عن جابر.
وهو في "مسند أحمد" (١٤١٢٥)، و"صحيح ابن حبان" (٦٣٦ - ٦٣٨).
قال النووي: قال العلماء: هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة، وفي الحديث القدسي الصحيح: "أنا عند ظن عبدي بي" ومعنى **حسن الظن بالله** تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، وفي حالة الصحة يكون خائفا راجيا، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت، غلب الرجاء أو محضه، لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له.
(١) حديث حسن، وقد اختلف في هذا الإسناد على سفيان وعلى ابن عجلان.
فأخرجه النسائي في "الكبرى" (١٥٣٨٢) عن قتيبة بن سعيد وسليمان بن منصور، والطحاوي في "شرح المشكل" (٢٥٩) عن يونس بن عبد الأعلى، وابن حبان (٥٧٢١) من طريق حسن بن حريث، أربعتهم عن سفيان، بهذا الإسناد.
وأخرجه الحميدي (١١١٤) عنه، عن محمد بن عجلان، عن رجل من آل ربيعة، عن الأعرج، عن أبي هريرة.
وأخرجه أحمد (٨٧٩١)، والنسائي (١٠٣٨٤) و (١٠٣٨٥)، والطحاوي في "شرح المشكل" (٢٦٠) و (٢٦١) من طريق عبد الله بن المبارك، عن ابن عجلان، =." (٢)

"٤١٦٧ - حدثنا محمد بن طريف قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: « لا يموتن أحد منكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**»

---

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط   ابن ماجه ٥/٢٦٧
(٢) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط   ابن ماجه ٥/٢٦٨

Kصحيح." (١)

"رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه: "أتعجبون لرحم أم الأفراخ فراخها؟ " قالوا: نعم يا رسول الله، قال: "فوالذي بعثني بالحق لله أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن" فرجع بهن (١).

(١) إسناده ضعيف لجهالة أبي منظور وعمه، وقد روى هذا الحديث ابن الأثير في "أسد الغابة" من طريق المصنف، فقال: عن أبي منظور، عن عمه، عن عامر الرامي، وكذلك رواه المزي في ترجمة عامر الرامي في "تهذيب الكمال" من طريق عبد الله بن محمد النفيلي، قال الحافظ في "النكت الظراف" ٤/ ٢٣٦ - ٢٣٧: ليس بين الروايتين اختلاف، إلا أن ظاهر الرواية أنه عن أبي منظور: عن عمه، عن عمه، مرتين، وليس ذلك المراد، وإنما المراد أن الراوي بعد أن قال: عن عمه، بالعنعنة بين أن عمه صرح له بالحديث، فقال: حدثني عمي، بعد أن قاله بلفظ: عن عمه.

وأخرجه تاما ومختصرا ابن أبي الدنيا في "حسن الظن بالله" (٢٠)، وابن قانع في "معجم الصحابة" ٢/ ٢٣٦ - ٢٣٧، وابن السكن كما في "الإصابة" للحافظ ٣/ ٦٠٦، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٧١٣٠)، وابن عبد البر في "التمهيد" ٢٤/ ٥٨، والبغوي في شرح السنة" (١٤٤٠)، وابن الأثير في "أسد الغابة" ٣/ ١٢١، والمزي في ترجمة عامر الرامي من "تهذيب الكمال" ٤/ ٨٦ - ٨٧ من طريق محمد بن إسحاق، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري معلقا في "التاريخ الكبير" ٦/ ٤٤٦ عن إسماعيل بن أبي أويس، عن أبيه، عن محمد بن إسحاق، حدثني الحسن بن عمارة، عن أبي منظور، عن عمه، عن عامر الخضر الرام. قال الحافظ في "الإصابة" ٣/ ٦٠٦: هذا يدل على وهم أبي أويس، أو يكون ابن إسحاق سمعه من الحسن، عن أبي منظور. وفي باب أن الأمراض والبلاء فيهما تكفير للذنوب عن عدد من الصحابة، منها:

عن أنس بن مالك عند الترمذي (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٤٠٣١) رفعه، ولفظه: "إن عظم الجزاء مع عظم النبلاء، فإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط، وحسنه الترمذي. ونحو هذا اللفظ عن محمود بن لبيد عند أحمد (٢٣٦٢٣) وإسناده جيد. =." (٢)

"قال أبو داود: روى هذه القصة شعيب بن أبي حمزة، عن الزهري، أخبرني عبيد الله بن عياض أن ابنة الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا -تعني لقتله- استعار منها موسى يستحد بها، فأعارته.

١٧ - باب ما يستحب من حسن الظن بالله عند الموت

(١) سنن ابن ماجه ابن ماجه ١٣٩٥/٢

(٢) سنن أبي داود ت الأرنؤوط السجستاني، أبو داود ٦/٥

٣١١٣ - حدثنا مسدد، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا الاعمش، عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم- يقول قبل موته بثلاث، قال: "لا يموت أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**" (١).

= وقوله: "درج" أي: مشى.

و"بني" تصغير ابن، والمراد ابن صغير.

و"مخليا" قال ابن الأثير: يقال: خلوت به ومعه وعليه، وأخليت به، إذا انفردت به.

(١) حديث صحيح، وهذا إسناد قوي من أجل أبي سفيان -وهو طلحة بن نافع- الأعمش: هو سليمان بن مهران، ومسدد: هو ابن مسرهد.

وأخرجه مسلم (٢٨٧٧)، وابن ماجه (٤١٦٧) من طريق الأعمش، به.

وأخرجه مسلم (٢٨٧٧) من طريق أبي الزبير، عن جابر.

قال الإمام النووي في "شرح مسلم": قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة، وفي الحديث القدسي: "أنا عند حسن ظن عبدي بي" ومعنى **حسن الظن بالله** تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، وفي حالة الصحة يكون خائفا راجيا، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت، غلب الرجاء أو محضه، لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له.

وقال في "شرح المهذب" ٥/ ١٠٨: ومعنى تحسنه بالله تعالى أن يظن أن الله تعالى يرحمه ويرجو ذلك، ويتدبر الآيات والأحاديث الواردة في كرم الله سبحانه وتعالى =." (١)

"٥٠ - باب النهي عن البغي

٤٩٠١ - حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان، أخبرنا علي بن ثابت، عن عكرمة بن عمار، حدثني ضمضم بن جوس، قال:

قال أبو هريرة: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يقول: "كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الأخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوما على ذنب، فقال له: أقصر، فقال: خلني وربي، أبعثت علي رقيبا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك -أو لا يدخلك الله الجنة- فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالما؟ أو كنت على ما في يدي قادرا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار" قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته (١).

---

(١) سنن أبي داود ت الأرنؤوط السجستاني، أبو داود ٣١/٥

(١) إسناده حسن، ومتنه غريب، تفرد به عكرمة بن عمار، وهو -وإن كان من رجال مسلم- فيه كلام ينزله عن رتبة الصحيح، وقد روى أحاديث غرائب لم يشركه فيها أحد.

وأخرجه أحمد في "مسنده" (٨٢٩٢) و (٨٧٤٩)، وابن أبي الدنيا في "حسن الظن بالله" (٤٥)، وابن حبان في "صحيحه" (٥٧١٢)، والبيهقي في "الشعب" (٦٦٨٩)، والمزي في "تهذيب الكمال" ١٣/ ٣٢٦ من طرق عن عكرمة بن عمار، بهذا الإسناد.

وقول أبي هريرة في آخر الحديث: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

جاء في رواية المزي منصوصا عليه بأنه مرفوع. وفي السند عنده أبو جعفر موسى بن مسعود وفيه لين. والصواب أنه من قول أبي هريرة.

وله شاهد من حديث أبي قتادة الأنصارى، أخرجه ابن أبو الدنيا في "حسن الظن" (٤٤)، والطبراني في "الشاميين" (٢٨١)، وأبو نعيم في "الحلية" ٨/ ٢٧٥، بإسناده ضعيف لجهالة الرجل من آل جبير بن مطعم راويه عن أبي قتادة. =." (١)

"٣١١٣ - حدثنا مسدد، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: قال: « لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»

Kصحيح." (٢)

" باب ما يستحب من حسن الظن بالله عند الموت." (٣)

"٥١ - باب ما جاء في حسن الظن بالله." (٤)

"١٣٢ - باب في حسن الظن بالله عزوجل." (٥)

"٣٦٠٤/ ٥ - حدثنا يحيي بن موسى، قال: أخبرنا أبو داود، قال: أخبرنا صدقة بن موسى، قال: أخبرنا محمد بن واسع، عن سمير بن نهار العبدي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله.

هذا حديث غريب من هذا الوجه.." (٦)

---

(١) سنن أبي داود ت الأرنؤوط السجستاني، أبو داود ٢٦٢/٧
(٢) سنن أبي داود السجستاني، أبو داود ١٨٩/٣
(٣) سنن أبي داود السجستاني، أبو داود ١٨٩/٣
(٤) سنن الترمذي ت بشار الترمذي، محمد بن عيسى ١٧٤/٤
(٥) سنن الترمذي ت بشار الترمذي، محمد بن عيسى ٤٧٣/٥
(٦) سنن الترمذي ت بشار الترمذي، محمد بن عيسى ٤٧٩/٥

"باب ما جاء في حسن الظن بالله." (١)

"حدثنا يحيى بن موسى قال: أخبرنا أبو داود قال: أخبرنا صدقة بن موسى قال: أخبرنا محمد بن واسع، عن سمير بن نهار العبدي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله»: «هذا حديث غريب من هذا الوجه»." (٢)

"٤٤ - حدثني محمد بن الحسين، عن محمد بن جعفر، عن عون، قال: قال داود الطائي: « ما نعول إلا على حسن الظن بالله تعالى فأما التفريط فهو المستولي على الأبدان»." (٣)

"١٧٩ - حدثنا أبو كريب، أخبرنا المحاربي، عن بكر بن خنيس، عن شعيب بن سليمان، أو غيره، قال: إن ذا القرنين لقي ملكا من الملائكة، فقال: علمني علما أزداد به إيمانا ويقينا، قال: إنك لا تطيق ذلك.

قال: لعل الله يطوقني.

قال: لا تغتم لغد، واعمل في اليوم لغد، وإن أتاك الله من الدنيا سلطانا أو مالا فلا تفرح به، وإن صرف عنك فلا تأس عليه، وكن حسن الظن بالله عز وجل، وضع يدك على قلبك فما أحببت أن تصنع بنفسك فاصنعه بأخيك، ولا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، ورد الغضب بالكظم، وسكنه بالتؤدة، وإياك والعجلة، فإنك إذا عجلت أخطأت حظك، وكن سهلا لينا للقريب والبعيد، ولا تكن جبارا عنيدا.." (٤)

"١ - أخبرنا الشيخ الإمام العالم الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي أيده الله بقراءتي عليه، قال: أنبأنا الشيخ أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون المعدل قال: أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزقويه وقرأت على أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن بن الطرائفي أنبأكم الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الملطي حدثنا ابن رزقويه قال: أخبرنا أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى بن المنصور الإمام المعروف بابن بريه قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي قال: حدثنا خالد بن خداش بن عجلان المهلبي، حدثنا مهدي بن ميمون، عن واصل مولى أبي عيينة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله ح. وحدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل." (٥)

"٤ - حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثنا النضر بن إسماعيل البجلي، عن ابن أبي ليلى، عن أبي الزبير، عن جابر، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله؛ عز وجل؛ فإن قوما

---

(١) سنن الترمذي ت شاكر الترمذي، محمد بن عيسى ٥٩٦/٤

(٢) سنن الترمذي ت شاكر الترمذي، محمد بن عيسى ٥٨٣/٥

(٣) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٨٥

(٤) ذم الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٩١

(٥) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٣

قد أرداهم سوء ظنهم بالله ، فقال لهم: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ [فصلت: ٢٣]." (١)

"٦ - حدثني هارون بن عبد الله، قال: حدثنا أبو داود، حدثنا صدقة بن موسى، عن محمد بن واسع، عن سمير بن نهار، قال أبو بكر: هكذا قال سمير، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن حسن الظن بالله من حسن العبادة»." (٢)

"٩ - حدثني محمد بن الحسين، حدثنا عبيد الله بن موسى، حدثنا عمار بن يوسف، قال: رأيت حسن بن صالح في منامي ، فقلت: قد كنت متمنيا للقائك ، فماذا عندك فتخبرنا به؟ فقال: «أبشر فلم أر مثل حسن الظن بالله عز وجل شيئا»." (٣)

"٧ - حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا أبو عمر الضرير، حدثنا سهيل، أخو حزم القطعي قال: رأيت مالك بن دينار رحمه الله في منامي ، فقلت: يا أبا يحي ليت شعري ماذا قدمت به على الله عز وجل؟ قال: « قدمت بذنوب كثيرة ، محاها عني حسن الظن بالله»." (٤)

"١١ - حدثني علي بن عيسى بن يزيد، قال: حدثنا خلف بن تميم، قال: قلت لعلي بن بكار: " ما حسن الظن بالله؟ قال: لا يجمعك والفجار في دار واحدة "." (٥)

"٨٣ - حدثنا محمد بن علي بن الحسن، عن إبراهيم بن الأشعث، عن الفضيل بن عياض، عن سليمان، عن خيثمة، قال: قال عبد الله: «والذي لا إله غيره ما أعطي عبد مؤمن شيئا خيرا من حسن الظن بالله عز وجل والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنه ذلك بأن الخير في يده»." (٦)

"٣٢ - حدثنا أبو بكر، ثني محمد بن الحسين، نا أبو عمر الضرير، ثني سهيل، أخو حزم قال: " رأيت مالك بن دينار بعد موته في منامي ، فقلت: يا أبا يحي ليت شعري بماذا قدمت على الله عز وجل؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة محاها عني حسن الظن بالله عز وجل "." (٧)

---

(١) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٩
(٢) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٢١
(٣) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٢٣
(٤) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٢٣
(٥) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٢٥
(٦) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٩٦
(٧) المنامات لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٣٣

"٤٨ – حدثنا أبو بكر، ثني محمد بن الحسين، نا عبيد الله بن موسى، ثني عمار بن سيف، قال: " رأيت الحسن بن صالح في منامي ، فقلت: قد كنت متمنيا للقائك فماذا عندك –[٤٣]– فتخبرنا به؟ قال: أبشر فلم أر مثل حسن الظن بالله شيئا "." (١)

"ترجمة مختصرة لابن أبي الدنيا

هو: أبو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، القرشي الأموي، البغدادي، المشهور بابن أبي الدنيا.

ولد ببغداد سنة ٢٠٨ هـ وكانت أسرته بيت علم وصلاح، فأبوه من العلماء المهتمين بالحديث ورواته، وهذا مما ساهم في نشأته العلمية، وتكوينه في وقت مبكر.

وشيوخه كثيرون، حتى قال الذهبي عنه: " وقد جمع شيخنا أبو الحجاج أسماء شيوخه على المعجم، وهم خلق كثير ".

ومن مشايخه: علي بن الجعد، وخالد بن خداش، وغيرهما.

وقال ابن الجوزي: "كان ذا مروءة، ثقة، صدوقا ".

وقال الذهبي: " المحدث العالم الصدوق ".

وقال الزبيدي: " حافظ الدنيا أبو بكر بن أبي الدنيا ".

وقد صنف الكثير من الكتب، وقد طبع منها الكثير، منها:

١ – الصمت وحفظ اللسان.

٢ – التهجد وقيام الليل، طبع بتحقيقي.

٣ – الرقة والبكاء، طبع بتحقيقي.

٤ – الورع، طبع بتحقيقي.

٥ – حسن الظن بالله.

٦ – العزلة والانفراد، وهو كتابنا هذا.

وقد توفي ـ رحمه الله ـ يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلق من جمادى الآخرة سنة ٢٨١ هـ.." (٢)

"الخلوة: وجود حلاوة العمل، والنشاط في الدعاء بحزن من القلب وتضرع واستكانة، ويهيج من حب الخلوة: القنوع، والتوكل، والرضى بالكفاف، والاستغناء بالعفاف عن الناس، ويهيج من حب الخلوة: عزوف النفس عن الدنيا، والشوق إلى لقاء الله، عز وجل، وذلك من طريق حسن الظن بالله، وخوف النقص في الدين، ويهيج من حب الخلوة: حياة القلب، وضياء نوره ونفاذ بصره بعيوب الدنيا، ومعرفته بالنقص والزيادة في دينه، ويهيج من حب الخلوة: الإنصاف للناس، والإقرار بالحق، وإذلال النفس بالتواضع، وترك العدوان.

---

(١) المنامات لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٤٢

(٢) العزلة والانفراد ابن أبي الدنيا ص/٦

ويهيج من حب الخلوة: خوف ورود الفتن التي فيها ذهاب الدين، والشوق إلى الموت خوفا من أن يسلب الإسلام، ويهيج من حب الخلوة: الوحشة من الناس، والاستثقال لكلامهم، والأنس بكلام رب العالمين وهو القرآن الذي جعله الله نورا وشفاء للمؤمنين وحجة ووبالا على المنافقين، فاجعله مفزعك الذي إليه تلجأ، وحصنك الذي به تعتصم، وكهفك الذي إليه تأوي، ودليلك الذي به تهتدي، وشعارك ودثارك ومنهجك وسبيلك، وإذا التبست عليك الطرق، واشتبهت عليك الأمور، وصرت في حيرة من أمرك، وضاق بها صدرك، فارجع إلى عجائب القرآن الذي لا حيرة فيه، فقف على دلائله من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والتشويق، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية، فإنك تخرج من حيرتك، وترجع عن جهالتك، وتأنس بعد وحدتك، وتقوى بعد ضعفك، فليكن دليلك دون المخلوقين، تفز مع الفائزين، ولا تهذه كهذ الشعر، وقف عند عجائبه، وما أشكل عليك، فرده إلى عالمه، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١) .

---

(١) إسناده ضعيف جدا:

فيه: يحي بن سعيد العطار الأنصاري، ضعفه جماهير العلماء، انظر " تهذيب الكمال " (٣١/٣٤٣ . ٣٤٦) ، وأبو عبد الله الباهلي، لم أهتد إليه.

الهذ: الإسراع في قراءة القرآن وهو غير محمود.." (١)

" باب حسن الظن بالله عند نزول الموت." (٢)

"٢٠٩ - حدثنا عبد الله قال: حدثني محمد قال: حدثنا حاتم بن سليمان قال: دخلنا على عبد العزيز بن سليمان وهو يجود بنفسه، فقلت: كيف تجدك؟ قال: " أجدني أموت. فقال له بعض إخوانه: على أية حال رحمك الله؟ فبكى، ثم قال: ما نعول إلا على حسن الظن بالله. قال: فما خرجنا من عنده حتى مات "." (٣)

"٢٠٨ - حدثنا عبد الله قال: حدثني محمد قال: حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي قال: حدثني أبو سلمة التيمي قال: سمعت عبد الأعلى التيمي يقول لجار له وقد حضره الموت: « أكثر من جزعك من الموت، وأعد لعظيم الأمور حسن الظن بالله»." (٤)

"٢٣٧ - ثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي، عن -[١١٧]- بكر بن خنيس، عن شعيب بن سليمان، أو غيره قال: " إن ذا القرنين لقي ملكا من الملائكة فقال: علمني علما أزدد به إيمانا ويقينا، فقال له: إنك لا تطيق ذلك قال: لعل الله تعالى أن يطوقني قال: لا تغتم لغد، واعمل في اليوم لغد، وإن آتاك الله من الدنيا سلطانا أو مالا فلا تفرح به، وإن صرف عنك فلا تأس عليه، وكن حسن الظن بالله عز وجل، وضع يدك على قلبك فما أحببت أن تصنع بنفسك فاصنعه

---

(١) العزلة والانفراد ابن أبي الدنيا ص/٨٠

(٢) المحتضرين لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٢٩

(٣) المحتضرين لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٥٤

(٤) المحتضرين لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٥٤

بأخيك، ولا تغضب، فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، ورد الغضب بالكظم، وسكنه بالتؤدة، وإياك والعجلة، فإنك إذا عجلت أخطأت حظك، وكن سهلا لينا للقريب والبعيد، ولا تكن جبارا عنيدا "." (١)

"شتير بن نهار ، وقالوا: سمير

٩٥٦٨- حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن حماد بن سلمة ، عن محمد بن واسع ، عن شتير بن نهار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: حسن الظن بالله من حسن عبادة الله.." (٢)

"٩٥٦٩- وحدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو داود ، حدثنا صدقة بن موسى ، عن محمد بن واسع ، عن سمير بن نهار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال تبارك وتعالى لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما أسمعتهم صوت الرعد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جددوا إيمانكم قالوا يا رسول الله فكيف نجدد إيماننا قال جددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله.

وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، بهذا الإسناد.

عبد الرحمن بن آدم

٩٥٧٠- حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي ، عن قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم مولى أم برثن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تبارك وتعالى كتب الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيها فهدانا الله لها فالناس لنا تبع فاليهود يوم السبت والنصارى يوم الأحد.

٩٥٧١- وحدثناه عمرو بن علي ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا الحديث قد رواه ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وأبو مالك ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، شبيها به ، وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، من وجوه ، وروي عن حذيفة رضي الله عنه ، وغيره ، عن النبي صلى الله عليه وسلم.." (٣)

"١٩٠٧ - وعن جابر، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: « لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» Kرجاله رجال الصحيح." (٤)

---

(١) الزهد لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١١٦

(٢) مسند البزار = البحر الزخار البزار، أبو بكر ٥١/١٧

(٣) مسند البزار = البحر الزخار البزار، أبو بكر ٥٢/١٧

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي أبو يعلى الموصلي ٤١٩/٣

"٢٠٥٣ - حدثنا زهير، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: « ألا لا يموتن أحد منكم إلا وهو **يحسن الظن بالله»** Kرجاله رجال الصحيح." (١)

"ثم أصاب بني إسرائيل أزمة، وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها، فخرج إلى بني إسرائيل، فشكا ذلك إليهم، فقالوا: ونحن على مثل حالك حتى تقارعوا عليها بالأقلام، فخرج السهم على رجل من بني إسرائيل يقال له: جريج، قال: فعرفت مريم في وجهه شدة المؤونة، فقالت له: **أحسن الظن بالله**، فإنه سيرزقنا، فجعل جريج يرزق بمكانها

قوله جل وعز: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾

٣٩٦ - حدثنا زكريا، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا عمرو، عن أسباط، عن السدي: ﴿زكريا المحراب﴾ " المحراب: المصلى

٣٩٧ - أخبرنا علي بن عبد العزيز، قال: حدثنا الأثرم، عن أبي عبيدة: ﴿زكريا المحراب﴾ ، المحراب: سيد المجالس ومقدمها وأشرفها، وكذلك هو من المساجد "

قوله جل وعز: ﴿وجد عندها رزقا﴾

٣٩٨ - حدثنا زكريا، قال: حدثنا إسحاق، قال: أخبرنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: "كان زكريا -[١٨٢]- يدخل عليها المحراب، فوجد عندها عنبا في مكتل في غير حينه، فقال: يا مريم، أنى لك هذا؟ قال: فقالت: هو من عند الله، إن

الله يرزق من يشاء بغير حساب "

٣٩٩ - حدثنا زكريا، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا عمرو، عن أسباط، عن السدي، قال "كان زكريا." (٢)

"حديدة، فقال: (ما هذه؟) ، قال: من الواهنة. قال: (فأنها لا تزيدك إلا وهنا) . وقد ذكر الله في تنزيله فقال: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) .. قال الله تعالى: (فزادهم رهقا) ..

وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا نزلوا واديا قال أحدهم: أعوذ بسيد هذا الوادى أن يضرني أحد من الجن في هذا الوادى! فلم يزدادوا بها إلا رهقا.

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي   أبو يعلى الموصلي ٤/٤٥

(٢) تفسير ابن المنذر   ابن المنذر ١/١٨١

فهذا كله من التمائم، كأنه اشتق هذا الاسم من أن هذه الأشياء تكلفها العباد لتتم به الأمر من دوام العافية ودفع البلاء، ولا تتم إلا بها، فسموها تميمة؛ ألا ترى أن عائشة رضى الله عنها قالت: ليس من التمائم ما علق بعد نزول البلاء. حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ابن لهية، عن بكير بن عبد الله ابن الأج، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضى الله عنها قالت: ليس من التمائم ما علق بعد نزول البلاء. كأنها ذهبت إلى أن هذا بعد نزول البلاء استشفاء وتبرك وتفاؤل. فإذا عقد الحمى بالوتر، فإنما يعقد بما يقرأ من القرآن؛ وإنما يستشفى بأسماء الله وبالقرآن، والعقد منه تفاؤل، والفأل من **حسن الظن بالله** عزوجل.." (١)

"حدثنا أبو عمار الحسن بن حريث الخزاعى، حدثنا أوس بن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، عن جده، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير.

وإن العبد إذا **أحسن الظن بالله** في الأمور، وأمله، ورجاءه، وفي له الكريم بذلك. فعقد الحمى، وما أشبه ذلك، هو من طريق التفاؤل، فإذا فعله على هذا السبيل وفى له بحسن ظنه.

إتيان العراف وتصديقه

وأما قوله: (ونهى أن يؤتى العراف يسأله ويصدقه؛ وقال: من صدقه فقد برئ مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم) ..

فذلك لأن العراف يعرفه من علم الغيب – ما لم يعرف – رجما، وإنما قاله من تلقاء نفسه، والعراف والكاهن يتلقون الأخبار عن الشياطين؛ وذلك أن الشياطين تسترق السمع من السماء مما تتحدث به الملائكة من قضاء يقضيه ربنا تبارك وتعالى، فإذا استرق الشيطان من ذلك شيئا ألقاه إلى الكاهن فيتخذ ذلك أصلا ويبنى عليه الأكاذيب؛ فيروج عنه ذلك بذلك الواحد الذى يصدق فيه ويظهر صدقه.." (٢)

"٢٩٣٥: ١٦٦٤٧: إلا الله خبر: ١: تفسير القرطبي: (٧/ ٤٩٦٠) .

: ١٦٦٥٠: مثله: ٢: روى أبو ذر قل: قلت يا رسول الله أوصني:

قال: «اتق الله وإذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها» قال: قلت يا رسول الله: أمن الحسنات «لا إله إلا الله» ؟ قال: «من أفضل الحسنات» .

الأسماء والصفات (١٠٧) وتفسير القرطبي (٧/ ٤٩٦٠) .

٢٩٣٦: ١٦٦٥١: عبدي: ١: **حسن الظن بالله**: (١٠٨) .

٢٩٣٧: ١٦٦٥٩: والذرة: ١: تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٧٩) .

٢٩٣٩: ١٦٦٧٠: منهم: ١: قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: يعني بني إسرائيل وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم،

---

(١) المنهيات الترمذي، الحكيم ص/٦٦

(٢) المنهيات الترمذي، الحكيم ص/٦٧

هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العتيد يستعملهم في أخس الأعمال، ويكدهم ليلا ونهارا في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نسائهم إهانة لهم واحتقارا وخوفا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه.

٢٩٤٠: ١٦٦٧٣: نساءهم: ١: تقدم القول في هذا في «البقرة» عند قوله:

يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم الآية وذلك لأن الكهنة قالوا له:

إن مولودا يولد في بني إسرائيل يذهب ملكك على يديه، أو قال المنجمون له ذلك، أو رأى رؤيا فعبرت كذلك.

٢٩٤١: ١٦٦٧٦: الأرض: ١: قوله تعالى: ونريد أن نمن على الذين." (١)

"١٤١ - حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة؛ قال: قال سهل أخو حزم: -[٤٥٤]- رأيت مالك بن دينار بعد موته في منامي، فقلت: يا أبا يحيى! ليت شعري ما قدمت به؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة محاها عني **حسن الظن بالله** تبارك وتعالى

[إسناده ضعيف] .." (٢)

"١٣٤٠ - حدثنا أحمد، نا محمد بن عبد العزيز، نا أبي، نا المحاربي، عن بكر بن خنيس، عن شعيب بن سليمان؛ قال: -[١٩٣]- أتى ذو القرنين مغيب الشمس، فرأى ملكا من الملائكة كأنه يترجح في أرجوحة من خوف الله عز وجل، فهاله ذلك، فقال له: علمني علما لعلي أزداد إيمانا. قال: إنك لا تطيق ذلك. فقال: لعل الله عز وجل أن يطوقني لذلك. قال: فقال له الملك: لا تغتم لغد، واعمل في اليوم لغد، وإذا آتاك الله عز وجل من الدنيا سلطانا؛ فلا تفرح به، فإن صرف عنك - قال أبو محمد: يعني - فلا تأس عليه، وكن **حسن الظن بالله**، وضع يدك على قلبك؛ فما أحببت أن تصنع بنفسك فاصنعه بأخيك، ولا تغضب؛ فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب؛ فرد الغضب بالكظم، وسكنه بالتؤدة، وإياك والعجلة؛ فإنك إذا عجلت أخطأت، وكن سهلا لينا للقريب والبعيد، ولا تكن جبارا عنيدا.." (٣)

"١٣٥٥ - حدثنا أحمد، نا الحسين بن الفهم، نا محمد بن سلام الجمحي؛ قال: كان أنوشروان يكتب إلى مرازبته: عليكم بأهل الشجاعة والسخاء؛ فإنهم أهل **حسن الظن بالله** عز وجل.." (٤)

"٦٧٢ - (٣) أخبرنا عباس بن محمد: حدثنا يعلى بن عبيد: حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث يقول: لا يموت أحدكم إلا وهو **حسن الظن بالله** عز وجل.." (٥)

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم - محققا الرازي، ابن أبي حاتم ٨٠١/١٣

(٢) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ٤٥٣/١

(٣) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ١٩٢/٤

(٤) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ٢٠١/٤

(٥) مجموع فيه مصنفات أبي جعفر ابن البختري ابن البختري ص/٤٢٩

".. رب مال يكون ذما وغما ... وغني يعد في الفقراء ...

حدثنا أحمد بن الحسن بن أبي الصغير المدائني حدثنا الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول كان أبو حاتم يعني الطائي سخيا وكان يضع الأشياء مواضعها وكان حاتم مبذرا فاجتمع يوما عند أبيه أصحابه وشكا إليهم حاتما قال والله ما أدري ما أصنع لا يأخذ شيئا إلا بذره فاجتمع رأيهم على أن لا يعطيه شيئا سنة قال فأقام أبوه ولم يمكنه من شيء سنة مع ما هو فيه من الضر فلما مضت السنة أمر له بمائة ناقة حمراء قال فلما وقفت عليه قال حاتم من أحب شيئا فهو له حتى أخذوها كلها فدعاه أبوه فقال له أي بني ماذا تصنع قال والله يا أبي لقد بلغ الجوع مني شيئا لا يسألني أحد شيئا إلا أعطيته إياه

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان ... تجود بالمال على وارث ... ولا ترى أهلا له نفسكا
قدم **حسن الظن بالله** من ... جاد وسوء الظن من أمسكا ...

أنبأنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة قال كان عمر بن عبد العزيز كثيرا ما يتمثل بهذا الشعر ويعجبه ...
وما تزود مما كان يجمعه ... إلا حنوطا غداة البين مع خرق
وغير نفحة أعواد تشد له ... وقل ذلك من زاد لمنطلق ...

أنبأنا أبو يعلى حدثنا يحي بن أيوب المقابري حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن نافع قال مرض ابن عمر بالمدينة فاشتهى عنبا في غير زمانه قال فطلبوا فلم يجدوا إلا عند رجل فاشترى سبع حبات بدرهم فجاء سائل فأمر له به ولم يذقه
قال أبو حاتم رضي الله عنه ما رأيت أحدا من الشرق إلى الغرب أرتدى برداء الجود واتزر بإيزار ترك الأذى إلا رأس أشكاله وأضداده وخضع له." (١)

" باب **حسن الظن بالله** تعالى." (٢)

" ذكر الحث على **حسن الظن بالله** جل وعلا للمرء المسلم." (٣)

"٦٣٨ - أخبرنا أبو يعلى، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول -[٤٠٥]- قبل موته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** جل وعلا». [٥: ٤]
(637 Z)

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان ص/٢٤٠
(٢) صحيح ابن حبان - مخرجا ابن حبان ٣٩٩/٢
(٣) صحيح ابن حبان - مخرجا ابن حبان ٤٠٤/٢

L

صحيح – انظر ما قبله.

S

إسناده صحيح على شرط مسلم.." (١)

"كتاب الإحسان

باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الطاعات وثوابها الإخلاص وأعمال السر حق الوالدين صلة الرحم وقطعها الرحمة حسن الخلق العفو إطعام الطعام وإفشاء السلام الجار فصل من البر والإحسان الرفق الصحبة والمجالسة الجلوس على الطريق فصل في تشميت العاطس العزلة.

كتاب الرقائق

التوبة حسن الظن بالله تعالى الخوف والتقوى الفقر والزهد والقناعة الورع والتوكل القرآن وتلاوته المطلقة الأذكار المطلقة الأدعية المطلقة الاستعاذة١.

كتاب الطهارة

الفطرة بمعنى السنة فضل الوضؤ فرض الوضؤ سنن الوضؤ نواقض الوضؤ الغسل قدر ماء الغسل أحكام الجنب غسل الجمعة غسل الكافر إذا أسلم المياه قدر ماء الغسل أحكام الجنب غسل الجمعة غسل الكافر إذا أسلم المياه الوضؤ بفضل وضؤ المرأة الماء المستعمل الأوعية الأسار التيمم المسح على الخفين وغيرهما الحيض والاستحاضة النجاسة وتطهيرها الاستطابة.

كتاب الصلاة

فرض الصلاة الوعيد على ترك الصلاة مواقيت الصلاة الأوقات المنهى عنها الجمع بين الصلاتين المساجد الأذان شروط الصلاة فضل

---

١ ذكر هذه الأبواب "القرآن وتلاوته المطلقة —الأذكار المطلقة– الأدعية المطلقة– الاستعاذة" هنا في كتاب الرقائق، وذكرها أيضا في "كتاب الصلاة" والذي يظهر أنه وجد مكانها المناسب هنا، فأثبتها فيه، وحذفها من "كتاب الصلاة" ولكنه نسي أن يرجعها من فهرس الكتاب المذكور.." (٢)

"على أعمالهم" ١. [٣: ٦٦]

---

١ إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حرملة – وهو ابن يحي – فمن رجال مسلم.

وأخرجه مسلم"٢٨٧٩" في الجنة: باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، عن حرمة.

---

(١) صحيح ابن حبان – مخرجا ابن حبان ٢/٤٠٤

(٢) صحيح ابن حبان – محققا ابن حبان ١/١٦٧

وأخرجه أحمد ٢/٤٠، والبخاري "٧١٠٨" في الفتن: باب إذا أنزل الله بقوم عذابا، والخطيب في "تاريخه" ٦/٨٨-٨٩، والبغوي "٤٢٠٤" من طريق يونس، به.." (١)

"جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يبعث كل عبد على ما مات عليه" ١. [٣: ٤١]

---

١ إسناده صحيح علىشرط مسلم. رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي سفيان-وهو طلحة بن نافع- فمن رجال مسلم، روى عنه الأعمش أحاديث مستقيمة. أبو خيثمة: هو زهير بن حرب، وجرير: هو ابن عبد الحميد الضبي. وهو في "مسند أبي يعلى" "١٩٠١".

وأخرجه مسلم"٢٨٧٨" في الجنة وصفة نعيمها: باب الأمر **بحسن الظن بالله** تعالى عند الموت، والحاكم ١/٣٤٠ من طرق عن جرير، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد ٣/٣٣١ و ٣٣٦، ومسلم"٢٨٧٨"، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" "٢٥٥"، والحاكم ٢/٤٥٢، وأبو نعيم في "ذكر أخبار أصبهان" ٢/٤٩، والبغوي "٤٢٠٧" من طريق سفيان الثوري، وأبو يعلى"٢٢٦٩"، والبغوي "٤٢٠٦" من طريق أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش، به.

وأخرجة ابن ماجة "٤٢٣٠" في الزهد: باب الثناء الحسن، من طريق شريك عن الأعمش، به، ولفظه: "يحشر الناس على نياتهم".." (٢)

"٣- باب **حسن الظن بالله** تعالى

ذكر البيان بأن حسن الظن للمرء المسلم من حسن العبادة

٦٣١ - أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا أبو الوليد الطيالسي عن حماد بن سلمة عن محمد بن واسع عن شتير بن نهار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " حسن الظن من حسن العبادة" ١. [٠٠: ٠٠]

---

١ في "التهذيب": شتير بن نهار، عن أبي هريرة حسن الظن من العبادة، وعنه محمد بن واسع فيما قاله حماد بن سلمة، وقال غيره: عن محمد بن واسع، عن سمير بن نهار، قال البخاري في "التاريخ الكبير" ٤/٢٠١: قال لي محمد بن بشار: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: ليس أحد يقول: شتير بن نهار إلا حماد بن سلمة: في تسميته "شتيرا" أبو نضرة المنذر بن مالك العبدي التابعي الثقة زميل شتير وبلدته، وهو القائل فيه: وكان من أوائل من حدث في هذا المسجد -يعني مسجد البصرة-وترجمه البخاري، وابن أبي حاتم، ولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا، وذكره المؤلف في "الثقات" ٤/٣٧٠، فقال: يروي عن أبي هريرة في حسن الظن، روى عنه محمد بن واسع، وقال الذهبي في "الميزان" ٢/٢٣٤: نكرة، وقد انفرد الحافظ في

---

(١) صحيح ابن حبان - محقق ابن حبان ١٦/٣٠٧

(٢) صحيح ابن حبان - محقق ابن حبان ١٦/٣١٢

"التقريب" بقوله فيه: صدوق، وباقي رجال السند ثقات. وانظر "توضيح المشتبه" "٢/الورقة ١٠٨/م" و"تبصير المنتبه" ٢/٧٧٥".

وأخرجه أحمد ٢/٢٩٧ و٣٠٤ و٤٠٧ و٤٩١، وأبو داود "٤٩٩٣" في الأدب: باب في حسن الظن، من طرق عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد ٢/٣٥٩، والترمذي "٣٦٠٤" في الدعوات، من طريق صدقة بن موسى، عن محمد بن واسع، بهذا الإسناد، وصححه الحاكم ٤/٢٤١ على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو وهم منهما، فإن شتيرا -وهو ابن نهار، كما صرح في "مسند أبي داود"- راوي هذا الحديث لا يعرف، فضلا عن كونه من رجال مسلم، وقد التبس عليهما بشتير بن شكل، ذاك الذي خرج له مسلم.." (١)

"ذكر الأمر للمسلم بحسن الظن بمعبوده مع قلة التقصير في الطاعات

٦٣٦ - أخبرنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير العبدي أنبأنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان٢ عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن" ٣. [١: ٩٤]

---

٢ سقط من الأصل، واستدرك من مصادر التخريج.

٣ إسناده صحيح على شرط مسلم، أبو سفيان: هو طلحة بن نافع الواسطي، روى له البخاري مقرونا، واحتج به الباقون، وحديثه عن جابر صحيفة، وروى عنه الأعمش أحاديث مستقيمة، وباقي السند على شرطهما.

وأخرجه أحمد ٣/٢٩٣ عن يحيى بن آدم، و٣/٣٣٠ عن عبد الرزاق، كلاهما عن سفيان الثوري، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطيالسي "١٧٧٩"، ومسلم "٢٨٧٧" "٨١" في الجنة وصفة نعيمها: باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، وأبو داود "٣١١٣" في الجنائز: باب ما يستحب من حسن الظن بالله تعالى عند الموت، وابن ماجة "٤١٦٧" في الزهد: باب التوكل واليقين، وأبو نعيم في "الحلية" ٥/٧٨، والبيهقي في "السنن" ٣/٣٧٨، والبغوي في "شرح السنة" "١٤٥٥" من طرق عن الأعمش، به.

وأخرجه أحمد ٣/٣٢٥ و٣٣٤ و٣٩٠، ومسلم "٢٨٧٧" "٨٢"، والبيهقي في "السنن" ٣/٣٧٨ من طريق أبي الزبير، عن جابر. وانظر "٦٣٧" و"٦٣٨"..". (٢)

"ذكر الحث على حسن الظن بالله جل وعلا للمرء المسلم

٦٣٧ - أخبرنا الحسن بن سفيان قال حدثنا جعفر بن مهران السباك قال حدثنا فضيل بن عياض عن سليمان عن أبي سفيان قال

سمعت جابرا يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث "من استطاع منكم أن لا يموت إلا وظنه بالله

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٢/٣٩٩

(٢) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٢/٤٠٣

حسن فليفعل" ١.

---

١ إسناده حسن، جعفر بن مهران السباك، ذكره المؤلف في "الثقات" ٨/١٦٠، ١٦١، وروى عنه جمع، وباقي رجاله ثقات.

وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" ٨/١٢١ من طريق سعد بن زنبور، عن الفضيل بن عياض، بهذا الإسناد. وانظر "٦٣٦" و"٦٣٨".." (١)

"قبل موته بثلاث "لا يموتن أحدكم إلا وهو **بحسن الظن بالله** جل وعلا" ١. [٥: ٤]

---

١ إسناده صحيح على شرط مسلم، وهو في "صحيحه" "٢٨٧٧" في الجنة وصفة نعيمها: باب الأمر **بحسن الظن بالله** تعالى عند الموت، عن عثمان بن أبي شيبة، عن جرير، بهذا الإسناد.." (٢)

"ذكر البيان بأن الله جل وعلا يعطي من ظن ما ظن إن خيرا فخير وإن شرا فشر

٦٣٩ - أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم قال حدثنا حرملة بن يحي قال حدثنا بن وهب قال أخبرني عمرو بن الحارث وذكر بن سلم آخر معه أن أبا يونس حدثهم

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله جل وعلا يقول أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله وإن ظن شرا فله" ٢.

---

٢ إسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أحمد ٢/٣٩١ عن حسن بن موسى، عن ابن لهيعة، عن أبي يونس، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد ٢/٤٤٥ و٥٣٩، ومسلم "٢٦٧٥" "١٩" في الذكر والدعاء: باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله، والترمذي "٢٣٨٨" في الزهد: باب ما جاء في **حسن الظن بالله** تعالى، من طريق جعفر بن برقان، عن يزيد الأصم، عن أبي هريرة، بلفظ "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني".

وأخرجه أحمد ٢/٣١٥، والبغوي في "شرح السنة" "١٢٥٢" من طريق همام، والبخاري "٧٥٠٥" في التوحيد: باب ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ من طريق الأعرج، كلاهما عن أبي هريرة.

وسيورده المؤلف برقم "٨١١" و"٨١٢" من طريق أبي صالح، عن أبي هريرة، به، فانظره.." (٣)

---

(١) صحيح ابن حبان - محقق ابن حبان ٢/٤٠٤

(٢) صحيح ابن حبان - محقق ابن حبان ٢/٤٠٥

(٣) صحيح ابن حبان - محقق ابن حبان ٢/٤٠٥

"ذكر ذكر الله جل وعلا في ملكوته من ذكره في نفسه من عباده، مع ذكره إياهم في المقربين من ملائكته عند ذكرهم إياه في خلقه

٨١١ - أخبرنا عبد الله بن قحطبة بن مرزوق، قال: حدثنا محمد بن الصباح، قال: أخبرنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي (١) ، وأنا معه حيث يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» (٢) . [١: ٢]

---

(١) قال الكرماني ١١٨/٢٥: إن ظن أني أعفو عنه وأغفر له، فله ذلك وإن ظن العقوبة والمؤاخذة فكذلك وفيه إشارة إلي ترجيح جانب الرجاء على الخوف قال الحافظ: وكأنه أخذه من جهة التسوية فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلي ظن إيقاع الوعيد -وهو جانب الخوف- لأنه لا يختاره لنفسه، بل يعدل إلي ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء، وهو كما قال أهل التحقيق مقيد بالمحتضر، ويؤيد ذلك حديث "لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل" وهو عند مسلم (٢٨٧٧) من حديث جابر.

وقال القرطبي فى "المفهم" قيل: معني ظن عبدي بي: ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكا بصدق وعده قال: ويؤيده قوله فى الحديث: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة" قال: ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد فى القيام بما عليه موقنا بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر ومن مات على ذلك وكل إلي ما ظن كما فى بعض طرق الحديث المذكور "فليظن بي عبدي ما شاء" قال: وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والعزة.

(٢) إسناده صحيح وأخرجه مسلم (٢٦٧٥) في الذكر والدعاء. باب الحث على ذكر =." (١)

"قال أبو حاتم رضي الله عنه: الله أجل وأعلى من أن ينسب إليه شيء من صفات المخلوق، إذ ليس كمثله شيء، وهذه ألفاظ خرجت من ألفاظ التعارف على حسب ما يتعارفه الناس مما بينهم، ومن ذكر ربه جل وعلا في نفسه بنطق أو عمل يتقرب به إلى ربه، ذكره الله في ملكوته بالمغفرة له تفضلا وجودا، ومن ذكر ربه في ملأ من عباده، ذكره الله في ملائكته المقربين بالمغفرة له، وقبول ما أتى عبده من ذكره، ومن تقرب إلى الباري جل وعلا بقدر شبر من الطاعات، كان وجود الرأفة والرحمة من الرب منه له أقرب بذراع، ومن تقرب إلى مولاه جل وعلا بقدر ذراع من الطاعات كانت المغفرة منه له أقرب بباع، ومن أتى في أنواع الطاعات بالسرعة كالمشي، أتته أنواع الوسائل ووجود الرأفة والرحمة والمغفرة بالسرعة كالهرولة، والله أعلى وأجل (١) .

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٩٣/٣

= الله تعالى، عن قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب، عن جرير، وبه.

وأخرجه أحمد ٢/٢٥١ و٤١٣، والبخاري (٧٤٠٥) في التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ، ومسلم (٢٦٧٥) (٢١) في الذكر: باب فضل الذكر، والترمذي (٣٦٠٣) في الدعوات: باب في حسن الظن بالله عز وجل، وابن ماجة (٣٨٢٢) في الأدب: باب فضل العمل، وابن خزيمة في " التوحيد " ص ٧، والبغوي في "شرح السنة" برقم (١٢٥١) ، من طرق عن الأعمش، به.

وأخرجه أحمد ٢/٥١٦ و ٥١٧، و ٥٢٤ و ٥٣٤، ٥٣٥، ومسلم (٢٦٧٥) في الوية: باب في الحض على التوبة، والبخاري في "خلق أفعال العباد" ص ٨٥ من طريق زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.

وقوله: "إذا تقرب [عبدي] مني شبرا.. الخ"، تقدم برقم (٣٧٦) من حديث أنس عن أبي هريرة، وقوله: " أنا عند ظن عبدي بي " تقدم من حديث أبي هريرة برقم (٦٣٩) ، ومن حديث واثلة بن الأسقع برقم (٦٣٣) و (٦٣٤) و (٦٣٥) و (٦٤١) .

(١) انظر "فتح الباري" ١٣/٥١٣ - ٥١٤.." (١)

"عند الذنوب ، فيطلب نفسه بالمقام عليها ، ويذكر العجز عند الطاعة حين هم بها ، فينزجر عنها ، ويظن أنه محسن بالله الظن ، وأنه واثق به في العفو ، ولم يضمن له ، ولا يحسن الظن بالله ، ويثق به في الرزق الذي ضمن له ، يضطرب قلبه ، ويشغل بطلب رزقه ، وقد أمر بالطمأنينة فيه إلى ربه ، ويطمئن ويسكن عند ذكر الموت ، وقد ندب إلى أن يخافه ، ولا يسكن عند الحذر والخوف من أجل رزقه ، وقد ضمن له ، وأمنه الله من أن يفوته ما قدر له ، فما أمنه الله منه يخافه ، وما خوفه الله منه أمنه يفرح بما آتاه الله من الدنيا ، حتى ينسى بفرحه شكر ربه ، ويغتم بالمصائب حتى تشغله عن الرضى عن ربه ، إن نابته نائبة سبق إلى قلبه الفزع إلى العباد ، والاستعانة بهم ، يطلب من ربه الفرج إذا يئس من الفرج من قبل الخلق ، فإن طمع في دنو إلى مخلوق نسي مولاه. من اصطنع إليه معروفا غلب على قلبه حب المصطنع إليه ، وشغل قلبه بذكره ، وألزم قلبه حبه وشكره ، ناس في جميع ذلك ربه. يثقل." (٢)

"٥٢٤ - حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا يوسف بن يعقوب الصفار، ثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن يزيد بن سنان أبي فروة الجزري، عن عروة بن رويم ، عن أبي إدريس الخولاني، عن ابن الديلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أفضل العبادة حسن الظن بالله يقول الله عز وجل: «أنا عند حسن ظنك بي»." (٣)

"قال محمد بن الحسين فيما ذكرته واختصرته بلاغ لمن منع نفسه لذة النوم فآثر القيام وراوح بين الأقدام وتنعم بتلاوة القرآن يرجو بذلك رضى الرحمن عز -[١١٦]- وجل

فلو شهدته يا أخي في الليل المظلم فقلبه لما يتلو من القرآن متدبر وبأمثاله معتبر وفيما حكى متفكر وبالوعد والوعيد لنفسه

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٣/٩٤

(٢) أخلاق العلماء للآجري الآجري ص/١١٩

(٣) مسند الشاميين للطبراني الطبراني ١/٣٠٠

مذكر، فالقلب من ذكر الموت خائف مقلق ولما عمل من الحسنات مشفق، فالاستغفار شعاره وهجوم الظلام سروره وحسن الظن بالله الكريم آماله والله ولي التوفيق.

قال محمد بن الحسين بلغني عن شيخ من المتعبدين أنه كان له ورد من الليل يقومه ففتر عن ورده ذات ليلة قال فإذا أنا بجارية قد وقفت على رأسي كأن وجهها قمر وبيدها رق وفيه مكتوب فقال أيها الشيخ أتقرأ قلت نعم قالت اقرأ ما في هذا فأخذته فقرأته فإذا فيه:

ألهتك لذة نومة عن خير عيش ... مع الخيرات في غرف الجنان

تعيش مخلدا لا موت فيها ... وتنعم في الجنان مع الحسان

تيقظ من منامك إن خيرا ... من النوم التهجد بالقران

-[١١٧]-

قال فما ذكرتها ساعة إلا ذهب عني النوم.." (١)

"١٥٩٠ - حدثنا أحمد قال: نا علي قال: نا أبو جعفر الرازي، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام، وهو يقول: « لا يموتن أحد إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»." (٢)

"١٣٨٨٠ - حدثنا جعفر بن محمد الفريابي (١) ، ثنا موسى بن يحيي المروزي، ثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفي، عن عبد العزيز بن -[١٧٨]- حكيم، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس على أهل قول "لا إله إلا الله" وحشة في الموت، ولا في القبور، ولا في النشور؛ كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب، يقولون: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ (٢) » .

---

(١) وقع في المطبوع من "جامع المسانيد": «محمد بن جعفر الفريابي» .

[١٣٨٨٠] نقله ابن كثير في "تفسيره" (٦/٥٣٧) ، وفي "جامع المسانيد" (مسند ابن عمر/٩١١) ، والزيلعي في "تخريج أحاديث الكشاف" (٣/١٥٤) عن المصنف. وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٠/٣٣٣) ، وقال: «رواه الطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم» . -[١٧٨]-

ولم نجد من أخرجه من طريق عبد العزيز بن حكيم الحضرمي، ولكن أخرجه ابن أبي الدنيا في "حسن الظن بالله" (٧٧) ، والمصنف في "الأوسط" (٩٤٧٨) ، وفي "الدعاء" (١٤٨٤) ، وابن حبان في "المجروحين" (١/٢٠٢) ، وابن عدي في "الكامل" (٤/٢٧١) ، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٩٩) ، والخطيب في "تاريخ بغداد" (١/٢٦٦) من طريق عبد الرحمن

---

(١) فضل قيام الليل والتهجد للآجري   الآجري ص/١١٥

(٢) المعجم الأوسط   الطبراني ٢/١٦٥

بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر، به.

(٢) من الآية (٣٤) من سورة فاطر.." (١)

"١٤٤٠٤ - حدثنا محمد بن صالح بن الوليد النرسي، ثنا يحيى ابن محمد بن السكن، ثنا يحيى بن كثير العنبري، ثنا شعبة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال -[٥٢٣]- رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو لم تذنبون (١) لخلق الله خلقا يذنبون ثم يغفر لهم» .

[١٤٤٠٤] ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٠/٢١٥) ، وقال: «رواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط"، وقال في "الأوسط": «لخلق الله خلقا يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم، وهو الغفور الرحيم» ، رواه البزار بنحو "الأوسط" محالا على موقوف عبد الله بن عمرو، ورجالهم ثقات، وفي بعضهم خلاف» .

ورواه المصنف في "الدعاء" (١٧٩٩) بهذا الإسناد.

ورواه أبو نعيم في "الحلية" (٧/٢٠٤) عن المصنف، به، إلا أنه وقع في مطبوع "الحلية": «عبد الله بن عمر» .

ورواه البزار (٢٤٥٠) عن يحيى بن محمد بن السكن، به.

ورواه المصنف في "الأوسط" (١٤٥٤) عن أحمد بن محمد بن صدقة، عن يحيى ابن محمد بن السكن، به.

ورواه الحاكم في "المستدرك" (٤/٢٤٦) من طريق أبي قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، عن يحيى بن كثير، به.

ورواه أبو يعلى في "معجمه" (٩٣) من طريق حرمي بن عمارة، والحاكم في "المستدرك" (٤/٢٤٦) من طريق يحيى بن عباد؛ كلاهما (حرمي بن عمارة، ويحيى بن عباد) عن شعبة، به. -[٥٢٣]-

ورواه أحمد في "المسائل" (٧٨٤/رواية ابنه صالح) ، والبزار (٢٤٤٩) ؛ من طريق محمد بن جعفر، وابن أبي الدنيا في "حسن الظن بالله" (٢٤) ، والبغوي في "الجعديات" (٨٠) عن علي بن الجعد؛ كلاهما (محمد بن جعفر، وعلي بن الجعد) عن شعبة، به، موقوفا على عبد الله بن عمرو.

وجاء عند البغوي: «شعبة، عن عمرو بن مرة قال: سمعت عمرو بن ميمون» ؛ فذكر «عمرو بن مرة» بدل: «أبي بلج» .

وسيأتي برقم [١٤٦٧١] من طريق أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو، وفيه قصة.

(١) كذا في الأصل. وفي "الحلية" و"مجمع الزوائد": «لو لم تذنبوا» وهو الجادة؛ بحذف النون علامة على جزم الفعل المضارع بعد «لم» ، وفي "الدعاء": «لو أن العباد لم يذنبوا» . وما في الأصل يتجه في اللغة على إهمال «لم» ؛ فيرفع المضارع بعدها؛ حملا لها على «لا» أو «ما» النافيتين، وهذه لغة لبعض العرب نقلها ابن مالك في "شرح التسهيل"، لكنه ضعفها في "شرح الكافية الشافية" له. انظر: "شرح التسهيل" (١/٢٨) و (٤/٦٦) ، و"شرح الكافية الشافية" (٢/١٤٢) ، و"مغني اللبيب" (ص٢٧٥) ، و"همع الهوامع" (٢/٥٤٣) ، و"خزانة الأدب" (٩/٣-٤ الشاهد ٦٧٦) .." (٢)

---

(١) المعجم الكبير للطبراني جـ ١٣، ١٤ الطبراني ١٣/١٧٧

(٢) المعجم الكبير للطبراني جـ ١٣، ١٤ الطبراني ١٣/٥٢٢

"٥٤- أخبرنا محمد حدثنا أبو كريب حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاثة أيام لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل.." (١)

"٨ - حدثنا محمد بن عبدوس، قال: حدثنا علي بن الجعد، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل»." (٢)

" باب في فضل **حسن الظن بالله** عز وجل." (٣)

"٣٦٦ - حدثنا عبد الله بن محمد البغوي، ثنا علي بن الجعد، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث قال: «لا يموت أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**»." (٤)

"إلى النور) البقرة: ٢٥٧، وفي الخبر المفرد عن النبي صلى الله عليه وسلم: المؤمن أفضل من الكعبة، والمؤمن طيب طاهر والمؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة، وفي الخبر المشهورعن عبد الله بن عمرو وأبي هريرة رضي الله عنهما وكعب الأحبار أنه نظر إلى الكعبة فقال: ما أشرفك وما أعظمك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك، وقد أمر الله سبحانه وتعالى أنبياءه بتطهير بيته لأوليائه إجلالا لهم فشرف البيت بهم، وفي الخبر عن الله تعالى: من أهان وليا فقد بارزني بالمحاربة وأنا الثائر لوليي في الدنيا والآخرة، وفي أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إله: تدري لم فرقت بينك وبين يوسف عليه السلام هذه المدة؟ قال: لا قال: لقولك لإخوته أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون، لم خفت الذئب عليه ولم ترجني له، ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له، ومن سبق عنايتي بك أن جعلت نفسي عندك أرحم الراحمين، فرجوتني ولولا ذلك لكنت أجعل نفسي عندك أبخل الباخلين، فالرجاء هو اسم لقوة الطمع في الشيء بمنزلة الخوف اسم لقوة الحذر من الشيء، ولذلك أقام الله تعالى الطمع مقام الرجاء في التسمية وأقام الحذر مقام الخوف فقال: علت كلمته: (يدعون ربهم خوفا وطمعا) وقال تعالى: (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) وهو وصف من أوصاف المؤمنين وخلق من أخلاق الإيمان لا يصح إلا به كما لا يصح الإيمان إلا بالخوف، فالرجاء بمنزلة أحد جناحي الطير لايطير إلا بجناحيه، كذلك لا يؤمن من لا يرجو من آمن به ويخافه وهو أيضا مقام من **حسن الظن بالله** تعالى وجميل التأميل له، فلذلك أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لا يموتن أحدكم إلاوهو **حسن الظن بالله** تعالى لأنه قال عن الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يحلف بالله تعالى ماأحسن عبد بالله تعالى ظنه إلا أعطاه الله تعالى ذلك لأن الخير كله بيده أي فإذا أعطاه **حسن الظن بالله** تعالى فقد أعطاه ما يظنه لأن الذي حسن ظنه به هو الذي أراد

(١) فوائد أبي بكر الأبهري الأَبْهَري ص/٥٨

(٢) جزء أبي الطاهر الدارقطني ص/١٥

(٣) الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين ابن شاهين ص/١١٠

(٤) الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين ابن شاهين ص/١١٠

أن يحققه له.

وروينا عن يوسف بن أسباط قال: سمعت سفيان الثوري رضي الله عنه يقول في قوله تعالى: (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) البقرة: ١٩٥ قال: أي أحسنوا بالله تعالى الظن، وكذلك دخل رسول الله على الرجل وهو في سياق الموت فقال: كيف تجدك؟ فقال: أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي، فقال عليه السلام: ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله تعالى ما رجا وأمنه مما يخاف، ولذلك قال علي كرم الله وجهه للرجل الذي أطار الخوف عقله حتى أخرجه إلى القنوط فقال له: يا هذا أيأسك من رحمة الله تعالى أعظم من ذنبك؟ صدق رضي الله عنه لأن الإياس من روح الله تعالي." (١)

"شيء وإلى أعماله لا يرى الإجابة حتى يكون ناظرا إلى الله تبارك وتعالى وحده وإلى لطفه وكرمه، ويكون موقنا بالإجابة، ولعمري أن من سأل الله تعالى ورغب إله في شيء، ورجاه ناظرا إلى نفسه وعمله، فإنه غير مخلص في الرجاء له تعالى لشركه في النظر إليه، وإذا لم يكن مخلصا لم يكن موقنا، ولا يقبل الله تعالى عملا ولا دعاء إلا من موقن بالإجابة مخلص، فإذا شهد التوحيد ونظر إلى الوحدانية فقد أخلص وأيقن، وهكذا جاء في الخبر: إذا دعوتم فكونوا موقنين بالإجابة، فإن الله تعالى لا يقبل إلا من موقن ومن داع دعاء بينا من قلبه، لأن من استعمله الله تعالى بالدعاء له فقد فتح له بابا من العبادة.

وفي الخبر: الدعاء نصف العبادة ولايقبل الله تعالى من الدعاء إلا الناخلة بمعنى المنخول وهو الخالص، فأقل ما يعطيه من دعائه أن يكون ذلك حسنة منه، يضعفه له عشرا إلى سبعمائة ضعف، وأعلاه أن يدخر له في الآخرة ماهو خير له من جيمع الدنيا وما فيها مما لم يخطر على قلبه قط، ويكون ذلك حسن نظر من الله تعالى له واختيار، وأوسط ذلك أن يصرف عنه من البلاء الذي هو لو كان علمه كان صرفه أهم عليه وأحب إليه مما سأل فيه، وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من داع دعا موقنا بالإجابة في غير معصية ولا قطيعة رحم، إلا إعطاه الله تعالى إحدى ثلاث؛ إما أن يجيب دعوته فيما سأل، أو يصرف عنه من السوء مثله، أو يدخر له في الآخرة ما هو خير له، وفي أخبار موسى عليه السلام: يارب أي خلقك أنت عليه أشد تسخطا؟ فقال تعالى: من لم يرض بقضائي، ومن يستخيرني في أمر فإذا قضيت له كره ذلك، وفي الخبر الآخر: إنه قال يارب أي الأشياء أحب إليك وأيها أبغض؟ فقال سبحانه وتعالى: أحب الأشياء إلي الرضا بقضائي وأبغضها إلي أن تطري نفسك.

وروينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم: أنه قال للرجل الذي قال: أوصني فقال: لاتتهم الله تعالى في شيء قضاه عليك، وفي الخبر الآخر: أنه نظر إلى السماء وضحك صلى الله عليه وسلم فسئل عن ذلك فقال: عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن في كل قضائه له خير، إن قضي له بالسراء رضي؛ وكان خيرا له وإن قضي عليه بالضراء رضي به وكان خيرا له، ومن **حسن الظن بالله** تعالى لطف التملق له سبحانه وتعالى، وهو من قوة الطمع فيه، وفي خبر: **حسن الظن بالله** عز وجل من حسن عبادة الله عز وجل، كما روينا في تفسير قوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) البقرة: ٧٣ إن الكلمات هي قوله عليه السلام: يارب هذا الذنب الذي أصبته كان من قبل نفسي أو من شيء سبق في علمك قبل أن تخلقني قضيته

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٥٩/١

علي، فقال: بل شيء سبق في علمي كتبته عليك، قال: يارب فكما قضيته علي فاغفر لي، قال: فهي الكلمات التي لقاه الله تعالى إياها.

وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة: ما منعك إذ رأيت المنكر." (١)

"وقال بعض العلماء: من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط، وهذا من النوع الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما المعطي من سعة بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا، فأخذ هذا مشاركة لمعطيه في الأجر من حيث استويا على المعاونة في التقوى والبر المأمور بهما، ولا يضر هذا العطاء آخذه، وقد كان سري السقطي يوصل إلى أحمد ابن حنبل شيئا فيرده فقال له سري: يا أحمد إحذر آفة الرد فإنها أشد من آفة الأخذ، فقال له أحمد: أعد علي ما قلت فأعاده، فقال أحمد: ما رددت عليك إلا لأن عندي قوت شهر فأحبسه لي عندك، فإذا كان بعد شهر فأنفذه إلي، والرابع من العطاء هو المعونة؛ وهذا يكون مخصوصا لأهله هو أن يكون في خلق هذا الفقير البذل والإفضال وفي غريزته السخاء والاتساع من إطعام الطعام وإيثار الفقراء، فلا يتسع لذلك حاله وتضيق عنه يده فيبعث الله إليه بالعطاء معونة له على أخلاقه ليبلغه به مراده، وينفذ له من المعروف والبر عادته، ويعينه على خلقه ومروءته؛ فهذا النوع من العطاء هو الاختبار عند العارفين والأفضل أخذه وإمضاؤه في سبله من المروءات والأخلاق؛ وهذا كان طريقة كثير من السلف، وقد غلط في هذا الطريق قوم لم يكن لهم زهد وقد كانت فيهم رغبة وهمم دنيئة، فاقتنعوا في قبول هذا العطاء لنفوسهم وتملكوه واستأثروا به وزعموا أن هذا هو الاختبار، فخالفوا السلف في معرفة الابتلاء من الاختبار لأن هذا عند العارفين، إذا لم ينفذ ويؤثر به ابتلاء ووافقوا أهواءهم في التوسع منه والتكثر به، وتملكوه بالدعوى فأخطؤوا في العلم لإحالة المعنى وغلطوا في طريق الحال لوجود الهوى، وقد كان بعض القاعدين من الصادقين يدان على الله لحسن ظنه به، فإذا رزقه قضاه، فإن مات هذا على هذه النية فلا تبعة عليه فيه في دينه، على مولاه قضاؤه، وأن يرضى عنه غرماءه، وقد كان فيما سلف يقضي دين مثل هذا من بيت مال المسلمين، وكان آخرون لا يقترضون حتى يبيع أحدهم أحد ثوبيه أو فضل ما يحتاج إليه؛ وهذا أحد الوجوه في قوله تعالى: (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) الطلاق: ٧، قال: من ضيق عليه معاشه فليبع أحد ثوبيه، وقد قيل: فليستقرض بجاهه فذلك آتاه الله عز وجل.

وقال بعضهم: لله عباد ينفقون على قدر بضائعهم، وله عباد ينفقون على قدر حسن الظن به، ومات بعض السلف فأوصى بماله أن يفرق على ثلاث طوائف: الأقوياء والأسخياء والأغنياء فقيل: من هؤلاء؟ قال: أما الأقوياء فهم أهل التوكل على الله، وأما الأسخياء فهم أهل **حسن الظن بالله**، وأما الأغنياء فهم أهل الانقطاع إلى الله، وينبغي لمن لامعلوم له من الأسباب أن يتورع في أخذها ويتحرى المعطين لها، كما يتحرى أهل المكاسب في الاكتساب؛ لأن الله سبحانه وتعالى له في كل شيء حكم، والقعود عن المكاسب لا يسقط أحكامها، والقاعد عن الطلب لا تسقط عنه أحكام الطالب، لأن ترك." (٢)

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٦٣/١

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٣٣/٢

"٧٦٠٤ - حدثنا علي بن حمشاذ العدل، ثنا علي بن عبد العزيز البغوي، وثنا أبو مسلم، قالا: ثنا حجاج بن منهال، ثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن واسع، عن شتير بن نهار، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن حسن الظن بالله تعالى من عبادة الله» هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه "K7604 - على شرط مسلم." (١)

"وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حسن الظن بالله من حسن العبادة»." (٢)

"٥٩٦ - أخبرنا أبو عمر محمد بن عيسى بن أحمد القزويني الحافظ ببيت لهيا، وأبي، وأبو عبد الله أحمد بن محمد الطبرستاني، قالوا: ثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن الضريس الرازي، ثنا يحيى بن هاشم الغساني، ثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»." (٣)

"٥٩٥ - أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسين بن السفر، وأبو الميمون بن راشد، وأحمد بن سليمان بن حذلم في آخرين قالوا: ثنا بكار بن قتيبة، ثنا حصين بن حفص الأصبهاني، ثنا سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»." (٤)

"خلفه، ثم سار بي مليا، ثم التفت الي فقال لي: «يا غلام» ، قلت: لبيك يا رسول الله، قال:

«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك، لما قدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتبه الله عليك ما قدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر، فإن في الصبر على ما يكره خيرا كثيرا، واعلم أن مع الصبر النصر، وأن مع الكرب الفرج وإن مع العسر يسرا [١٧٨] «١» .

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن الحسن النيسابوري يقول: سمعت أبا علي محمد ابن عامر البغدادي يقول: سمعت عبد العزيز بن يحيى يقول: سمعت عمي يقول: سمعت العتبي يقول: كنت ذات يوم في البادية بحالة من الغم فألقي في روعي بيت شعر فقلت:

أرى الموت لن أصبح ولاح ... مغموما له أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف، من الهواء:

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم   الحاكم، أبو عبد الله ٤/٢٦٩

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم   الحاكم، أبو عبد الله ٤/٢٨٥

(٣) فوائد تمام   تمام بن محمد الدمشقي ١/٢٤٥

(٤) فوائد تمام   تمام بن محمد الدمشقي ١/٢٤٥

ألا يا أيها المرء ... الذي الهم به برح

وقد أنشد بيتا لم ... يزل في فكره يسنح

إذا اشتد بك العسر ... ففكر في ألم نشرح

فعسر بين يسرين ... إذا فكرتها فافرح

قال: فحفظت الأبيات، وفرج الله غمي «٢» .

وأنشدنا أبو القاسم الحبيبي قال: أنشدنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إسحاق الجيزنجي قال: أنشدنا إسحاق بن بهلول القاضي:

فلا تيأس وإن أعسرت يوما ... فقد أيسرت في دهر طويل

ولا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل

فإن العسر يتبعه يسار ... وقول الله أصدق كل قيل «٣»

وأنشدني أبو القاسم الحبيبي قال: أنشدني محمد بن سليمان بن معاد الكرخي قال: أنشدنا أبو بكر الأنباري:

إذا بلغ العسر مجهوده ... فثق عند ذاك بيسر سريع

---

(١) بتفاوت في مسند أحمد: ١/ ٢٩٣، وتمامه في كتاب الدعاء للطبراني: ٣٤.

(٢) زاد المسير: ٨/ ٢٧٣.

(٣) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا: ١٢٣، وقد نسبت الأبيات فيه إلى محمود الوراق، وفيه تفاوت يسير.." (١)

"نكون من أهل مشيئته، فنزلت: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ... «١» ، فبعث بها إليهم فلما قرءوها دخل هو أصحابه في الإسلام، ورجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل منهم، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لوحشي: «أخبرني كيف قتلت حمزة؟» ، فلما أخبره قال: «ويحك غيب وجهك عني» «٢» [٣٤٤] ، فلحق وحشي بالشام فكان بها إلى أن مات.

وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في اليهود إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فمشيئته لأهل التوحيد.

أبو مجلز، عن ابن عمر: نزلت في المؤمنين، وذلك

أنه لما نزلت يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم- الآية- قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فتلاها على الناس، فقام إليه رجل، فقال: والشرك بالله؟ فسكت ثم قام إليه مرتين أو ثلاثا، فنزلت: إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية ، فأثبتت هذه في الزمر وهذه في النساء.

المسيب بن شريك، عن مطرف بن الشخير قال: قال ابن عمر: كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا أنه من أهل النار، حتى نزلت هذه الآية إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٣٥/١٠

يشاء، فأمسكنا عن الشهادات.

عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « [لا تزال] المغفرة تحل بالعبد ما لم يرفع «٣» الحجاب» . قيل: يا رسول الله، وما [وقوع] «٤» الحجاب؟ قال: «الإشراك بالله» [٣٤٥] ثم قرأ:

إن الله لا يغفر أن يشرك به «٥» الآية.

مسروق عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ولم يضره معه خطيئة، كما لو لقيه وهو يشرك به شيئا دخل النار ولم تنفعه حسنة» «٦»

. [٣٤٦]

وعن علي (رضي الله عنه) عنه قال: «ما في القرآن أرجى إلي من هذه الآية إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء «٧» [٣٤٧] .

ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما. ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم الآية،

قال الكلبي: نزلت في رجال من اليهود، أتوا بأطفالهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم منهم عدي بن عمرو والنعمان ابن أوفى وصهيب بن زيد، فقالوا: يا محمد هل على هؤلاء من ذنب؟ فقال: «لا» ، فقالوا:

---

(١) سورة الزمر: ٢٣.

(٢) المعجم الأوسط: ٢/ ٢٢٢، والبداية والنهاية: ٤/ ٢١.

(٣) في المخطوط: يقع وما أثبتناه من المصدر.

(٤) غير موجودة في المصدر.

(٥) الحديث في حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا: ٦٥ ح ٥٦.

(٦) كنز العمال: ١/ ٨١ ح ٣٢٨.

(٧) سنن الترمذي: ٤/ ٣١٤ وفيه أحب بدل أرجى.." (١)

"[سورة فصلت (٤١) : الآيات ٢١ الى ٣٢]

وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون (٢١) وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (٢٢) وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين (٢٣) فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين (٢٤) وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين (٢٥)

وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (٢٦) فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣/٣٢٥

الذي كانوا يعملون (٢٧) ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون (٢٨) وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين (٢٩) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون (٣٠)

نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون (٣١) نزلا من غفور رحيم (٣٢)

وقالوا يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار. لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء

حدثنا عقيل بن محمد: إن أبا الفرج البغدادي القاضي أخبرهم عن محمد بن جرير، حدثنا أحمد بن حازم الغفاري، أخبرنا علي بن قادم الفزاري، أخبرنا شريك، عن عبيد المكيت، عن الشعبي، عن أنس، قال: ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى بدت نواجذه، ثم قال: «ألا تسألوني مم ضحكت» .

قالوا: مم ضحكت يا رسول الله؟

قال: «عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، قال: يقول يا رب أليس وعدتني أن لا تظلمني؟ قال: فإن لك ذاك. قال: فإني لا أقبل علي شاهدا، إلا من نفسي. قال: أو ليس كفى بي شهيدا، وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال: فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل» .

قال: «فيقول لهن بعدا لكن وسحقا عنكن كنت أجادل» [١٦١] «١» .

قال الله تعالى: وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أي تستخفون في قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد: تتقون. قتادة: تظنون. أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون

أخبرنا الحسين بن محمد ابن فنجويه، حدثنا هارون بن محمد بن هارون وعبد الله بن عبد الرحمن الوراق، قالا: حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن كثير وأبو حذيفة، قالا: حدثنا سفيان عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن وهب بن ربيعة، عن ابن مسعود، قال: إني لمستتر بأستار الكعبة، إذ جاء ثلاثة نفر، ثقفي وختناه قريشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقههم، فحدثوا الحديث بينهم، فقال أحدهم: أترى يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: إذا رفعنا يسمع، وإذا خفضنا لم يسمع، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا رفعنا فإنه يسمع إذا خفضنا. فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت له ذلك، فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ... إلى قوله:

فأصبحتم من الخاسرين

والثقفي عبد ياليل وختناه القريشيان ربيعة وصفوان بن أمية. وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم أهلككم. فأصبحتم من الخاسرين قال قتادة: الظن هاهنا بمعنى العلم،

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يموتن أحدكم، إلا وهو **يحسن الظن بالله**، وإن قوما أساءوا

(١) مسند أبي يعلى: ٧/ ٥٥.." (١)

"قال "الجنيد البغدادي" حضرت "أبا عبد الله الأشناندانى" وكان ضريرا فقرأ القارئ: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ فقال: سقط عني نصف العمل.

أصاب أعور ومد فقال: يارب ليس على محمل.

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن الله يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن ماله وعمره، فيقول: جعلت لك جاها، فهل نصرت به مظلوما، أو قمعت به ظالما، أو أعنت به مكروبا؟ ". (١)

[وقال] حبيب بن أوس الطائي:

وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: إنما أمهل فرعون مع ادعائه الربوبية لسهولة إذنه وبذل طعامه". (٢)

قال النبي– صلوات الله عليه وسلامه –"السخي، قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة. والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار". (٣)

قال الحسن بن سهل رأيت جملة البخل سوء الظن بالله، وجملة السخاء **حسن الظن بالله**.

(١) حديث ضعيف، تفرد به الديلمى كما في الفردوس (٥٤٨) . [الدار]

(٢) لم أقف عليه. [الدار]

(٣) حديث ضعيف جدا. أخرجه الترمذي (١٩٦١) ، وابن حبان في "روضة العقلاء" (ص/٢٤٦) والعقيلي (١١٧/٣) في الضعفاء الكبير، وقال: ليس لهذا الحديث أصل، وابن عدى (٤٠٣/٣) في الكامل، وأنظر الكلام عليه في السلسلة الضعيفة (١٥٤) ، والمغنى (٢٤٠/٣) للعراقي، والعلل (٢٣٥٢) ، (٢٣٥٣) لابن أبي حاتم. [الدار]." (٢)

"سمعت محمد بن محمد بن عبيد الله يقول: سمعت محمد بن محمد بن مسعود البدشي يقول: سمعت يحي بن معاذ يقول: " العارف قد يشتغل بربه عن مفاخرة الأشكال ، ومجالس العطايا ، وعن منازعة الأضداد ، في مجالس البلايا قال: وسمعت يحي بن معاذ ، يقول: أوثق الرجاء رجاء العبد ربه وأصدق الظنون **حسن الظن بالله** "." (٣)

"حدثنا أبي ، ثنا إسحاق بن محمد الزجاج ، ثنا محمود بن الفرج ، ثنا أبو عثمان سعيد بن العباس الرازي قال: " أحذرك يا أخي شياطين الإنس والجن كما حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر واعلم أن قائدهم إبليس واعرف بقلبك من يدعوك إلى الهلكة ومن يدعوك إلى النجاة واستعن بالله فإن جميع الشر حب الدنيا هل رأيت رجلا عصى الله

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٩١/٨

(٢) درر الحكم لأبي منصور الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/٤٩

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٥٨/١٠

في التهاون والزهد في الدنيا والرضى بالقليل؟ واحذر الدنيا وأهلها ومن يدعوك إليها فإن المحب للدنيا زعم بلسانه أنه يعبد ربه وهو يعبد هواه ودنياه بقلبه ونيته وغدوه ورواحه وطواعيته وغضبه ورضاه واعلم أن العلماء هم أمناء الرسول عليه الصلاة والسلام وورثه الأنبياء عليهم السلام أما علمت أن النبي صلى الله -[٧١]- عليه وسلم في زمانه دعا إلى الزهد في فضول الدنيا والتهاون بها ومن معه من العلماء كانوا يحذرون حلال الدنيا ويشفقون منها أشد من حذر الجهال من حرامها لأنه لا يسلم من الدنيا من ينالها ولا يسلم من شرها من أحبها وأمن مكرها هي حتف أهلها دون الحتف واعلم أن العالم بالله الخائف من الله يهدم بحق الله باطل أهل الرغبة في الدنيا ، وأن العالم المغتر يطفئ نور الحق بظلمة الباطل واعلم أن الله إذا أراد أن يغني فقيرا أو يفقر غنيا أو يرفع وضيعا أو يضع رفيعا فعل ما أراد من ذلك فلا تغالب الله على أمره ولا تلتمس شيئا من ذلك بغير طاعة الله فإن الذين التمسوا الأمور بغير طاعة الله خسروا خسرانا مبينا فيما أصابوا بما طالبوا وفيما أخطأهم مما أرادوا فانظر إذا كنت إماما أي إمام تكون فربما نجت الأمة بالإمام الواحد وربما هلكت بالإمام الواحد وإنما هما إمامان إمام هدى قال الله عز وجل ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ [السجدة: ٢٤] يعني على الدنيا ، وإنما صاروا أئمة حين صبروا عن الدنيا ، ولا يكون إمام هدى حجة لأهل الباطل فإنه قال: ﴿يهدون بأمرنا﴾ [السجدة: ٢٤] لا بأمر أنفسهم ولا بأمور الناس فقال: ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ [الأنبياء: ٧٣] فهذا إمام هدى فهو ومن أجابه شريكان ، وإمام آخر قال الله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ [القصص: ٤١] ولا تجد أحدا يدعو إلى النار ولكن الدعاة إلى معصية الله فهذان إمامان هما مثل من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين ، واعلم أن باب الآخرة مفتوح فادخله تصل إلى رحمة الله ولتكن في كنف الله وحفظه وولايته وستره وأجره ورزقه وكفايته فإن الله لا يخلف الميعاد واعلم أنه ليس بين الله وبين العباد وسيلة إلا طاعته فإنها وسيلة العباد إليه فلا تتوسلوا إلى الله بغير الوسيلة التي جعلها الله سبيلا وسببا إليه فإن ديان الدين إنما يدين العباد غدا بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم في الدنيا ، واعلم أنك قد كفيت مؤنة من بعدك فلا تتكلف مؤنة من قد كفيت بإفساد نفسك واعلم أن الناس قبلك قد جمعوا لأولادهم فلم يبق ما جمعوا لهم ولا من جمعوا له، واعلم -[٧٢]- أن لك في الدنيا ولباسها ونعيمها وشهوتها رغبة، وإنك والله لئن طلبت النعيم بالتنعم في الدنيا والرغبة فيها ما أحسنت طلبه فازهد فيها تجد لليقين نورا وترى للترك فضلا وسرورا انظر إليها بالتصغير إذ كان قصيرا فانيا التمس استصغار الدنيا بالتقلل منها واستجلب حلاوة الترك بقصر الأمل فيها قد استدبرت أمورا لك فيها معتبر ومنظر ومتعظ ومزدجر وانظر ما صدر قوم عن معصية الله إلى غير عذاب الله عاجلا أو آجلا إلا من عصمه الله بالتوبة كن عالما عاملا فقد علم أقوام ولم يعملوا ولم يكن علمهم إلا عليهم والعلم والعمل قرينان لا ينفع أحدهما إلا بصاحبه اختر القلة وارتع في رياض المقلين تدرك ثمرة قلبك أما علمت أن النار حفت بالشهوات والجنة حفت بالمكاره اختر ما اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم وادع إلى ما دعا إليه تكن لله وليا وللرسول أمينا وللمتقين إماما، واعلم أن العبد المؤمن ليس بالذي يشكر في السراء فإذا أصابه شيء مما يكره ترك دينه ومن لا خير له فيما يكره فليس له خير فيما يحب فقد جعل الله في الكره خيرا لمن صبر على البلاء واحتسب المصيبة **وأحسن الظن بالله** وصدق التوكل عليه وآمن بما وعد الله الصابرين، كن داعيا إلى الله بما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمس الرفعة بالتواضع، والتمس

الشرف بالدين وليكن ذلك في ترك دنياك لآخرتك تدرك شرف الدنيا والآخرة فإن أكمل إيمان العبد إذا آثر الآخرة على الدنيا، واطلب حقيقة الإيمان بردك نفسك عن الدنيا، وأجهد نفسك على طلب الآخرة فإن الكيس من دان نفسه وعمل لآخرته والعاجز من تمنى على الله الأماني قال الشيخ أبو نعيم: لأبي عثمان الكلام المبسوط في مصنفاته وله من كثرة الأحاديث مسانيد وتفسير ما يقارب الأئمة في الكثرة حدث عن الأعلام، عن أبي نعيم، وحسين المروزي، والقعنبي، وأحمد بن شبيب، والحميدي، وسلمة بن شبيب، ومكي، وقتيبة، وعلي الطنافسي، وأبي مسعود، والحماني، وسهل بن عثمان، وابن كاسب، وإبراهيم بن موسى." (١)

"أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير، في كتابه ، وحدثني عنه عثمان بن محمد قال: سمعت الجنيد بن محمد، يقول: سئل الحارث بن أسد عن قول الله تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ [المائدة: ٢٣]، وعن قوله صلى الله عليه وسلم: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا»، ما السبيل أكرم الله وجهك إلى هذا التوكل الذي ندب الله المؤمنين إليه؟ صف لي كيف هو؟ وكيف دخول الناس فيه؟ فقال الحارث رحمه الله: " الناس يتفاوتون في التوكل، وتوكلهم على قدر إيمانهم وقوة علومهم، قيل: ما معنى قوة إيمانهم؟ قال: تصديقهم للعدة وثقتهم بالضمان، قيل: فمن أين فضلت الخاصة منهم على العامة والتوكل في اعتقاد الإيمان مع كل من آمن بالله؟ قال: الذي فضلت به الخاصة على العامة دوام سكون القلب عن الاضطراب والهدوء عن الحركة فعندها يا فتى استراحوا من عذاب الحرص وفلوا من أسر الطمع وخرجوا من ضيق طول الأمل، قيل: فما الذي ولد هذا؟ قال: حالتان: الأولى منهما دوام لزوم القلب المعرفة والاعتماد على الله وترك -[١٠٤]- الحيل، والثانية كثرة الممارسة حتى يألفها إلفا ويختارها اختيارا، قيل: فالتوكل في نفسه ما هو؟ وما معناه؟ قال: قد اختلف الناس فيه قيل له: اختصر منه جوابا موجزا، قال: نعم التوكل هو الاعتماد على الله بإزالة الطمع من سوى الله، وترك تدبير النفوس في الأغذية، والاستغناء بالكفاية، وموافقة القلب لمراد الرب، والقعود في طلب العبودية، واللجأ إلى الله، قيل: فهل يلحق التوكل الأطماع؟ قال: تلحقه الأطماع من طريق الطباع خطرات، ولا يضره ذلك شيئا، قيل: فما الذي يقويه على إسقاط الطمع؟ قال: اليأس مما في أيدي الناس حتى يكون بما معه من الثقة بما وعده سيده أغنى ممن يملك الدنيا بحذافيرها كما قيل لأبي حازم: ألك مال؟ قال: أكثر المال ثقتي بربي ويأسي مما في أيدي الناس، وكان أبو حازم يقول: الدنيا شيئان شيء لي وشيء لغيري فما كان لي لو طلبته بحيلة من السماوات والأرض لم يأتني قبل أجله، وما كان لغيري لم أرجه فيما مضى ولا أرجوه فيما بقي يمنع رزقي من غيري كما يمنع رزق غيري مني ففي أي هذين أفني عمري؟ وكان بعضهم يقول:

اترك الناس فكل مشغلة ... قد بخل الناس بمثل الخردلة

لا تسل الناس وسل من أنت له

قيل: فما الذي يقوي المتوكل؟ قال: ثلاث خصال، الأولى منها **حسن الظن بالله**، والثانية نفي التهم عن الله، والثالثة الرضا عن الله تعالى فيما جرى به التدبير لتأخير الأوقات وتعجيلها، قيل: بم تلحق هذه المنزلة؟ قال: بصفاء اليقين وتمامه فإن

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٧٠/١٠

اليقين إذا تم سمي تمامه توكلا، وهكذا قال ذو النون المصري فهم بالحالة العالية والمقام الشريف كما قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري: ما من حالة من حالات المتعبدين إلا وشيخك هذا قد دخل فيها وعرفها ، إلا هذا التوكل المبارك الذي ما أعرفه إلا بمشام الريح، وقال ذو النون المصري: المقامات سبع عشرة مقامة أدناها الإجابة وأعلاها صدق التوكل، قيل: فما أجمل ما تراه القلوب في باطنها ويلحقها خواطر الأطماع؟ -[١٠٥]- قال: تنبيها من الله بحرص الجوارح عن إشارة الأرواح فيما طمعت حياء من الله تعالى أن يراهم يستريحون إلى غيره، كما قال الحكيم: ومريدوه يستحيون أن يراهم يشيرون بالأرواح نحو سواه قيل: هذا في الظاهر واليقظة فهل لهم زاجر في مناماتهم عند إشارة الأرواح ومطالعتها في خطرات الأطماع؟ قال: قد روي عن النباحي، قال: طمعت يوما في شيء من أمور الدنيا فحملتني عيناي ونمت فسمعت هاتفا في منامي وهو يقول: أو يجمل يا فتى بالحر المريد إذا وجد عند مولاه كل ما يريد أن يركن بقلبه إلى العبيد؟ فهو عز وجل يزجرهم ويثبتهم ويريهم مواضع الشين والخلل ليعملوا في شدة تمام اليقين وكثرة السكون والاعتماد عليه دون خلقه فتكون لهم الزيادة في مقامهم وحسن اللجأ في افتقارهم إلى سيدهم فأمرهم يا فتى على الاستواء، قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٣]؟، قال: أي سببه بمعنى حسبي من كل شيء أن أتوكل عليه، قيل: فما الأسباب التي تشين توكله؟ قال: الأسباب التي فيها الحرص والمكابدة على الدنيا والأسباب التي تشغله عن دوام السكون وتزيد في الاضطراب وتقوي خوف الفوت وهي الأسباب التي تستعبده وتتعبه فتلك التي يؤمر بقطعها حتى يستريح بروح اليقين ويتفرج بحياة الاستغناء، قيل: فما علامة سكون المتوكل؟ قال: لا تحركه أزعاج المستبطئ فيما ضمن له من رزق ربه ولا تخلفه فترة المتواني عن فرصته، قيل: أيجد هذا فقد شيء منعه؟ قال: لا يجد فقده إذا منعه لعلة معرفته بحسن اختيار الله له أملا من الله أن يعوضه في حسن العواقب أفضل من إرادته بالعاجل كأنه يراه قريبا فمن هاهنا لا يجد فقد شيء منعه، قيل: فما يقويه على هذه الحالة؟ قال: حسن علمه بحسن تدبير الله له فعندها أسقط عن قلبه اختياره لنفسه ورضي بما اختار الله له "." (١)

"حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني، ثنا أحمد بن محمد بن حمدان النيسابوري، ثنا إسماعيل بن عبد الله الشامي قال: قال سري السقطي: " ثلاث من أخلاق الأبرار: القيام بالفرائض واجتناب المحارم وترك الغفلة، وثلاث من أخلاق الأبرار يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار وخفض الجناح وكثرة الصدقات، وثلاث من أبواب سخط الله: اللعب والمزاح والغيبة، والعاشر من هذه الثلاث عمود الدين وذروته وسنامه **حسن الظن بالله** "." (٢)

"حدثنا أبو بكر الآجري، ثنا عبد الله بن محمد العطشي، ثنا إبراهيم بن الجنيد، ثنا عون بن إبراهيم بن الصلت قال: حدثني أحمد بن الغمر الحمصي قال: سمعت محمد بن المبارك الصوري قال: قلت لراهب: متى يبلغ الرجل حقيقة الأنس بالله؟ قال: إذا صفا الود فيه وخلصت المعاملة فيما بين العبد وبين الله، قال: قلت: فمتى يصفو الود وتخلص المعاملة؟ قال: إذ اجتمع الهم فصار في الطاعة، قلت: ومتى يجتمع الهم فيصير في الطاعة؟ قال: إذا اجتمعت الهموم فصارت هما واحدا،

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٠٣/١٠

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٢٣/١٠

قلت: يا راهب، بم يستعان على قلة المطعم؟ قال: بالتحري في المكسب والنظر في الكسوة، قلت: عظني وأوجز، قال: كل من حلال وارقد حيث شئت. قال: قلت له: فأين طريق الراحة؟ قال: في خلاف الهوى قلت: فمتى يجد الرجل الراحة؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة، قلت: بماذا أقطع الطريق إلى الله؟ قال: بالسهر الدائم والظمأ في الهواجر، قلت: ما علامة العلم؟ قال: الخوف والشفقة، قلت: ما علامة الجهل؟ قال: الحرص والرغبة، قلت: ما علامة الورع؟ قال: الهرب من مواطن الشبهة، قلت: فما الذي عقلك في هذه البيعة؟ قال: بلغني أنه من مشى على الأرض عثر، ففزعت فزعة الأكياس فتحصنت بمن في السماء من فتنة من في الأرض وذلك أنهم سراق العقول فخشيت أن يسرقوا عقلي، قلت: فمن أين تأكل في هذه الصومعة؟ قال: بذر أبذره من بذر اللطيف الخبير ثم قال: إن الذي خلق الرحا يجيء بالطحين، قال: وأومأ بيده إلى ضرسه ثم قال: من رزق **حسن الظن بالله** أفيد الراحة، قال إبراهيم بن الجنيد: وأنشدني شيخ من طلبة العلم لبعضهم:

وما عاشق الدنيا بناج من الردى ... ولا خارج منها بغير غليل

وكم ملك قد صغر الموت قدره ... فأخرج من ظل عليه ظليل." (١)

"سمعت أبا محمد بن حيان، يقول ثنا حيوة بن أبي شداد بنهاوند حدثني أبو جعفر الداني قال: كنت في دار إبراهيم بن عيسى وكان إذا فرغ من صلاته وقت السحر يدعو لليهود والنصارى والمجوس ويقول: اللهم اهدهم، فإذا فرغ من دعائه يرفع يديه يقول: " اللهم إن كنت مدخلي النار فعظم خلقتي حتى لا يكون لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيها موضع، ومن كلامه: المؤمن حسن بالله ظنه واثق بوعده، اتخذ التقوى رقيبا، والقرآن دليلا، والخوف محجة والشوق مطية، والوجل شعارا، والصلاة كنزا، والصبر وزيرا، والحياء أميرا، لا يزداد لله برا وصلاحا إلا ازداد الله عليه خوفا، **أحسن الظن بالله** فأحسن العمل "." (٢)

"حدثنا الحسن بن علي، ثنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن بهلول، ثنا جدي، ثنا أبي، ثنا طلحة بن زيد، عن إبراهيم، عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله»**." (٣)

"حدثنا أبي قال: قرأت من خط جدي محمد بن يوسف، وكان قد لقي عدة من أصحاب محمد بن المبارك: " دخلت مسجدا فرأيت فتى قد اكتنفه الناس قياما وقعودا، وأقربهم إليه طائفة منصوبة يسألونه عن علم طريق الآخرة وعن معرفة الآفات الواردة، فيجيبهم بلسان ذرب في الحكمة، متسع -[٣٠٠]- في المعرفة، قريب من كل حجة، لسان لا يغضب على سائله وإن ردد عليه المسألة حتى يفهمه أو يكون جاهلا فيعلمه بلسان قد بذ بعزو سننه فرسان الكلام عذب اللفظ مطلاق المطلق. فدنوت منه وقد تفرق الناس عنه وصار جليس حزنه، وحليف همه، وشريك سدمه، وأخيذ جنايته، وأسير نار العفاة، قد غشيته من هموم قلبه فلم أزل قاعدا متسلسا في دنوي وهدوئي قد جمعت فيه نفسي حتى إذا صرت

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ١٣٢/١٠

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٣٩٣/١٠

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٢٤٦/٥

في الموضع الذي لا عتق صوته، ونظر إلي في حال من غضب على نفسه، وضنا من توهم أمنيته لاذ بفضله على ضعفي ولم يلجئني إلى مذلة في مسألتي حتى قال لي: حياك الله بالسلام ونعمنا وأنعمنا وإياك بثبوت الأحزان، فكشف بقوله ضيقا عن قلبي وأدبني لنفسه، فنعم ما به أدبني، فلما تجلى عني ضيق الحصر وسقط الخجل وزال الوجل أولاني أنس المشهد، وجذبني بلسانه إلى قريب المقعد. قلت لنفسي: قد ظفرت فسلي فقلت: رحمك الله ما هذا السبيل الذي أمر الله محمدا صلى الله عليه وسلم بدوسه وقطعه؟ قلت: رحمك الله فهل لهذا السبيل من شرح يبين مناره؟ قال: نعم، أما السبيل فهو الإيمان بالله طريق محمد ممدود لأهل الإيمان بالله من الدنيا إلى الآخرة، فمن تعمد درسه وقطعه عز فأعز غيره ورضي به عن الاختيار عليه مد به الطريق إلى الآخرة، وإن هو عدل عن باب الطريق بالاختيار منه للهوى الذي خذله منه لزمه قوله تعالى: ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام: ١٥٣] قلت: رحمك الله فما الإيمان المؤدي إلى الآخرة الموصل بأهله إلى محمود العاقبة؟ فقال: إن الذي سألت عنه من الإيمان بالله إيمان ظاهر وقع به الستر الظاهر وإيمان باطن وقعت به الخشية الباطنة. قلت: فما الإيمان الظاهر؟ قال: إقرار اللسان بالتوحيد وموافقة جوارح الأبدان فرائض التوحيد هذا هو الإيمان الظاهر الذي يقع الستر الظاهر به ويحقن به العبد دمه وماله إلا في المال من حقوق إيمانه. وأما الإيمان الباطن الذي وقعت به الخشية الباطنة فهو إيمان القلب وهو على ثلاثة: فالأول منها: التصديق لله فيما وقع به وعده ووعيده، والثاني: حسن الظن بالله تعالى من غير المعرفة -[٣٠١]-، والثالث: إلقاء التهم عن الله من عقد الثقة به. قلت: رحمك الله فسر لي ما وصفت من هذه الثلاثة التي ذكرت أنها إيمان قلبي. قال: نعم يا فتى، إن التصديق لله إنما هو من عين المعرفة بالله إنه لما أن صحت المعرفة بالله سقط الارتياب عنه لسقوط الجهل به عن قلبه، فلما سقط اعتقد القلب تصديقا قد دلت المعرفة على تصديقه فإذا صح هذا في القلوب وتمكن من عقائدها انفتق من هذا نور فيه دلالة النفس على مكونها فإذا صح العلم فيها بأنها مكونة لا من شيء كونت دلها وجود ما علمته من خلقها على الشيء المغيب عنها أنها أعجب مما قد شاهدته بنظر، فها هنا سكن القلب إلى تصديق الرب عز وجل فيما وقع الوعد به وينصرف الهم إلى تجريد العناية إلى ما وقع به أمر الرب عز وجل ونهيه. قلت: فحسن الظن؟ قال: من علم المعرفة بالله أن الله عز وجل أحسن إليه في خلقه تفضلا منه عليه لا باستحقاق عمل متقدم كان منه إليه فيكون مبتدؤه به من نعمة الخلقة أنها تفضل من الله عليه أقام النظر من العقل الباطن في الأشياء فينظر إلى كل ما قعد به الجهل عن معرفته من العلم الذي يحتاج إلى تقوية معرفته وإلى طلب الازدياد في تصديق ربه وحسن ظنه بما جرى به تدبيره فيه علم أن وهن تصديقه وضعف حسن ظنه من جهله بربه. فها هنا في مقام تنهتك ستور الجهل وتقع البصيرة من النظر الذي كشف عن ضرر الجهل فإذا أثبت القلب هذا معرفة علم أن الله تعالى نقله من التراب إلى حسن خلقته وزين خلقته باستواء العافية في خلقته وقسم لعافيته سترا يتقلب فيه وتطيب بهذا الستر معيشته فإذا صح العلم بهذا كان الله عز وجل عنده غير جائر في رحمته التي نقله بها من التراب إلى حسن خلقته فهو أيضا غير جائز في حكم يوقعه برحمته. قلت: رحمك الله فمن أين مخرج التهم؟ قال: من ضعف المعرفة وقلة تصديق القلب بالعزة واجتماع القلب من الجهل بالمعرفة على حب الدنيا دون الآخرة، فلما أن لم يصدق الخبر تصديقا يؤدي إلى ثقة بما وقع به الخبر كان الله عنده غير وفي فيما وعد. قلت: رحمك الله، اضرب لي في هذا مثلا أستعين به على فهمي وأتبين فيه معنى

قولك. فقال: أرأيت لو أن رجلا عرفته بالخلف -[٣٠٢]- في الوعد ثم ضمن لك شيئا إن وفى لك به كان فيه نجاتك وإن هو غدر بك كان فيه عطبك كنت به في عدته راضيا؟ قلت: لا، قال: فمن لم تعرفه بالخلف ما يكون عندك؟ قلت: وفيا غير متهم. قال: وكذا عقد معرفتك بالله عقد وفاء لا عقد تهمة فليس في خلف عقد الوفاء التهم، فمن ضعف المعرفة ضعف التصديق وضعف حسن الظن، ووقعت التهم الموجبة للنظر إلى النفوس المعتركة لها لثبوت أسباب الحيلة في طلب ما وقع الوعد من ربها. قلت: رحمك الله حسن الظن أصل فما فروعه؟ قال: السكوت والثقة والطمأنينة والرضا. قال قلت: رحمك الله خبرني عن هذه الأشياء التي ذكرتها تجر إلى معنى واحد أم لها معان مختلفة لكل واحد منها مقام ومعنى بخلاف أخيه، فقال: أبيت إلا كيسا في المسألة، إن السكون يا فتى، إنما هو من يقين المعرفة لا من يقين الإيمان، فقد مسته شعبة من يقين الإيمان. قلت: رحمك الله، جرحت عقلي فداوني بمثل منك واشفني برفقك واتئد على جزعي بلسانك. فقال: يا فتى، أخبرني عن الماء السائل في خدوره إذا لطته السيول إلى مغيضه أيكون ساكنا في مسيله أو متحركا جاريا؟ فقال: وهكذا المعرفة في سيلها إلى القلب تكون في تحصيل القلب متحركة غير ساكنة، فإذا وافت مغيضها من القلب سكنت كسكون الماء في مغيضه، يا فتى، خبرني عن الماء في وقت ما وصل إلى مغيضه هل أنظرك ضوء منه إلى ما في قعره؟ قلت: لا، قال: ولم؟ قلت: لأن السيل من بقاع مختلفة فحمل من طينها في صفا نفسه فخفي الصفا لما شابه من الطين في جريه فلما أن وصل إلى المغيض كان الطين ممازجه، فمن صفا نوره في نفسه أن يريك ما في قعره. قال: وهكذا إذا صفا انظر ما في قرار الماء وهو سيما في ألفاظ العرب أيقن يعني صفاء، فرأى وسكن عند استغلاله لنفسه من الذي قد كان مازجه وتراخى ممازجه – أعني الطين – حتى سد حجرة كانت في أرض المغيض، وهكذا يا فتى، المعرفة إذا سكنت في القلب وتمكنت بالتصديق والثقة منه تراخت منها علوم مؤكدة فسدت خروق القلب التي كانت الآفات والوسواس فنقل المعرفة منها. قال، خبرني يا فتى عن الماء الأول -[٣٠٣]- كان يصلح في وقت سيله إلى مغيضه أن يشرب منه؟ قلت: لا، قال: وكذا المعرفة إذا لم تكن متيقنة صافية لم تصلح لشرب العقول منها، يا فتى خبرني هل علمت مثلي؟ قلت: لا، قال: رأيت العلماء مزجوا علمهم بحب الدنيا فلم يصلح علمهم لعطش العقلاء. يا فتى خبرني عن الماء من الذي صفاه وروقه وأقله حتى استقل في نفسه عن الذي كان مازجه؟ قلت: هو استقل بنفسه عن الذي قد كان مازجه. قال: وهكذا العالم الدليل إذا علم ودل لم يدله على مولاه غيره بل علمه فإذا ترك دلالة نفسه لم تصلح دلالته لغيره والله أعلم " أسند محمد بن المبارك عن الأعلام والأثبات." (١)

"حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا يحيى بن خلف التستري، ثنا عباس بن محمد بن حاتم، ثنا خالد بن تميم، قال: سئل علي بن بكار عن حديث النبي، صلى الله عليه وسلم قال: « لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله»** قال: أن لا يجعلك الله والفجار في دار واحدة." (٢)

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٩/٢٩٩

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٩/٣١٨

"حدثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول: كم من مطيع مستأنس، وكم عاص مستوحش، وكم محب ذليل، وكل راج طالب قال: وسمعته يقول: اعلموا أن العاقل يعترف بذنبه، ويحس بذنب غيره، ويجود بما لديه ويزهد فيما عند غيره ويكف عن أذاه ويحتمل الأذى عن غيره والكريم يعطي قبل السؤال، فكيف يبخل بعد السؤال؟ ويعذر قبل الاعتذار، فكيف يحقد بعد الاعتذار؟ ويعف قبل الامتناع فكيف يطمع في الازدياد، قال: وسمعته يقول: ثلاثة من أعلام المحبة: الرضا في المكروه، وحسن الظن في المجهول، والتحسين في الاختيار في المحذور، وثلاثة من أعلام الصواب: الأنس به في جميع الأحوال، والسكون إليه في جميع الأعمال، وحب الموت بغلبة الشوق في جميع الأشغال، وثلاثة من أعمال اليقين: النظر إلى الله تعالى -[٣٤٢]- في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال، وثلاثة من أعمال الثقة بالله: السخاء بالموجود، وترك الطلب للمفقود، والاستنابة إلى فضل الموجود، وثلاثة من أعمال الشكر: المقاربة من الإخوان في النعمة، واستغنام قضاء الحوائج قبل العطية، واستقلال الشكر لملاحظة المنة ، وثلاثة من أعلام الرضا: ترك الاختيار قبل القضا، وفقدان المرارة بعد القضا، وهيجان الحب في حشو البلا، وثلاثة من أعمال الأنس بالله: استلذاذ الخلوة، والاستيحاش من الصحبة، واستحلاء الوحدة، وثلاثة من أعلام حسن الظن بالله: قوة القلب، وفسحة الرجا في الذلة، ونفي الإياس بحسن الإنابة، وثلاثة من أعلام الشوق: حب الموت مع الراحة وبغض الحياة مع الدعة، ودوام الحزن مع الكفاية "." (١)

"وقال قتادة: الظن ظنان: ظن مرد، وظن منج، فأما الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم، ومن قال: ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ [الحاقة: ٢٠] فهذا الظن المنجي – ظن ظنا يقينا – قال: وقال هاهنا: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾ فهذا ظن مرد.

وقوله عن قول الكافرين: ﴿إن نظن إلا ظنا﴾ [الجاثية: ٣٢] مثله.

قال قتادة: وذكر لنا أن نبي الله عليه وسلم كان يقول ويروي عن ربه D: " عبدي أنا عند ظنه بي وأنا معه إذا دعاني ".

فمعنى الآية: وهذا الظن الذي ظننتم بربكم أنه لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذي أهلككم لأنكم من أجل هذا الظن الخبيث تجرأتم على محارم الله سبحانه، وركبتم ما نهاكم عنه فأهلككم ذلك وأصبحتم في القيامة من الذين خسروا أنفسهم فهلكوا.

وقد روى جابر بن عبد الله أن النبي A قال: " من استطاع منكم ألا يموت إلا وهو يحسن الظن بالله فليفعل. ثم تلا " ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم " الآية.." (٢)

"شاهدا على نقصه، وأوضحها دليلا على عجزه. وأنشدني بعض أهل الأدب لابن الرومي – رحمه الله –:

أعيرتني بالنقص والنقص شامل ... ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل

وأشهد أني ناقص غير أنني ... إذا قيس بي قوم كثير تقللوا

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٣٤١/٩

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٥١٠/١٠

تفاضل هذا الخلق بالفضل والحجا ... ففي أيما هذين أنت مفضل

ولو منح الله الكمال ابن آدم ... لخلده والله ما شاء يفعل

ولما خلق الله الإنسان ماس الحاجة ظاهر العجز جعل لنيل حاجته أسبابا، ولدفع عجزه حيلا دله عليها بالعقل، وأرشده إليها بالفطنة.

قال الله تعالى: ﴿والذي قدر فهدى﴾ [الأعلى: ٣] . قال مجاهد: قدر أحوال خلقه فهدى إلى سبيل الخير والشر وقال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾ [البلد: ١٠] . يعني الطريقين: طريق الخير وطريق الشر. ثم لما كان العقل دالا على أسباب ما تدعو إليه الحاجة، جعل الله تعالى الإدراك والظفر موقوفا على ما قسم وقدر كي لا يعتمدوا في الأرزاق على عقولهم، وفي العجز على فطنهم، لتدوم له الرغبة والرهبة، ويظهر منه الغنى والقدرة. وربما عزب هذا المعنى على من ساء ظنه بخالقه حتى صار سببا لضلاله.

كما قال الشاعر:

سبحان من أنزل الأيام منزلها ... وصير الناس مرفوضا ومرموقا

فعاقل فطن أعيت مذاهبه ... وجاهل خرق تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الألباب حائرة ... وصير العاقل النحرير زنديقا

ولو حسن ظن العاقل في صحة نظره لعلم من علل المصالح ما صار به صديقا لا زنديقا؛ لأن من علل المصالح ما هو ظاهر، ومنها ما هو غامض، ومنها ما هو مغيب حكمة استأثر بها.

ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ «**حسن الظن بالله** من عبادة الله» . ثم إن الله تعالى جعل أسباب حاجاته وحيل عجزه في الدنيا التي جعلها دار تكليف وعمل، كما جعل." (١)

"وليس الغنى إلا غنى زين الفتى ... عشية يقري أو غداة ينيل

وقد اختلف الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم أن ما أحوج من الفقر مكروه، وما أبطر من الغنى مذموم، فذهب قوم إلى تفضيل الغنى على الفقر؛ لأن الغني مقتدر والفقير عاجز، والقدرة أفضل من العجز. وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة.

وذهب آخرون إلى تفضيل الفقر على الغنى؛ لأن الفقير تارك والغني ملابس، وترك الدنيا أفضل من ملابستها. وهذا مذهب من غلب عليه حب السلامة. وذهب آخرون إلى تفضيل التوسط بين الأمرين بأن يخرج عن حد الفقر إلى أدنى مراتب الغنى؛ ليصل إلى فضيلة الأمرين، ويسلم من مذمة الحالين، وهذا مذهب من يرى تفضيل الاعتدال، وأن خيار الأمور أوساطها. وقد مضى شواهد كل فريق في موضعه بما أغنى عن إعادته.

والسبب الثالث: أن يطلب الزيادة ويقتني الأموال؛ ليدخرها لولده، ويخلفها على ورثته، مع شدة ضنه على نفسه، وكفه عن صرف ذلك في حقه، إشفاقا عليهم من كدح الطلب، وسوء المنقلب، وهذا شقي بجمعها، مأخوذ بوزرها، قد استحق اللوم

---

(١) أدب الدنيا والدين   الماوردي ص/١٣٠

من وجوه لا تخفى على ذي لب.

منها: سوء ظنه بخالقه أنه لا يرزقهم إلا من جهته. وقد قيل: قتل القنوط صاحبه، وفي **حسن الظن بالله** راحة القلوب. وقال عبد الحميد: كيف تبقى على حالتك والدهر في إحالتك.

ومنها: الثقة ببقاء ذلك على ولده مع نوائب الزمان ومصائبه. وقد قيل: الدهر حسود لا يأتي على شيء إلا غيره. وقيل في منثور الحكم: المال ملول. وقال بعض الحكماء: الدنيا إن بقيت لك لا تبقى لها.

ومنها: ما حرم من منافع ماله، وسلب من وفور حاله. وقد قيل: إنما مالك لك أو للوارث أو للجائحة فلا تكن أشقى الثلاثة. وقال عبد الحميد." (١)

" لا يموتن أحد إلا وهو **يحسن الظن بالله**." (٢)

"٩٣٨ - أخبرنا محمد بن أبي سعيد بن سختويه، بمكة، أبنا زاهر بن أحمد، أبنا محمد بن معاذ، ثنا الحسين بن الحسن، ثنا ابن المبارك، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: «ألا لا يموتن أحد إلا وهو **يحسن الظن بالله**»." (٣)

"٧٤٧ - حدثنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث يقول: «لا يموتن أحد منكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل»." (٤)

" الباب الأربعون -[١٧٥]- في المؤمن يجتهد في استعمال ما ذكرناه في هذا الكتاب ثم فيما ذكرناه في الأربعين التي خرجناها في شعار أهل الحديث، ويستعين بالله في جميع ذلك، فإذا حان حينه الذي لم ينج منه نبي مرسل، ولا ينجو منه ملك مقرب، **أحسن الظن بالله** عز وجل، ورجا رحمته، وجعل عليها اعتماده كما أمر به المصطفى عليه الصلاة والسلام." (٥)

"١٢٣ - وذلك فيما أخبرنا أبو محمد جناح بن نذير بن جناح القاضي، بالكوفة ثنا أبو جعفر بن دحيم، ثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة، ثنا يعلى بن عبيد، ثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **حسن الظن بالله** عز وجل» أخرجه مسلم عن أبي كريب، عن أبي معاوية، عن الأعمش." (٦)

---

(١) أدب الدنيا والدين الماوردي ص/٢٢١

(٢) مسند الشهاب القضاعي القضاعي ٢/٨٦

(٣) مسند الشهاب القضاعي القضاعي ٢/٨٦

(٤) الآداب للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/٣٠٢

(٥) الأربعون الصغرى للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/١٧٣

(٦) الأربعون الصغرى للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/١٧٥

"٧٠٦ – أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ قال: أنبأنا عبد الله بن محمد بن بشر بن صالح الدينوري، ثنا سعيد بن عمرو بن أبي سلمة، ثنا أبي، عن عمر بن يحيى بن الحارث الذماري، عن أبيه، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن عمرو بن عبسة السلمي قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: من بايعك على هذا الأمر؟ قال: «حر وعبد» قال: فأي الأعمال أفضل؟ قال: «الصبر والسماحة وحسن الخلق» ، قلت: فأي الإسلام أفضل؟ قال: «الفقه في دين الله والعمل في طاعة الله **وحسن الظن بالله»** قلت: فأي المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه -[٢٧٥]- ويده» ، قلت: فأي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: «إطعام الطعام، وإفشاء السلام، وطيب الكلام» ، قلت: فأي الصلاة أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها، وطول القنوت وحسن الركوع والسجود» قلت: فأي الهجرة أفضل؟ قال: «أن تهجر ما كره الله» قلت: فأي ساعات الليل أفضل؟ قال: «جوف الليل الآخر فإن الله يفتح فيه أبواب السماء، ويطلع فيه إلى خلقه ويستجيب فيه الدعاء» قال الشيخ: ويشبه أن يكون سؤاله إياه عن الأعمال بعدما لحق بقومه، ثم عاد بعد ظهور الإسلام ونزول شرائعه وبالله التوفيق." (١)

"٦٥٦٦ – أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن بشران، أنبأ إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا يعلى بن عبيد، ثنا الأعمش، ح وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو الوليد الفقيه، ثنا إبراهيم بن علي، ثنا يحيى بن يحيى، أنبأ يحيى بن زكريا، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث، يقول: " لا يموتن أحد منكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل ". لفظ حديثهما سواء. رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن يحيى." (٢)

"٦٥٦٧ – أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار إملاء ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، ثنا عارم، ثنا مهدي بن ميمون، ثنا واصل مولى ابن عيينة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: " لا يموتن أحدكم إلا وهو **حسن الظن بالله** عز وجل ". رواه مسلم في الصحيح عن سليمان بن معبد عن عارم." (٣)

"١٥٦-[١٦٤] أخبرنا أبو الحسن عبيد الله بن الحسن بن أحمد الوراق قال أبنا أبو الحسن أحمد بن سليمان بن أيوب بن حذلم قال: ثنا بكار بن قتيبة أبو بكرة البكراوي قال: ثنا حسين بن حفص الأصبهاني قال: ثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث يقول: لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل.

هذا حديث صحيح من حديث أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش مولى امرأة من بني كاهل الكوفي عن أبي سفيان طلحة بن نافع المديني عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري المديني عن النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الزهد الكبير للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/٢٧٤

(٢) السنن الكبرى للبيهقي البيهقي، أبو بكر ٣/٥٢٩

(٣) السنن الكبرى للبيهقي البيهقي، أبو بكر ٣/٥٢٩

أخرجه مسلم بن الحجاج عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة وعن أبي كريب عن أبي معاوية وعن إسحاق بن راهويه عن عيسى وأبي معاوية كلهم عن الأعمش بهذا.

ولم يخرج البخاري لأبي سفيان عن جابر شيئا إلا مقرونا بأبي صالح لأن وكيعا قال عن شعبة: أبو سفيان عن جابر إنما هو كتاب يعني صحيفة عن جابر فلذلك لم يخرجه البخاري والله أعلم.." (١)

"قال: وأتى خالد بن صفوان رجل يسأله، فأعطاه درهما، فقال له: سبحان الله! يا صفوان! أسألك فتعطيني درهما؟ فقال له خالد: يا أحمق! أما تعلم أن الدرهم عشر العشرة، والعشرة عشر المئة، والمئة عشر الألف، والأف عشر عشرة الآلاف، ألا ترى كيف ارتفع الدرهم إلى دية المسلم؟ ! والله! ما تطيب نفسي بدرهم أنفقه إلا درهما قرعت به باب الجنة، أو درهما أشتري به موزا فآكله "

٣٠٣ - قال عمر: وحدثني عبد الرحمن بن حبيب الحارثي، قال: أنبأنا محمد بن سلام الجمحي، قال: قال يزيد بن عمير لبنيه: " يا بني، اعلموا أنه يكون عند أحدكم مئة ألف أعظم له من صدور بني تميم، وأعظم شرفا من أن يقسمها فيهم، ولأن يقال لأحدكم: شحيح، وهو غني، خير من أن يقال: سخي، وهو قد افتقر، ولأن يقال لأحدكم: جبان، وهو حي، خير من أن يقال: شجاع، وقد قتل، وتعلموا الرد، فوالله لهو أشد من الإعطاء "

٣٠٤ - أخبرنا أبو الحسن علي بن القاسم بن الحسن الشاهد بالبصرة، قال أنبأنا أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، قال: أنبأنا أبو العيناء محمد بن القاسم، قال: قال الفضل بن سهل: " رأيت جملة البخل سوء الظن بالله عز وجل، وجمل السخاء **حسن الظن بالله** عز وجل، قال الله تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ [البقرة: ٢٦٨] .

وقال تعالى: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ [سبأ: ٣٩] "

٣٠٥ - أنشدنا أبو القاسم علي بن الحسن العلوي الموصلي." (٢)

"وهذا القول اختيار يمان (١) بن رئاب (٢) (٣) والمفضل (٤)، قالا: يقال للرجل إذا استسلم للهلاك ويئس من النجاة: ألقى بيديه (٥).

وقال الفضيل: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ بإساءة الظن بالله (٦)، فعلى هذا القول التهلكة: هو ترك التوبة، والقنوط من رحمة الله، أو إساءة الظن بالله عز وجل في الإخلاف عند الإنفاق (٧).

قال أبو علي الفارسي: الباء في قوله: (بأيديكم) زيادة، المعنى: (ولا تلقوا أيديكم) يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ [النحل: ١٥] ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ [الحجر: ١٩] و ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ [آل عمران: ١٥١]، وزيادتها ههنا كزيادتها في قوله: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ [العلق: ١٤] (٨).

---

(١) ذكره عنه الثعلبي ٢/ ٤٣٧.

---

(١) فوائد الحنائي = الحنائيات أبو القاسم الحنائي ٨٣٢/٢

(٢) البخلاء للخطيب البغدادي الخطيب البغدادي ص/٢١٨

(٢) في (ش): (ريمان بن زيات). وفي (م): (رباب).

(٣) هو: اليمان بن رباب أو ابن رئاب البصري من رؤساء الخوارج، تقدمت ترجمته.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في "تفسيره" ٢/ ٤٣٧. وهذا القول مروي أيضا عن محمد بن سيرين وعبيدة السلماني وأبي قلابة البصري. ينظر: "تفسير الطبري" ٢/ ٢٠٣، "تفسير ابن أبي حاتم" ١/ ٣٣٢، "تفسير عبد الرزاق" ١/ ٣٣٢، "تفسير الثعلبي" ٢/ ٤٣٦ - ٤٣٧.

(٥) في (م): (بيده).

(٦) رواه سفيان الثوري في "تفسيره" ٥٩، ورواه ابن أبي الدنيا في "**حسن الظن بالله**" ص ١١٧، وذكره الثعلبي ٢/ ٤٤٣، وروى الطبري ٢/ ٢٠٥ عن عكرمة نحوه.

(٧) وروى الطبري ٢/ ٢٠٥، وابن أبي حاتم ١/ ٢٣٢ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: التهلكة: عذاب الله، وهذا قول رابع في معنى الآية.

(٨) ينظر: "تفسير الطبري" ٢/ ٢٠٥، "تفسير البغوي" ١/ ٢١٥، وقال: وقيل: الباء في موضعها، وفيه حذف، أي: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، واختار أبو=." (١)

"أمرهم به كان.

قوله: ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾ أي: لو نهانا عن الشرك ولم يأمرنا به ﴿ما أشركنا﴾، فأضافوا شركهم إلى أمره، كما أضافوا التحريم، وقد صرح الله تعالى بهذا الذي ذكرنا في الإخبار عنهم في قوله: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ [الأعراف: ٢٨]، فالمرجع على ما رتبنا وبينا في تأويل قوله: ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾ وجميع ما يتصل به إلى أنهم ادعوا على الله أنه أمرهم به، فكذبهم الله في ادعائهم أمره بذلك، لا أنه كذبهم في إضافتهم مشيئة ما هم فيه إليه، ومما جاء في القرآن، من مثل هذا قوله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ إلى قوله: ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾ [الأعراف: ١٦٩]، فهذا تبكيت لهم على قولهم (سيغفر لنا) (١)؛ لأن الكذب لا يقع إلا فيه مما ذكر في (٢) هذه الآية، ومعنى قولهم ﴿سيغفر لنا﴾ أنهم ادعوا أن الله وعدهم أن يغفر لهم، فكذبهم الله تعالى في ادعائهم الوعد، ولا يحسن حمله إلا على هذا الوجه؛ لأنه لا يحسن أن ينكر عليهم **حسن الظن بالله** في الغفران وحسن الظن غير مذموم) (٣).

وقال أبو بكر بن الأنباري: (إنما عابهم الله تعالى برد المشيئة إليه حن استهزءوا واحتجوا على المؤمنين، وضعفوا أمر الرسل برد المشيئة إلى الله فقالوا للمؤمنين: ما نحتاج إلى اتباع الرسل؛ لأن الذي نحن عليه بمشيئة

---

(١) في (ش): (لهم بدلا من (لنا).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣/٦٣٦

(٢) لفظ: (في) ساقط من (ش).

(٣) لم أقف عليه عن أبي علي الجرجاني.." (١)

"ومن أذنب ذنبا في الدنيا فستر الله عليه، وعفا عنه، فالله تعالى أكرم أن يعود في شيء قد عفا عنه".

قال الشيخ الإمام أبو بكر الخطيب: "هذا حديث غريب من حديث أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [رضي الله عنه] (١) ، ومن رواية أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي عن أبي جحيفة، لا أعلم/ (أ [٣٨/أ]) رواه سوى يونس بن أبي إسحاق عن أبيه (٢) ".

---

(١) زيادة من: (ج) .

(٢) تابع يونس في الرواية عن أبيه جماعة منهم:

١- أبو حمزة الثمالي، أشار لروايته الدارقطني في: (العلل ١٢٨/٣) ، وهو ضعيف (انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ٣٥٧/٤) .

٢- الخليل بن مرة أخرج روايته الدارقطني في: الأفراد (ترتيب ابن القيسراني [٥١/ب]) ، وقال: "غريب من حديث الخليل بن مرة عن أبي إسحاق، تفرد به القاسم بن عيسى أبو العباس الضرير عنه".

والخليل ضعيف (انظر ترجمته في: التقريب ص/١٩٦ ت/١٧٥٧) .

٣، ٤، ٥- مسعر بن كدام، والثوري، وخطاب بن كيسان، أشار لرواياتهم الدارقطني أيضا في: الأفراد (ترتيب ابن القيسراني [٥١/ب]) ، وقال: "وتفرد به عنهم محمد بن القاسم الأسدي"، وهو: أبو القاسم الكوفي، قال الحافظ في: (التقريب ص/٥٠٢ ت/٦٢٢٩) : "كذبوه".

٦،٧- الحكم بن عبد الله النصري، وحفص بن سليمان، أشار لروايتهما الدارقطني في: علله (١٢٨/٣) ، وقال: "واختلف عن حفص بن سليمان، وأبي حمزة، فقيل: عن حفص عن أبي إسحاق عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه عن علي، وهذا القول وهم من قائله، والصحيح عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة" اهـ.

وحفص بن سليمان هو: أبو عمر المقريء، متروك الحديث (انظر: التقريب ص/١٧٢ ت/١٤٠٥) ، والحكم ذكره ابن حبان في: (الثقات ١٨٦/٦) ، وقال الذهبي في: (المغني ١٨٤/١ ت/١٦٥٩) : "مجهول".

والحديث من طريق حجاج عن يونس عن أبيه رواه أيضا: الترمذي في: (الجامع ١٧/٥- ١٨ ورقمه/٢٦٢٦) ، وابن ماجه في: (السنن ٨٦٨/٢ ورقمه/٢٦٠٤) ، وأحمد في: (المسند ٩٩/١، ١٥٩) ، وابن أبي الدنيا في: (حسن الظن بالله ص/٤٠ ورقمه/٥٢، والتوبة ص/١١١- ١١٢ ورقمه/١٣٦) ، والبزار في: (المسند ١٢٥/٢ ورقمه/٤٨٢) ، والطبراني في: (الصغير ص/٥٥ ورقمه/٤٦) ، والدراقطني في: (السنن ٢١٥/٣) ، والحاكم في: (المستدرك ٤٤٥/٢، ٢٦٢/٤، ٣٨٨) ، والبيهقي في: (السنن الكبرى ٣٢٨/٨) ، والقضاعي في: (الشهاب ٣٠٣/١ ورقمه/٥٠٣) ، والضياء في: (المختارة ٣٨٤/٢-

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥١٤/٨

٣٨٥ الأحاديث ذوات الأرقام/٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠) وغيرهم، كلهم من طرق عنه به

قال الترمذي: "وهذا حديث حسن غريب".

وقال البزار: "وهذا الحديث لا نعلم رواه عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن أبي جحيفة عن علي إلا الحجاج"، وبنحوه قال الطبراني.

هذا، وقد روي الحديث من طريق عبد الملك بن أبي سليمان عن أبي حمزة الثمالي به موقوفا على علي رواه: عبد بن حميد في: مسنده (المنتخب ص/٥٨ رقم/٨٧) ، والبزار في: مسنده (٢/١٢٦- ١٢٧ ورقمه/٤٠٨٣) وأشار إليه الدارقطني في: علله (٣/١٢٩) عن الحسن بن خلف عن إسماعيل بن يوسف عنه به

وهذا بالإضافة إلى أبي حمزة فيه: الحسن بن خلف، يتكلمون فيه (انظر: الكامل ٢/٣٣٤) ، وقال الحافظ في: (التقريب ص/١٦٠ ت/١٢٣٧) : "صدوق له أوهام".

وعبد الملك بن أبي سليمان صدوق له أوهام أيضا (كما في: التقريب ص/٣٦٣ ت/٤١٨٤) .

وللحديث شواهد عن عدد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم منها: حديث عبادة بن الصامت، رواه البخاري في اثني عشر موضعا من صحيحه، منها في: (كتاب: الإيمان، باب كذا دون ترجمة) ١/١٩ رقم الحديث/١٧.

ومسلم في: (كتاب: الحدود، باب: الحدود كفارات لأهلها) ٣/١٣٣٣ ورقمه/١٧٠٩.." (١)

"﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله: ﴿رب العرش العظيم﴾ [التوبة: ١٢٩] وقوله: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا﴾ [غافر: ٧].

﴿يغشي الليل﴾ يكسو (١) ظلمة الليل نور النهار ويسترها به، والنور هو المشبه باللباس لأنه عارض طارئ والظلمة هي (٢) الأصل ﴿يطلبه حثيثا﴾ صفة النهار على سبيل التشبيه أيضا كأنه طالب الليل مسرعا في أثره والطلب لا محالة قبل التغشية فهو الإصباح وهو طلوع الشمس، و (التسخير) تصريف الشيء لا (٣) على اختياره ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ الفعل والقول ليس للخلق بأمر (٤) ولا الأمر بخلق.

﴿بعد إصلاحها﴾ الهاء عائدة إلى الأرض، وإصلاحها وضع الميزان فيها وإنزال الكتاب إلى أهلها، و (الخوف) من قضية الهيبة و (الطمع) من قضية **حسن الظن بالله**، فالله تعالى عزيز لا يوازيه عزيز، كريم لا يضاهيه كريم ليس يعرفه من لا يهابه خائفا ولا يحسن الظن به راجيا، كما لا يعرف السرور من لا يرضاه ولا يعرف الحزن من لا يكرهه، وإنما قال ﴿قريب﴾ لاعتبار المعنى وهو الفعل.

﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا﴾ منتشرة في الآفاق فإن كانت فاعلة فإنها تنشر السحاب بإذن الله وبشارتها أداؤها حروف الكلم إلى الاستماع بإذن الله، ويحتمل أنها إيهام ما جرت به العادة في العلم من الحوادث السارة والضارة تتبع الرياح المختلفة ﴿أقلت﴾ استقلت وحملت، و (السحاب) اسم جنس واحدتها سحابة، و (الثقال) جمع الثقيل كالغلاظ جمع الغليظ، وإنما وصف السحاب الثقال على اعتبار الجمع وهو لغة

---

(١) المهروانيات المهرواني ٢/٨٥٩

(١) في الأصل (يكسر).

(٢) في "ب" "ي": (هو).

(٣) في "أ": (تصريف الشمس على).

(٤) في "ب": (الخلق بالأمر).." (١)

"﴿فهو في عيشة راضية (٢١) في جنة عالية (٢٢) قطوفها دانية (٢٣) كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية (٢٤) وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه (٢٥) ولم أدر ما حسابيه (٢٦) يا ليتها كانت القاضية (٢٧) ما أغنى عني ماليه (٢٨) هلك عني سلطانيه (٢٩) ﴾ . المؤمن أحسن الظن بالله فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن بالله فأساء العمل.." (٢)

"القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا في حق العالم لأنه مضطر إليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فإنما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (١) ومن كان بصيرا بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاثة يتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها

أما القسم الأول فليست الرياضة فيها لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه

وأما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر مستقره الآخرة وأن الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن قلبه ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لا يغضب إذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا تنتهي إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي إلى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ٧٦٢/٢

(٢) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٤٠/٦

فإن قلت الضروري من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فإن الإنسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها إذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضا **بحسن الظن بالله** وهو أن يرى أن الكل من الله تعالى وإن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام لأنه يرى أن الخيرة فيه فيقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف تغلب في أحوال مختلفة ولا تدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه // حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجنتاه أخرجه مسلم من حديث جابر كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه وللحاكم كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة

حتى قال اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته

---

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محصن دون قوله بحذافيرها قال الترمذي حسن." (١)

"أكثر منها فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين أحدهما الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة حق الصبي فإنه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والأدب فكان يخسر جميع عمره فكذلك المالى والأهل والأقارب والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأشياء قد تكون سببا لهلاك الإنسان في بعض الأحوال بل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون سببا لهلاكه فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين أو صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى فما من شيء من هذه الأسباب يوجد من العبد إلا ويتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فعليه أن **يحسن الظن بالله** تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فإن حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا إذا رأوا ثواب الله على البلايا كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ أستاذه وأباه على ضربه وتأديبه إذيدرك ثمرة ما استفاده من التأديب والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أتم وأوفر من عناية الآباء بالأولاد فقد روي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك (١) ونظر صلى الله عليه وسلم إلى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن إن قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وإن قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له (٢) الوجه الثاني أن رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا ورأس أسباب النجاة التجافي

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣/١٧٠

بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وأنسه بها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته وإذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأنس بها وصارت سجنا عليه وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (٣) والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضي بها واطمأن إليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين إلى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب إلا الواحد الحق فإذن في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به وأما التألم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة إلى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانا أو يسقيك دواء نافعا بشعا مجانا فإنك تتألم وتفرح فتصبر على الألم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الأمور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للنضارة وعلم أنه يخرج منها لا محالة فرأى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالا وبلاء عليه لأنه يورثه الأنس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من أن يطلع عليه الملك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل ما يحقق أنسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلايا ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لأن الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة

---

(١) حديث قال له رجل أوصني قال لا تتهم الله فى شىء قضاه عليك رواه أحمد والطبرانى من حديث عبادة بزيادة فى أوله وفى إسناده ابن لهيعة

(٢) حديث نظر إلى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله للمؤمن الحديث أخرجه مسلم من حديث صهيب دون نظره إلى السماء وضحكه عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وللنسائى فى اليوم والليلة من حديث سعد بن أبي وقاص عجبت من رضا الله للمؤمن إن أصابه خير حمد ربه وشكر الحديث

(٣) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم." (١)

"لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله تعالى (١) وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء (٢)

ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما يخاف (٣) وقال علي رضي الله عنه لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٣٠/٤

وقال سفيان من أذنب ذنبا فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجاء غفرانه غفر الله له ذنبه قال لأن الله عز وجل عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإن لقنه الله حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرته لك (٤) وفي الخبر الصحيح أن رجلا كان يداين الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فلقي الله ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك منا (٥) فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات وقال تعالى إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدروكم وتجأرون إلى ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال إن ربك يقول لك لم تقنط عبادي فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم (٦)

وفي الخبر إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى خلقي فقال يا رب كيف أحببك إلى خلقك اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي وإحساني وذكرهم ذلك فإنهم لا يعرفون مني إلا الجميل (٧) ورئى أبان بن أبي عياش في النوم وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء فقال أوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك فقلت أردت أن أحببك إلى خلقك فقال قد غفرت لك

ورئى يحيى بن أكثم بعد موته في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني الله بين يديه وقال يا شيخ السوء فعلت وفعلت وقال فأخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنك قلت أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت أظن بك أن لا تعذبني فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فألبست ومشى بين

---

(١) حديث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله أخرجه مسلم من حديث جابر

(٢) حديث أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء أخرجه ابن حيان من حديث وائلة بن الأسقع وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة دون قوله فليظن بي ما شاء

(٣) حديث دخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك الحديث رواه الترمذي وقال غريب والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أنس وقال النووي إسناده جيد

(٤) حديث إن الله يقول للعبد يوم القيامة ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره الحديث أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد وقد تقدم في الأمر بالمعروف

(٥) حديث أن رجلا كان يداين الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي مسعود حوسب رجل ممن كان قبلكم فلو يوجد له من الخير شي إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال الله عز وجل نحن أحق بذلك تجاوزوا عنه واتفقا عليه من حديث حذيفة وأبي هريرة بنحوه

(٦) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الحديث ﴿وفيه﴾ فهبط جبريل الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة فأوله متفق عليه من حديث أنس ورواه بزيادة ولخرجتم إلى الصعدات أخرجه أحمد والحاكم وقد تقدم

(٧) حديث أن الله تعالى أوحى إلى عبده داود عليه السلام أحبني وأحب من يحبني الحديث لم أجد له أصلا وكأنه من الإسرائيليات كالذي قبله." (١)

"يدي الولدان إلى الجنة فقلت يا لها من فرحة

وفي الخبر أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم قال فيقل له الله تعالى يوم القيامة اليوم أويسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها (١) وقال صلى الله عليه وسلم إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فائتني بعبدي قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان قال فيقول ردوه إلى مكانه قال فيمشي ويلتفت إلى ورائه فيقول الله عز وجل إلى أي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت أن لا تعيدني إليها بعد إذ أخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به إلى الجنة (٢) فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب

اعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال فأما العاصي المغرور المتمني على الله مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فأدوية الرجاء تنقلب سموما مهلكة في حقه وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهم سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والأسباب المهيجة له فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا إلى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فإن المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها فإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بما يرده إلى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء بل المبالغة في التخويف أيضا تكاد أن لا تردهم إلى جادة الحق وسنن الصواب فأما ذكر أسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ إلا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كانوا مالوا إلى الرجاء حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا

قال علي كرم الله وجهه إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله

ونحن نذكر اساب الرجاء لتستعمل في حق الآيس أو فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٤٥/٤

الله عليه وسلم فإنهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الأخرق الذي يظن أن كل شيي من الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان

وحال الرجاء يغلب بشيئين أحدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات والأخبار والآثار

أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم من كتاب الشكر حتى إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام

---

(١) حديث أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم الحديث رواه البيهقي في الشعب عن زيد بن أسلم فذكره مقطوعا

(٢) حديث إن رجلا يدخل النار فينكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب **حسن الظن بالله** والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث أنس." (١)

"وفي لفظ آخر يأتي كل رجل من هذه الأمة بيهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فيلقى فيها (١) وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار (٢) وروي في تفسير قوله تعالى ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾ أن الله تعالى أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم إني أجعل حساب أمتك إليك قال لا يارب أنت أرحم بهم مني فقال إذن لا نخزيك فيهم (٣)

وروي عن أنس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يا رب اجعل حسابهم إلي لئلا يطلع على مساويهم غيري فأوحى الله تعالى إليه هم أمتك وهم عبادي وأنا أرحم بهم منك ولا أجعل حسابهم إلى غيري لئلا تنظر إلى مساويهم أنت ولا غيرك (٤)

وقال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خيرك لكم أما حياتي فأسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع وأما موتي فإن أعمالكم تعرض علي فما رأيت منها حسنا حمدت الله عليه وما رأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم (٥) وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل عليه السلام أتدري ما تفسير يا كريم العفو هو إن عفا عن السيئات برحمته بدلها حسنات بكرمه (٦)

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة (٧)

قال العلماء قد أتم الله علينا نعمته برضاه الإسلام لنا إذ قال تعالى ﴿وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ وفي الخبر إذا أذنب العبد ذنبا فاستغفر الله يقول الله عز وجل لملائكته انظروا إلى عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له (٨) وفي الخبر لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٤٦/٤

ما استغفرني ورجاني (٩) وفي الخبر لو لقيني عبد بقراب الأرض ذنوبا لقيته بقراب الأرض مغفرة (١٠) وفي الحديث أن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبها سيئة (١١) وفي لفظ آخر فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب

---

(١) حديث يأتي كل رجل من هذه الأمة بيهودي أو نصراني إلى جهنم الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار وفي رواية له لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا

(٢) حديث الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار أخرجه أحمد من رواية أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه

(٣) حديث إن الله أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم إني أجعل حساب أمتك إليك فقال لا يارب أنت خير لهم مني الحديث في تفسير قوله تعالى ﴿يوم لا يخزي الله النبي﴾ أخرجه ابن ابي الدنيا في كتاب **حسن الظن بالله**

(٤) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يا رب اجعل حسابهم إلى الحديث لم أقف له على أصل

(٥) حديث حياتي خير لكم وموتي خير لكم الحديث أخرجه البزار من حديث عبد الله بن مسعود ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي داود وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعفه كثيرون ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف

(٦) حديث قال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل أتدري ما تفسير يا كريم العفو الحديث لم أجده عن النبي صلى الله عليه وسلم والموجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وبين جبريل هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة من قول عتبة بن الوليد ورواه البيهقي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال حدثني بعض الزهاد فذكره

(٧) حديث سمع رجلا يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة الحديث تقدم

(٨) حديث إذا أذنب العبد فاستغفر يقول الله تعالى لملائكته انظروا إلى عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ إن عبدا أصاب ذنبا فقال أي رب أذنبت ذنبا فاغفر لي الحديث وفي رواية أذنب عبد ذنبا فقال الحديث

(٩) حديث لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء الحديث أخرجه الترمذي من حديث أنس يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك وقال حسن

(١٠) حديث لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة أخرجه مسلم من حديث أبي ذر ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة وللترمذي من حديث أنس الذي قبله يا ابن آدم لو لقيتني الحديث

(١١) حديث إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه الحديث قال وفي

لفظ آخر فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة من تضيف العشر الحديث أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند فيه لين باللفظ الأول ورواه أيضا أطول منه وفيه إن صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال وليس فيه أنه يأمر صاحب الشمال بإلقاء السيئة حتى يلقي من حسناته واحدة لم أجد لذلك أصلا." (١)

"الرجاء إلى الله تعالى إذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال إلى إفراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم إلى الاعتدال والقصد والآخر لم يكن مناقضا للأول ولكن ذكر في الأول ما رآه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا إلى المعالجة بالرجاء

ذكر تمام الأمر فعلى الواعظ أن يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة وإن لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلح وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم (١) وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق يذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل وما هو قال العجب (٢) وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها (٣) وفي الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى إن إبليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه (٤) وفي الخبر إن لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعا وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق فتحن الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض قال فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك (٥) وفي الخبر ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته (٦) وقال عليه أفضل الصلاة والسلام اعملوا وابشروا واعلموا أن أحدا لن ينجيه عمله (٧) وقال صلى الله عليه وسلم إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي أترونها للمطيعين المتقين بل هي للمتلوثين المخلطين (٨) وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة السهلة (٩) وقال صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا سماحة (١٠) ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين في قولهم ﴿ولا تحمل علينا إصرا﴾ وقال تعالى ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال لما نزل قوله تعالى ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال عليه السلام إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فالله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله تعالى

---

(١) حديث لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم وفي لفظ لذهب بكم الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي أيوب واللفظ الثاني من حديث أبي هريرة قريبا منه

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٤٨/٤

(٢) حديث لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل ما هو قال العجب أخرجه البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس وتقدم في ذم الكبر والعجب

(٣) حديث والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها متفق عليه من حديث عمر بنحوه

(٤) حديث ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب **حسن الظن بالله** من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف

(٥) حديث إن الله تعالى مائة رحمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٦) حديث ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم

(٧) حديث اعملوا وابشروا واعلموا أن أحدا لن ينجيه عمله تقدم أيضا

(٨) حديث إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي الحديث أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة لكل نبي دعوة وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي ورواه مسلم من حديث أنس وللترمذي من حديثه وصححه وابن ماجه من حديث جابر شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ولإبن ماجه من حديث أبي موسى ولأحمد من حديث ابن عمر خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمتقين الحديث وفيه من لم يسم

(٩) حديث بعثت بالحنيفية السمحة السهلة أخرجه أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله السهلة وله وللطبراني من حديث ابن عباس أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة وفيه محمد بن إسحاق رواه بالعنعنة

(١٠) حديث أحب أن يعلم أهل الكتاب أن في ديننا سماحة رواه أبو عبيد في غريب الحديث وأحمد." (١)

"الأخذ أو إخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه

وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رحمهما الله فإنما كان لاستغنائه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بأخذه وصرفه إلى غيره فإن في ذلك آفات وأخطارا والزرع يكون حذرا من مظان الآفات إذ لم يأمن مكيدهالشيطان على نفسه

وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للإنفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي أنا جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت فإذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت في نفسي لا أجد لدراهمي موضعا أحسن من هذا فحملتها إليه فنظر إليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال أربعة ثمن مئزرين ودرهم أنفقه ثلاثة فلا حاجة بي إلى الباقي فرده قال فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت إلي فأخذ بيدي فأطافني معه أسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الأرض يتخشخش تحت أقدامنا إلى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وآخذ من أيدي الخلق لأن هذه أثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود من هذا أن الزيادة على قدر الحاجة إنما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/١٥١

قال الله تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم إلا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب (١) فإذن أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه إن لم تعص الله متعرض للحساب وإن عصيت الله فأنت متعرض للعقاب

ومن الاختبار أيضا أن تعزم على ترك لذة من اللذات تقربا إلى الله تعالى وكسرا لصلة النفس فتأتيك عفوا صفوا لتمتحن بها قوة عقلك فالأولى الامتناع عنها فإن النفس إذا رخص لها في نقض العزم ألفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد فإن أخذته وصرفته إلى محتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه إلا الصديقون وأما إذا كانت حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فإنه غير زائد على حاجة الفقراء وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تدخره فإن إمساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحلو في قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله أن يستقرض على **حسن الظن بالله** لا على اعتماد السلاطين الظلمة فإن رزقه الله من حلال قضاه وإن مات قبل القضاء قضاه الله تعالى عنه وأرضى غرماءه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على إقراضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ومن الزكاة وقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله قيل معناه ليبع أحد ثوبيه

وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله

وقال بعضهم إن لله تعالى عبادا ينفقون على قدر بضائعهم ولله عباد ينفقون على قدر **حسن الظن بالله** تعالى

ومات بعضهم فأوصى بماله لثلاث طوائف الأقوياء والأسخياء والأغنياء فقيل من هؤلاء فقال أما الأقوياء فهم أهل

---

(١) حديث لا حق لابن آدم إلا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب أخرجه الترمذي من حديث عثمان بن عفان وقال وجلف الخبز والماء بدل قوله طعام يقيم صلبه وقال صحيح." (١)

"التوكل على الله تعالى وأما الأسخياء فهم أهل **حسن الظن بالله** تعالى وأما الأغنياء فهم أهل الانقطاع إلى الله تعالى فإذن مهما وجدت هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطي فليأخذه وينبغي أن يرى ما يأخذه من الله لا من المعطي لأن المعطي واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر إليه بما سلط عليه من الدواعي والإوادات والاعتقادات وقد حكي أن بعض الناس دعا شقيقا في خمسين من أصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعد قال لأصحابه إن هذا الرجل يقول من لم يرن صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا إلا شابا منهم كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق ما قصدت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم

وقال موسى عليه السلام يا رب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فأوحى الله

---

(١) إحياء علوم الدين   أبو حامد الغزالي ٤/٢٠٩

تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي أجري أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم
فلا ينبغي أن يرى المعطي إلا من حيث أنه مسخر مأجور من الله تعالى نسأل الله حسن التوفيق لما يرضاه
بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه

اعلم أنه قد وردت مناه كثيرة في السؤال وتشديدات وورد فيه أيضا ما يدل على الرخصة إذ قال صلى الله عليه وسلم للسائل حق ولو جاء على فرس (١) وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محرق (٢) ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز إعانة المتعدي على عدوانه والإعطاء إعانة فالكاشف للغطاء فيه أن السؤال حرام في الأصل وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فإن كان عنها فهو حرام وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة
الأول إظهار الشكوى من الله تعالى إذ السؤال إظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى وكما أن العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذلك سؤال العباد تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغي أن يحرم ولا يحل إلا لضرورة كما تحل الميتة
الثاني أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه فأما سائر الخلق فإنهم عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم إلا لضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى المسئول
الثالث أنه لا ينفك عن إيذاء المسئول غالبا لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ وإن منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع إذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الإيذاء والإيذاء حرام إلا بضرورة
ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله صلى الله عليه وسلم مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها (٣) فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى أن الفاحشة إنما تباح

---

(١) حديث للسائل حق وإن جاء على فرس رواه أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي
(٢) حديث ردوا السائل ولو بظلف محرق رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي واللفظ له من حديث أم مجيد وقال ابن عبد البر حديث مضطرب
(٣) حديث مسئلة الناس من الفواحش وما أحل الله من الفواحش غيرها." (١)

"لا أدري أيهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الأمور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري لي من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل المبارك فإني ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما أدركته ولعله أراد إدراك أقصاه وما لم يكمل الإيمان بأن لا فاعل إلا الله ولا رازق سواه وأن كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء

---

(١) إحياء علوم الدين   أبو حامد الغزالي ٤/٢١٠

التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الأقوال والأعمال تنبني على أصولها من الإيمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد

فإن قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون إلى الأسباب الظاهرة **وحسن الظن بالله** تعالى في تيسير الأسباب الخفية فأقول نعم هو أن تعرف أن سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فإن الإنسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن مولع وإذا انضم إليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الأسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الأسباب الخفية أيضا تبطل التوكل فقد حكي عن عابد أنه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الإمام لو اكتسبت لكان أفضل لك فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال إن كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن إماما تقف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك إذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق وقال إمام المسجد لبعض المصلين من أين تأكل فقال يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك

وينفع حسن الظن بمجيء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الأسباب الخفية أن تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق إلى صاحبه وفيها عجائب قهر الله تعالى في إهلاك أموال التجار والأغنياء وقتلهم جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي وقد كان خدم إبراهيم بن أدهم فقيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا في طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلي إبراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به إليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى وكتب شعرا

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ... أنا جائع أنا ضائع أنا عاري

هي ستة وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها يا باري

مدحي لغيرك لهب نار خضتها ... فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلي الرقعة فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك فخرجت فأول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع إلي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة." (١)

"المأكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لأن سنة الله جارية بوصول الخير إلى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والأمتعة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا في التوكل

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٢٧٠

ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والإبرة دون الزاد لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الأمرين فإن قلت فكيف يتصور أن لا يحزن إذا أخذ متاعه الذي هو محتاج إليه ولا يتأسف عليه فإن كان لا يشتهيه فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وإن كان أمسكه لأنه يشتهيه لحاجته إليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فأقول إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذ كان يظن أن الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا أن الخيرة له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه إياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل **وحسن الظن بالله** تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به إذ يحتمل أن تكون خيرته في أن يبتلى بفقده ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر فلما أخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لأنه في جميع الأحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا أن الله عز وجل علم أن الخيرة كانت لي في وجودها إلى الآن والخيرة لي الآن في عدمها لما أخذها مني فبمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه الحزن إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بأسباب من حيث إنها أسباب بل من حيث إنه يسرها مسبب الأسباب عناية وتلطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فإن قدم إليه الغذاء فرح وقال لولا أنه يعرف أن الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربه إلي وإن أخر عنه الغذاء بعد ذلك أيضا فرح وقال لولا أن الغذاء يضرني ويسوقني إلى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق لعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في إصلاح عباده لم يكن فرحه بالأسباب فإنه لا يدري أي الأسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فإني لا أدري أيهما خير لي فكذلك ينبغي أن لا يبالي المتوكل يسرق متاعه أو لا يسرق فإنه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أو في الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الإنسان وكم من غني يبتلى بواقعة لأجل غناه يقول ياليتنى كنت فقيرا

بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم

للمتوكل آداب في متاع بيته إذا خرج عنه ﴿الأول﴾ أن يغلق الباب ولا يستقصي في أسباب الحفظ كالتماسك من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه أغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول لولا الكلاب ما شددته أيضا الثاني أن لا يترك في البيت متاعا يحرض عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم أو إمساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركوة قال خذها لا حاجة لي إليها قال لم قال يوسوس إلي العدو أن اللص يأخذها فكأنه احترز من أن يعصي السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا فما عليه من أخذها الثالث أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في حل أو في سبيل

الله تعالى وإن كان فقيرا فهو عليه صدقة وإن لم يشترط الفقر فهو أولى فيكون له نيتان لو أخذه غني أو فقير ﴿إحداهما﴾ أن يكون." (١)

"من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه وفقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه (١) وروى أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فأنظر أي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار ودخل مروان على أبي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة اللهم اشدد ثم بكى أبو هريرة وقال والله ما أبكى حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر إحدى البشريين من ربي بجنة أم بنار

وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله إذا رضى عن عبد قال يا ملك الموت أذهب إلى فلان فأتني بروحه لأريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده مالك يا سيدنا فيقول أما ترون ما أعطى هذا العبد من الكرامة أين كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما (٢) وقال الحسن لا راحة للمؤمن إلا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه

وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة إلى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه إليه ثم قال يا إخواناه الساعة والله افارقكم إلى النار أو إلى الجنة

وقال محمد بن واسع عند الموت يا إخواناه عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله وتمنى بعضهم أن يبقى في النزع أبدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت

وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع

ولكننا لا نطول بذكره وإعادته

بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت

أعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون **حسن الظن بالله** تعالى

أما الصورة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينة ودمعت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به وإذا غط غطيط المخنوق وأحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به // حديث ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه وذرفت عيناه الحديث أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح

---

(١) إحياء علوم الدين   أبو حامد الغزالي ٢٨١/٤

وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه الحديث متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت

(٢) حديث أن الله إذا رضى على عبده قال يا ملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه لأريحة الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث تميم الدالي باسناد ضعيف بزيادة كثيرة ولم يصرح في أول الحديث برفعه وفي آخره ما دل على انه مرفوع وللنسائي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح إذا حضر الميت أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون أخرجي راضية عنك إلى روح الله وريحان ورب راض راض غير غضبان الحديث." (١)

"لقنوا موتاكم لا إله إلا الله (١) وفي رواية حذيفة فإنها تهدم ما قبلها من الخطايا (٢) وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة (٣) وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة

وقال عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا إله إلا الله

وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص (٤)

وينبغي للملقن أن لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدى إلى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة

وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وإن كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا إليها متأسفا على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الأمر في خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن يتفضل الله تعالى بالقبول

وأما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الأخبار بفضل **حسن الظن بالله**

دخل وائلة بن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله قال أغرقتني ذنوب لي وأشرفت على هلكة ولكني أرجو رحمة ربي فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا المظن إلا أعطاه الله الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف (٥) (٦) وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكان له أم تعظه كثيرا وتقول له يا بني إن لك يوما

---

(١) إحياء علوم الدين   أبو حامد الغزالي ٤/٤٦٥

فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه وجعلت تقول له يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول إن لك يوما فقال يا أمه إن لي ربا كثير المعروف وإني لأرجو أن لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه

وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له أمه يا بني توصي بشيء قال نعم خاتمى لا تسلبينيه فإن فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني فلما دفن رؤى في المنام فقال أخبروا أمي أن الكلمة قد نفعتني وأن الله قد غفر لي

ومرض اعرابي فقيل له إنك تموت فقال أين يذهب بي قالوا إلى الله قال فما كراهتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه

وقال أبو المعتمر بن سليمان قال أبي لما حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلى ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكى يحسن ظنه بربه

---

(١) حديث لقنوا موتاكم لا إله إلا الله تقدم

(٢) حديث حذيفه فانها تهدم ما قبلها تقدم

(٣) من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة تقدم

(٤) حديث أبي هريرة حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين والطبراني والبيهقي في الشعب وإسناده جيد إلا أن في رواية البيهقي رجلا لم يسم وسمى في رواية الطبراني إسحق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيف

(٥) حديث دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله وفيه يقول الله أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما يشاء أخرجه ابن حبان بالمرفوع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقي في الشعب به جميعا

(٦) حديث دخل على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي الحديث تقدم." (١)

"والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص ويسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله فعساه يقربه ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذى ادخره لأحبابه المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمرا ما يضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمى قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يا رب خذلى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته قال يا رب لم يبق من حسناته شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شىء قال يا رب يتحمل عنى من أوزارى قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال يا رب أرى مدائن

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٤٦٦

من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأى صديق هذا أو لأى شهيد هذا قال لمن أعطانى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال أنت تملكه قال وما هو قال عفوك عن أخيك قال يا رب إنى قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين (١) وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتفكر الآن فى نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك فى منصرفك من مفصل الفضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا رأسك خاليا عن الأوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويغبطونك فى حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رءوس الأشهاد هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا أفترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لانسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافى والنية الصادقة فى معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك إلا به

وإن تكن الأخرى والعياذ بالله بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهى عند الله عظيمة فمقتك لأجلها فقال عليك لعنتى يا عبد السوء لا أتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك تنثال إليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت تنادى بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدع اليوم ثبورا واحدا وادع ثبورا كثيرا وتنادى الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان

---

(١) حديث أنس بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمى قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العالمين الحديث بطوله أخرجه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله والحاكم فى المستدرك وقد تقدم." (١)

"ذكر بلفظ الجمع، ثم قال" بين أخويكم " فعاد إلى التثنية، لأن أقل

من يقع بينهما الخصومة اثنان. وقيل: بين سيدي القوم. وقرأ يعقوب:

أخواتكم. على الظاهر.

قوله: (قوم من قوم) .

ذهب الجمهور إلى أن القوم اسم يقع على الرجال ولا يقع على النساء

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٥٢٣/٤

بدليل العطف، وهو قوله: (ولا نساء من نساء) ، لأن المعطوف غير المعطوف عليه، واشتقاقه من القيام، وهو القوام على النساء (الرجال قوامون على النساء) .

الغريب: القوم جمع وواحده رجل، كالنساء واحدها امرأة.

وأنشدوا:

وما أدري وسوف إخال أدري. . . أقوم آل حصن أم نساء

قوله: (ولا تنابزوا بالألقاب) .

النبز: القذف، والنبز - بالفتح - الاسم، ولا يستعمل إلا في القبيح.

واللقب يستعمل في الحسن والقبيح.

قوله: (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) أي اسم الفسوق.

قوله: (اجتنبوا كثيرا من الظن) .

الظن على أربعة أوجه:

مأمور به ومحظور ومندوب إليه، ومباح.

أما المأمور به: **فحسن الظن بالله**، وهو قوله عليه السلام: "إن حسن الظن من الإيمان ".

وفي القرآن: (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا)." (١)

"باب **حسن الظن بالله**

١٤٥٥ - أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، نا علي بن الجعد، أنا أبو جعفر الرازي، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام، يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله»**.

هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم، عن يحي بن يحي، عن يحي بن زكريا، عن الأعمش

قال أبو سليمان الخطابي: إنما يحسن بالله ظن من حسن عمله، فكأنه قال: أحسنوا أعمالكم يحسن بالله ظنكم، فإن من ساء عمله ساء ظنه، وقد يكون حسن الظن أيضا من ناحية الرجاء وتأميل العفو، والله جواد كريم.." (٢)

"الأعراف: ١٥٦]، وقوله عز وجل: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ [غافر: ٧] وقال الله تعالى: ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ [المدثر: ٥٦].

وقال ابن عباس: يقول الله عز وجل: «أنا أهل أن أتقى، فإن عصيت فأنا أهل أن أغفر».

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله»**.

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل الكرماني، برهان الدين ١١٢٣/٢

(٢) شرح السنة للبغوي البغوي ، أبو محمد ٢٧٢/٥

وقال صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي».

٤١٧٧ – أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنا أبو طاهر الزيادي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، نا أحمد بن يوسف السلمي، نا عبد الرزاق، أنا معمر، عن همام بن منبه، قال: نا أبو هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي غلبت غضبي».." (١)

"الإسلام ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ مؤمنون وقيل: مخلصون وقيل: مفوضون والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت، وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام، معناه: داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون، وعن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: ﴿إلا وأنتم مسلمون﴾ أي محسنون بربكم الظن.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: "لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل" (١) .

﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون (١٣٣) تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون (١٣٤) ﴾

﴿أم كنتم شهداء﴾ يعني أكنتم شهداء، يريد ما كنتم شهداء حضورا ﴿إذ حضر يعقوب الموت﴾ أي حين قرب يعقوب من الموت، قيل: نزلت في اليهود حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فعلى هذا القول يكون الخطاب لليهود، وقال الكلبي: لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيران، فجمع ولده وخاف عليهم ذلك فقال عز وجل ﴿إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي﴾ قال عطاء إن الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب قال: أنظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم، ففعل الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده، وقال لهم قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي ﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ وكان إسماعيل عما لهم والعرب تسمي العم أبا كما تسمي الخالة أما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "عم الرجل صنو أبيه" (٢) وقال في عمه ١٩/ب العباس: "ردوا علي أبي فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن

---

(١) أخرجه مسلم: في الجنة – باب: الأمر **بحسن الظن بالله** تعالى عند الموت برقم (٢٨٧٧) ٤ / ٢٢٠٥. والمصنف في شرح السنة: ٥ / ٣٧٢.

(٢) أخرجه مسلم: في الزكاة – باب: في تقديم الزكاة ومنعها برقم (٩٨٣) ٢ / ٦٧٦-٦٧٧. انظر شرح السنة ٦ / ٣٣.." (٢)

---

(١) شرح السنة للبغوي البغوي ، أبو محمد ٣٧٥/١٤

(٢) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١٥٤/١

"أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي حدثنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنبأنا محمد بن عبد الله الصفار حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يبعث كل عبد على ما مات عليه، المؤمن على إيمانه والكافر على كفره" (١)

.

وقال أبو العالية: عادوا على عمله فيهم. قال سعيد بن جبير: كما كتب عليكم تكونون.

قال محمد بن كعب: من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار إليها وإن عمل أهل السعادة، كما أن إبليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار إلى الشقاوة، ومن ابتداء خلقه على السعادة صار إليها وإن عمل بعمل أهل الشقاء، وكما أن السحرة كانت تعمل بعمل أهل الشقاوة فصاروا إلى السعادة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنبأنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد حدثنا أبو غسان عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن العبد يعمل فيما يرى الناس بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنه ليعمل فيما يرى الناس بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، وإنما الأعمال بالخواتيم" (٢)

.

وقال الحسن ومجاهد: كما بدأكم وخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا، كذلك تعودون أحياء يوم القيامة كما قال الله تعالى: "كما بدأنا أول خلق نعيده" (الأنبياء، ١٠٤) ، قال قتادة: بدأهم من

---

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، برقم (٢٨٧٨) : ٤ / ٢٢٠٦، والمصنف في شرح السنة: ١٤ / ٤٠٢ - دون قوله "المؤمن على إيمانه".

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، برقم (١١٢) : ١ / ١٠٦، وفيه قصة، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١ / ١٥٠.." (١)

"﴿وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم (٢٥) ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون (٢٦) ﴾ .

﴿وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم﴾ على ما علم منهم.

وقيل: يميت الكل، ثم يحشرهم، الأولين والآخرين.

أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، أخبرنا أبو سعيد الصيرفي، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من مات على شيء بعثه الله عليه" (١) .

قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ يعني: آدم عليه السلام، سمي إنسانا لظهوره وإدراك البصر إياه. وقيل: من النسيان لأنه عهد إليه فنسي. ﴿من صلصال﴾ وهو الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلة، أي: صوتا.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣/٢٢٤

قال ابن عباس: هو الطين الحر، الذي نضب عنه الماء تشقق، فإذا حرك تقعقع.
وقال مجاهد: هو الطين المنتن. واختاره الكسائي، وقال: هو من صل اللحم وأصل، إذا أنتن (٢) ﴿من حمإ﴾ والحمأ: الطين الأسود ﴿مسنون﴾ أي: متغير. قال مجاهد وقتادة: هو المنتن المتغير.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٤ / ٣١٣ عن جابر رضي الله عنه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣ / ٣١٣ عن جابر، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه: ١ / ٢٩، والمصنف في شرح السنة: ١٤ / ٤٠١. وصححه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" برقم (٢٨٣) ١ / ٥١٠، وانظر: كنز العمال: ١٥ / ٦٨١. وأخرج مسلم من طريق جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: "يبعث كل عبد على ما مات عليه" كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، برقم (٢٨٧٨) ٤ / ٢٢٠٦.
(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٨ / ٣٠٣-٣٠٥، البحر المحيط: ٥ / ٤٥٣.." [1]
"[سورة البقرة (٢) : الآيات ١٣٢ الى ١٣٣]
ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون (١٣٢) أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون (١٣٣)
ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب، قرأ أهل المدينة والشام: و «أوصى» بالألف، وكذلك [هو] [١] في مصاحفهم، وقرأ الباقون ووصى مشددا، وهما لغتان مثل أنزل ونزل معناه: ووصى إبراهيم [بنيه] [٢] ووصى يعقوب بنيه، قال الكلبي ومقاتل: يعني كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، قال أبو عبيدة: إن شئت رددت الكناية إلى الملة لأنه ذكر ملة إبراهيم، وإن شئت رددتها إلى الوصية، أي: وصى إبراهيم بنيه الثمانية: إسماعيل وأمه هاجر القبطية وإسحاق وأمه سارة، وستة أمهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية، تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة، ويعقوب، سمي بذلك لأنه والعيص كانا توأمين فتقدم عيص في الخروج من بطن أمه، وخرج يعقوب على أثره آخذه بعقبه، قاله ابن عباس، وقيل: سمي يعقوب لكثرة عقبه، يعني ووصى أيضا يعقوب بنيه الاثني عشر يا بني، معناه أن يا بني: إن الله اصطفى: اختار لكم الدين، أي: دين الإسلام، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، مؤمنون، وقيل: مخلصون، وقيل:
مفوضون، والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت، وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام [٣] ، معناه:
داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون، وعن الفضيل بن عياض رحمه الله: أنه قال إلا وأنتم مسلمون، أي: محسنون بربكم الظن.
«٨٩» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٧٨/٤

عبد العزيز البغوي، أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته [٤] بثلاثة أيام، يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل» .

قوله تعالى: أم كنتم شهداء، يعني: [أكنتم شهداء يريد] [٥] ما كنتم شهداء حضورا إذ حضر يعقوب الموت، أي: حين قرب يعقوب من الموت، قيل [٦] : نزلت في اليهود حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم:

٨٩- حديث صحيح. إسناده ضعيف لأجل أبي جعفر الرازي، وهو عيسى بن أبي عيسى، وقد توبع، وباقي رجال الإسناد ثقات، الأعمش هو سليمان بن مهران، وأبو سفيان هو طلحة بن نافع، روى له الشيخان وهو في «شرح السنة» ١٤٤٩ بهذا الإسناد.

وأخرجه مسلم ٢٨٧٧ وأبو داود ٣١١٣ وابن ماجه ٤١٦٧ والطيالسي ١٧٧٩ وأحمد (٣/ ٢٩٣) و٣٣٠ وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٨٧) و (٨/ ٢٢١) وابن حبان (٦٣٦ و٦٣٨) والبيهقي (٣/ ٣٧٨) من طرق عن جابر به. [.....]

(١) سقط من المطبوع.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) العبارة في المخطوط «وإنما هو في الحقيقة على ترك الإسلام» .

(٤) في المخطوط «قبل أن يقبض» والمثبت في نسخ المطبوع وشرح السنة.

(٥) زيد في نسخ المطبوع.

(٦) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٩ بدون إسناد، فلا حجة فيه البتة.." (١)

"ابن مسعود: هو الوشم. وعنه: لعن الله الواشرات والمتنمصات «١» والمستوشمات المغيرات خلق الله «٢» . وقيل التخنث.

[سورة النساء (٤) : آية ١٢٢]

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا (١٢٢)

وعد الله حقا مصدران: الأول مؤكد لنفسه، والثاني مؤكد لغيره ومن أصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ. فإن قلت: ما فائدة هذه التوكيدات؟ قلت: معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه، ترغيبا للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد الله، على ما يتجرعون في عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان.

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ١/ ١٧٠

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٢٣ الى ١٢٤]

ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا (١٢٣) ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا (١٢٤)

في ليس ضمير وعد الله، أى ليس ينال ما وعد الله من الثواب بأمانيكم ولا ب أماني أهل الكتاب والخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به، وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله. وعن مسروق والسدى: هي في المسلمين. وعن الحسن: ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل له. وقيل: إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم. وقال المسلمون: نحن أولى منكم، نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب التي كانت قبله. فنزلت. ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم: إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا (لأوتين مالا وولدا) ، (إن لي عنده للحسنى) وكان أهل الكتاب يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه. لن تمسنا النار إلا أياما معدودة. ويعضده

---

(١) . قوله «الواشرات والمتنمصات» الواشرات: المرققات أسنانهن. والمتنمصات: الناتفات للشعر، والمتنقشات أيضا. اه صحاح. (ع)

(٢) . متفق عليه من رواية علقمة بزيادة «المتفلجات» وفيه قصة.." (١)

"وفي الحديث: تحذير من إيذاء المؤمن وقصده، وأمر باحترام ذمة الله عز وجل وعهده، وبيان أن الله تعالى مطالب بذمامه، ومعاقب بانتقامه.

وقوله: " في ذمة الله تعالى ": يريد: ضمان الله عز وجل وأمانه. و " الذمة " بمعني العهد والأمان وقال أبو عبيدة: الذمة ما يتذمم منه، أي يحترز من الذم بنقضه، ويقال: " ذمة " و " ذم " و " ذمام " و " مذمة " بكسر الذال، والكل بمعنى واحد والمذمة، بفتح الذال، من الذم.

وقوله: " فلا تخفروا الله تعالى في ذمته " أي: لا تنقضوا عهده، يقال: أخفرت الرجل: إذا نقضت عهده، وخفرت الرجل وخفرت به: إذا كنت له خفيرا، أي ضمينا.

أخبرنا الشيخ الصائن أبو عبد الله محمد بن أميرجه الصوفي، أخبرنا أبو عطاء المليحي، حدثنا أبو الفضل الجارودي، حدثنا أبو نعيم محمد بن عبد الرحمن، حدثنا عبدان، يعني: محمد بن عيسى، حدثنا محمد بن يزيد المستملي، حدثنا ابن عبد الصمد، حدثنا سهل بن أبي حزم، قال:

رأيت مالك بن دينار في المنام بعد موته، فقلت: يا أبا يحيى، ليت شعري ماذا قدمت به على الله عز وجل؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة، محاها عني حسن الظن بالله عز وجل.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٦٧/١

وأخبرنا الشيخ أبو الفتوح مسعود بن أفضل العامري الميهني حافد الشيخ أبي سعيد رحمه الله، أخبرنا الشيخ الأجل صدر الطريقة أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير قال:." (١)

"باب في ذكر حسن الظن وأنه ثمن الجنة

٥ - أخبرنا ناطق بن عبد الله المستظهري، وجماعة إجازة، قالوا، ثنا الشريف أبونصر -[١٩]- الزينبي، ثنا أبومحمد الحسن المقري، أخبرني أبومحمد الحسين بن زيد مولى الموفق، حدثني محمد بن القاسم، حدثني إسماعيل بن علي الخزاعي، ثنا محمد بن إبراهيم الصيرفي، ثنا أبو نواس: الحسن بن هانئ الحكمي، عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا يموتن أحدكم حتى **يحسن الظن بالله**؛ فإن حسن الظن ثمن الجنة.

اللفظة الأخيرة غريبة لم نكتبها إلا بهذا السند.." (٢)

"قال السمعاني: كان سديد السيرة، ثقة.

وقال ابن الجوزي: كان ثقة دينا، حدث وأقرأ وقضى.

وقال عبد الخالق: توفي ليلة الأربعاء، ثامن عشر جمادى الآخرة، من سنة أربعين وخمسمئة. ودفن من الغد بمقابر الخيزران ببغداد (١). (٩٧)

٥٦ - الحسين بن الحسن بن محمد، أبو القاسم الأسدي الدمشقي الشافعي، المعروف بابن البن. الشيخ الفقيه العالم، المسند الصدوق.

قال ابن عساكر: خلط على نفسه ثم تاب توبة نصوحا، وكان **حسن الظن بالله** راجيا لعفوه عند موته.

وقال عبد الخالق: سألت أبا القاسم الحسين بن الحسن الأسدي عن مولده، فقال: في شهر رمضان، سنة سبع وستين وأربعمئة. وتوفي يوم الاثنين، النصف من شهر ربيع الأول، سنة إحدى وخمسين وخمسمئة. ودفن في مقابر باب الفراديس بدمشق (٢). (١٠٠، ١٠١، ١٠٢)

٥٧ - الحسين بن حمزة بن الحسين بن جعفر، أبو المعالي المعروف بابن الشعيري.

توفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمئة (٣). (١٠٨)

---

(١) «الأنساب» (٥/ ٣٦٤). «معجم ابن عساكر» (٣٢٣). «المنتظم» (١٨/ ٤٦). «تاريخ الإسلام» (٣٦/ ٥٣٥). «الجواهر المضية» (٢/ ١٠٣).

(٢) «معجم السمعاني» (٢/ ٦٩٩). «التحبير» (١/ ٢٢٧). «تاريخ دمشق» (١٤/ ٥٤). «معجم ابن عساكر» (٣٢٥). «السير» (٢٠/ ٢٤٦). «التكملة» لابن نقطة (١/ ٢٣١).

---

(١) كتاب الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين أو الأربعين الطائية   أبو الفتوح الطَّائي ص/٢١١

(٢) موجبات الجنة لابن الفاخر   ابن الفاخِر ص/١٨

(٣) «تاريخ دمشق» (١٤/ ٥٨). «معجم ابن عساكر» (٣٢٨). «تكملة إكمال الإكمال» لابن الصابوني (ص ٥٨).." (١)

"موسى هارون

ابن صاحب (١) قدم علينا، حدثنا محمد بن موسى، حدثنا يحي بن [ل/٨٧أ] أكثم، حدثنا عبد الله بن إدريس، [عن موسى] (٢) الجهني، عن عبد الملك بن ميسرة قال: سمعت ابن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إذا كان يوم القيامة دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى منادي (٣) من تحت العرش: يا أهل الجمع، تتاركوا المظالم بينكم وثوابكم علي)) (٤)

---

(١) وقع في المخطوط "حاجب" والتصويب من تاريخ بغداد.

وهو هارون بن صاحب أبو موسى الأرينجي، ذكره الخطيب من غير جرح ولا تعديل. تاريخ بغداد (١٤/٣٢) .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوط، استدركته تاريخ بغداد.

وهو موسى بن عبد الله، ويقال: ابن عبد الرحمن الجهني، أبو سلمة الكوفي، ثقة عابد، لم يصح أن القطان طعن فيه، من السادسة، مات سنة أربع وأربعين. التقريب (٥٥٢/ت٦٩٨٥) .

(٣) هكذا في المخطوط بإثبات الياء، والأفصح بحذفها.

(٤) إسناده ضعيف، فيه:

- يحي بن أكثم القاضي، قال عنه صالح جزرة: "حدث عن ابن إدريس بأحاديث لم يسمعها".

قلت: وهذا الحديث رواه عن عبد الله بن إدريس.

- وهارون بن صاحب لم أجد من وثقه.

أخرجه الخطيب في "تاريخ بغداد" (١٤/٣٢) من طريق علي بن عمر السكري به.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في "**حسن الظن بالله**" (ص١٠٨) عن سويد بن سعيد وبشر بن معاذ، والطبراني في "المعجم الأوسط" (٥/٢٢٢) من طريق خالد بن خداش، والخطيب في "موضح الأوهام" (١/١٩٨) من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل، كلهم عن الحكم بن سنان صاحب القرب، عن سدوس صاحب السابري، عن أنس مرفوعا ((إذا التقى الخلائق يوم القيامة ... فذكر مثله)) .

وهذا إسناد ضعيف، فيه الحكم بن سنان القربي، وهو ضعيف.

قال الهيثمي: "رواه الطبراني في "الاوسط" وفيه الحكم بن سنان أبو عون، قال أبو حاتم: "عنده وهم كثير وليس بالقوي، ومحله الصدق، يكتب حديثه"، وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات". مجمع الزوائد (١٠/٣٥٦) ، وانظر التقريب

---

(١) المعجم لعبد الخالق بن أسد الحنفي   عبد الخالق بن أسد ص/٢٦

(١٧٥/ت١٤٤٣) .

وله شاهد ثان لا يفرح به من حديث أم هانئ بنت أبي طالب، أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٨٧/٢) من طريق أبي عاصم الثقفي الربيع بن إسماعيل، عن عمرو بن سعيد بن معبد بن هبيرة، عن أبيه، عن جدته أم هانئ رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله تبارك وتعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي مناد من تحت العرش: يا أهل التوحيد، إن الله عز وجل قد عفا عنكم، فيقوم الناس فيتعلق بعضهم ببعض في ظلامات، ثم ينادي مناد: يا أهل التوحيد، ليعف بعضكم عن بعض، وعلي الثواب)) .

قال الطبراني: "لا يروى هذا الحديث عن أم هانئ إلا بهذا الإسناد، تفرد به أبو عاصم الثقفي الكوفي".

قلت: وقال عنه أبو حاتم: "منكر الحديث". انظر الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١٢٧٩) ، واللسان (٤٤٤/٢) ، ومجمع الزوائد (٣٥٥/١٠-٣٥٦) .." (١)

"٥٣٨ - قال: وحدثنا أبو كريب، حدثنا قبيصة (١) ، حدثنا سفيان (٢) ، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاثة أيام: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل)) (٣)

---

(١) هو قبيصة بن عقبة بن محمد بن سفيان السوائي . بضم المهملة وتخفيف الواو . أبو عامر الكوفي، وثقه الأئمة؛ ابن معين، وأحمد، والعجلي، وأبو يعلى الخليلي، وابن حبان، إلا أنهم تكلموا في حديثه عن الثوري، وعللوا ذلك بأنه كان يسمع منه صغيرا، فكثرت مخالفاته، ولكن البخاري أكثر عنه، عن سفيان في صحيحه.

أما الحافظ ابن حجر فقال: "صدوق ربما خالف، من التاسعة، مات سنة خمس عشرة ومائتين على الصحيح".

الجرح والتعديل (١٢٧/٧) ، ومعرفة الثقات للعجلي (٢١٤/٢) ، والثقات لابن حبان (٢١/٩) ، والإرشاد (٥٧٢/٢) ، والتعديل والتجريح (١٠٦٧/٣) ، وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين (ص١٩٣) ، وتاريخ بغداد (٤٧٤/١٢) ، والتهذيب (٣١٢/٨) ، والتقريب (٤٥٣/ت٥٥١٣) .

(٢) هو الثوري.

(٣) إسناده حسن، أخرجه الأبهري في "فوائده" (ص٥٨/ح٥٤) بهذا الإسناد واللفظ.

أما قبيصة فقد تابعه غير واحد من أصحاب الثوري وهم:

- عبد الرحمن بن مهدي، أخرج حديثه مسلم (٢٢٠٦/٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر **بحسن الظن بالله** عند الموت، عن أبي بكر بن نافع، عنه به.

- ويحي بن آدم، أخرج حديثه أحمد (٢٩٣/٣) .

- وعبد الرزاق بن همام الصنعاني، أخرجه أحمد (٣٣٠/٣) عنه به.

---

(١) الطيوريات أبو طاهر السِّلَفي ٤٧٨/٢

- ومحمد بن كثير العبدي، أخرج حديثه ابن حبان (٤٠٣/٢) .

- وحصين بن حفص الأصبهاني، أخرج حديثه تمام الرازي في "فوائده" (٢٤٥/١) .

ووافق سفيان عليه جرير بن عبد الحميد، وأبو معاوية، وعيسى بن يونس، أخرج حديثهم مسلم (٢٢٠٥/٤-٢٢٠٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر **بحسن الظن بالله** عند الموت.

كما وافق أبا سفيان عليه أبو الزبير، أخرج حديثه مسلم في الموضع السابق.

فالحديث صحيح ثابت، ولا أثر لكلامهم على رواية قبيصة عن الثوري، ولا على حديث أبي سفيان عن جابر، لأن كلا منهما قد توبع، والله أعلم.." (١)

"الظن بالله ثمن الجنة)) (١) .

٦٧٩ - أخبرنا أحمد، حدثنا محمد بن عبد الله الكوفي الحافظ، حدثنا محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي، حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، حدثني عمي قال: سمعت [ل/١٤٢ب] أعرابيا يقول: ((من أحب أن لا تفوته شهوة فليشته (٢) ما يمكنه)) (٣) .

٦٨٠ - أخبرنا أحمد، حدثنا محمد بن عبد الله بن المطلب، حدثنا ابن

---

(١) إسناده منكر فيه:

- أبو نواس الحسن بن هانئ، وقد تفرد بهذا الإسناد واللفظ عن أنس.

- ومحمد بن إبراهيم البابشامي، لم يوثقه أحد.

- وإسماعيل بن علي الخزاعي غيرثقة.

أخرجه ابن جميع الصيداوي في "معجم شيوخه" (ص٣٠١) ، ومن طريقه الخطيب في "موضح الأوهام" (٤٣٢/١) عن عبد الله بن علي الخزاعي ـ وهو إسماعيل بن علي الخزاعي ـ به مثله.

وأخرجه الخطيب في "تاريخ بغداد" (٣٩٦/١) من طريق إسماعيل بن علي الخزاعي به، إلا أنه جعل مكان "ثابت البناني" "يزيد الرقاشي".

وأما متن الحديث ـ سوى قوله: ((فإن **حسن الظن بالله** ثمن الجنة)) ـ فقد ثبت من حديث جابر الذي تقدم برقم (٥٣٨) وتخريجه هناك، وسيكرره المصنف في (ل١٩٥/ب) من حديث أنس أيضا.

قلت: وأما معناه فقد ثبت أيضا عن أنس بلفظ: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني")) .

أخرجه أحمد (٢١٠/٣، ٢٧٧) ، من طريق أبي داود الطيالسي، والطبراني في "الدعاء" (١٧) ، من طريق عمرو

---

(١) الطيوريات أبو طاهر السِّلَفي ٦١٣/٢

ابن مرزوق، كلاهما عن شعبة، عن قتادة عنه به.

وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) في المخطوط "فليشتهي" بإشباع الياء.

(٣) في إسناده محمد بن عبد الله بن المطلب وهو متهم كما تقدم في الرواية رقم (١٢) ، ولم أقف على الأثر بعد عند غير المصنف.." (١)

"الدنيا، وبينك وبين الله هنات، فتب إلى الله،

قال أبو نواس: سندوني، فلما استوى قال: إياي تخوف بالله، وقد حدثني حماد بن سلمة، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: ((لكل نبي شفاعة، وإني أختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، أفترىلا أكون منهم؟)) (١) .

٩٤٧ - أملى علينا أبو عبد الله، قال: أملى علي أبو الميمون عبد الرحمن بن أحمد، أخبرنا ابن علي بن علي أبو القاسم الخزاعي ببغداد واسمه: إسماعيل، حدثنا محمد

ابن إبراهيم بن كثير، حدثنا أبو علي الحسن ابن هانئ، حدثنا حماد ابن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بربه، فإن **حسن الظن بالله** ثمن الجنة)) (٢) .

وقع عند شيخنا في

---

(١) حديث صحيح، وأما القصة ففي إسناد المؤلف أبو القاسم الخزاعي وهو متهم، وأبو نواس قد قال فيه ابن الجوزي بأنه قد غلب عليه اللهو، وقال الذهبي: فسقه ظاهر، ويزيد الرقاشي ضعيف أيضا، وقد تقدم تخريج الحديث في رواية رقم (٧٧٧) .

(٢) حديث صحيح دون الجزء الأخير منه، ((فإن **حسن الظن بالله** ثمن الجنة)) . وإسناد المؤلف ضعيف جدا، فيه أبو القاسم الخزاعي وهو متهم. والحسن بن هانئ ضعيف.

أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٣٩٦/١، من طريق هلال بن محمد بن جعفر الحفار، حدثنا إسماعيل بن علي بن علي أبو القاسم الخزاعي، عن محمد بن إبراهيم بن كثير، عن أبي نواس الحسن بن هانئ به.

وأخرجه ابن جميع في معجم الشيوخ: ٣٠١/١ ومن طريقه الخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق: ٤١٨/١، عن عبد الله بن علي بن علي أبو القاسم به. وقال الخطيب: لم يرو عن محمد بن إبراهيم هذا إلا إسماعيل بن علي الخزاعي، وإسماعيل غير ثقة. تاريخ بغداد: ٣٩٧/١، ولم يفرق الخطيب بين إسماعيل بن علي الخزاعي، وعبد الله بن علي الخزاعي، وقد جاء عند الصيداوي والخطيب ((يزيد الرقاشي)) بدل ((ثابت البناني)) .

---

(١) الطيوريات أبو طاهر السِّلَفي ٧٥٩/٢

وورد في حسن الظن بالله حديث صحيح أخرجه مسلم في صفة الجنة: باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ٢٢٠٦/٤ رقم ((٢٨٧٧)) . من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ((يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل)) .." (١)

"الباب الثاني ما يستحب من أحوال الميت عند الموت وفي تلقين الشهادتين للمسلم وغيره وما يستحب للمسلم من الرجاء وحسن الظن بالله عند الموت

اعلم رحمك الله أن المحبوب من حال الميت عند الموت أن يعلوه الهدوء والسكون ومن لسانه الكلمة بالشهادتين ومن قلبه حسن الظن بالله تعالى

وذكر الترمذي من حديث بريدة بن حصيب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمن يموت بعرق الجبين ويروى في خبر أنه قال ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه وإذا ذرفت عيناه ويبست شفتاه فذلك من رحمه الله نزلت به وإذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله نزل به

وأما انطلاق لسانه بالشهادتين فهو علامة الخير ودليل السعادة وأمارة الاتصال بالحضرة الإلهية

وذكر أبو داود من حديث معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة

وذكر أيضا من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو." (٢)

"ويروى عن أنس بن مالك أن غلاما من اليهود كان يخدم النبي فمرض فأتاه صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فعرض عليه الإسلام فقال له أسلم فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده فقال له أبوه أطع أبا القاسم فأسلم فقام النبي وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه بي من النار

ذكر هذا الحديث البخاري وأبو داود وغيرهما

وينبغي أن لا يلح على الميت بتلقين الشهادتين قال ابن المبارك لقنوا الميت لا إله إلا الله فإن قالها فدعوه ولأنه يخاف عليه إذا ألح عليه بها أن يبرم ويضجر ويثقلها الشيطان عليه فيكون ذلك سببا لسوء الخاتمة

ذكر أبو بكر الدينوري في كتاب المجالسة عن الحسن بن عيسى قال لما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه أجعل رأسي على التراب قال فبكى نصر فقال ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هذا تموت فقيرا غريبا فقال اسكت فإني سألت الله أن يحييني حياة السعداء ويميتني ميتة الفقراء ثم قال لقني الشهادة ولا تعد علي إلا أن أتكلم بكلام ثان

والمقصود أن يموت الرجل ولا يكون في قلبه إلا الله وحده لأن المدار على القلب وعمل القلب هو الذي ينظر فيه وتكون

---

(١) الطيوريات   أبو طاهر السِّلَفي ١٠١٤/٣

(٢) العاقبة في ذكر الموت   عبد الحق الأشبيلي ص/١٤٣

النجاة بسببه وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما في القلب فلا فائدة فيها ولا خير عندها

وأما **حسن الظن بالله** تعالى عند الموت فواجب قال عليه الصلاة والسلام لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** تعالى ذكره مسلم

وقال عبد الله بن مسعود والذي لا إله غيره لا يحسن أحدكم الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه وذلك أن الخير بيده

وقال عبد الله بن عباس إذا رأيتم الرجل قد نزل به الموت فبشروه حتى يلقى ربه وهو **حسن الظن بالله** تعالى وإذا كان حيا فخوفوه بربه واذكروا له شدة عقابه." (١)

"النوم بعد موته بسنة فسلمت عليه فلم يرد علي السلام فقلت له لم لا ترد علي السلام قال وكيف أرد عليك وأنا ميت فقلت له وماذا لقيت بعد الموت قال ودمعت عينا ما لك عند هذا القول لقيت أهوالا وزلازل وعظائم وشدائد قال مالك فقلت له فما كان بعد ذلك قال وما تراه يكون من الكريم إلا الكرم قبل منا الحسنات وغفر لنا السيئات وضمن عنا التبعات كما كان حسن ظني به

قال ثم شهق ما لك شهقته خر مغشيا عليه فلبث في غشيته أياما مريضا ثم مات من مرضه ذلك وكان يقال إن قلبه انصدع ولولا **حسن الظن بالله** تعالى لهلك الخلق

وقال عبد الواحد بن زيد وما كان سبب موت مالك بن دينار إلا هذه الرؤيا سألته عنها فقصها علي فجعل يشهق ويضطرب حتى ظننت أن كبده تقطعت في جوفه ثم هدأ فحملناه إلى منزله فلم يزل مريضا منها يعاد حتى مات

وقال أبو عمر الضرير حدثني سهيل أخو حازم قال رأيت مالك بن دينار في النوم بعد موته بسنة فقلت له يا أبا يحيى ماذا فعل الله بك وماذا قدمت به عليه فقال قدمت عليه بذنوب كثيرة فمحاها حسن ظني به تبارك وتعالى

وقال عمار بن سيف رأيت الحسن بن صالح في منامي بعد موته فقلت له لقد كنت متمنيا للقائك فماذا عندك أخبرنا فقال لم أر شيئا مثل حسن الظن به تبارك وتعالى

وأنشدوا

أحسن الظن برب لم يزل ... دائم الإحسان برا لم يمل

من غدت نعماؤه في ذا الورى ... جملا ترفق في إثر جمل

وسع العالم فضلا وجدا ... مرسل العزلاء سجا متصل

وإذا لم تحسن الظن به ... فيمن تحسن إن خطب نزل

وإذا لم ترجه من يرتجى ... وإذا لم تسألنه من ذا تسل." (٢)

"مسلم واتفقا على الذي قبله

فليجعل المريض **حسن الظن بالله** شعاره ودثاره وليقو نفس رجائه فإن الخوف سوط تساق به النفس إلى الجد وما بقي في

---

(١) العاقبة في ذكر الموت عبد الحق الأشبيلي ص/١٤٥

(٢) العاقبة في ذكر الموت عبد الحق الأشبيلي ص/١٤٨

الناقة موضع لشوط إنما حسن الظن جدا

أخبرنا الكروخي قال أخبرنا الأزدي والغورجي قالا أخبرنا ابن الجراح قال حدثنا المحبوبي قال حدثنا الرمدي قال حدثنا هارون بن عبد الله قال حدثنا سيار قال حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف

أخبرنا ابن الحصين قال أخبرنا ابن المذهب قال أخبرنا أحمد بن جعفر قال حدثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال." (١)

"سيف الله، ونحو ذلك. وقوله: بئس الاسم الفسوق أي: تسميته فاسقا أو كافرا وقد آمن، ومن لم يتب من التنابز فأولئك هم الظالمون وفيه قولان: أحدهما: الضارون لأنفسهم بمعصيتهم، قاله ابن عباس. والثاني: هم أظلم من الذين قالوا لهم ذلك، قاله ابن زيد.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

قوله تعالى: اجتنبوا كثيرا من الظن قال ابن عباس: نهى الله تعالى المؤمن أن يظن بالمؤمن شرا.

وقال سعيد بن جبير: هو الرجل يسمع من أخيه كلاما لا يريد به سوءا، أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءا، فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءا. وقال الزجاج: هو أن يظن بأهل الخير سوءا. فأما أهل السوء والفسق، فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم. قال القاضي أبو يعلى: هذه الآية تدل على أنه لم ينه عن جميع الظن والظن على أربعة أضرب. محظور، ومأمور به، ومباح، ومندوب إليه، فأما المحظور، فهو سوء الظن بالله تعالى، والواجب: **حسن الظن بالله**، وكذلك سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة محظور، وأما الظن المأمور به، فهو ما لم ينصب عليه دليل يوصل إلى العلم به، وقد تعبدنا بتنفيذ الحكم فيه، والاقتصار على غالب الظن، وإجراء الحكم عليه واجب، وذلك نحو ما تعبدنا به من قبول شهادة العدول، وتحري القبلة، وتقويم المستهلكات، وأروش الجنايات التي لم يرد بمقاديرها توقيف، فهذا وما كان من نظائره قد تعبدنا فيه بأحكام غالب الظنون. فأما الظن المباح، فكالشاك في الصلاة إذا كان إماما، أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالتحري والعمل على ما يغلب في ظنه، وإن فعله كان مباحا، وإن عدل عنه إلى البناء على اليقين كان جائزا.

(١٣٣٠) وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ظننتم فلا تحققوا» ، وهذا من الظن الذي يعرض في قلب الإنسان في أخيه فيما يوجب الريبة، فلا ينبغي له أن يحققه.

وأما الظن المندوب إليه، فهو إحسان الظن بالأخ المسلم يندب إليه ويثاب عليه.

---

(١) الثبات عند الممات   ابن الجوزي ص/٦٧

(١٣٣١) فأما ما روي في الحديث: «احترسوا من الناس بسوء الظن» ، فالمراد: الإحتراس بحفظ المال، مثل أن يقول: إن تركت بابي مفتوحا خشيت السراق.

قوله تعالى: إن بعض الظن إثم قال المفسرون: هو ما تكلم به مما ظنه من السوء بأخيه المسلم، فإن لم يتكلم به فلا بأس، وذهب بعضهم إلى أنه يأثم بنفس ذلك الظن وإن لم ينطق به. قوله تعالى: ولا تجسسوا وقرأ أبو رزين والحسن والضحاك وابن سيرين وأبو رجاء وابن يعمر: بالحاء.

قال أبو عبيدة: التجسس والتحسس واحد، وهو التبحث، ومنه الجاسوس. وروي عن يحيى بن أبي

لم أره من حديث أبي هريرة. وورد من حديث حارثة بن النعمان، أخرجه الطبراني ٣٢٢٧ وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو ضعيف، وبه أعله الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٧٧. وورد من مرسل إسماعيل بن أمية، أخرجه عبد الرزاق ١٩٥٠٤ فهو شاهد له.

ضعيف جدا، أخرجه تمام في «فوائده» ١١٦٧ من حديث أنس، وفيه أبان بن أبي عياش متروك، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٦٠٢ من وجه آخر، وفيه معاوية الصدفي واه.." (١)

"٢٩ - وأخبرنا الشيخ أبو بكر بن المنصور، وأم الرجاء يمنى بنت المبارك بن هبة الله بن محمد بن السمسار، بقراءتي عليهما في مجلسين كل منهما على حدة، قالا: أنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن العلاف المقرئ، أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص الحمامي المقرئ، نا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد الدقاق، نا عيسى بن عبد الله بن رغاث، نا يزيد بن عمر بن جنزة المدائني، نا عمر بن علي، عن عكرمة بن عمار، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاث فقال: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **حسن الظن بالله** عز وجل»." (٢)

"بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر علي ثقفيان وقرشي فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما تقولون؟ فقال الرجلان إذا سمعنا أصواتنا سمع وإلا لم يسمع. فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل وما كنتم تستترون.

ثم قال تعالى: وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وهذا نص صريح في أن من ظن بالله تعالى أنه يخرج شيء من المعلومات عن علمه فإنه يكون من الهالكين الخاسرين، قال أهل التحقيق الظن قسمان ظن حسن بالله تعالى وظن فاسد، أما الظن الحسن فهو أن يظن به الرحمة والفضل،

قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي»

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**» ،

والظن القبيح فاسد وهو أن يظن بالله تعالى أنه يعزب عن علمه بعض هذه الأحوال، وقال قتادة: الظن نوعان ظن منج

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤/١٥١

(٢) جزء العبدي أبو الحسن العَبْدي ص/٣٠

وظن مرد، فالمنج قوله إني ظننت أني ملاق حسابيه [الحاقة: ٢٠] وقوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم [البقرة: ٤٦] ، وأما الظن المردي فهو قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم قال صاحب «الكشاف» وذلكم رفع بالابتداء وظنكم وأرداكم خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر.

ثم قال: فإن يصبروا فالنار مثوى لهم يعني إن أمسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار مثوى لهم أي مقاما لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها، ونظيره قوله تعالى: أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص [إبراهيم: ٢١] وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي إن يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون أي لا سبيل لهم إلى ذلك.

[سورة فصلت (٤١) : الآيات ٢٥ الى ٢٩]

وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين (٢٥) وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (٢٦) فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون (٢٧) ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون (٢٨) وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين (٢٩)

اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة على كفر أولئك الكفار أردفه بذكر السبب الذي لأجله وقعوا في ذلك الكفر فقال: وقيضنا لهم قرناء وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قال صاحب «الصحاح» : يقال قايضت الرجل مقايضة أي عاوضته بمتاع، وهما قيضان، كما يقال بيعان، وقيض الله فلانا لفلان أي جاءه به وأتى به له، ومنه قوله تعالى: وقيضنا لهم قرناء.

المسألة الثانية: احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى يريد الكفر من الكافر، فقالوا إنه تعالى ذكر أنه قيض لهم أولئك القرناء، وكان عالما بأنه متى قيض لهم أولئك القرناء فإن يزينوا الباطل لهم، وكل من فعل فعلا وعلم أن ذلك الفعل يفضي إلى أثر لا محالة، فإن فاعل ذلك الفعل لا بد وأن يكون مريدا لذلك الأثر فثبت." (١)

"٢٥٤ - ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ لم يذكر فيه حديث أبي هريرة وهو ما روى حماد عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة قال: بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت نواجذه. فقيل له: لم تضحك يا رسول الله؟ قال: (رجلان من أمتي جثيا بين يدي الله فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، إلى أن قال: من يملك؟ ثم قال: أنت بعفوك عن أخيك. قال: عفوت قال: خذ بيده وأدخله الجنة. قال - صلى الله عليه وسلم -: (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) (١).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٢٠) برقم (٨٧١٨) في كتاب الأهوال، وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٥٧/٢٧

يخرجاه ". أهـ، وابن أبي الدنيا في **حسن الظن بالله** (١/ ١٠٩) برقم (١١٨). وعزاه العراقي في تخريج الإحياء (٢/ ٣١٠) إلى الخرائطي في مكارم الأخلاق، والحاكم، وأبو يعلى الموصلي، وقال: " وضعفه البخاري وابن حبان ". أهـ، ولم أعثر عليه في كتبهم بحسب ما اطلعت وضعفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٦) برقم (١٤٦٩) وقال: " ضعيف جدا ". أهـ." (١)

"٥١٢٠ - وروي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها

رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب والبيهقي

٥١٢١ - وفي رواية للبيهقي قال كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فهاجت الريح فوقع ما كان فيها من ورق نخر وبقي ما كان من ورق أخضر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مثل هذه الشجرة فقال القوم الله ورسوله أعلم فقال مثل المؤمن إذا اقشعر من خشية الله عز وجل وقعت عنه ذنوبه وبقيت له حسناته

٥١٢٢ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة التحريم ٦ تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فخر فتى مغشيا عليه فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فإذا هو يتحرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فتى قل لا إله إلا الله فقالها فبشره بالجنة فقال أصحابه يا رسول الله أمن بيننا قال أو ما سمعتم قوله تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد إبراهيم ٤١

رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد كذا قال

٥١٢٣ - وروي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف الله عز وجل خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء

رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب ورفعه منكر

١٠ - الترغيب في الرجاء **وحسن الظن بالله** عز وجل سيما عند الموت

٥١٢٤ - عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن

---

(١) مباحث التفسير لابن المظفر الرازي الرازي، ابن المظفر ص/٣٣٤

آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة

رواه الترمذي وقال حديث حسن." (١)

"إن حسن الظن من حسن عبادة الله

٥١٢٩ – وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل

رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه

٥١٣٠ – وعن حيان أبي النضر قال خرجت عائدا ليزيد بن الأسود فلقيت واثلة بن الأسقع وهو يريد عيادته فدخلنا عليه فلما رأى واثلة بسط يده وجعل يشير إليه فأقبل واثلة حتى جلس فأخذ يزيد بكفي واثلة فجعلهما على وجهه فقال له واثلة كيف ظنك بالله قال ظني بالله والله حسن

قال فأبشر

فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله جل وعلا أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله وإن ظن شرا فله

رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي

٥١٣١ – وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله الظن إلا أعطاه ظنه ذلك بأن الخير في يده

رواه الطبراني موقوفا ورواته رواة الصحيح إلا أن الأعمش لم يدرك ابن مسعود

٥١٣٢ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله عز وجل بعبد إلى النار فلما وقف على شفتها التفت فقال أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسن فقال الله عز وجل ردوه أنا عند حسن ظن عبدي بي

رواه البيهقي عن رجل من ولد عبادة بن الصامت لم يسمه عن أبي هريرة." (٢)

"باب لا يموت أحد وهو يحسن بالله الظن وفي الخوف من الله تعالى

مسلم «عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاثة أيام: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» أخرجه البخاري.

وذكره ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله وزاد: فإن قوما قد أرادهم سوء ظنهم بالله فقال لهم تبارك وتعالى: ﴿وذلكم

(١) الترغيب والترهيب للمنذري عبد العظيم المنذري ١٣٤/٤

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري عبد العظيم المنذري ١٣٦/٤

ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ .

ابن ماجه، «عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال: كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي، فقال." (١)

"فتشته عما في يديه إلا ما كان من الورعين فإني أستحييهم وأجلهم فأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب» فمن استحي من الله تعالى في الدنيا مما صنع استحي الله تعالى من تفتيشه وسؤاله.

ولم يجمع عليه حياءين، كما لا يجمع عليه خوفين.

فصل: حسن الظن بالله تعالى، ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه في حال الصحة، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له وينبغي لجلسائه أن يذكروه بذلك حتى يدخل في قوله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» .

وروى حماد بن سلمة، «عن ثابت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله.

فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة»

وروى عن ابن عمر أنه قال: [عمود الدين وغاية مجده وذروة سنامة: حسن الظن بالله.

فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله: دخل الجنة مدلا]." (٢)

"باب

أبو داود «عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن آبائهم دنية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه في حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة» صححه أبو محمد عبد الحق.

باب في إرضاء الله تعالى الخصوم يوم القيامة

روينا في الأربعين وذكره ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله تعالى «عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه، فقيل له: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي عز وجل فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته فقال يا رب ما بقي من حسناتي شيء، فقال يا رب فليحمل من أوزاري وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال إن ذلك اليوم ليوم يحتاج الناس فيه إلى أن تحمل عنهم أوزارهم، ثم قال الله تعالى للطالب حقه ارفع بصرك فانظر إلى الجنان فرفع بصره ما أعجبه من الخير والنعمة فقال: لمن هذا يا رب؟ فقال: لمن أعطاني ثمنه.

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة   شمس الدين القرطبي ص/١٧٢

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة   شمس الدين القرطبي ص/١٧٤

قال ومن يملك ثمن ذلك؟ قال أنت.

قال: بم إذا؟ قال بعفوك عن أخيك.

قال يا رب فإني قد عفوت عنه.

قال خذ بيد أخيك." (١)

"زوجته، ووالديه، وأولاده، وغلمانه، وجيرانه، وأصدقائه، وكل من كانت بينه وبينه معاملة، أو مصاحبة، أو تعلق في شيء.

وينبغي أن يوصي بأمور أولاده، إن لم يكن لهم جد يصلح للولاية، ويوصي بما لا يتمكن من فعله في الحال: من قضاء بعض الديون، ونحو ذلك. وأن يكون **حسن الظن بالله** سبحانه وتعالى أنه يرحمه، ويستحضر في ذهنه أن حقير في مخلوقات الله تعالى، وأن الله تعالى غني عن عذابه، وعن طاعته، وأنه عبده، ولا يطلب العفو والإحسان والصفح والامتنان إلا منه.

ويستحب أن يكون متعاهدا نفسه بقراءة آيات من القرآن العزيز في الرجاء، ويقرؤها بصوت رقيق، أو يقرؤها له غيره وهو يستمع. وكذلك يستقرئ أحاديث الرجاء، وحكايات الصالحين وآثارهم عند الموت، وأن يكون خيره متزايدا، ويحافظ على الصلوات واجتناب النجاسات وغير ذلك من وظائف الدين، ويصبر على مشقة ذلك؛ وليحذر من التساهل في ذلك، فإن من أقبح القبائح أن يكون آخر عهده من الدنيا التي هي مزرعة الآخرة التفريط فيما وجب عليه، أو ندب إليه. وينبغي له ألا يقبل قول من يخذله عن شيء مما ذكرناه، فإن هذا مما يبتلى به، وفاعل ذلك هو الصديق الجاهل، العدو الخفي، فلا يقبل تخذيله، وليجتهد في ختم عمره بأكمل الأحوال.

ويستحب أن يوصي أهله وأصحابه بالصبر عليه في مرضه، واحتمال ما يصدر منه، ويوصيهم أيضا بالصبر على مصيبتهم به، ويجتهد في وصيتهم بترك البكاء عليه، ويقول لهم: صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الميت يعذب ببكاء أهله عليه" [البخاري، رقم: ١٢٨٦؛ مسلم، رقم: ٩٢٧] فإياكم -يا أحبائي- والسعي في أسباب عذابي، ويوصيهم بالرفق بمن يخلفه." (٢)

"وأولاده، وغلمانه، وجيرانه، وأصدقائه، وكل من كانت بينه وبينه معاملة أو مصاحبة، أو تعلق في شئ.

وينبغي أن يوصي بأمور أولاده إن لم يكن لهم جد يصلح للولاية، ويوصي بما لا يتمكن من فعله في الحال، من قضاء بعض الديون ونحو ذلك.

وأن يكون **حسن الظن بالله** سبحانه وتعالى أنه يرحمه، ويستحضر في ذهنه أنه حقير في مخلوقات الله تعالى، وأن الله تعالى غني عن عذابه وعن طاعته، وأنه عبده، ولا يطلب العفو والإحسان والصفح والامتنان إلا منه.

ويستحب أن يكون متعاهدا نفسه بقراءة آيات من القرآن العزيز في الرجاء، ويقرؤها بصوت رقيق، أو يقرؤها له غيره وهو يستمع.

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة   شمس الدين القرطبي ص/٦٦٠

(٢) الأذكار للنووي ط ابن حزم   النووي ص/٢٦٠

وكذلك يستقرئ أحاديث الرجاء، وحكايات الصالحين وآثارهم عند الموت، وأن يكون خيره متزايدا، ويحافظ على الصلوات، واجتناب النجاسات، وغير ذلك من وظائف الدين، ويصبر على مشقة

ذلك، وليحذر من التساهل في ذلك، فإن من أقبح القبائح أن يكون آخر عهده من الدنيا التي هي مزرعة الآخرة التفريط فيما وجب عليه أو ندب إليه.

وينبغي له أن لا يقبل قول من يخذله عن شئ مما ذكرناه، فإن هذا مما يبتلى به، وفاعل ذلك هو الصديق الجاهل العدو الخفي فلا يقبل تخذيله، وليجتهد في ختم عمره بأكمل الأحوال.

ويستحب أن يوصي أهله وأصحابه بالصبر عليه في مرضه، واحتمال ما يصدر منه، ويوصيهم أيضا بالصبر على مصيبتهم به، ويجتهد في وصيتهم بترك البكاء عليه، ويقول لهم:

٤١٧ - صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " الميت يعذب ببكاء أهله عليه " (١) فإياكم - يا أحبائي - والسعي في أسباب عذابي.

ويوصيهم بالرفق بمن يخلفه من طفل وغلام وجارية وغيرهم ويوصيهم بالإحسان إلى أصدقائه ويعلمهم:

٤١٨ - أنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه ".

٤١٩ - وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان يكرم صواحبات خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها ".

ويستحب استحبابا مؤكدا أن يوصيهم باجتناب ما جرت العادة به من البدع في الجنائز، ويؤكد العهد بذلك.

ويوصيهم بتعاهده بالدعاء وأن لا ينسوه بطول الأمد.

---

(١) وهو محمول على النياحة ورفع الصوت بالعويل، أو الوصية به، وأما البكاء من غير ناحة ولا رفع صوت فلا بأس به، وقد ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

(*)." (١)

"الخلق، والشتم، والمخاصمة، والمنازعة في غير الأمور الدينية، ويستحب أن يكون شاكرا لله تعالى بقلبه ولسانه، ويستحضر في ذهنه أن هذا آخر أوقاته من الدنيا فيجتهد على ختمها بخير، ويبادر إلى أداء الحقوق إلى أهلها، من رد المظالم والودائع والعواري، واستحلال أهله: من زوجته، ووالديه، وأولاده، وغلمانه، وجيرانه، وأصدقائه، وكل من كانت بينه وبينه معاملة أو مصاحبة، أو تعلق في شيء. وينبغي أن يوصي بأمور أولاده إن لم يكن لهم جد يصلح للولاية، ويوصي بما لا يتمكن من فعله في الحال: من قضاء بعض الديون ونحو ذلك. وأن يكون **حسن الظن بالله** سبحانه وتعالى أنه يرحمه، ويستحضر في ذهنه أنه حقير في مخلوقات الله تعالى، وأن الله تعالى غني عن عذابه وعن طاعته، وأنه عبده، ولا يطلب العفو والإحسان والصفح (١) والامتنان إلا منه. ويستحب أن يكون متعاهدا نفسه بقراءة آيات من القرآن العزيز في الرجاء، ويقرؤها بصوت رقيق، أو يقرؤها له غيره وهو يستمع. وكذلك يستقرىء أحاديث الرجال وحكايات الصالحين وآثارهم عند

---

(١) الأذكار للنووي ت الأرنؤوط النووي ص/١٤٢

الموت. وأن يكون خيره متزايدا، ويحافظ على الصلوات، واجتناب النجاسات، وغير ذلك من وظائف الدين، ويصبر على مشقة ذلك؛ وليحذر من التساهل في ذلك، فإن من أقبح القبائح أن يكون آخر عهده من الدنيا التي هي مزرعة الآخرة التفريط فيما وجب عليه أو ندب إليه. وينبغي له أن لا يقبل قول من يخذله عن شيء مما ذكرناه، فإن هذا مما يبتلى به، وفاعل ذلك هو الصديق الجاهل العدو الخفي فلا يقبل تخذيله، وليجتهد في ختم عمره بأكمل الأحوال.

ويستحب أن يوصي أهله وأصحابه بالصبر عليه في مرضه، واحتمال ما يصدر منه، ويوصيهم أيضا بالصبر على مصيبتهم به، ويجتهد في وصيتهم بترك البكاء عليه، ويقول لهم: صح عن رسول

---

(١) "والصفح"، سقطت من "د"." (١)

"٥٢- باب فضل الرجاء

قال الله تعالى: إخبارا عن العبد الصالح: ﴿وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ [غافر:٤٥،٤٤] .

١/٤٤٠-وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "قال الله، عز وجل، أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلي شبرا، تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلي ذراعا، تقربت إليه باعا، وإذا أقبل إلي يمشي، أقبلت إليه أهرول "متفق عليه، وهذا لفظ إحدى روايات مسلم. وتقدم شرحه في الباب قبله.

وروي في الصحيحين: "وأنا معه حين يذكرني"بالنون، وفي هذه الرواية"حيث"بالثاء وكلاهما صحيح.

٣/٤٤١-وعن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم، قبل موته بثلاثة أيام يقول: "لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل "رواه مسلم.

٣/٤٤٢-وعن أنس، رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان." (٢)

"الله

في مخالفة حكمه والإهمال فيه. لعلكم ترحمون على تقواكم.

[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١١ الى ١٢]

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين

---

(١) الأذكار للنووي ت مستو النووي ص/٢٤٥

(٢) رياض الصالحين ط الرسالة النووي ص/١٦٧

آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن أي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض إذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر، والقوم مختص بالرجال لأنه إما مصدر نعت به فشاع في الجمع أو جمع لقائم كزائر وزور، والقيام بالأمور وظيفة الرجال كما قال تعالى: الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون، فإما على التغليب أو الاكتفاء بذكر الرجال على ذكرهن لأنهن توابع، واختيار الجمع لأن السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لإغناء الإسم عنه. وقرئ «عسوا أن يكونوا» و «عسين أن يكن» فهي على هذا ذات خبر. ولا تلمزوا أنفسكم أي ولا يغتب بعضكم بعضا فإن المؤمنين كنفس واحدة، أو لا تفعلوا ما تلمزون به فإن من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه. واللمز الطعن باللسان. وقرأ يعقوب بالضم. ولا تنابزوا بالألقاب ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء، فإن النبز مختص بلقب السوء عرفا. بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الإيمان واشتهارهم به، والمراد به إما تهجين نسبة الكفر والفسق إلى المؤمنين خصوصا إذ

روي أن الآية نزلت في صفية بنت حيي رضي الله عنها، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين، فقال لها «هلا قلت إن أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم السلام» .

أو الدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين الإيمان مستقبح. ومن لم يتب عما نهي عنه. فأولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب.

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب، وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القبيل، فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات **وحسن الظن بالله** سبحانه وتعالى، وما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين، وما يباح كالظن في الأمور المعاشية. إن بعض الظن إثم مستأنف للأمر، والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه. والهمزة فيه بدل من الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها. ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين، تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس، وقرئ بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الخمس الجواس.

وفي الحديث «لا تتبعوا عورات المسلمين، فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته» .

ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته.

وسئل عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال: «أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته» .

أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر، وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة، وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل

المأكول أخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله: فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك. والمعنى إن صح ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم إنكار كراهته، وانتصاب ميتا على الحال من اللحم أو الأخ وشدده نافع. واتقوا الله إن الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه، والمبالغة في ال تواب لأنه بليغ في قبول التوبة إذ." (١)

"نعم، إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم، وإذ لم أحرم الرضا به، وإذ أرجو الثواب عليه.

قال رجل لسهل بن عبد الله: دخل اللص بيتي وأخذ متاعي، فقال: اشكر الله تعالى، لو دخل الشيطان قلبك فأفسد إيمانك، ماذا كنت تصنع؟ ومن استحق أن يضربك مائة سوط، فاقتصر على عشرة فهو مسحق للشكر.

الثالث: أن ما من عقوبة إلا كان يتصور أن تؤخره إلى الآخرة، ومصائب الدنيا يتسلى عنها فتخفف، ومصيبة الآخرة دائمة، وإن لم تدم، فلا سبيل إلى تخفيفها، ومن عجلت عقوبته في الدنيا لم يعاقب ثانيا، كذا ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وفى "صحيح مسلم": "إن كل ما يصاب به المسلم يكون كفارة له، حتى النكبة ينكبها، والشوكة يشاكها".

الرابع: أن هذه المصيبة كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب، ولم يكن بد من وصولها إليه، فقد وصلت واستراح منها، فهي نعمة.

الخامس: أن ثوابها أكثر منها، فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة، كما يكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبى، فإنه لو خلى واللعب، لكان يمنعه، ذلك من العلم والأدب، فكان يخسر طول عمره، وكذلك المال والأهل والأقارب والأعضاء، قد تكون سببا لهلاكه، فالملحدون غدا يتمنون أن لو كانوا مجانين وصبيانا، ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى، فما من شئ من هذه الأسباب يوجد من العبد، إلا ويتصور أن يكون له في ذلك خبرة دينية، فعليه أن **يحسن الظن بالله** عز وجل، ويقدر الخيرة فيما أصابه، ويشكر الله تعالى عليه، فإن حكمة الله تعالى واسعة، وهو أعلم بمصالح العباد منهم، وغدا يشكره العباد على البلاء إذا رأوا ثوابه، كما يشكر الصبي بعد البلوغ أستاذه وأباه على ضربه وتأديبه، إذ رأى ثمرة ما استفاد من التأديب.

والبلاء تأديب من الله تعالى، ولطفه بعباده أتم وأوفى من عناية الآباء بالأولاد ..

وفى الحديث: "لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له".

وأيضا، فاعلم أن رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا، ورأس أسباب النجاة التجافي بالقلب عنها، ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث." (٢)

"قال الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله﴾ [البقرة: ٢١٨].

المعنى: أولئك الذين يستحقون أن يرجوا، ولم يرد به تخصيص وجود الرجاء، لأن غيرهم أيضا قد يرجو ذلك.

واعلم: أن الرجاء محمود، لأنه باعث على العمل، واليأس مذموم، لأنه صارف عن العمل، إذ من عرف أن الأرض سبخة،

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٣٦/٥

(٢) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٢٩٣

وأن الماء مغور، وأن البذر لا ينبت، ترك تفقد الأرض، ولم يتعب في تعاهدها.

وأما الخوف، فليس بضد الرجاء، بل رفيق له، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وحال الرجاء يورث طريق المجاهدة بالأعمال، والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال، ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله عز وجل، والتنعم بمناجاته، والتلطف في التملق له، فإن هذه الأحوال لابد أن تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك، أو شخصا من الأشخاص، فكيف لا يظهر ذلك في حق الله سبحانه وتعال؟ فمتى لم يظهر، استدل به على حرمان مقام الرجاء، فمن رجا أن يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات، فهو مغرور.

١ . فصل في فضيلة الرجاء

روى في "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدى بي" وفى رواية أخرى "فليظن بى ما شاء".

وفى حديث آخر من رواية مسلم: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**".

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أحبنى، وأحب من يحبنى، وحببنى إلى خلقي. قال: يارب: كيف أحببك إلى خلقك؟ قال: اذكرني بالحسن الجميل، واذكر آلائي وإحساني.

وعن مجاهد رحمه الله قال: يؤمر بالعبد يوم القيامة إلى النار، فيقول: ما كان هذا ظني فيقول: ما كان ظنك؟ فيقول: أن تغفر لى، فيقول: خلو سبيله.." (١)

"التوبة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله يقبل التوبة من العبد مالم يغرغر".

وقد روى أن الملكين الموكلين بالعبد يتراءيان له عند الموت، فإن كان صالحا أثنيا عليه، وقالا: جزاك الله خيرا، وإن كان صحبهما بشر، قالا: لا جزاك الله خيرا (١).

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله عز وجل وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله، فإذا مات قالا: قد مات، أتأذن لنا أن تصعد إلى السماء؟ قال: فيقول الله تعالى: إن سمائي مملؤة من ملائكتي يسبحوني. فيقولون: فتأذن لنا فنقيم في الأرض؟ فيقول الله تعالى: إن أرضى مملوءة من خلقي، يسبحوني. فيقولان: فأين تقيم؟ فيقول: قوما على قبر عبدى، فسبحاني واحمداني وكبراني وهللاني، واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة".

وفى "الصحيحين" من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، وأما صاحب النار الذي ختم له بسوء فهو يبشر بها وهو في تلك الأهوال".

وقد كان كثير من السلف يخافون سوء الخاتمة، وقد ذكر ذلك في كتاب الخوف، وهو لائق بهذا المكان، نسأل الله أن يرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء، وأن يلطف بنا، وأن يختم لنا بخير إنه جواد كريم.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٢٩٩

وأما ما يستحب من الأحوال عند المحتضر، فأن يكون قلبه **يحسن الظن بالله** تعالى، ولسانه ينطق بالشهادة، والسكون من علامات اللطف، وهو أمارة على أنه قد رأى الخير، وقد روى أن روح المؤمن تخرج رشحا. ويستحب تلقينه: لا إله إلا الله، كما جاء في الحديث الصحيح من رواية مسلم: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله".

وينبغي للملقن أن يرفق به، ولا يلح عليه. وقد جاء في حديث آخر: "احضروا موتاكم، ولقنوهم لا إله إلا الله، وبشروهم بالجنة، فإن الحليم العليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع، وإن إبليس عدو الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن" (٢). وذكر الحديث إلى آخره.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا عن وهيب بن الورد بلاغا.

(٢) ضعيف أخرجه أبو نعيم في "الحلية".." (١)

"وفي الحديث الصحيح: "لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**".

وروى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل على رجل وهو يموت فقال: "كيف تجدك؟ " قال: أرجو الله وأخاف ذنوبي. فقال: "ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذي يرجو، وأمنه من الذي يخاف".

والرجاء عند الموت أفضل، لأن الخوف سوط يساق به، وعند الموت يقف البصر، فينبغي أن يتلطف به، ولأن الشيطان يأتي حينئذ يسخط العبد على الله فيما يجرى عليه، ويخوفه فيما بين يديه، فحسن الظن أقوى سلاح يدفع به العدو.

وقال سليمان التيمى لابنه عند الموت: يا بني! حدثني بالرخص، لعلي ألقى الله تعالى وأنا أحسن الظن به.

٢٣ . باب ذكر وفاة رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم

اعلم: أن في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة في كل أحواله، ومعلوم أنه ليس في المخلوقين أحد أحب إلى الله تعالى منه، ولم يؤخره الله تعالى حين انقضى أجله.

وقد لقي صلى الله عليه وآله وسلم من الموت شدة، فروى البخاري في "صحيحه" من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركوة أو علبة فيه ماء، فجعل يدخل يده في الماء، فيمسح بها وجهه ويقول: "لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات".

وفى "صحيح البخاري" من حديث أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه! فقال لها: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم".

وروى ابن مسعود قال: اجتمعنا في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها، فنظر إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدمعت

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٣٨٨

عيناه، فنعى إلينا نفسه وقال: مرحبا، حياكم الله بالسلام، حفظكم الله، ورعاكم الله، جمعكم الله، نصركم الله، وفقكم." (١)

"ولحديث جابر رضي الله عنه في صحيح مسلم لا يموتن أحدكم الا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل
وحديث أبي هريرة في الصحيحين يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني وذكر الحديث
وأنشد أبو عثمان سعيد بن اسماعيل ... ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... وان ثوبك مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... ان السفينة لا تجري على اليبس ...." (٢)

"الحال ويدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم وما شهدنا إلا بما علمنا يعني ولم نقل ذلك إلا بعد أن رأينا إخراج الصواع وقد أخرج من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء إلا بما علمناه وهذه ليست بشهادة إنما هو خبر عن صنيع ابنك أنه سرق بزعمهم فيكون المعنى أن ابنك سرق في زعم الملك وأصحابه لا أنا نشهد عليه بالسرقة: وقرأ ابن عباس والضحاك: سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها أي نسب إلى السرقة واتهم بها وهذه القراءة لا تحتاج إلى تأويل ومعناها أن القوم نسبوه إلى السرقة إلا أن هذه القراءة ليست مشهورة فلا تقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هي الأولى وقوله وما شهدنا إلا بما علمنا يعني وما قلنا هذا إلا بما علمنا فيما رأينا إخراج الصواع من متاعه، وقيل: معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء إلا بما عملناه وليست هذه شهادة وإنما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم. وقيل: قال لهم يعقوب هب أنه سرق فما يدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته إلا بقولكم قالوا ما شهدنا عنده أن السارق يسترق إلا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الأنبياء قبله ويعقوب وبنيه.

وأورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب إخفاء هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك.

وأجيب عنه بأنه يحتمل أن يكون ذلك الحكم كان مخصوصا بما إذا كان المسروق منه مسلما فلهذا أنكر عليهم إعلام الملك بهذا الحكم لظنه أنه كافر وما كنا للغيب حافظين قال مجاهد وقتادة: يعني ما كنا نعلم أن ابنك سرق ويصير أمرنا إلى هذا ولو عملنا ذلك ما ذهبنا به معنا وإنما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا إلى حفظه منه سبيل، وقال ابن عباس: ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين وقيل معناه إن حقيقة الحال غير معلومة لنا فإن الغيب لا يعلمه إلا الله فلعل الصواع دس في رحله ونحن لا نعلم بذلك وسئل القرية التي كنا فيها يعني واسأل أهل القرية إلا أن حذف المضاف للإيجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد بالقرية مصر، وقال ابن عباس: هي قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش والعير التي أقبلنا فيها يعني واسأل القافلة التي كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب وإنا لصادقون يعني فيما قلناه وإنما أمرهم أخوهم الذي أقام بمصر بهذه المقالة مبالغة في إزالة التهمة عن أنفسهم عند أبيهم لأنهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فيه اختصار تقديره فرجعوا إلى أبيهم فأخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم وأمرهم أن يقولوه لأبيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعني بل زينت

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٣٨٩

(٢) مختصر شعب الإيمان القَزْوِيني، أبو القاسم ص/٣٤

لكم أنفسكم أمرا وهو حمل أخيكم معكم إلى مصر لطلب نفع عاجل فآل أمركم إلى ما آل، وقيل: معناه بل خيلت لكم أنفسكم أنه سرق ما سرق فصبر جميل تقدم تفسيره في أول السورة.

وقوله عسى الله أن يأتيني بهم جميعا يعني بيوسف وبنيامين والأخ الثالث الذي أقام بمصر وإنما قال يعقوب هذه المقالة لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل **حسن الظن بالله** عز وجل لأنه إذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع إلى الفرج، وقيل: إن يعقوب علم بما يجري عليه وعلى بنيه من أول الأمر وهو رؤيا يوسف وقوله «يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا» فلما تناهى الأمر قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم يعني بحزني ووجدي عليهم الحكيم فيما يدبره ويقضيه.

[سورة يوسف (١٢): الآيات ٨٤ الى ٨٦]

وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (٨٤) قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين (٨٥) قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون (٨٦)." (١)

"ورجاؤه لاعتدلا إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله صلى الله عليه وسلم «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** تعالى» «١» ..

واعلم أن الخوف على ثلاث درجات: الأولى أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر، فوجود هذا كالعدم والثانية أن يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة، والثالثة أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس وهذا لا يجوز، وخير الأمور أوسطها، والناس في الخوف على ثلاث مقامات: فخوف العامة من الذنوب، وخوف الخاصة من الخاتمة، وخوف خاصة الخاصة من السابقة، فإن الخاتمة مبنية عليها، والرجاء على ثلاث درجات: الأولى رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية فهذا هو الرجاء المحمود والثانية الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور، والثالثة أن يقوى الرجاء حتى يبلغ الأمن، فهذا حرام، والناس في الرجاء على ثلاث مقامات: فمقام العامة رجاء ثواب الله، ومقام الخاصة رضوان الله، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه إن رحمت الله قريب من المحسنين حذفت تاء التأنيث من قريب وهو خبر عن الرحمة على تأويل الرحمة: بالرحم أو الترحم أو العفو، أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي، أو لأنه صفة موصوف محذوف وتقديره شيء قريب، أو على تقدير النسب أي ذات قرب، وقيل: قريب هنا ليس خبر عن الرحمة وإنما هو ظرف لها

الرياح بشرا قرئ الرياح بالجمع لأنها رياح المطر، وقد اضطرد في القرآن جمعها إذا كانت للرحمة، وإفرادها إذا كانت للعذاب، ومنه ورد في الحديث «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» «٢» وقرئ بالإفراد، والمراد الجنس وقرئ نشرا بفتح النون وإسكان الشين، وهو على هذا مصدر في موضع الحال، وقرئ بضمها وهو جمع نشر، وقيل: جمع منشور، وقرئ بضم النون

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٥٤٨/٢

وإسكان الشين نشر وهو تخفيف من الضم: كرسل ورسل، وقرئ بالباء «٣» في موضع النون وهو من البشارة بين يدي رحمته أي قبل المطر أقلت حملت سحابا ثقالا لأنها تحمل الماء فتثقل به سقناه الضمير للسحاب لبلد ميت يعني: لا نبات فيه من شدة القحط، وكذلك معناه حيث وقع فأنزلنا به الماء الضمير للسحاب أو البلد، على أن تكون الباء ظرفية كذلك نخرج الموتى تمثيل لإخراج الموتى من القبور، وبإخراج الزرع من الأرض، وقد وقع ذلك في القرآن في

---

(١) . رواه أحمد من حديث جابر ج ٣ ص ٣٧٢.

(٢) . عزاه الإمام النووي في الأذكار للإمام الشافعي في كتابه الأم بسنده إلى ابن عباس.

(٣) . وهي قراءة عاصم وقرأ نافع وغيره نشرا وقرأ غيرهم: نشرا.." (١)

"حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: **نحسن الظن بالله**، وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل. ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم: إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا، لأوتين مالا وولدا إن لي عنده للحسنى. وكان أهل الكتاب يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار إلا أياما معدودة، ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك انتهى.

وعلى هذه الأقوال وقع الاختلاف في اسم ليس، وأقربها إن الذي يعود الضمير عليه هو الوعد من أنه تعالى يدخلهم الجنة، ويليه أن يعود على الإيمان المفهوم من قوله:

والذين آمنوا وعملوا الصالحات «١» كما ذهب إليه الحسن، ثم إنه يعود على ما وقعت فيه محاورة المؤمنين وأهل الكتاب، أو ما قالته قريش وأهل الكتاب على ما مر ذكره. وقال الحوفي: اسم ليس مضمر فيها على معنى: ليس الثواب عن الحسنات ولا العقاب على السيئات بأمانيكم، لأن الاستحقاق إنما يكون بالعمل، لا بالأماني. وقال أبو البقاء: ليس مضمر فيها ولم يتقدم له ذكر، وإنما دل عليه سبب الآية، وذلك أن اليهود والنصارى قالوا:

نحن أصحاب الجنة. وقال المشركون: لا نبعث. فقال: ليس بأمانيكم أي: ليس ما ادعيتموه بأمانيكم. وقرأ الحسن، وأبو جعفر، وشيبة بن نصاح، والحكم، والأعرج: بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ساكنة الياء، جمع على فعالل، كما يقال: قراقير وقراقر، جمع قرقور.

من يعمل سوءا يجز به قال الجمهور: اللفظ عام، والكافر والمؤمن مجازيان بالسوء يعملانه. فمجازاة الكافر النار، والمؤمن بنكبات الدنيا.

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لما نزلت قلت: يا رسول الله ما أشد هذه الآية جاءت قاصمة الظهر، فقال صلى الله عليه وسلم:

«إنما هي المصيبات في الدنيا»

وقالت بمثل هذا التأويل عائشة رضي الله عنها. وقال به:

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢٩١/١

أبي بن كعب، وسأله الربيع بن زياد عن معنى الآية وكأنه خافها فقال له: أي ما كنت أظنك إلا أفقه مما أرى، ما يصيب الرجل خدش أو غيره إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر.

وخصص الحسن، وابن زيد بالكفار يجازون على الصغائر والكبائر. وقال الضحاك: يعني اليهود والنصارى والمجوس وكفار العرب، ورأى هؤلاء أن الله تعالى وعد المؤمنين بتكفير السيئات. وخصص السوء ابن عباس، وابن جبير بالشرك. وقيل: السوء عام في الكبائر.

---

(١) سورة النساء: ٤/ ١٢٢.." (١)

"عندهم؟ فإن كان ينفعهم قولهم: "حسنا ظنوننا بك (١) "، لم يعذب ظالم ولا فاسق (٢). فليصنع العبد ما شاء، وليرتكب كل ما نهاه الله عنه، وليحسن ظنه بالله، فإن النار لا تمسه! فسبحان الله، ما يبلغ الغرور بالعبد!.

وقد قال إبراهيم لقومه: ﴿أئفكا آلهة دون الله تريدون (٨٦) فما ظنكم برب العالمين (٨٧)﴾ [الصافات: ٨٦ - ٨٧] أي: فما (٣) ظنكم به أن يفعل بكم إذا لقيتموه، وقد عبدتم غيره؟

ومن تأمل هذا الموضع (٤) حق التأمل علم أن **حسن الظن بالله** هو حسن العمل نفسه. فإن العبد إنما يحمله على حسن العمل حسن ظنه بربه أن يجازيه على أعماله، ويثيبه عليها، ويتقبلها منه. فالذي (٥) حمله على العمل حسن الظن، وكلما (٦) حسن ظنه حسن عمله، وإلا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز، كما في الترمذي والمسند من حديث شداد بن أوس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال (٧): "الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت. والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على

---

(١) خا: "بالله". ز: "حسن ... ".

(٢) وقع في ف: "أنك لم تعذب ظالما ولا فاسقا". وهذا مفسد للسياق. وفي ل: "ظنو بانك" وهو تحريف "ظنوننا بك".

(٣) ل، ز: "وما".

(٤) ل: "هذه المواضع".

(٥) ف: "فإن الذي".

(٦) ف، ل: "فلما". خب: "فكلما".

(٧) "أنه قال" انفردت بها ز.." (٢)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤/٧٥

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٨

"ولا تستطل هذا الفصل، فإن الحاجة إليه شديدة لكل أحد، ففرق (١) بين حسن الظن بالله وبين الغرة (٢) به.

قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله﴾ [البقرة: ٢١٨] (٣)، فجعل هؤلاء أهل الرجاء، لا البطالين (٤) والفاسقين.

وقال (٥) تعالى: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ [النحل: ١١٠]، فأخبر سبحانه أنه بعد هذه الأشياء غفور رحيم لمن فعلها.

فالعالم (٦) يضع الرجاء مواضعه، والجاهل المغتر يضعه في غير مواضعه.

---

(١) س: "وفرق".

(٢) ف: "الغرور".

(٣) في ز خلط بين هذه الآية والآية (٧٢) من الأنفال. وكذا في خب.

(٤) س، ل: "الظالمين".

(٥) ز: "وقد قال".

(٦) ز: "والعالم".." (١)

"وكان أصل الكتاب استفتاء ورد على المؤلف، فسئل عن رجل ابتلي ببلية إن استمرت به أفسدت دنياه واخرته، وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل طريق، فما تزداد إلا توقدا وشدة. ونظر المجيب إلى الحالة المستعصية، وعموم البلوى، فرأى أن التفصيل أولى في هذا المقام من الإيجاز، ومقتضى النصح للسائل والشفقة عليه وعلى أمثاله أن يستوعب القول في أسباب المرض وعواقبه الوخيمة، وأن يرشد إلى طرق الوقاية وسبل الخلاص. فكتب فصولا نفيسة في الدعاء وشروط قبوله والأسباب المانعة من ترتب أثره، وفي الفرق بين حسن الظن بالله والاغترار برحمته، وفي أضرار المعاصي واثارها في حياة الأفراد والأمم وعقوباتها في الدنيا والآخرة، وحقيقة التعبد لله والإشراك به، والسر في كون الشرك لا يغفر من سائر الذنوب، ومضادة عشق الصور للتوحيد، ومفاسده الأخرى العاجلة والاجلة، وهكذا أصبح الجواب عن ذلك السؤال كتابا مفصلا.

ولئن كان المجتمع الذي عاش فيه المؤلف رحمه الله بحاجة إلى هذا الكتاب، على ما فيه من تمسك بالدين ومحافظة على الأخلاق والآداب = إن مجتمعاتنا إليه لأحوج، إذ صارت تمور بأسباب الفساد، بعد ما نجح الغواة في كثير من البلدان الإسلامية في استدراج المرأة المسلمة تحت شعارات خادعة إلى نزع الحجاب والاختلاط بالرجال فصار المعروف منكرا، والمنكر معروفا. ثم تفنن إخوان الشياطين في

إيجاد وسائل جديدة لإثارة الغريزة الجنسية وإشاعة الفاحشة في الذين امنوا، فقد علموا أن الانحلال الخلقي هو أقرب طريق

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٥٠

إلى تدمير الأمة، والله المستعان.

وقد صدر الكتاب قديما في الهند سنة ١٣٥٧ هـ، ثم طبع في مصر،." (١)

"ترتيب مباحث الكتاب

شرع المؤلف رحمه الله في الجواب عن الاستفتاء رأسا بقوله: "الحمد لله. ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ... ". ومضى يكتب مرتجلا على سجيته، متنقلا من مبحث إلى آخر، حتى أصبحت الفتوى كتابا كبيرا. ومع ذلك جاءت مطالب الكتاب مرتبة متدرجة متناسقة خلاف ما يظن في مثل هذا التأليف. ويمكننا أن نقسم مباحثه إلى خمسة أقسام:

١) فصول في الدعاء **وحسن الظن بالله** تعالى مع الحذر من الاغترار به (٤ – ٩٨).

افتتح الكلام بالحديث الذي أوردناه انفا، وذكر أن الله تعالى أخبر عن القرآن أنه شفاء، ثم نبه على أن الأذكار والآيات والأدعية التي يستشفى بها هي في نفسها نافعة وشافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره. ثم ذكر أسبابا أخرى لتخلف الشفاء، وشروط قبول الدعاء، والافات التي تحول دون تأثيره.

ثم عقد فصلا مهما للإجابة عن "سؤال مشهور"، وهو أن المطلوب بالدعاء إن كان مقدرا فلا بد من وقوعه، دعا به العبد أم لم يدع؛ وإلا لم يقع سواء سأله العبد أم لم يسأله فما فائدة الدعاء؟ وبين أن المقدور قدر وقوعه بأسباب، ومنها الدعاء، ثم ذكر أن الله سبحانه جعل الأعمال في كتابه سببا لحصول الخيرات والشرور في الدنيا والآخرة، فالمؤمن يدفع قدر العقوبة الأخروية بقدر التوبة والإيمان والأعمال الصالحة. ثم حذر من مغالطة نفس الإنسان إياه بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة،." (٢)

"وبالتسويف بالتوبة تارة، وبالاحتجاج بالقدر تارة.

ثم فصل صور الاغترار، وحكى أقوال المغترين، وبين الفرق بين **حسن الظن بالله** والاغترار به، مشيرا إلى خوف الصحابة على أنفسهم من النفاق، وهم من هم في تقوى الله وعبادته. وفي خلال ذلك أورد

أحاديث واثارا وأقوالا لردع الجهال العصاة المغترين بالله. وهو فصل طويل نفيس.

ثم قال: "فلنرجع إلى ما كنا فيه من ذكر دواء الداء الذي إن استمر أفسد دنيا العبد وآخرته".

٢) العقوبات القدرية للمعاصي (٩٨ – ٢٥٨).

قرر أولا أن كل شر وداء في الدنيا والآخرة سببه الذنوب والمعاصي. وأشار إلى أن المعصية هي التي أخرجت الأبوين من الجنة، كما أخرجت إبليس من ملكوت السماء، وذكر الأمم التي استحقت

عذاب الله بسبب معاصيها في عصور مختلفة، وأورد أحاديث واثارا في آثار المعاصي وعواقبه.

ثم أفاض القول في أضرار المعاصي للعبد في دينه ودنياه وآخرته، واستغرق هذا المبحث أكثر من مائة صفحة. وذكر في آخر

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٦

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٢١

فصوله أن المعاصي مدد من الإنسان يعين به عدوه على نفسه، وجيش يقويه به على حربه، وبين حيل الشيطان ووصيته لجنوده بغزو قلب الإنسان والدخول عليه من كل مدخل، والقعود له بكل طريق.

٣) العقوبات الشرعية للمعاصي (٢٥٨ – ٤١٣).

بعد ذكر آثار المعاصي في حياة الأفراد والأمم، تطرق الكلام إلى." (١)

"أهمية الكتاب والثناء عليه

لا يخفى على من أجال النظر في الفقرات السابقة أهمية هذا الكتاب القيم من حيث موضوعه الخطير وما انطوى عليه من مباحث جليلة نافعة. فقد تصدى فيه المؤلف رحمه الله لعلاج داء دوي يشقى به

المريض، ويحار فيه الطبيب النحرير، ووصف له كل السبل المانعة والدافعة مما وفقه الله إليه من خلال تدبره لكتابه العزيز ومدارسته لسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –.

وقد تكلم المؤلف في غضونه على مسائل مهمة عرضنا لها في بيان ترتيب الكتاب. وهو نفسه ينبه أحيانا على أهمية بعض المباحث وشدة الحاجة إليها، وذلك من كمال نصحه وأمانته وإشفاقه على قارئ كتابه، ليقف عند تلك المباحث ويتأملها، ولا يمر بها عجلا.

ومن ذلك أنه لما تكلم على مسألة دفع القدر بالقدر قال: "فهذه المسألة من أشرف المسائل لمن عرف قدرها ورعاها حق رعايتها" (ص ٣٥).

وقال أيضا: "ومن فقه هذه المسألة وتأملها حق التأمل، انتفع بها غاية النفع، ولم يتكل على القدر جهلا منه وعجزا وتفريطا وإضاعة، فيكون توكله عجزا وعجزه توكلا" (ص ٣٤).

وهكذا عند ما بين أن **حسن الظن بالله** تعالى لا يجتمع مع الإساءة، ولن يكون محسن الظن بربه مقيما على معاصيه معطلا لحقوقه، التفت إلى القارئ وقال له: "فتأمل هذا الموضع، وتأمل شدة الحاجة إليه"

(ص ٤٦). وبعد توضيح الفرق بين **حسن الظن بالله** والاغترار بعفوه." (٢)

"واللذات وطرق تحصيلها وهذا وإن كان لنفس فيه لذة لكن لا عاقبة له ومضرته في عاقبة الدنيا قبل الآخرة أضعاف مسرته ومنها الفكر فيما لم يكن لو كان كيف كان يكون كالفكر فيما إذا صار ملكا أو وجد كنزا أو ملك ضيعة ماذا يصنع وكيف يتصرف ويأخذ ويعطي وينتقم ونحو ذلك من أفكار السفل ومنها الفكر في جزيئات أحوال الناس وما جراياتهم ومداخلهم ومخارجهم وتوابع ذلك من فكر النفوس المبطلة الفارغة من الله ورسوله والدار الآخرة ومنها الفكر في دقائق الحيل والمكر التي يتوصل بها إلى أغراضه وهواه مباحة كانت أو محرمة ومنها الفكر في أنواع الشعر وصروفه وأفانينه في المدح والهجاء والغزل والمراثي ونحوها فإنه يشغل الإنسان عن الفكر فيما فيه سعادته وحياته الدائمة ومنها الفكر في المقدرات الذهنية التي لا وجود لها في الخارج ولا بالناس حاجة إليها البتة وذلك موجود في كل علم حتى في علم الفقه والأصول والطب فكل هذه

---

(١) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٢٢

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٣٣

الأفكار مضرتها أرجح من منفعتها ويكتفي في مضرتها شغلها عن الفكر فيما هو أولى به وأعود عليه بالنفع عاجلا وآجلا

قاعدة الطلب لقاح الإيمان فإذا اجتمع الإيمان والطلب أثمر العمل
الصالح **وحسن الظن بالله** لقاح الافتقار والاضطرار إليه فإذا اجتمعا أثمر إجابة الدعاء والخشية لقاح المحبة فإذا اجتمعا أثمر امتثال الأوامر واجتناب والنواهي والصبر لقاح اليقين فإذا اجتمعا أورثا الإمامة في الدين قال تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وصحة الاقتداء بالرسول لقاح الإخلاص فإذا اجتمعا أثمر قبول العمل والاعتداد به والعمل لقاح العلم فإذا اجتمعا كان الفلاح والسعادة وإن انفرد أحدهما عن الآخر لم يفد شيئا والحلم لقاح العلم فإذا اجتمعا حصلت سيادة الدنيا والآخرة وحصل الانتفاع بعلم العالم وإن انفرد." (١)

"وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ [بالله] من الجبن
والجبن خلق مذموم عند جميع الخلق وأهل الجبن هم أهل سوء الظن بالله وأهل الشجاعة والجود هو أهل **حسن الظن بالله**
كما قال بعض الحكماء في وصيته
عليكم بأهل السخاء والشجاعة فإنهم أهل **حسن الظن بالله** والشجاعة جنة للرجل من المكاره والجبن إعانة منه لعدوه على نفسه فهو جند وسلاح يعطيه عدوه ليحاربه [به]
و [قد] قالت العرب الشجاعة وقاية والجبن مقتلة وقد أكذب الله سبحانه أطماع الجبناء في ظنهم أن جبنهم ينجيهم من القتل والموت فقال [الله] تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ [الأحزاب ١٦]
ولقد أحسن القائل [هو قطري بن الفجاءة الساري]
(أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لن تراعي)." (٢)

"وكاغترار بعضهم على صوم يوم عاشوراء، أو يوم عرفة، حتى يقول بعضهم: يوم عاشوراء يكفر ذنوب العام كلها، ويبقى صوم عرفة زيادة في الأجر، ولم يدر هذا المغتر، أن صوم رمضان، والصلوات الخمس، أعظم وأجل من صيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء، وهي إنما تكفر ما بينهما إذا اجتنبت الكبائر.
فرمضان إلى رمضان، والجمعة إلى الجمعة، لا يقويا على تكفير الصغائر، إلا مع انضمام ترك الكبائر إليها، فيقوى مجموع الأمرين على تكفير الصغائر.
فكيف يكفر صوم يوم تطوع كل كبيرة عملها العبد وهو مصر عليها، غير تائب منها؟ هذا محال على أنه لا يمتنع أن يكون صوم يوم عرفة ويوم عاشوراء مكفرا لجميع ذنوب العام على عمومه، ويكون من نصوص الوعد التي لها شروط وموانع، ويكون إصراره على الكبائر مانعا من التكفير، فإذا لم يصر على الكبائر لتساعد الصوم وعدم الإصرار، وتعاونهما على عموم التكفير، كما كان رمضان والصلوات الخمس مع اجتناب الكبائر متساعدين متعاونين على تكفير الصغائر مع أنه سبحانه

---

(١) الفوائد لابن القيم   ابن القيم ص/١٩٩
(٢) الفروسية   ابن القيم ص/٤٩١

قد قال: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ [سورة النساء: ٣١]
فعلم أن جعل الشيء سببا للتكفير لا يمنع أن يتساعد هو وسبب آخر على التكفير، ويكون التكفير مع اجتماع السببين أقوى وأتم منه مع انفراد أحدهما، وكلما قويت أسباب التكفير كان أقوى وأتم وأشمل.

حسن الظن بالله

وكاتكال بعضهم على قوله – صلى الله عليه وسلم – حاكيا عن ربه " «أنا عند حسن ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء» يعني ما كان في ظنه فإني فاعله به، ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن حسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده، ويقبل توبته.

وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه، وهذا موجود في الشاهد، فإن العبد الآبق الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به، ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبدا، فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته، وأحسن الناس ظنا بربه أطوعهم له.

كما قال الحسن البصري: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل.

وكيف يكون محسن الظن بربه من هو شارد عنه، حال مرتحل في مساخطه وما يغضبه،." (١)

"أي ما ظنكم أن يفعل بكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره.

ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل علم أن **حسن الظن بالله** هو حسن العمل نفسه، فإن العبد إنما يحمله على حسن العمل ظنه بربه أن يجازيه على أعماله ويثيبه عليها ويتقبلها منه، فالذي حمله على العمل حسن الظن، فكلما حسن ظنه حسن عمله، وإلا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز، كما في حديث الترمذي والمسند من حديث شداد بن أوس عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله» .

وبالجملة فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة، وأما مع انعقاد أسباب الهلاك فلا يتأتى إحسان الظن.

الفرق بين حسن الظن والغرور

فإن قيل: بل يتأتى ذلك، ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة الله، ورحمته وعفوه وجوده، وأن رحمته سبقت غضبه، وأنه لا تنفعه العقوبة، ولا يضره العفو.

قيل: الأمر هكذا، والله فوق ذلك وأجل وأكرم وأجود وأرحم، ولكن إنما يضع ذلك في محله اللائق به، فإنه سبحانه موصوف بالحكمة، والعزة والانتقام، وشدة البطش، وعقوبة من يستحق العقوبة، فلو كان معول حسن الظن على مجرد صفاته وأسمائه لاشترك في ذلك البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ووليه وعدوه، فما ينفع المجرم أسماؤه وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه، وتعرض للعنته، ووقع في محارمه، وانتهك حرماته، بل حسن الظن ينفع من تاب وندم وأقلع، وبدل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة، ثم أحسن الظن، فهذا هو حسن ظن، والأول غرور، والله المستعان.

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٥

ولا تستطل هذا الفصل، فإن الحاجة إليه شديدة لكل أحد يفرق بين **حسن الظن بالله** وبين الغرور به، قال الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾ [البقرة: ٢١٨] فجعل هؤلاء أهل الرجاء، لا البطالين والفاسقين.." (١)

"وأخرج الظلمة الفجرة الظلم والعدوان فى قالب السياسة وعقوبة الجناة.

وأخرج المكاسون أكل المكوس فى قالب إعانة المجاهدين، وسد الثغور، وعمارة الحصون.

وأخرج الروافض الإلحاد والكفر، والقدح فى سادات الصحابة وحزب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وأوليائه وأنصاره، فى قالب محبة أهل البيت، والتعصب لهم، وموالاتهم.

وأخرجت الإباحية وفسقة المنتسبين إلى الفقر والتصوف بدعهم وشطحهم فى قالب الفقر، والزهد، والأحوال، والمعارف، ومحبة الله، ونحو ذلك.

وأخرجت الاتحادية أعظم الكفر والإلحاد فى قالب التوحيد، وأن الوجود واحد لا اثنان، وهو الله وحده، فليس هاهنا وجودان: خالق، ومخلوق ولا رب وعبد، بل الوجود كله واحد، وهو حقيقة الرب.

وأخرجت القدرية إنكار عموم قدرة الله تعالى على جميع الموجودات: أفعالها، وأعيانها، فى قالب العدل، وقالوا: لو كان الرب قادرا على أفعال عباده لزم أن يكون ظالما لهم، فأخرجوا تكذيبهم بالقدر فى قالب العدل.

وأخرجت الجهمية جحدهم لصفات كماله سبحانه فى قالب التوحيد، وقالوا: لو كان له سبحانه سمع وبصر، وقدرة، وحياة، وإرادة، وكلام يقوم به لم يكن واحدا وكان آلهة متعددة.

وأخرجت الفسقة والذين يتبعون الشهوات الفسوق والعصيان فى قالب الرجاء **وحسن الظن بالله** تعالى، وعدم إساءة الظن بعفوه، وقالوا: تجنب المعاصى والشهوات إزراء بعفو الله تعالى، وإساءة للظن به، ونسبة له إلى خلاف الجود والكرم والعفو.

وأخرجت الخوارج قتال الأئمة، والخروج عليهم بالسيف فى قالب الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر.

وأخرج أرباب البدع جميعهم بدعهم فى قوالب متنوعة، بحسب تلك البدع.." (٢)

"وتأمل ما في تسبيحهم لله وتنزيههم له في هذا المقام من المعرفة به، وتنزيهه عما لا يليق به أن يجعل لرسوله وخليله وأكرم الخلق عليه امرأة خبيثة بغيا، فمن ظن به سبحانه هذا الظن فقد ظن به ظن السوء، وعرف أهل المعرفة بالله ورسوله أن المرأة الخبيثة لا تليق إلا بمثلها كما قال تعالى: ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ [النور: ٢٦] [النور: ٢٦] ، فقطعوا قطعا لا يشكون فيه أن هذا بهتان عظيم، وفرية ظاهرة.

فإن قيل: فما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم توقف في أمرها، وسأل عنها وبحث واستشار، وهو أعرف بالله وبمنزلته عنده وبما يليق به، وهلا قال: ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ [النور: ١٦] كما قاله فضلاء الصحابة؟

فالجواب: أن هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سببا لها، وامتحانا وابتلاء لرسوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/٢٧

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم ٢/٨١

وجميع الأمة إلى يوم القيامة ليرفع بهذه القصة أقواما ويضع بها آخرين، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيمانا، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا، واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي شهرا في شأنها لا يوحى إليه في ذلك شيء لتتم حكمته التي قدرها وقضاها، وتظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيمانا وثباتا على العدل والصدق **وحسن الظن بالله** ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده، ويزداد المنافقون إفكا ونفاقا، ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها، وتتم نعمة الله عليهم، ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها، والافتقار إلى الله والذل له وحسن الظن به والرجاء له، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين، وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق، ولهذا وفت هذا المقام حقه لما «قال لها أبواها: قومي إليه، وقد أنزل الله عليه براءتها، فقالت: (والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي») .

وأيضا فكان من حكمة حبس الوحي شهرا، أن القضية محصت." (١)

"وتمحضت، واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها، وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع، فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، والصديق وأهله وأصحابه والمؤمنون، فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه، فوقع منهم أعظم موقع وألطفه، وسروا به أتم السرور، وحصل لهم به غاية الهناء، فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة وأنزل الوحي على الفور بذلك لفاتت هذه الحكم، وأضعافها بل أضعاف أضعافها.

إظهار الله منزلته صلى الله عليه وسلم وأهل بيته عنده، وأيضا فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه، وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه والرد على أعدائه وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه بل يكون هو وحده المتولي لذلك الثائر لرسوله وأهل بيته.

وأيضا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو المقصود بالأذى، والتي رميت زوجته فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها، ولم يظن بها سوءا قط وحاشاه وحاشاها، ولذلك لما استعذر من أهل الإفك قال: («من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي») ، فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين، ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه وثقته به، وفي مقام الصبر والثبات **وحسن الظن بالله** حقه حتى جاءه الوحي بما أقر عينه، وسر قلبه وعظم قدره وظهر لأمته احتفال ربه به واعتناؤه بشأنه.

ولما جاء الوحي ببراءتها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن صرح بالإفك، فحدوا ثمانين ثمانين، ولم يحد الخبيث عبد الله بن أبي مع أنه رأس أهل الإفك، فقيل." (٢)

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٣/٢٣٤

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ابن القيم ٣/٢٣٥

"وكلما كان العبد **حسن الظن بالله**، حسن الرجاء له، صادق التوكل عليه، فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة، فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل، ولا يضيع عمل عامل، وعبر عن الثقة وحسن الظن بالسعة، فإنه لا أشرح للصدر، ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنه به.

فصل.

قال: وفرار الخاصة من الخبر إلى الشهود، ومن الرسوم إلى الأصول، ومن الحظوظ إلى التجريد.

يعني أنهم لا يرضون أن يكون إيمانهم عن مجرد خبر، حتى يترقوا منه إلى مشاهدة المخبر عنه، فيطلبون الترقي من علم اليقين بالخبر، إلى عين اليقين بالشهود كما طلب إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ذلك من ربه إذ قال ﴿رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ [البقرة: ٢٦٠] فطلب إبراهيم أن يكون اليقين عيانا، والمعلوم مشاهدا، وهذا هو المعنى الذي عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بالشك في قوله: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» حيث قال ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ [البقرة: ٢٦٠] وهو صلى الله عليه وسلم لم يشك ولا إبراهيم، حاشاهما من ذلك، وإنما عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة.

هذا أحد الأقوال في الحديث.

وفيه قول ثان: أنه على وجه النفي، أي لم يشك إبراهيم حيث قال ما قال، ولم نشك نحن، وهذا القول صحيح أيضا أي لو كان ما طلبه للشك لكنا نحن أحق به منه، لكن لم يطلب ما طلب شكا، وإنما طلب ما طلبه طمأنينة.

فالمراتب ثلاث، علم يقين يحصل عن الخبر، ثم تتجلى حقيقة المخبر عنه للقلب أو البصر، حتى يصير العلم به عين يقين، ثم يباشره ويلابسه فيصير حق يقين، فعلمنا بالجنة والنار الآن علم يقين، فإذا أزلفت الجنة للمتقين في الموقف، وبرزت الجحيم للغاوين، وشاهدوهما عيانا، كان ذلك عين يقين، كما قال تعالى ﴿لترون الجحيم - ثم لترونها عين اليقين﴾ [التكاثر: ٦ - ٧]." (١)

"[فصل الدرجة الرابعة اعتماد القلب على الله واستناده إليه وسكونه إليه]

فصل

الدرجة الرابعة: اعتماد القلب على الله، واستناده إليه، وسكونه إليه.

بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب، ولا سكون إليها، بل يخلع السكون إليها من قلبه. ويلبسه السكون إلى مسببها.

وعلامة هذا أنه لا يبالي بإقبالها وإدبارها. ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدبار ما يحب منها، وإقبال ما يكره؛ لأن اعتماده على الله، وسكونه إليه، واستناده إليه، قد حصنه من خوفها ورجائها. فحاله حال من خرج عليه عدو عظيم لا طاقة له به. فرأى حصنا مفتوحا، فأدخله ربه إليه. وأغلق عليه باب الحصن. فهو يشاهد عدوه خارج الحصن. فاضطراب قلبه

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٤٦٩

وخوفه من عدوه في هذه الحال لا معنى له.
وكذلك من أعطاه ملك درهما، فسرق منه. فقال له الملك: عندي أضعافه. فلا تهتم. متى جئت إلي أعطيتك من خزائني أضعافه. فإذا علم صحة قول الملك، ووثق به، واطمأن إليه، وعلم أن خزائنه مليئة بذلك – لم يحزنه فوته.
وقد مثل ذلك بحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه. وطمأنينته بثدي أمه لا يعرف غيره. وليس في قلبه التفات إلى غيره، كما قال بعض العارفين: المتوكل كالطفل. لا يعرف شيئا يأوي إليه إلا ثدي أمه، كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه سبحانه.

[فصل الدرجة الخامسة **حسن الظن بالله** عز وجل]
فصل
الدرجة الخامسة: **حسن الظن بالله** عز وجل.
فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له. يكون توكلك عليه. ولذلك فسر بعضهم التوكل **بحسن الظن بالله.**
والتحقيق: أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه. إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه. والله أعلم.

[فصل الدرجة السادسة استسلام القلب لله]
فصل
الدرجة السادسة: استسلام القلب له، وانجذاب دواعيه كلها إليه، وقطع منازعاته.
وبهذا فسره من قال: أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل،." (١)
"[فصل في حسن الظن بأهل الدين]
) قال في نهاية المبتدئين: حسن الظن بأهل الدين حسن، ظاهر هذا أنه لا يجب، ظاهره أيضا أن حسن الظن بأهل الشر ليس بحسن، فظاهره لا يحرم، وظاهر قوله عليه السلام «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» أن استمراء ظن السوء وتحقيقه لا يجوز، وأوله بعض العلماء على الحكم في الشرع بظن مجرد بلا دليل وليس بمتجه.
وروى الترمذي عن سفيان: الظن الذي يأثم به ما تكلم به، فإن لم يتكلم لم يأثم. وذكر ابن الجوزي قول سفيان هذا عن المفسرين، ثم قال: وذهب بعضهم إلى أنه يأثم بنفس الظن ولو لم ينطق به، وذكر قبل ذلك قول القاضي أبي يعلى: إن الظن منه محظور وهو سوء الظن بالله، والواجب **حسن الظن بالله** عز وجل، وكذلك سوء الظن بالمسلم الذي ظاهره العدالة محظور، وظن مأمور به كشهادة العدل، وتحري القبلة، وتقويم المتلفات، وأرش الجنايات، والظن المباح كمن شك في صلاته إن شاء عمل بظنه وإن شاء باليقين.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١٢١/٢

وروى أبو هريرة مرفوعا «إذا ظننتم فلا تحققوا» وهذا من الظن الذي يعرض في قلب الإنسان في أخيه فيما يوجب الريبة فلا ينبغي أن يحققه الظن المندوب إليه إحسان الظن بالأخ المسلم، فأما ما روي في حديث «احترسوا من الناس بسوء الظن» فالمراد الاحتراس بحفظ المال مثل أن يقول: إن تركت بابي مفتوحا خشيت السراق انتهى كلام القاضي.

ذكر البغوي أن المراد بالآية سوء الظن ثم ذكر قول سفيان، وذكر القرطبي ما ذكره المهدوي عن أكثر العلماء أن ظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز وإنه لا حرج بظن القبيح بمن ظاهره قبيح.

وقال ابن هبيرة الوزير الحنبلي: لا يحل والله أن يحسن الظن بمن ترفض ولا بمن يخالف الشرع في حال.

وقال البخاري في صحيحه (باب ما يكون من الظن) ثم روي عن." (١)

"طرق عن شعبة، به. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: على شرط الشيخين، ولم يخرجاه (١) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتدركه منيته، وهو يؤمن (٢) بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه " (٣) .

وقال الإمام أحمد أيضا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: "لا يموتن أحدكم (٤) إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل". ورواه مسلم من طريق الأعمش، به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا [أبو] (٥) يونس، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله قال: أنا عند ظن عبدي بي، فإن ظن بي خيرا فله، وإن ظن شرا فله " (٦) .

وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين (٧) من وجه آخر، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله [عز وجل] (٨) أنا عند ظن عبدي بي" (٩) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن عبد الملك القرشي، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت -وأحسبه- عن أنس قال: كان رجل من الأنصار مريضا، فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فوافقه في السوق فسلم عليه، فقال له: "كيف أنت يا فلان؟ " قال (١٠) بخير يا رسول الله، أرجو الله أخاف ذنوبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف".

ثم قال: لا نعلم رواه عن ثابت غير جعفر بن سليمان. وهكذا رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديثه، ثم قال الترمذي: غريب. وقد رواه بعضهم عن ثابت مرسلا (١١) .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن

---

(١) المسند (٣٠١/١) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٠٧٠) والمستدرك (٢٩٤/٢) .

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٤٥/١

(٢) في ر: "مؤمن".
(٣) المسند (١٩٢/٢) .
(٤) في أ، و:"أحد منكم".
(٥) زيادة من ر.
(٦) المسند (٣٩١/٢) .
(٧) في جـ: "الصحيح".
(٨) زيادة من أ.
(٩) صحيح البخاري برقم (٧٥٠٥) من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٥) من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة.
(١٠) في جـ: "فقال".
(١١) سنن الترمذي برقم (٩٨٣) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٦١) ورواه ابن أبي الدنيا في "**حسن الظن بالله**" برقم (٣١) وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٢٦٨/٤) .
أما المرسل: فرواه ابن أبي الدنيا في "المرضى والكفارات" برقم (١٠٨) ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من طريق حماد عن ثابت عن عبيد بن عمير مرسلا.." (١)

"في جانب الحرة؟ ما سمعت أحدا يرجع إليك شيئا. قال: "ذاك جبريل، عرض لي من (١) جانب الحرة فقال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة. قلت: يا جبريل، وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، وإن شرب الخمر" (٢) .
الحديث السادس: قال عبد بن حميد في مسنده: أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن ابن أبي ليلى، عن أبي الزبير، عن جابر قال: جاء رجل إلى رسول الله (٣) صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان (٤) ؟ قال: "من مات لا يشرك بالله شيئا وجبت له الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا وجبت له النار". وذكر تمام الحديث. تفرد به من هذا الوجه (٥) .
طريق أخرى: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسن بن عمرو بن خلاد الحراني، حدثنا منصور بن إسماعيل القرشي، حدثنا موسى بن عبيدة، الربذي، أخبر (٦) عبد الله بن عبيدة، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من نفس تموت، لا تشرك بالله شيئا، إلا حلت لها المغفرة، إن شاء الله عذبها، وإن شاء غفر لها: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (٧) .
ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده، من حديث موسى بن عبيدة، عن أخيه عبد الله بن عبيدة، عن جابر؛ أن النبي (٨) صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب". قيل: يا نبي الله، وما الحجاب؟ قال: "الإشراك بالله". قال: "ما من نفس تلقى الله لا تشرك به شيئا إلا حلت لها المغفرة من الله تعالى، إن يشأ أن يعذبها، وإن يشأ أن

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٨٨/٢

يغفر لها غفر لها". ثم قرأ نبي الله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (٩) .

الحديث السابع: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم، حدثنا زكريا، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة".

تفرد به من هذا الوجه (١٠) .

الحديث الثامن: قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو قبيل، عن عبد الله بن ناشر (١١) من بني سريع قال: سمعت أبا رهم قاصن أهل الشام يقول: سمعت أبا أيوب الأنصاري يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم إليهم، فقال لهم: "إن ربكم، عز وجل، خيرني

---

(١) في أ: "في".

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٤٤٣) وصحيح مسلم برقم (٩٤) .

(٣) في ر، أ: "النبي".

(٤) في د، ر: "ما الموجبات".

(٥) المنتخب لعبد بن حميد برقم (١٠٥٨) وفي إسناده ابن أبي ليلي سيئ الحفظ.

لكن روي من وجه آخر صحيح عن جابر: فرواه مسلم برقم (٩٣) من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر به.

(٦) في أ: "أخبرني".

(٧) وفي إسناده موسى بن عبيدة ضعفه الأئمة، وروايته عن أخيه عبد الله بن عبيدة عن جابر مرسلة أيضا.

(٨) في أ: "نبي الله".

(٩) ورواه ابن أبي الدنيا في **حسن الظن بالله** برقم (٥٦) وابن عدي في الكامل (٦/ ٣٣٤) من طريق معتمر بن سليمان عن علي بن صالح عن موسى بن عبيدة به.

(١٠) المسند (٣/ ٧٩) .

(١١) في أ: "ياسر".." (١)

"نزولها ما رواه موسى بن عبيدة عن مصعب بن ثابت قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناس من أصحابه يضحكون، فقال: "اذكروا الجنة، واذكروا النار". فنزلت: ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ رواه ابن أبي حاتم. وهو مرسل (١)

وقال ابن جرير، حدثني المثنى، حدثنا إسحاق، أخبرنا ابن المكي، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا مصعب بن ثابت، حدثنا عاصم بن عبيد الله، عن ابن أبي رباح، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة، فقال: "ألا أراكم تضحكون؟ " ثم أدبر، حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٢٨/٢

القهقرى، فقال: "إني لما خرجت جاء جبريل، عليه السلام، فقال: يا محمد، إن الله يقول (٢) لم تقنط (٣) عبادي؟ ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ (٤)

وقال سعيد، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام، ولو يعلم قدر عقابه لبخع نفسه" (٥)

﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم (٥١) ﴾

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور (٥/٨٦) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم. وموسى بن عبيدة الربذي ضعيف.

(٢) في أ: "يقول الله".

(٣) في ت: "يقنط".

(٤) تفسير الطبري (١٤/٢٧) .

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٤/٢٧) وابن أبي الدنيا في **حسن الظن بالله** برقم (٦٤) من طريق سعيد به مرسلا، وروى موصولا نحوه عن ابن عمر وأبي سعيد الخدري، أما حديث ابن عمر، فرواه ابن أبي الدنيا في **حسن الظن بالله** برقم (٦٣) من طريق موسى عن عطية، عن ابن عمر مرفوعا: "لو تعلمون قدر رحمة الله عز وجل لا تكلتم وما عملتم من عمل، ولو علمتم قدر غضبه ما نفعكم شيء"، وحديث أبي سعيد، رواه البزار في مسنده ولفظه: "لو تعلمون قدر رحمة الله لا تكلتم - أحسبه قال: عليها". وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٨٤) : "إسناده حسن".." (١)

"الشيخين، ولم يخرجاه، كذا قال، والأظهر أنه موقوف، والله أعلم.

ثم قال ابن أبي حاتم: وروي نحوه عن مرة الهمداني والربيع بن خثيم وعمرو بن ميمون وإبراهيم النخعي وطاوس والحسن وقتادة وأبي سنان والسدي، نحو ذلك. وروي عن أنس أنه قال: لا يتقي الله العبد حق تقاته حتى يخزن لسانه.

وقد ذهب سعيد بن جبير وأبو العالية، والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدي وغيرهم إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: فاتقوا الله ما استطعتم [التغابن: ١٦] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: اتقوا الله حق تقاته قال: لم تنسخ، ولكن حق تقاته أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم.

وقوله تعالى: ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه، فعياذا بالله من خلاف ذلك.

قال الإمام أحمد «١» : حدثنا روح، حدثنا شعبة، قال: سمعت سليمان عن مجاهد: أن الناس كانوا يطوفون بالبيت وابن عباس جالس معه محجن، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، ولو أن قطرة من الزقوم قطرت لأمرت على أهل الأرض عيشتهم، فكيف بمن ليس له طعام إلا الزقوم؟»

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤/٥٤٠

وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من طرق عن شعبة به وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وقال الإمام أحمد «٢» : حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه» .

وقال الإمام أحمد «٣» أيضا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث «لا يموتن «٤» أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل» ورواه مسلم من طريق الأعمش به.

---

(١) مسند أحمد ١/ ٣٠١.

(٢) مسند أحمد ٢/ ١٩٢.

(٣) مسند أحمد ٣/ ٥١٣.

(٤) في المسند «ألا لا يموتن» .." (١)

"لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم: (٥) ٢٢٦ لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم: (٥) ٢٢٦ لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن: (٧) ١٥٨ لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل: (٢) ٧٥ لا يمين عليك ولا نذر في معصية: (١) ٤٥٣ لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج: (١) ٤٠٢ لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى: (٨) ٢١٨ لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه: (٣) ١٤٨ لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة في الدبر: (١) ٤٤٥ لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها: (١) ٤٤٦ لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره: (٦) ٣١٠ لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله: (٣) ٣٨، (٦) ٨ لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي: (٤) ٩٤ لا يؤمن أحد حتى يؤمن بأربع: (٧) ٤٤٩ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه: (٤) ١٠٩ لا يوضع الدينار على الدينار ولا الدرهم على الدرهم: (٤) ١٢٧ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك: (٤) ١٩٣ لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد: (١) ٢٠ لأن أجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس: (٥) ١٣٨ لئن أظهرني الله عليهم لأمثلن بثلاثين رجلا منهم: (٤) ٥٢٧ لأن اقتتلتم لأنظرن إلى أقصى بيت في داري فلألجنه: (٣) ٧٩ لأن أقعد في مثل هذا المجلس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب: (٥) ١٣٨ لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره: (٢) ٢٦٢، (٦) ١١٤ لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا: (٦) ٥٢٧ لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريه خير له من أن يمتلئ شعرا: (٦) ١٥٨ لئن فعل لأخذته

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٢/٧٥

الملائكة: (٨) ٤٢٣ لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لنربين عليهم: (٤) ٥٢٨ لبنة ذهب ولبنة فضة: (٤) ١٥٥ لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة: (١) ٥٣٠ لتأتينكم أجوركم ولو كنتم في جحر ثعلب: (٤) ١٧٩ لتأخذوا عني مناسككم: (١) ٣٤٢، ٤١١." (١)

"عذبهم بعدله، وشهدوا على أنفسهم أنهم لا يصلح لهم غير ما هم فيه من العقوبة وأن حمده سبحانه أنزلهم تلك الدار، فقام بقلوبهم حمده وشكره والثناء عليه بموجب أسمائه وصفاته التي كانت في فطرهم أولا، وحمدوه حمد محب معترف بالجناية، وآثروا رضاه على كل شيء، فلو قام هذا بقلوبهم حقيقة وعلمه الله منهم لصارت النار بردا وسلاما عليهم.

كما في الأثر المرفوع الذي ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب " **حسن الظن بالله** " «أن رجلين ممن دخلا النار اشتد صياحهما، فقال تعالى: أخرجوهما فأخرجا، فقال: لأي شيء اشتد صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: رحمتي بكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار، قال: فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه فيها فيجعلها الله بردا وسلاما عليه، ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه، فيقول له الرب: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول: رب إني أرجو ألا تعيدني فيها بعدما أخرجتني، فيقول الرب: لك رجاؤك، فيدخلان جميعا الجنة» .

وذكر ابن أبي الدنيا أيضا حديثا آخر مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: («يؤمر بإخراج رجلين من النار، فإذا أخرجا وقفا، قال الله لهما: كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما؟ فيقولان: شر مقيل وأسوأ مصير سار إليه العباد، فيقول لهما: بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد، قال: فيأمر بصرفهما إلى النار، قال: فأما أحدهما فيعدو في أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها، وأما الآخر فتلكأ، فيؤمر بردهما، فيقول للذي عدا في أغلاله وسلاسله حتى اقتحمها: ما حملك على ما صنعت وقد خبرتها؟ فيقول: إني قد خبرت من وبال المعصية ما لم أكن لأتعرض لسخطك ثانية، فيقول الله للثاني: ما حملك على ما صنعت؟ قال: حسن ظني بك حين أخرجتني أن لا تردني إليها، فرحمهما الله تعالى وأمر بهما إلى الجنة» ".

وفي رواية: " إنه يقول للأول: «لو حذرتني مثل حذرك في الآخرة لم أدخلك النار» ، ويقول للآخر: «لو أحسنت ظنك بي في الدنيا مثل حسن ظنك بي اليوم ما أدخلتك النار» ".." (٢)

"والثاني: أن يكون» ظنكم «بدلا، والموصول خبره، و» أرداكم «حال أيضا.

الثالث: أن يكون الموصول خبرا ثانيا.

الرابع: أن يكون» ظنكم «بدلا أو بيانا، والموصول هو الخبر، و» أرداكم «خبر ثاني.

الخامس: أن يكون ظنكم والموصول والجملة من» أرداكم «أخبارا إلا أن أبا حيان رد على الزمخشري قوله:» وظنكم وأرداكم «خبران قال: لأن قوله» وذلكم «إشارة إلى ظنهم السابق فيصير التقدير: وظنكم بربكم أنه لا يعلم ظنكم بربكم فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدأ وهو لا يجوز وهذا نظير ما منعه النحاة من قولك: سيد الجارية مالكها.

وقد منع ابن عطية كون» أرداكم «حالا، لعدم وجود» قد «. وتقدم الخلاف في ذللك.

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ١٤٢/٩

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ابن الموصلي ص/٢٦٥

فصل

قال المفسرون: وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أي ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون أرادكم أهلككم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: طرحكم ف يالنار ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ وهنذا نص صريح في أن من ظن أنه يخرج شيء من المعلومات عن علم الله فإنه يكون من الهالكين الخاسرين.

قال المحققون: الظن قسمان:

أحدهما: حسن، والآخر: فاسد. فالحسن أن يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والإحسان، قال عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله عز وجل:» أنا عند ظن عبدي بي «وقال عليه الصلاة والسلام :» لا يموتن أحدكم إلا وهو **حسن الظن بالله** «.

والظن القبيح أن يظن أنه تعالى أنه يعرب عن علمه بعض الأحوال. وقال قتادة:." (١)

"قوله: ﴿فلا تموتن إلا﴾ هذا في الصورة عن الموت، وهو في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا كقولك: «لا تصل إلا وأنت خاشع» ، فنهيك له ليس عن الصلاة، وإنما هو عن ترك الخشوع في حال صلاته، والنكتة في إدخال حرف النهي على الصلاة، وهي غير منهي عنها هي إظهار أن الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة، كأنه قال: أنهاك عنها إذا لم تصلها على هذه الحالة، وكذلك المعنى في الآية الكريمة إظهار أن موتهم لا على حال الثابت على الإسلام موت لا خير فيه، وأن حق هذا الموت ألا يجعل فيهم.

[وعن الفضيل بن عياض أنه قال: «إلا وأنتم مسلمون» ، أي: مسلمون الظن، أي محسنون الظن بربكم، وروي عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه سولم قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحد إلا وهو **يحسن الظن بالله** تعالى»]

. وأصل تموتن: تموتونن: النون الأولى علامة الرفع، والثانية المشددة للتوكيد، فاجتمع ثلاثة أمثال فحذفت نون الرفع؛ لأن نون التوكيد أولى بالبقاء لدلالتها على معنى مستقل، فالتقى سكنان: الواو والنون الأولى المدغمة، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، وبقيت الضمة تدل عليها، وهكذا كل ما جاء في نظائره.

قوله: ﴿إلا وأنتم مسلمون﴾ هذا استثناء مفرغ من الأحوال العامة، و «أنتم مسلمون» مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال، كأنه قال تعالى: «لا تموتن على كل حالا إلا على هذه الحال» ، والعامل فيها ما قبل إلا.." (٢)

"حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، على قدر ذنوبهم وأعمالهم، فمنهم من يمكث فيها شهرا، ثم يخرج: ومنهم من يمكث فيها سنة، ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكثا، بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى، فإذا أراد الله أن يخرجوا منها، قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه ورسله، فنحن وأنتم اليوم في النار سواء، فيغضب الله لهم غضبا لم يغضبه لشيء مما مضى، فيخرجهم إلى عين في الجنة، وهو قوله تعالى:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢٩/١٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٠٤/٢

﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ » .

خرجه ابن أبي حاتم وغيره.

وخرجه الإسماعيلي مطولا.

وقال الدارقطني في كتاب المختلق: هو حديث منكر، واليمان مجهول، ومسكين ضعيف، ومحمد ابن خمير لا أعرفه في هذا الحديث.

انتهى.

وقد سبق حديث أنس، في الذي ينادي في النار ألف سنة: يا حنان يا منان ثم يخرج منها.

وروينا من طريق محمد بن معاوية، حدثنا حازم، عن الحسن، قال: أهل التوحيد في النار لا يقيدون، فتقول الخزنة بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء يقيدون وهؤلاء لا يقيدون؟ ! فناداهم مناد: إن هؤلاء كانوا يمشون في ظلام الليل إلى المساجد.

وقال مروان بن معاوية، عن مالك بن أبي الحسن، عن الحسن، قال: يخرج رجل من النار بعد ألف عام، قال الحسن: ليتني ذلك الرجل.

فصل . حسن الظن بالله

قال أحمد بن أبي الحواري: دخلت على أبي سليمان وهو يبكي،." (١)

"فقلت: ما يبكيك؟ قال: لئن طالبني بذنوبي لأطالبنه بعفوه، ولئن طالبني ببخلي لأطالبنه بجوده، ولئن أدخلني النار لأخبرن أهل النار أني كنت أحبه.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله تعالى بإسناده، عن علي ابن بكار، أنه سئل عن حسن الظن بالله، قال: أن لا يجمعك والفجار في دار واحدة.

وعن سلمان بن الحكم بن عوانة، أن رجلا دعا بعرفات، فقال: لا تعذبنا بالنار بعد أن أسكنت توحيدك قلوبنا، قال: ثم بكى، وقال: ما إخالك تفعل بعفوك، ثم بكى، وقال: ولئن فعلت: فبذنوبنا.

لا تجمعن بيننا وبين قوم ظالمين، عاديناهم، فيك.

وعن حكيم بن جابر، قال: قال إبراهيم عليه السلام: اللهم لا تشرك من كان يشرك بك ومن كان لا يشرك بك.

قال ابن أبي الدنيا: وحدثني أبو حفص الصيرفي، أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، كان إذا تلى:

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ .

قال: ونحن نقسم بالله جهد أيماننا، ليبعثن الله من يموت، أتراك تجمع بين القسمين في دار واحدة؟ ! ثم بكى أبو حفص بكاء شديدا.

وروى أبو نعيم بإسناده، عن عون بن عبد الله، قال: ما كان الله لينقذنا من شر، ثم يعيدنا فيه:

---

(١) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار   ابن رجب الحنبلي ص/٢٦٠

﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ .

وما كان الله ليجمع بين أهل القسمين في النار:

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ ، ونحن نقسم." (١)

"٨- باب حسن الظن بالله تعالى

٧١٦- أخبرنا عمر بن محمد الهمداني حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبي حدثنا محمد بن المهاجر عن يزيد بن عبيدة عن حبان أبي النضر قال خرجت عائدا ليزيد بن." (٢)

"٣- باب حسن الظن بالله تعالى

٢٣٩٣- أخبرنا محمد بن عبد الله الدمشقي بجرجان وإسحاق بن إبراهيم ببست حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا هشام بن الغاز حدثني حبان أبو النضر قال سمعت واثلة بن الأسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الله جل وعلا أنه قال: "أنا عند ظن عبدي بي فليظن في ما شاء".

٢٣٩٤- أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث وذكر ابن سلم آخر معه أن أبا يونس حدثهم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله تعالى يقول أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله وإن ظن شرا فله". قلت في الصحيح بعضه.

٢٣٩٥- أخبرنا أبو خليفة حدثنا أبو داود الطيالسي عن حماد بن سلمة عن محمد بن واسع عن شتير بن نهار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حسن الظن من حسن العبادة"..." (٣)

"٨ - باب حسن الظن بالله تعالى

٧١٦ - أخبرنا عمر بن محمد الهمداني (١)، حدثنا عمرو بن عثمان، - حدثنا أبي، حدثنا محمد بن المهاجر، عن يزيد بن عبيدة، عن حيان أبي النضر، قال: خرجت عائدا ليزيد بن الأسود.

فلقيت واثلة بن الأسقع وهو يريد عيادته، فدخلنا عليه، فلما رأى واثلة، بسط يده وجعل يشير إليه، فأقبل واثلة حتى جلس، فأخذ يزيد بكفي واثلة فجعلهما على وجهه، فقال له واثلة: كيف ظنك بالله؟ قال: ظني بالله والله حسن. قال: فابشر، فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "قال الله -جل وعلا-: أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيرا له، وإن ظن شرا فله" (٢).

= وتسليته، وتعزية المصاب ومواساته، ومشاركة المسلمين آمالهم وآلامهم وتطلعاتهم، والسلام عليهم، ومد يد العون إلى محتاجيهم ... إن هذه الأحاديث، وأمثالها تجعل هذا كله بعض أوامر الدين، وسبيلا من السبل التي توصل الساعي إلى

---

(١) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ابن رجب الحنبلي ص/٢٦١

(٢) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان نور الدين الهيثمي ص/١٨٣

(٣) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان نور الدين الهيثمي ص/٥٩٥

مرضاة رب العالمين. فهي لا تهتم بزخرفة الألفاظ، وطنطنة التراكيب، وخداع الشعارات، وإنما اعتمادها على العمل ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ [النجم: ٣٩]. فالخدمات العامة، والإحسان إلى الآخرين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر- مهما كان قليلا- هو الذي يعلي درجات المرء عند الله تعالى لأنه يسهم ببناء المجتمع الذي وصفه الرسول الكريم بقوله: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"

(١) تقدم التعريف به عند الحديث السابق برقم (٣٩).

(٢) إسناده صحيح، وعمر بن عثمان هو ابن كثير بن سعيد، ومحمد بن مهاجر هو الأنصاري الشامي، وأما حيان أبو النضر الأسدي فقد ترجمه البخاري في الكبير ٣/ ٥٥ ولم يورد فيه جرحا ولا تعديلا،

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في "تاريخه" ص (٩٧): "قلت: فحيان أبو النضر. =." [١]

"٧١٧ - أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا هشام بن الغاز، حدثني حيان أبو النضر ...

قلت: فذكر منه: "أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء" (١).

= ما حاله؟ فقال: ثقة" وكذلك قال في ص (٢٤٧)، والمسؤول هو يحيى بن معين. وقد أورد ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" ٣/ ٢٤٥ ما قاله ابن معين، وقال أيضا: "وسألته عنه- يعني: سأل أباه عن حيان- فقال: صالح". ووثقه ابن حبان، وباقي رجاله ثقات. وقد خرجناه في صحيح ابن حبان- نشر دار الرسالة- برقم (٦٤١)، وعنده: "إن ظن خيرا، وإن ظن شرا".

وأخرجه الطبراني في الكبير ٢٢/ ٨٧ برقم (٢٠٩).

وأخرجه أحمد ٣/ ٤٩١، والطبراني في الكبير ٢٢/ ٨٨ برقم (٢١١)، من طريق الوليد بن مسلم، حدثني الوليد بن سليمان- بن أبي السائب، حدثنا حيان أبو النضر، بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد ٣/ ٣٩١ من طريق الوليد بن مسلم، حدثني سعيد بن عبد العزيز وهشام بن الغاز أنهما سمعاه من حيان أبي النضر يحدث، به ...

وأخرجه أحمد ٤/ ١٠٦، والطبراني في الكبير ٢٢/ ٨٧ برقم (٢١٠) من طريق أبي المغيرة.

وأخرجه ابن المبارك في "الزهد" برقم (٩٠٩) - ومن طريقه هذه أخرجه الدارمي في الرقاق ٢/ ٣٠٥ باب: **حسن الظن بالله** تعالى، والدولابي في الكنى ٢/ ١٣٧ - ١٣٨، والطبراني برقم (٢١٠)، وقد سقط من إسناده "ابن" قبل المبارك- كلاهما حدثنا هشام بن الغاز، حدثنا أبو النضر، به.

وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٢/ ٣١٨ باب: **حسن الظن بالله** تعالى، وقال: "رواه أحمد، والطبراني في الأوسط، ورجال

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد   نور الدين الهيثمي ٢/٤٦١

أحمد ثقات". وانظر الطريق التالي.

وفي الباب عن أبي هريرة عند أبي يعلى برقم (٦٦٠١)، وانظر أيضا حديث أنس (٣٢٣٢) وحديث جابر (١٩٠٧، ٢٠٥٣) في المسند المذكور.

(١) إسناده حسن من أجل هشام بن عمار، والحديث في صحيح ابن حبان بتحقيقنا=." (١)

"قلت: وقد تقدم في الصلاة بعض هذا في التشهد.

٣ - باب حسن الظن بالله تعالى

٢٣٩٣ - أخبرنا محمد بن العباس (١) الدمشقي بجرجان، وإسحاق ابن إبراهيم ببست، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا هشام بن الغاز، حدثني حيان أبو النضر، قال:

سمعت واثلة بن الأسقع، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول عن الله -جل وعلا- أنه قال: "أنا عند ظن عبدي بى، فليظن بي ما شاء" (٢).

= إسحاق الفزاري، وأخرجه النسائي في الكبرى، واسماعيل القاضي في "فضل الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-" برقم (٢١) من طريق يحيي، وأخرجه البغوي في "شرح السنة" ٣/ ١٩٧ برقم (٦٨٧) من طريق أبي نعيم، وعبيد الله بن موسى، جميعهم عن سفيان- نسبه الطبراني فقال: الثوري- بهذا الإسناد.

وأخرجه النسائي في الكبرى، وأبو نعيم في "أخبار أصبهان" ٢/ ٢٠٥، والطبراني في الكبير ١٠/ ٢٧٠ - ٢٧١ برقم (١٠٥٢٨) من طريق أبي إسحاق الفزاري، عن الأعمش، عن عبد الله بن السائب، به.

ولتمام تخريجه والتعليق عليه انظر مسند الموصلي، وجامع الأصول ٤/ ٤٠٦، والترغيب والترهيب ٢/ ٤٩٨.

(١) في الأصلين "عبد الله" وهو خطأ، وسيأتي صوابا برقم (٢٤٦٨)، وانظر تعليقنا على الحديث السابق برقم (١٠٨٧).

(٢) إسناده صحيح، حيان أبو النضر بينا أنه ثقة عند الحديث المتقدم برقم (١٧١٦).

والحديث في صحيح ابن حبان برقم (٦٣٥) بتحقيقنا.

وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٩٠٩) من طريق هشام بن الغاز، بهذا الإسناد. =." (٢)

"قلت: في الصحيح بعضه (١).

٢٣٩٥ - أخبرنا أبو خليفة، حدثنا أبو الوليد (٢) الطيالسي، عن حماد بن سلمة، عن محمد بن واسع، عن شتير (٣) بن نهار.

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد   نور الدين الهيثمي ٢/٤٦٢

(٢) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد   نور الدين الهيثمي ٨/٢٨

= والحديث في صحيح ابن حبان برقم (٦٣٩) بتحقيقنا.

وأخرجه أحمد ٢/ ٣٩١ من طريق حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو يونس، بهذا الإسناد.

وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٢/ ٣١٨ - ٣١٩ باب: حسن الظن بالله تعالى، وقال: "رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وفيه كلام". ولكن الصحابي عنده "أنس" وأظن أنه غلط، والصواب "أبو هريرة" لأنني ما وجدت فى مسد أنس لأنس حديثا بهذا اللفظ، والله أعلم. وانظر التعليق التالي، والحديث السابق.

(١) الجزء الذي في الصحيح هو قوله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي". وقد خرجناه في مسند الموصلي برقم (٦١٨٩، ٦٦٠١) فانظره مع التعليق عليه، وانظر أيضا حديث أنس برقم (٣٢٣٢) في المسند المذكور.

وقال القرطبي في "المفهم" نقله عنه الحافظ في فتح الباري ١٣/ ٣٨٦: "معنى: ظن عبدي بي، ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل الجادة بشروطها تمسكا بصادق وعده.

قال: ويؤيد قوله في الحديث الآخر: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة).

قال: ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه، موقنا بأن الله يقبله ويغفر له، لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد. فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها، وأنها لا تنفعه، فهذا هو اليأس من رحمة الله، وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك، وكل إلى ما ظن كما في بعض طرق الحديث المذكور: (فليظن بي عبدي ما شاء).

قال: وأما ظن المغفرة مع الإصرار، فذلك محض الجهل والغرة، وهو يجر إلى مذهب المرجئة".

وانظر الترغيب والترهيب ٢/ ٣٩٣ - ٣٩٤. ونوادر الأصول ص (٨٥).

(٢) في الأصلين "أبو داود" وهو خطأ. انظر مصادر التخريج.

(٣) قال الحافظ المزي في "تهذيب الكمال" ١٢/ ٣٧٨: "شتير بن نهار العبدي البصري، عن أبي هريرة حديث (حسن الظن من الجادة)، وعنه محمد بن واسع. =." (١)

"٤ - باب ما جاء في فضل الدعاء

٢٣٩٦ - أخبرنا- أبو يعلى، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن منصور، عن ذر، عن يسيع الحضرمي، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الدعاء هو العبادة" ثم قرأ هذه الأية: ﴿ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ (١) [فاطر: ٦٠].

= جميعهم حدثنا حماد بن سلمة، بهذا الإسناد. ولفظ الحاكم: "إن حسن الظن بالله تعالى من عبادة الله".

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي.

نقول: شتير- أو سمير- ليس من رجال مسلم.

وأخرجه أحمد ٢/ ٣٥٩، والترمذي في الدعوات (٣٦٠٤) باب: حسن الظن بالله تعالى من حسن العبادة، من طريق أبي

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد   نور الدين الهيثمي ٨/ ٣٠

داود- قال أحمد: الطيالسي- أخبرنا صدقة ابن موسى، أخبرنا محمد بن واسع، به. وبلفظ رواية الحاكم السابقة.
وقال الترمذي: "هذا حديث غريب من هذا الوجه".
وانظر "تحفة الأشراف" ١٠/ ١٠٩ برقم (١٣٤٩٠)، وجامع الأصول ١١/ ٦٩٣، وكنز العمال ٣/ ١٣٦ - ١٣٧، وفيض القدير ٣/ ٣٨٥، والترغيب والترهيب ٤/ ٢٦٩. وسيأتي برقم (٢٤٦٩).
(١) إسناده صحيح، وجرير هو ابن عبد الحميد، ومنصور هو ابن المعتمر، وذر هو ابن عبد الله المرهبي، ويسيع- يقال فيه أسيع- هو ابن معدان الحضرمي، والحديث في الإحسان ٢/ ١٢٤ برقم (٨٨٧)، وقد تحرفت فيه "ذر" إلى "زر".
وأخرجه القضاعي في "مسند الشهاب" ١/ ٥١ - ٥٢ برقم (٢٩) من طريق محمد ابن قدامة، وأخرجه الحاكم ١/ ٤٩١ من طريق يحي بن يحي،." (١)

"١٦٩٢ - حدثنا هاشم بن الحارث، حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي، عن ليث، عن أبي سليم، عن زياد بن أبي المغيرة أو زياد بن المغيرة، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: فذكر بهذه الترجمة أشياء يقول فيها.
فمنها قال: وسمعته يقول يعني: «ما من مسلم يدعو بشيء إلا استجاب له فيه فإما أن يعطيه إياه وإما أن يكفر عنه به مأثما ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» .
١٦٩٣ - حدثنا عبيد الله بن معاذ قال: ذكر أبي، عن يوسف بن محمد بن المنكدر، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله حيي كريم يستحي من عبده أن يرفع يديه فيردهما صفرا ليس فيهما شيء» .

باب: **حسن الظن بالله**
١٦٩٤ - حدثنا أحمد، حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة، عن قتادة سمع أنسا يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني ".." (٢)

"ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن روح عبد ... تصدق بالوفاة على أخيه

فإن ذلك نوع من عدم الرضا بالقضاء ويدل على الجزع وضيق العطن وينافي قضية التوكل والتسليم، أو على تمن سببه الجزم بالوصول إلى نعيم الآخرة فإن ذلك خارج عن قانون الأدب، ونوع من الأخبار بالغيب لا يليق إلا ببعض أولياء الله.
روي أن عليا عليه السلام كان يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا.
فقال له ابنه الحسن: ما هذا بزي المحاربين. فقال: يا بني، لا يبالي أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت.
وعن حذيفة أنه رضي الله عنه كان يتمنى الموت، فلما احتضر قال رضي الله عنه: حبيب جاء على فاقة لا يفلح من ندم.

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد نور الدين الهيثمي ٣٢/٨
(٢) المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي نور الدين الهيثمي ٣٤٩/٤

يعني على التمني. وقال عمار بصفين: الآن ألاقي الأحبة، محمدا وحزبه. وكان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت ويحن إليه لجزمهم بلقاء الله ونيل ثوابه وذلك لمكان البشارة، فأما أحدنا فلا يليق به تمني الموت إلا على سبيل الرجاء **وحسن الظن بالله**

«أنا عند ظن عبدي بي» «١»

وعن النبي صلى الله عليه وسلم «لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي على الأرض يهودي»

وليس لهم أن يقبلوا هذا السؤال على محمد صلى الله عليه وسلم فيقولوا: إنك تدعي أن الدار الآخرة خالصة لك ولأمتك دون من ينازعك في الأمر، فارض بأن نقتلك ونقتل أمتك فإنا نراك وأمتك في الضر الشديد والبلاء العظيم، وبعد الموت تتخلصون إلى دار الكرامة والنعيم، لأنه صلى الله عليه وسلم بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الأحكام ولا يتم المقصود إلا بحياته وحياة أمته، فله صلى الله عليه وسلم أن يقول لأجل هذا لا أرضى بالقتل مع أن المؤمن من هذه الأمة قلما يخلو من النزاع والشوق إلى لقاء ربه، فالعبد المطيع يحب الرجوع إلى سيده، والعبد الآبق يكره العود إلى مولاه، ولهذا جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وبذلوا أرواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر [الأحزاب: ٢٣]

عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة أو بعض أزواجه إنا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب ١٥، ٣٥. مسلم في كتاب التوبة حديث ١. الترمذي في كتاب الزهد باب ٥١. ابن ماجه في كتاب الأدب باب ٥٨.." (١)

"ثم أردف الوعيد بالوعد على سنته المعهودة فقال: والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قال أهل السنة: لو كان الخلود الدوام لزم التكرار فإذن هو طول المكث المطلق. وقوله: أبدا مفيد للتأبيد. وعد الله حقا مصدران الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لأن قوله: سندخلهم وعد منه تعالى ومضمونه هو مضمون وعد الله، وأما حقا فمضمونه أخص من مضمون الوعد لأن الوعد من حيث هو وعد يحتمل أن يكون حقا وأن لا يكون فمضموناهما متغايران تغاير الجنس والنوع. ومن أصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ من قبل الاستفهام المتضمن للإنكار. وفائدة هذه التوكيدات معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وإلقاء أمانيه الفارغة والتنبيه على أن قول أصدق القائلين أولى بالقبول من قول من لا أحد أكذب منه. والقيل. مصدر قال قولا. وعن ابن السكيت أن القيل والقال اسمان لا مصدران. عن أبي صالح قال: جلس أهل الكتب أهل التوراة والإنجيل وأهل القرآن كل صنف يقول لصاحبه نحن خير منكم

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٣٣٨/١

فنزلت: ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب وقال مسروق وقتادة: احتج المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب: نحن أهدى منكم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم. وقال المسلمون: نحن أهدى منكم وأولى بالله نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله فنزلت. ثم أفلج الله حجة المسلمين على من ناواهم من أهل الأديان بقوله: ومن يعمل من الصالحات وبقوله: ومن أحسن دينا الآيتان.

وقيل: الخطاب في: بأمانيكم لعبدة الأوثان، وأمانيهم أن لا يكون حشر ولا نشر ولا معاد ولا عقاب وإن اعترفوا به لكنهم يصفون أصنامهم بأنها شفعاؤهم عند الله. وقيل: الخطاب للمسلمين وأمانيهم أن يغفر لهم وإن ارتكبوا الكبائر، وأما أماني أهل الكتاب فقولهم:

لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى [البقرة: ١١١] نحن أبناء الله وأحباؤه [المائدة: ١٨] ولن تمسنا النار إلا أياما معدودة [البقرة: ٨٠] واسم «ليس» مضمر فقيل:

أي ليس وضع الدين على أمانيكم. وقيل: ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله:

سندخلهم. وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب أي أثر فيه وصدقه العمل، إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا: نحن **نحسن الظن بالله** وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل. ويؤيد هذا المعنى قوله بيانا للمذكور: من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فمن هنا استدلت المعتزلة بالآية على القطع بوعيد الفساق ونفي الشفاعة، وأجيب بأنه مخصوص بالكفار لأنهم مخاطبون بالفروع عندنا. سلمنا أنه يعم المؤمن والكافر إلا أنه مخصوص في حق." (١)

"[الكهف: ٧٧] وهذا أقرب كقوله لا يخفف عنهم العذاب [البقرة: ١٦٢] ويؤيده ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهو وافيها سبعين خريفا. وإنما اختصت هذه السورة بقوله من غم وهو الأخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه مخلصا لأنه بولغ هاهنا في أهوال النار بخلاف ما في السجدة وإنما أضمر هاهنا قبل قوله وذوقوا بخلاف «السجدة» . وقيل لهم ذوقوا لأنه وقع الاختصار هاهنا على عذاب الحريق وهناك أطنب فقيل ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون [السجدة: ٢٠] وأيضا قد تقدم ذكر القول في تلك السورة كثيرا بخلافه هنا والله تعالى أعلم.

التأويل:

إن زلزلة الساعة هلاك الاستعداد الفطري شيء عظيم تذهل كل مرضعة

هي مواد الأشياء فإن لكل شيء مادة ملكوتية ترضع رضيعها من الملك وتربيه وتضع كل ذات حمل

وهي الهيوليات حملها

وهو الصور الكمالية التي خلقت الهيوليات لأجلها وترى الناس سكارى

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٥٠١/٢

الغفلة والعصيان وحب الدنيا والجاه والرياسة وغيرها وما هم بسكارى

العشق والمحبة والمعرفة فإنا خلقناكم من تراب أي كنتم ترابا ميتا فبعثنا التراب بأن خلقنا منه آدم، ثم أمتنا منه النطفة، ثم بعثناها بأن جعلناها علقة ثم مضغة ثم خلقا آخر لنبين لكم أمر البعث والنشور ونقر في الأرحام أمهات العدم ما نشاء إلى أجل مسمى وهو وقت إيجاده بحسب تعلق الإرادة به، وفيه دليل على أنه لا يبعد أن يكون الفاعل كاملا في فاعليته ولكن لا تتعلق إرادته بالمقدور فيبقى في حيز العدم إلى حين تعلق الإرادة به، ومنه يظهر حدوث العالم ثم نخرجكم طفلا من أطفال المكونات خارجا من رحم العدم مستعدا للتربية والكمال. ومنكم من يتوفى عن الشهوات فيحيا بحصول الكمالات ومنكم من يرد إلى أسفل سافلين الطبيعة وترى أرض القالب هامدة فإذا أنزلنا عليها ماء حياة المعرفة والعلم اهتزت ذلك بأن الله هو الحق في الإلهية وأنه يحي القلوب الميتة وأن الساعة قيامة العشق والخدمة للطالبين الصادقين آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث القلوب المحبوسة في قبور الصدور عذاب الحريق بنار الشهوات لكنه لا يحس بها في الدنيا لأنه نائم بنوم الغفلة فإذا مات انتبه من كان يظن فيه أن العبد يجب أن يكون **حسن الظن بالله** ثم ليقطع مادة تقديري في الأزل ونزول أحكامي في القدر فلينظر هل ينقطع أم لا هذان خصمان يعني النفس الكافرة والروح المؤمنة قطعت لهم ثياب بتقطيع خياط القضاء على قدرهم وهي ثياب نسجت من سدى مخالفات الشرع ولحمة موافقات الطبع. يصب من فوق رؤسهم حميم الشهوات النفسانية. وفي لفظ الفوق دلالة على أنهم مغلوبون تحتها، وفيه أن الخيالات الفاسدة." (١)

"بعد الشيخوخة» أي معها. وثانيها بئس الذكر أن يذكروا الرجل بالفسق أو باليهودية بعد إيمانه، وكانوا يقولون لمن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه. وثالثها أن يجعل الفاسق غير مؤمن كما يقال للمتحول عن التجارة إلى الفلاحة «بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة» فمعنى بعد الإيمان بدلا عن الإيمان ومن لم يتب عما نهي عنه فأولئك هم الظالمون لأن الإصرار على المنهي كفر إذ جعل المنهي. كالمأمور فوضع الشيء في غير موضعه قوله يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن فيه تأديب آخر. ومعنى اجتنبوا كونوا منه في جانب. وإنما قال كثيرا ولم يقل الظن مطلقا لأن منه ما هو واجب **كحسن الظن بالله** وبالمؤمنين كما

جاء في الحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي» «١»

قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**» «٢»

وقال «إن حسن الظن من الإيمان»

ومنه ما هو محظور وهو سوء الظن بالله وبأهل الصلاح.

عن النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء» .

وهو الذي أمر في الآية باجتنابه. ومنه ما هو مندوب إليه وهو إذا كان المظنون به ظاهر الفسق وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من الحزم سوء الظن»

وعن النبي صلى الله عليه وسلم «احترسوا من الناس بسوء الظن»

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٧٢/٥

ومنه المباح كالظن في المسائل الاجتهادية. قال أهل المعاني: إنما نكر كثيرا ليفيد معنى البعضية المصرح بها في قوله إن بعض الظن إثم ولو عرف لأوهم أن المنهي عنه هو الظن الموصوف بالكثرة والذي يتصف بالقلة مرخص فيه. والهمزة في الإثم عوض عن الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها بإحباطه.

تأديب آخر ولا تجسسوا وقد يخص الذي بالحاء المهملة بتطلب الخبر والبحث عنه كقوله فتحسسوا من يوسف وأخيه [يوسف: ٨٧] فبالجيم تفعل من الجس، وبالحاء من الحس. قال مجاهد: معناه خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله.

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في خطبته «يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو كان في جوف بيته» «٣»

وهذا الأدب كالسبب لما قبله. فلما نهى عن ذلك نهى عن سببه أيضا. تأديب آخر ولا يغتب يقال غابه واغتابه بمعنى، والاسم الغيبة بالكسر وهي ذكر العيب بظهر الغيب،

وسئل

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب ١٥، ٣٥ مسلم في كتاب التوبة حديث ١ الترمذي في كتاب الزهد باب ٥١ ابن ماجه في كتاب الأدب باب ٥٨ الدارمي في كتاب الرقاق باب ٢٢ أحمد في مسنده (٢/ ٢٥١، ٣١٥)

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنة حديث ٨١- ٨٢ أبو داود في كتاب الجنائز باب ١٣ ابن ماجه في كتاب الزهد باب ١٤ أحمد في مسنده (٣/ ٢٩٣، ٣١٥)

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٤٢١، ٤٢٤) [.....]." (١)

"أخرجه مسلم عن أحمد بن عبدة عن أبي داود - هو الطيالسي - بهذا الإسناد فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه أبو عوانة عن يونس بن حبيب فوافقناه بعلو وأخرجه أحمد عن يزيد بن هارون عن عبد العزيز وأخرجه ابن حبان عن أبي يعلى عن أبي خيثمة عن يزيد فوقع لنا عاليا بدرجتين

والشرج بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها جيم جمع شرجة كتمرة وتمر والشرجة ما يستقر فيه ماء السيل والذناب بكسر المعجمة وتخفيف النون وآخره موحدة هو طرف الشرجة والحرة أرض صلبة والمعنى أن الماء أولا وقع في الأرض الصلبة ثم انتهى إلى أطراف الشرج ثم انصب كله في شرجه منها وهي التي تختص بها حديقة الرجل ووقع في رواية مسلم فانتهى إلى رجل يحول الماء في حديقته

وبه إلي أبي نعيم قال حدثنا محمد بن إبراهيم وعبد الله بن محمد قالا أخبرنا أحمد بن علي قال حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء قال حدثنا مهدي بن ميمون عن واصل مولى ابن عيينة عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم إلا وهو **حسن الظن بالله** هذا حديث صحيح." (٢)

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان   النيسابوري، نظام الدين القمي ٦/١٦٦

(٢) الأمالي المطلقة   ابن حجر العسقلاني ص/٨

"أخرجه مسلم عن سليمان بن معبد عن محمد بن الفضل عن مهدي بن ميمون فوقع لنا عاليا بدرجتين وأخرجه أحمد من طريق ابن جريج عن أبي الزبير فصرح بسماع أبي الزبير عن جابر وقد رواه عن جابر أيضا أبو سفيان طلحة بن نافع الواسطي ووقع لنا عاليا من طريقه وفيه زيادة

قرأت على فاطمة بنت محمد بن أحمد بن المنجا عن إسماعيل بن يوسف القيسي قال أخبرنا عبد الله بن عمر قال أخبرنا محمد بن محمد قال أخبرنا علي بن أحمد في كتابه قال أخبرنا محمد بن عبد الرحمن قال حدثنا عبد الله بن بنت منيع قال حدثنا سويد بن سعيد قال حدثنا فضيل بن عياض (ح)

وقرأت على إبراهيم بن محمد أن أحمد بن نعمة أخبرهم قال أخبرنا أبو المنجا الحليمي قال أخبرنا أبو الوقت قال أخبرنا أبو الحسن الفقيه قال أخبرنا عبد الله بن أحمد قال أخبرنا إبراهيم بن خزيم قال أخبرنا عبد بن حميد قال حدثنا يعلى بن عبيد قالا حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**

أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه من طرق عن الأعمش." (١)

"وروى ابن المبارك في «رقائقه» بسنده عن أنس بن مالك، قال: ما من بقعة يذكر الله عليها بصلاة أو بذكر إلا افتخرت على ما حولها من البقاع، واستبشرت بذكر الله إلى منتهاها من سبع أرضين، وما من عبد يقوم يصلي إلا تزخرفت له الأرض «١» . قال ابن المبارك: وأخبرنا المسعودي عن عون بن عبد الله «٢» ، قال: الذاكر في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين «٣» . انتهى.

وقال الربيع والسدي: المعنى: اذكروني بالدعاء والتسبيح «٤» ونحوه، وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يقول الله تبارك وتعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ، ذكرته في ملإ خير منهم ... » «٥» الحديث. انتهى.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ص (١١٥) رقم (٣٣٩) عن أنس بن مالك موقوفا.

وأخرجه أبو يعلى (٧/ ١٤٣) رقم (٤١١٠) من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعا.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨١- ٨٢) وقال: رواه أبو يعلى، وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف. اهـ.

وزاد نسبته المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٤٧٥) إلى البيهقي في «شعب الإيمان» .

(٢) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله، الكوفي، الزاهد. عن أبيه، وعائشة، وابن عباس. وعنه قتادة، وأبو الزبير، والزهري. وثقه أحمد وابن معين، ورماه ابن سعد بالإرجاء. قال البخاري: مات بعد العشرين ومائة.

---

(١) الأمالي المطلقة ابن حجر العسقلاني ص/٩

ينظر: «الخلاصة» (٢/ ٣٠٩) ، و «تهذيب التهذيب» (٨/ ١٧١) ، و «الكاشف» (٢/ ٣٥٨) ، و «تاريخ الثقات» (٣٧٧) . [.....]

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص ١٢٢) رقم (٣٥٧) .

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٠) برقم (٢٣١٩) ، (٢٣٢٠) ، وذكره ابن عطية في تفسيره (١/ ٢٢٦) .

(٥) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٥) كتاب «التوحيد» ، باب قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه، حديث (٧٤٠٥) ، ومسلم (٤/ ٢٠٦١) كتاب «الذكر والدعاء» ، باب الحث على ذكر الله (تعالى) ، حديث (٢١/ ٢٦٧٥) ، والترمذي (٥/ ٥٨١) كتاب «الدعوات» ، باب في حسن الظن بالله (عز وجل) ، حديث (٣٦٠٣) ، وابن ماجة (٢/ ١٢٥٥-١٢٥٦) كتاب «الأدب» ، باب فضل العمل، حديث (٣٨٢٢) ، وأحمد (٢/ ٢٥١، ٤١٣) ، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٧) ، وابن حبان (٣/ ٩٣) رقم (٨١١) ، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٨١- بتحقيقنا) كلهم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦١) كتاب «الذكر والدعاء» ، باب الحث على ذكر الله (تعالى) ، حديث-." [(١)]

"فيه: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله «١» [البقرة: ٢٠٧] .

وقال ابن عباس، وحذيفة بن اليمان، وجمهور الناس: المعنى: لا تلقوا بأيديكم بأن تتركوا النفقة في سبيل الله، وتخافوا العيلة «٢» .

وأحسنوا: قيل: معناه: في أعمالكم بامتثال الطاعات روي ذلك عن بعض الصحابة «٣» ، وقيل: المعنى: وأحسنوا في الإنفاق في سبيل الله، وفي الصدقات، قاله زيد بن أسلم «٤» ، وقال عكرمة: المعنى: وأحسنوا الظن بالله عز وجل «٥» .

ت: ولا شك أن لفظ الآية عام يتناول جميع ما ذكر، والمخصص يفتقر إلى دليل.

فأما **حسن الظن بالله** سبحانه، فقد جاءت فيه أحاديث صحيحة، فمنها: «أنا عند ظن عبدي بي» «٦» ، وفي «صحيح مسلم» ، عن جابر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاثة ٤٩ أأيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله»** «٧» انتهى/.

وأخرج أبو بكر بن الخطيب، بسنده، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حسن عبادة المرء حسن ظنه» «٨» . انتهى.

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٥) .

(٢) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢/ ٢٠٧) رقم (٣١٥٥) .

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣٣٥/١

وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٦٤) ، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٥) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٧٤) ، وعزاه إلى الفريابي، وابن جرير، وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٥) . [.....]

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٢١٢) برقم (٣١٩٠) ، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٥) .

(٥) أخرجه الطبري (٢/ ٢١٢) ، رقم (٣١٨٩) ، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٥) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٧٥) ، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، عن عكرمة.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠٤) كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، حديث (٨١/ ٢٨٧٧) ، من حديث جابر.

وابن ماجه (٢/ ١٢٩٥) ، كتاب «الزهد» ، باب «التوكل واليقين» رقم (٤١٦٧) ، والبيهقي (٣/ ٣٧٨) كتاب «الجنائز» ، باب المريض يحسن ظنه بالله- عز وجل- ويرجو برحمته» ، وأحمد (٣/ ٢٩٣- ٣١٥- ٣٢٥- ٣٩٠) ، وابن حبان (٢/ ٤٠٣) ، كتاب «الرقاق» ، باب ذكر الأمر للمسلم بحسن الظن بمعبوده، مع قلة التقصير في الطاعات رقم (٦٣٦) ، (٢/ ٤٠٤، ٤٠٥) ، كتاب «الرقاق» ، باب حث المصطفى صلى الله عليه وسلم على حسن الظن بمعبودهم جل وعلا، رقم (٦٣٨) .

(٨) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٣٧٧) .." (١)

"قال عبد الحق في «العاقبة» : أما حسن الظن بالله عز وجل عند الموت، فواجب للحديث. انتهى.

ويدخل في عموم الآية أنواع المعروف قال أبو عمر بن عبد البر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل معروف صدقة» «١» ، قال أبو جري الهجيمي «٢» قلت: يا رسول الله، أوصني، قال: «لا تحقرن شيئا من المعروف أن تأتيه، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي، ولو أن تلقى أخاك، ووجهك منبسط إليه» «٣» ، وقال عليه السلام: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة» «٤» ، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٦٢) كتاب «الأدب» ، باب كل معروف صدقة حديث (٦٠٢١) ، ومسلم (٢/ ٦٩٧) ، كتاب «الزكاة» ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف حديث (٥٢/ ١٠٠٥) .

(٢) هو جابر بن سليم، وقيل: سليم بن جابر، جري الهجيمي مشهور بكنيته.

ينظر: «أسد الغابة» ت (٦٣٧) ، «الاستيعاب» ت (٣٠٥) ، «الثقات» (٣/ ٢٥٤) ، «تجريد أسماء الصحابة» (١/ ٧١) ، «تقريب التهذيب» (٢/ ٣٩) ، «الطبقات الكبرى» (١٧٩) ، «تهذيب الكمال» (١/ ١٧٨) ، «الوافي بالوفيات» (١١/ ٢٦) ، «التاريخ الصغير» (١/ ١١٧) ، «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٠٥) ، «الجرح والتعديل» (٢/ ٢٠٢٧) ، «تبصير

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١/٤٠٤

المنتبه» (٣/ ٩١٥) ، «الإصابة» (١/ ٥٤٢) .

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٥٤) ، كتاب «اللباس» ، باب ما جاء في إسبال الإزار، حديث (٤٠٨٤) ، وأحمد (٥/ ٦٣) ، والحاكم (٤/ ١٨٦) ، وابن حبان (٨٦٦- موارد) .

(٤) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٦٢- ٢٦٣) ، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٠١) ، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣١٩) من طريق المسيب بن واضح، ثنا علي بن بكار، ثنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعا.

وقال الطبراني: لم يروه عن هشام إلا علي، تفرد به المسيب، وقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٢٩٢) رقم (٢٣٨٠) : سألت أبي عن حديث رواه المسيب بن واضح، عن علي بن بكار، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة» . قال أبي: هذا حديث منكر جدا اه.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٦٦) ، وقال: رواه الطبراني في «الصغير» ، و «الأوسط» بإسنادين في أحدهما يحيى بن خالد بن حيان الرقي، ولم أعرفه، ولا ولده أحمد، وفي الأخير المسيب بن واضح، قال أبو حاتم: يخطىء كثيرا. اه.

وفي الباب عن أبي موسى، وابن عمر، وعمر، وعلي، وسلمان، وأبي الدرداء، وابن عباس، وأبي أمامة، وقبيصة بن مرة.

حديث أبي موسى:

أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٧٤) من طريق مؤمل بن إسماعيل، ثنا سفيان، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى الأشعري مرفوعا.

وقال الطبراني: لم يروه عن سفيان إلا مؤمل.

والحديث أخرجه الدارقطني في «العلل» (٧/ ٢٤٢- ٢٤٣) ، ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل-." (١)

"فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه «١» ، ونحوه عن الزبير «٢» ، وابن مسعود «٣» ، «والواو» في قوله: وطائفة قد أهمتهم أنفسهم، واو الحال، ذهب أكثر المفسرين إلى أن اللفظة من الهم الذي هو بمعنى الغم والحزن.

وقوله سبحانه: يظنون بالله غير الحق: معناه: يظنون أن دين الإسلام ليس بحق، وأن أمر محمد صلى الله عليه وسلم يضمحل.

قلت: وقد وردت أحاديث صحاح في الترغيب في حسن الظن بالله عز وجل، ففي «صحيح مسلم» ، وغيره، عن النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل يقول سبحانه: «أنا عند ظن عبدي بي ... » «٤» الحديث، وقال ابن مسعود: والله الذي لا إله غيره، لا يحسن أحد الظن بالله عز وجل إلا أعطاه الله ظنه، وذلك أن الخير بيده، وخرج أبو بكر

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١/٤٠٥

بن الخطيب بسنده، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حسن عبادة المرء حسن ظنه» «٥» اهـ. وقوله:

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٤٢٢) ، كتاب «المغازي» ، باب: ثم أنزل عليكم من بعد الغم، حديث (٤٠٦٨) ، (٨/ ٧٦) كتاب «التفسير» ، باب أمنة نعاسا، حديث (٤٥٦٢) ، والترمذي (٥/ ٢٢٩- ٢٣٠) كتاب «التفسير» ، باب ومن سورة آل عمران، حديث (٣٠٠٨) ، وأحمد (٤/ ٢٩) ، وابن حبان (٧١٨٠) ، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٨٤) رقم (٨٠٧٥، ٨٠٧٦) ، والطبراني في «الكبير» (٥/ ٩٥- ٩٦) رقم (٤٦٩٩، ٤٧٠٠) ، والبيهقي في «دلائل النبوة» . (٣/ ٢٧٣- ٢٧٤) كلهم من طريق قتادة عن أنس به.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وأخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٩) ، كتاب «التفسير» ، باب ومن سورة آل عمران، حديث (٣٠٠٧) ، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٠٥) ، وابن أبي شيبة (١٤/ ٤٠٦- ٤٠٧) ، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٨٣- ٤٨٤) رقم (٨٠٧٤) ، والحاكم (٢/ ٢٩٧) ، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٧٢) ، وأبو نعيم في «الدلائل» ص (٣٦٧) كلهم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس به.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن سعد (٣/ ٥٠٥) ، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٨٣) رقم (٨٠٧٣) من طريق حميد عن أنس.

والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٥٥) ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

وللحديث شاهد من حديث الزبير بن العوام: أخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٩) كتاب «التفسير» ، باب ومن سورة آل عمران، حديث (٣٠٠٧) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير به بنحو حديث أنس.

(٢) ينظر الحديث السابق.

(٣) ينظر الحديث السابق.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.." (١)

"ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة» «١» ، انتهى.

وقوله [تعالى] ويوم [تقوم الساعة] «٢» أي: ويوم القيامة يقال: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وآل فرعون: أتباعه وأهل دينه، والضمير في قوله: يتحاجون لجميع كفار الأمم، وهذا ابتداء قصص لا يختص بآل فرعون، والعامل في: «إذ» فعل

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٢٧/٢

مضمر، تقديره: اذكر، ثم قال جميع من في النار لخزنتها: ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فراجعتهم الخزنة على معنى التوبيخ والتقرير: أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات، فأقر الكفار عند ذلك، وقالوا/ بلى، أي: قد كان ذلك، فقال لهم الخزنة عند ذلك: ادعوا أنتم إذن، وهذا على معنى الهزء بهم.

وقوله تعالى: وما دعاء الكافرين إلا في ضلال قيل: هو من قول الخزنة، وقيل:

هو من قول الله تعالى إخبارا منه لمحمد ع، ثم أخبر تعالى أنه ينصر رسله والمؤمنين في الدنيا والآخرة، ونصر المؤمنين داخل في نصر الرسل، وأيضا، فقد جعل الله للمؤمنين الفضلاء ودا، ووهبهم نصرا إذا ظلموا، وحضت الشريعة على نصرهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «من رد عن أخيه في عرضه، كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم» «٣» ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٨٦) كتاب «الجنائز» باب: الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (١٣٧٩) ، (٦/ ٣٦٦) كتاب «بدء الخلق» باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٠) ، (١١/ ٣٦٩) كتاب الرقاق، باب: سكرات الموت (٦٥١٥) ، ومسلم (٤/ ٢١٩٩) كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب:

عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٦٥- ٦٦/ ٢٨٦٦) ، وابن حبان (٧/ ٤٠٠- ٤٠١) ، كتاب «الجنائز» باب: ذكر الإخبار بأن أهل القبور تعرض عليهم مقاعدهم التي يسكنونها في كل يوم مرتين (٣١٣٠) ، ومالك (١/ ٢٣٩) كتاب «الجنائز» باب: جامع الجنائز (٤٧) ، وأحمد (٢/ ١١٣، ١١٦) ، والترمذي (٣/ ٣٧٥) كتاب «الجنائز» باب: ما جاء في عذاب القبر (١٠٧٢) ، والترمذي (٤/ ١٠٧) كتاب «الجنائز» باب: وضع الجريدة على القبر (٢٠٧٢) ، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٧) كتاب «الزهد» باب: ذكر القبر والبلى (٤١٧٠) ، والطيالسي (١/ ١٥٣) كتاب «الجنائز» باب: ما جاء في **حسن الظن بالله** والكشف لكل إنسان عن مصيره (٧٣٦) .

قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن صحيح.

(٢) في د: ويوم القيامة.

(٣) أخرجه البيهقي (٨/ ١٦٨) كتاب «قتال أهل البغي» باب: ما جاء في الشفاعة والذب عن عرض أخيه المسلم من الأجر، وأحمد (٦/ ٤٥٠) ، والترمذي (٤/ ٣٢٧) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في الذب عن عرض المسلم برقم: (١٩٣١) ، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٥٠١) كتاب «الأدب وغيره» باب: الترهيب من الغيبة والبهت وبيانهما، والترغيب في ردها برقم: (٤١٩٤) عن أبي الدرداء." (١)

"الكفرة المتكبرين، كأنه قال: مخلوقات الله أكبر وأجل قدرا من خلق البشر، فما لأحد منهم يتكبر على خالقه، ويحتمل أن يكون الكلام في معنى البعث، وأن الذي خلق السموات والأرض قادر على خلق الناس تارة أخرى، والخلق هنا: مصدر مضاف إلى المفعول، والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعادلهم قوله: ولا المسيء وهو اسم جنس يعم المسيئين.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١١٨/٥

[سورة غافر (٤٠) : آية ٦٠]

وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين (٦٠)

وقوله تعالى: وقال ربكم ادعوني أستجب لكم آية تفضل ونعمة ووعد لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بالإجابة عند الدعاء قال النووي: وروينا في «كتاب الترمذي» عن عبادة بن الصامت، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف [عنه] من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، فقال رجل من القوم: إذن نكثر، قال: الله أكثر» «١» : قال الترمذي: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في «المستدرك» من رواية أبي سعيد الخدري، وزاد فيه: «أو يدخر له من الأجر مثلها» «٢» ، انتهى، قال ابن عطاء الله: لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك، وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد، انتهى، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله- عز وجل-: أنا عند ظن/ عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني» رواه الجماعة إلا أبا داود «٣» : واللفظ لمسلم، انتهى من «السلاح» ، وقالت فرقة: معنى ادعوني: اعبدوني، وأستجب معناه: بالنصر والثواب ويدل على هذا قوله: إن الذين يستكبرون عن عبادتي ...

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٦٦) كتاب «الدعوات» باب: في انتظار الفرج وغير ذلك، برقم: (٣٥٧٣) .

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٣) كتاب «الدعاء» ، وأحمد (٣/ ١٨) .

قال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد، إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن علي الرفاعي.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٥) كتاب «التوحيد» باب: قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه، وقوله عز وجل: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك برقم: (٧٤٠٥) ، وطرفاه في (٧٥٠٥، ٧٥٣٧) ، ومسلم (٤/ ٢٠٦١) كتاب «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار» باب: الحث على ذكر الله تعالى، وبرقم:

(٢/ ٢٥٧٦) ، (٤/ ٢٠٦٨) (٢١/ ٢٦٧٥) ، والترمذي (٥/ ٥٨١) كتاب «الدعوات» باب: في حسن الظن بالله عز وجل، برقم: (٣٦٠٣) ، وأحمد (٢/ ٢٥١) .

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.." (١)

"قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد في آخر: «مختصر المدونة» له: واعلم أن [الأجساد التي أطاعت أو عصت، هي التي تبعث يوم القيامة لتجازى، والجلود التي كانت في الدنيا، والألسنة] «١» ، والأيدي، والأرجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد، انتهى.

قال القرطبي في «تذكرته» «٢» : واعلم أن عند أهل السنة أن تلك الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم في ذلك، انتهى، ومعنى أرداكم: أهلككم، والردى: الهلاك وفي صحيح «البخاري» و «مسلم» عن جابر قال: سمعت

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/١٢٠

النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل» «٣» وذكره ابن أبي الدنيا في «كتاب **حسن الظن بالله** عز وجل» ، وزاد فيه: «فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله، فقال لهم الله تبارك وتعالى: وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين انتهى، ونقله أيضا صاحب «التذكرة» .

وقوله تعالى: فإن يصبروا مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى: فإن يصبروا أو لا يصبروا، واقتصر لدلالة الظاهر على ما ترك.

وقوله تعالى: وإن يستعتبوا معناه: وإن طلبوا العتبى، وهي الرضا فما هم ممن يعطاها ويستوجبها قال أبو حيان «٤» : قراءة الجمهور: «وإن يستعتبوا» مبنيا للفاعل «٥» ، و:

من المعتبين مبنيا للمفعول، أي: وإن يعتذروا فما هم من المعذورين، انتهى.

- كتاب «التفسير» باب: وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين (٤٨١٧) ، (١٣/ ٥٠٤) كتاب «التوحيد» باب: قول الله تعالى: وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (٧٥٢١) ، ومسلم (٤/ ٢١٤١) كتاب «صفات المنافقين وأحكامهم» باب: (٥/ ٢٧٧٥) ، وابن حبان (٢/ ١١٦) كتاب «البر والإحسان» باب: الإخلاص وأعمال السر (٣٩٠) ، والحميدي (١/ ٤٧) (٨٧) ، والترمذي (٥/ ٣٧٥) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة حم السجدة، (٣٢٤٨- ٣٢٤٩) ، وأحمد (١/ ٣٨١، ٤٠٨، ٤٢٦، ٤٤٢، ٤٤٣) .

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) سقط من: د.

(٢) ينظر: «التذكرة» (١/ ٢٢٧) .

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠٤) كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب: الأمر **بحسن الظن بالله** تعالى عند الموت، حديث (٨١/ ٢٨٧٧) من حديث جابر.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٧٢) .

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٢) ، و «البحر المحيط» (٧/ ٤٧٢) ، و «الدر المصون» (٦/ ٦٤) . [.....]." (١)

"كثيرة، والمراد بذلك عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء، فأما الخواطر وحديث النفس، إذا لم يستقر، ويستمر عليه صاحبه- فمعفو عنه باتفاق العلماء لأنه لا اختيار له في وقوعه، ولا طريق له إلى الانفكاك عنه، انتهى.

قال أبو عمر في «التمهيد» : وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «حرم الله من المؤمن دمه، وماله، وعرضه، وألا يظن به إلا الخير» «١» انتهى، ونقل في موضع آخر بسنده: أن عمر بن عبد العزيز كان إذا ذكر عنده رجل بفضل أو صلاح قال: كيف هو إذا ذكر عنده إخوانه؟ فإن قالوا: إنه يتنقصهم، وينال منهم، قال عمر: ليس هو كما تقولون،

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٣٢/٥

وإن قالوا:

إنه يذكر منهم جميلا وخيرا، ويحسن الثناء عليهم، قال: هو كما تقولون إن شاء الله، انتهى من «التمهيد» ، وروى أبو داود في «سننه» عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم/ قال: «حسن الظن من حسن العبادة» «٢» انتهى. وقوله تعالى: ولا تجسسوا أي: لا تبحثوا عن مخبآت أمور الناس، وادفعوا بالتي هي أحسن، واجتزءوا بالظواهر الحسنة، وقرأ الحسن وغيره: «ولا تحسسوا» بالحاء المهملة قال بعض الناس: التجسس بالجيم في الشر، وبالحاء في الخير، قال ع «٣» : وهكذا ورد القرآن، ولكن قد يتداخلان في الاستعمال.

«الأدب» من وجهين عن أبي هريرة، وقد أخرجه (١٠/ ١٠٦) كتاب «النكاح» باب: لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٥١٤٣) موصولا عن أبي هريرة، وأخرجه أيضا (١٠/ ٤٩٦) ، كتاب «الأدب» باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، وقوله تعالى: ومن شر حاسد إذا حسد (٦٠٦٤) ، (١٠/ ٤٩٩) ، كتاب «الأدب» باب: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا (٦٠٦٦) ، (١٢/ ٦) كتاب «الفرائض» باب: تعليم الفرائض رقم: (٦٧٢٤) ، وأبو داود (٢/ ٦٩٧) كتاب «الأدب» باب: في الظن برقم: (٤٩١٧) ، والترمذي (٤/ ٣٥٦) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في ظن السوء (١٩٨٨) ، وأحمد (٢/ ٢٤٥، ٢٨٧، ٣١٢، ٣٤٢، ٤٦٥، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٩١، ٤٩٢، ٥٠٤، ٥١٧، ٥٣٩) ، وابن حبان (١٢/ ٤٩٩- ٥٠٠) ، كتاب «الحظر والإباحة» باب: الاستماع المكروه، وسوء الظن، والغضب والفحش، ذكر الزجر عن سوء الظن بأحد المسلمين (٥٦٨٧) ، ومالك (٢/ ٩٠٧- ٩٠٨) كتاب «حسن الخلق» باب: ما جاء في المهاجرة (١٥٠) ، والبيهقي (٦/ ٨٥) كتاب «الإقرار» باب: ما جاء في إقرار المريض لورثته (٧/ ١٨٠) كتاب «النكاح» باب: لا يخطب الرجل على خطبة أخيه إذا رضيت به المخطوبة أو رضي به أبو البكر حتى يأذن أو يترك، (٨/ ٣٣٣) كتاب «الأشربة والحد فيها» باب: ما جاء في النهي عن التجسس، (١٠/ ٢٣١) كتاب «الشهادات» باب: شهادة أهل العصبية.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) أخرجه الطبراني (١١/ ٣٧) برقم: (١٠٩٦٦) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٧١٦- ٧١٧) كتاب «الأدب» باب: في حسن الظن (٤٩٩٣) ، والحاكم (٤/ ٢٥٦) ، وأحمد (٢/ ٤٠٧، ٤٩١) ، وابن حبان (٨/ ٣٠- ٣١) - الموارد (٢٣٩٥) ، وابن حبان (٢/ ٣٩٩) كتاب «الرقائق» باب: حسن الظن بالله تعالى، وذكر البيان بأن حسن الظن للمرء المسلم من حسن العبادة (٦٣١) .

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥١) .." (١)

"وصدق أنس وصدق محمد وصدق جبريل أنا قلت ذلك فطيبني وألبسني سبعين حلة وجعل على رأسي تاجا ومشى بين يدي الولدان المخلدون إلى الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله تعالى

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/٢٧٤

فإن **حسن الظن بالله** تعالى ثمن الجنة وقال ابن مسعود والله الذي لا إله إلا الله لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه ظنه حكاه القرطبي في التذكرة ورأيت في شرح البخاري لابن أبي جمرة أن بعض الصالحين كان خطيبا فلما مات قيل له ما فعل بك الملكان في قبرك قال لما سألاني ارتج علي الجواب بساعة وإذا بشاب حسن الوجه قد دخل علي وعلمني الجواب فقلت له من أنت قال أنا عملك قلت ما أبطأك عني قال كنت تأخذ أجر الخطابة من السلطان فقلت ما أكلت منها شيئا بل كنت أفرقها فقال لو أكلتها ما جئتك وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله حرم الجنة على جسد غذي بحرام وقال ابن عباس لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام ... فائدة: قال رجل يا نبي الله أدبرت الدنيا عني وقلت ذات يدي فقال أين أنت من صلاة الملائكة وتسبح الخلائق وبها يرزقون أن تقول ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الغداة مائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله تأتيك الدنيا راكدة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه ... موعظة: قال الحسن البصري مكتوب على وجه الأرض من أحب الدنيا أبغضه الله ومن أبغضها أحبه الله قال ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا ثلاثة أقسام قسم المؤمنين يتزودون به إلى الآخرة وقسم يتزين به المنافقون وقسم يتمتع به الكافرون قال الحناطي الزهد ثلاثة أحرف الزاي ترك الزينة والهاء ترك الهوى والمال ترك الدنيا ... حكاية: خرج علي بن أبي طالب للصلاة فوجد شيخا يمشي أمامه فمشى خلفه ولم يتقدم عليه إكراما لشيبته واحتراما له فلما ركع النبي صلى الله عليه وسلم وضع جبريل عليه السلام جناحه على ظهره فكلما أراد أن يرفع منعه جبريل حتى أدركه علي لكنه حديث موضوع وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى ينظر إلى وجه الشيخ صباحا ومساء ويقول كبر سنك ودق عظمك ورق جلدك واقترب أجلك فاستح مني فإني أستح منك وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من جزع من الشيب إبراهيم عليه السلام فقال يا رب ما هذه الشوهة التي شوهت بخليلك فأوحى الله إليه هذا سربلا الوقار ونور الإسلام وعزتي وجلالي ما ألبسته أحدا من خلقي يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي إلا استحييت منه يوم القيامة أن انصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا أو أعذبه بالنار فقال يا رب زدني وقارا فأصبح وأمه ولحيته مثل الثغامة البيضاء قال الإمام النووي في شرح المهذب الثغامة بفتح الثاء المثلثة وتخفيف الغين المعجمة نبات له زهر أبيض قال الحناطي لما ولدت سارة اسحق وهي ابنة مائة وعشرين سنة فقال قومه أما تنظرون فإن الشيخين قد وجدا غلاما لقيطا فاتخذاه ولدا لا يولد لمثلهما فألقى الله تعالى شبه إبراهيم على اسحق عليهما السلام ثم ميز الله إبراهيم بالشيب وذلك أن كفا طلع من السماء وبين إصبعيه شعرة بيضاء فجعلت تدنو من إبراهيم حتى ألقاها على رأسه عليه السلام وقال ابن عباس إذا طلبت من أحد حاجة فلا تطلبها ليلا ولا من ورائه فإن الحياء في العينين وقال بعض العلماء يجب أن يكون الحاكم شيخ عالم بمصالح الرعية لأن نظر الشيخ أتم من نظر الشاب قال بعض الفضلاء: شعر: بين يدي الولدان المخلدون إلى الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم حتى **يحسن الظن بالله** تعالى فإن **حسن الظن بالله** تعالى ثمن الجنة وقال ابن مسعود والله الذي لا إله إلا الله لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه ظنه حكاه القرطبي في التذكرة ورأيت في شرح البخاري لابن أبي جمرة أن بعض الصالحين كان خطيبا فلما مات قيل له ما فعل بك الملكان في قبرك قال لما سألاني ارتج علي الجواب بساعة وإذا بشاب حسن الوجه قد دخل علي وعلمني الجواب فقلت له

من أنت قال أنا عملك قلت ما أبطأك عني قال كنت تأخذ أجر الخطابة من السلطان فقلت ما أكلت منها شيئا بل كنت أفرقها فقال لو أكلتها ما جئتك وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله حرم الجنة على جسد غذي بحرام وقال ابن عباس لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام ... فائدة: قال رجل يا نبي الله أدبرت الدنيا عني وقلت ذات يدي فقال أين أنت من صلاة الملائكة وتسبح الخلائق وبها يرزقون أن تقول ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الغداة مائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله تأتيك الدنيا راكدة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه ... موعظة: قال الحسن البصري مكتوب على وجه الأرض من أحب الدنيا أبغضه الله ومن أبغضها أحبه الله قال ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا ثلاثة أقسام قسم المؤمنين يتزودون به إلى الآخرة وقسم يتزين به المنافقون وقسم يتمتع به الكافرون قال الحناطي الزهد ثلاثة أحرف الزاي ترك الزينة والهاء ترك الهوى والمال ترك الدنيا ... حكاية: خرج علي بن أبي طالب للصلاة فوجد شيخا يمشي أمامه فمشى خلفه ولم يتقدم عليه إكراما لشيبته واحتراما له فلما ركع النبي صلى الله عليه وسلم وضع جبريل عليه السلام جناحه على ظهره فكلما أراد أن يرفع منعه جبريل حتى أدركه علي لكنه حديث موضوع وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى ينظر إلى وجه الشيخ صباحا ومساء ويقول كبر سنك ودق عظمك ورق جلدك واقترب أجلك فاستح مني فإني أستح منك وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من جزع من الشيب إبراهيم عليه السلام فقال يا رب ما هذه الشوهة التي شوهت بخليلك فأوحى الله إليه هذا سربلا الوقار ونور الإسلام وعزتي وجلالي ما ألبسته أحدا من خلقي يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي إلا استحييت منه يوم القيامة أن انصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا أو أعذبه بالنار فقال يا رب زدني وقارا فأصبح وأمه ولحيته مثل الثغامة البيضاء قال الإمام النووي في شرح المهذب الثغامة بفتح الثاء المثلثة وتخفيف الغين المعجمة نبات له زهر أبيض قال الحناطي لما ولدت سارة اسحق وهي ابنة مائة وعشرين سنة فقال قومه أما تنظرون فإن الشيخين قد وجدا غلاما لقيطا فاتخذاه ولدا لا يولد لمثلهما فألقى الله تعالى شبه إبراهيم على اسحق عليهما السلام ثم ميز الله إبراهيم بالشيب وذلك أن كفا طلع من السماء وبين إصبعيه شعرة بيضاء فجعلت تدنو من إبراهيم حتى ألقاها على رأسه عليه السلام وقال ابن عباس إذا طلبت من أحد حاجة." (١)

"إلى آخره، وقال في الحكم: إذا رأيت عبدا أقامه الله بوجود الأوراد، وأدامه عليها مع طول الإمداد، فلا تستحقرن ما منحه الله، لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين، فلولا وارد ما كان ورد.

قلت: بل لولا وارد ما كان انتساب ولو كان صاحبه كاذبا، لأن وجود انتسابه شاهد لتعظيمه للجناب الذي انتسب إليه في نظره، ولذلك ما تعرض أحد قط لمنتسب لله بهوى إلا أصابه منه ضرر، (لأن الحق سبحانه يغار لهتك جنابه، إلا بأمر منه فإذا وقع المنتسب) (١) في أمر فيه حق من حقوق الله أقيم عليه الحد، وحفظت حرمته في نسبته، لحديث: "لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله" (٢) الحديث، وقد ورد في الخبر: "خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر، سوء الظن بالله، وسوء الظن بعباد الله؛ وخصلتان ليس فوقهما شيء من الخير، **حسن الظن بالله**، وحسن الظن بعباد الله" (٣) ومما أنشد بعض

---

(١) نزهة المجالس ومنتخب النفائس الصفوري ٥٨/٢

المجاذيب في حكاية ذكرت عنه، وقد كان خاملا فيما قبلها، فاشتهر لذلك:

ستبدو لك الأسرار بعد اكتتامها ... كأن الذي قد صانها عنك يخبر

---

(١) لا يوجد في: ت ١.

(٢) خرجه البخاري من حديث عمر بن الخطاب (ض) أن رجلا على عهد النبي (ص) كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارا، وكان يضحك رسول الله (ص) وكان النبي (ص) قد جلده في الشراب، فأتي به يوما، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي (ص): "لا تلعنوه، فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله"، والمعنى: ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله، قال الحافظ في الفتح: ووقع في رواية معمر والواقدي: فإنه يحب الله ورسوله، البخاري مع فتح الباري ١٥/ ٨٣.

(٣) في الفردوس رقم ٢٩٨٨ بلفظ: "خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: الشرك بالله والضر بعباده"، قال المحقق: الحديث في المخطوطة الأخرى بلفظ: "خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: الإيمان بالله والنفع لعباده، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر ... إلخ"، قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٢/ ٢٠٨: الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث علي، ولم يسنده ولده في مسنده.." (١)

"٧٥ - فصل

في الاستظهار بالدعوى والتعزز بالطريقة والأكل بالدين ونحو ذلك

فنجد أكثرهم يهدد من يسيء إليه، ويعد من يحسن إليه، من غير تعريج على حسن الظن بالله، ل بالتألي عليه، إما جهلا منه ورؤية لاستحقاقه ما يدعيه، وهي خديعة شيطانية، أو اغترارا ببعض البوارق النفسانية والطوالع القلبية، ويدعوه لذلك استعجال العز والغنى بالطريق، وحب الاستتباع، حتى لقد سمعت عن بعض الناس أنه يقول ويشير إلى نفسه: كل شيخ لا يتكفل بمريده في المواقف الثلاث؛ أعني عند الخاتمة، وعند السؤال، وعند الصراط، فهو غاش، وهذه مصيبة كبيرة، لأن عاقبته في هذه الثلاث مجهولة، وكذا عواقب جميع الخلق، والآخرة يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون إلا من رحم الله، ودعاء الرسل على الصراط: ((اللهم سلم سلم)) (١)، فمن أين يكون لغيرهم ما ليس لهم، أعاذنا الله من الفضيحة والكذب على الله بغير حق، وهذه مصيبة كبيرة وغلطة وقعت لصاحب هذه الحالة، من جهله وحسن ظنه بنفسه وحبه للرئاسة، فإن أضاف إلى ذلك الأكل بالدين، وصحبة الظلمة، وإيثار الأغنياء على الفقراء، والمعتقدين له على غيرهم، واستظهر بعلوم الرقائق والدقائق، والاستظهار بها عند من يعرف ومن لا يعرف، ويرى ذلك دينا قيما وصراطا مستقيما، وإن أضاف إلى ذلك منع من يتعلق به من مطالعة كتب القوم فقد باء بالخسران، واستحق وجود اللوم، فإن شر الناس الذي يأكل بدينه.

قال العلماء: وهو الذي يتطهر بصفة ليست فيه، فيأكل بذلك، قالوا:

---

(١) عدة المريد الصادق زروق ص/١٦١

ولا يجوز أن يأكل ما باسم الصوفية، إلا من لا يصر على كبيرة، وإلا أكل حراما، ولا يسكن الزوايا إلا ذلك، فصار الأمر على خلاف ذلك في جميع الوجوم، مع تعامي الكل عن الكل خوف الفضيحة، فيرحم الله القائل:

فسد الزمان فأين أين المهرب ... وفشا الحرام فأي كسب أطلب

---

(١) سبق تخريجه في فصل ٣٨ (هامش).." (١)

"وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن عبد الله بن عمرو قال: إن لله مائة رحمة فاهبط منها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا يتراحم بها الجن والإنس وطائر السماء وحيتان الماء ودواب الأرض وهوامها وما بين الهواء واختزن عنده تسعا وتسعين رحمة حتى إذا كان يوم القيامة اختلج الرحمة التي كان أهبطها إلى أهل الدنيا فحواها إلى ما عنده فجعلها في قلوب أهل الجنة وعلى أهل الجنة

وأخرج ابن جرير عن أبي المخارق زهير بن سالم قال: قال عمر لكعب: ما أول شيء ابتدأه الله من خلقه فقال كعب: كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مدد ولكن كتب بأصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت: أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب **حسن الظن بالله** عن أبي قتادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله للملائكة: ألا أحدثكم عن عبدين من بني إسرائيل أما أحدهما فيرى بنو إسرائيل أنه أفضلهما في الدين والعلم والخلق والآخر أنه مسرف على نفسه

فذكر عند صاحبه فقال: لن يغفر الله له

فقال: ألم يعلم أني أرحم الراحمين ألم يعلم رحمتي سبقت غضبي وإني أوجبت لهذا العذاب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلا تألوا على الله

وأخرج ابن أبي شيبة وابن ماجة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة فجعل في الأرض منها رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والبهائم بعضها على بعض وأخر تسعا وتسعين إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة رحمة

وأخرج مسلم وابن مردويه عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السموات والأرض فجعل منها في الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة

- الآية (١٣ - ١٨)." (٢)

---

(١) عدة المريد الصادق زروق ص/٢٣٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٣/٢٠٤

"وأخرج ابن جرير عن السدي رضي الله عنه ﴿وما كنتم تستترون﴾ قال: تستخفون
وأخرج أحمد والطبراني وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود وابن ماجة وابن حبان وابن مردويه عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** فإن قوما قد أرادهم سوء ظنهم بالله عز وجل قال الله عز وجل ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾

الآية ٢٥." (١)

"كان يقول: من استطاع أن يموت وهو **يحسن الظن بالله** فليفعل
وأخرج أحمد وعبد بن حميد الترمذي وابن ماجة وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في أيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله
وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن أبي موسى قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: في قوله: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ قال: عرضتان فيهما الخصومة والجدال والعرضة الثالثة تطير الصحف في أيدي الرجال
وأخرج ابن جرير والبيهقي في البعث عن ابن مسعد قال: يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فتطاير الكتب بالأيمان والشمائل
وأخرج ابن المبارك عن عمر قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنه أيسر لحسابكم وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتجهزوا للعرض الأكبر ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾
وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال: إن الله يقف عبده يوم القيامة فيبدي سيئاته في ظهر صحيفته فيقول له: أنت عملت هذا فيقول: نعم أي رب فيقول له: إني لم أفضحك به وإني غفرت لك فيقول عند ذلك: ﴿هاؤم اقرؤوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ حين نجا من فضيحته يوم القيامة
وأخرج ابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر والخطيب عن أبي عثمان النهدي قال: إن المؤمن ليعطى كتابه في ستر من الله فيقرأ سيئاته فيتغير لونه ثم يقرأ حسناته فيرجع إليه لونه ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات فعند ذلك يقول: ﴿هاؤم اقرؤوا كتابية﴾
وأخرج أحمد عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه فأنظر إلى بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم ومن خلفي مثل ذلك وعن يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك فقال رجل: يا رسول الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين." (٢)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٣٢٠/٧
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٢٧١/٨

"سطوة العقاب ولا نار العذاب ولا بعد الحجاب. ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾ [الحشر: ١٩] .

وفي صحيح البخاري عن أم العلاء امرأة من الأنصار «أنهم اقتسموا المهاجرين أول ما قدموا عليهم بالقرعة، قالت، فطار لنا: أي وقع في سهمنا عثمان بن مظعون من أفضل المهاجرين وأكابرهم ومتعبديهم وممن شهد بدرا، فاشتكى فمرضناه، حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله تعالى، فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: وما يدريك أن الله أكرمه؟ فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أما عثمان فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير» : أي فالإنكار عليها إنما هو من حيث إنها أبرزت تلك الشهادة جازمة بها متيقنة لمقتضاها من غير مستند قطعي تعتمد عليه في ذلك، فكان اللائق بها أن تبرزها في حيز الرجاء لا الجزم كما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم قال - صلى الله عليه وسلم -: «ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي قالت: فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا» : أي على جهة الجزم والتيقن، بل على جهة الرجاء **وحسن الظن بالله** تعالى، قالت: وأحزنني ذلك فنمت فرأيت لعثمان عينا تجري، فجئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته فقال: ذاك عمله. ولما توفي عثمان هذا قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خده وبكى حتى سالت دموعه الكريمة على خد عثمان وبكى القوم، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «اذهب عنها أي الدنيا أبا السائب لقد خرجت عنها ولم تتلبس منها بشيء» وسماه - صلى الله عليه وسلم - السلف الصالح "، وهو أول من قبر بالبقيع - رضي الله عنه -.

فتأمل زجره - صلى الله عليه وسلم - عن الجزم بالشهادة على الله في عثمان هذا مع كونه شهد بدرا، وقوله: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، وقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» ، وكونه قبله وبكى، ووصفه له بأعظم الأوصاف وأفضلها، وهو أنه لم يتلبس من الدنيا بشيء، وبأنه السلف الصالح تعلم أنه ينبغي لك وإن عملت من الطاعات ما عملت أن تكون على حيز الخوف والخشية من الله تعالى وعذابه وأليم عقابه، فإنه لا يجب عليه لأحد من خلقه شيء. ﴿قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا﴾ [المائدة: ١٧] .

ونظير إنكاره - صلى الله عليه وسلم - هذا على هذه المرأة إنكاره على عائشة - رضي الله عنها -. فقد." (١)

"ابن آدم لو أتيتني بقرابة الأرض - بضم القاف ويجوز كسرها أي قريب ملئها - خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» .

وعن أنس بسند حسن: «أنه - صلى الله عليه وسلم - دخل على شاب وهو في الموت فقال: كيف تجدك؟ قال: أرجو الله يا رسول الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال - صلى الله عليه وسلم -: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف» .

وأخرج أحمد أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن شئتم أنبأتكم: ما أول ما يقول الله - عز وجل - للمؤمنين يوم القيامة

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ٣٣/١

وما أول ما يقولون له؟ قلنا: نعم يا رسول الله. قال: إن الله – عز وجل – يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا ربنا. فيقول: لم؟ فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك، فيقول: قد وجبت لكم مغفرتي» .

والشيخان: «قال الله – عز وجل –: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني» الحديث.

وأبو داود وابن حبان في صحيحه: «حسن الظن من حسن العبادة» . والترمذي والحاكم: «إن **حسن الظن بالله** من حسن العبادة» . ومسلم وغيره عن جابر أنه «سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل موته بثلاثة أيام يقول: لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** – عز وجل –» . وأحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي؛ «قال الله جل وعلا: أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله، وإن ظن شرا فله» . والبيهقي: «أمر الله – عز وجل – بعبد إلى النار فلما وقف على شفيرها التفت فقال: أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسنا، فقال الله – عز وجل – ردوه، أنا عند ظن عبدي بي» . والبغوي: «إن أفضل العبادات **حسن الظن بالله** – عز وجل –، يقول الله لعباده أنا عند ظنك بي» .

تنبيه: عد هذا كبيرة هو ما أطبقوا عليه وهو ظاهر، لما فيه من الوعيد الشديد الذي علمته مما ذكر، بل في الحديث الذي مر آنفا التصريح بأنه من الكبائر، بل جاء عن ابن مسعود أنه أكبر الكبائر.." (١)

"تفقها لا خلاف فيه كما جزم به الأنصاري شارح إرشاد الإمام حيث قال: لو حال بينه وبين تسليم النفس أو المال مانع كحبس ظالم له وحدوث أمر يصده عن التمكين سقط ذلك عنه وإنما يلزمه العزم على التسليم إن أمكنه قال: وهذا مما لا خلاف فيه انتهى، وخالف في ذلك النووي فقال: ظواهر السنة الصحيحة تقتضي ثبوت المطالبة بالظلامة إذا كان معسرا عاجزا إن عصى بالتزامه انتهى. قال الزركشي: وفيه نظر، وفي الروضة: لو استدان لحاجة مباحة من غير سرف وهو يرجو الوفاء من جهة أو سبب ظاهر واستمر به العجز إلى الموت أو أتلف شيئا خطأ وعجز عن غرامته حتى مات، فالظاهر أن هذا لا يطالب في الآخرة والمرجو من فضل الله تعالى أن يعوض صاحب الحق، وقد أشار إليه الإمام انتهى. وذكر السبكي ما يوافقه، ونقل الزركشي عن الإحياء ما يوافقه أيضا، وعبارته من كان غرضه الرفق وطلب الثواب فله أن يستقرض على **حسن الظن بالله** تعالى لا اعتمادا على السلاطين والظلمة، فإن رزقه الله من حلال قضاه وإن مات قبل القضاء قضى الله عنه وأرضى غرماءه، ويشترط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه ولا يغش المقرض ويخدعه بالمواعيد، وأن يكشف عنده ليقدم على إقراضه عن بصيرة، ودين مثل هذا واجب أن يقضى من بيت المال والزكاة. انتهى.

وأفهم قول النووي: ولا سرف أن السرف حرام واعتمده الإسنوي وقال تفطن له، قال غيره وهو واضح، ويدل على تحريمه قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ [الأعراف: ٣١] وقوله تعالى: ﴿ولا تبذر تبذيرا﴾ [الإسراء: ٢٦] ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ [الإسراء: ٢٧] والتبذير والسرف واحد انتهى. وقد ينافيه قولهم إن صرف المال في الأطعمة والثياب والمراكب النفيسة غير سرف، ويجمع بأن هذا فيما إذا كان يصرف من ماله والأول فيما إذا كان يصرف من اقتراض وليس له جهة ظاهرة يوفي منها.

والأصل في توقف التوبة على الخروج من حق الآدمي عند الإمكان قوله – صلى الله عليه وسلم –: «من كان لأخيه عنده

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ١٤٩/١

مظلمة في عرض أو مال فليستحله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم فإن كان له عمل يؤخذ منه بقدر مظلمته وإلا أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» كذا أورده الزركشي عن مسلم. والذي في صحيحه كما مر: «أتدرون من المفلس قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: إن المفلس من أمتي من." (١)

"بالإنكار لما يتحقق من كرم أخيهم أكدوه بقولهم ﴿وإنا﴾ ، أي: والله إنا ﴿لصادقون﴾ في أقوالنا، ولما رجعوا إلى أبيهم وقالوا له ما قال كبيرهم، فكأنه قيل: فما قال لهم؟ فقيل:

﴿س١٢ش٨٣/ش٨٧ قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا؟ فصبر جميل؟ عسى الله أن يأتيني بهم جميعا؟ إنه؟ هو العليم الحكيم * وتولى عنهم وقال يا؟أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم * قالوا؟ تالله تفتؤا؟ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين * قال إنمآ أشكوا؟ بثى وحزنى؟ إلى الله وأعلم من الله ما تعلمون * يابنى اذهبوا؟ فتحسسوا؟ من يوسف وأخيه وتا؟ي؟سوا من روح الله؟ إنه؟ يا؟ي؟س من روح الله إs القوم الكافرون﴾

﴿قال﴾ لهم ﴿بل سولت﴾ ، أي: زينت تزيينا فيه غي ﴿لكم أنفسكم أمرا﴾ ، أي: حدثتكم بأمر ففعلتموه، وإلا فما أدرى الملك أن السارق يؤخذ بسرقته ﴿فصبر جميل﴾ ، أي: فأمري صبر جميل، أو فصبر جميل صبري، أو أجمل، وقدم مثل ذلك في واقعة يوسف إلا أنه قال فيها: ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ (يوسف، ١٨) وقال هنا ﴿عسى الله أن يأتيني بهم﴾ ، أي: بيوسف وشقيقه بنيامين والأخ الثالث الذي أقام بمصر ﴿جميعا﴾ ، أي: فلا يتخلف منهم أحد، وإنما قال يعقوب عليه السلام هذه المقالة؛ لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم أن الله تعالى سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب، فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله تعالى وتفرس أن هذه الأفعال نشأت عن يوسف عليه السلام، وأن الأمر يرجع إلى سلامة واجتماع، ثم علل هذا بقوله: ﴿إنه هو العليم﴾ ، أي: البليغ العلم بما خفي عنا من ذلك فيعلم أسبابه الموصلة إلى المقاصد ﴿الحكيم﴾ ، أي: البليغ فيما يدبره ويقضيه.

﴿و﴾ لما ضاق قلب يعقوب عليه السلام بسبب الكلام الذي سمعه من أبنائه في حق بنيامين ﴿تولى عنهم﴾ ، أي: انصرف بوجهه عنهم لما توالى عنده من الحزن ﴿وقال يا أسفا﴾ ، أي: يا أسفي ﴿على يوسف﴾ ، أي: تعال هذا أوانك، والأسف اشد الحزن والحسرة، والألف بدل من ياء المتكلم، وإنما تأسف على يوسف دون أخويه، والحادث إنما هو مصيبتهما؛ لأن مصيبته كانت قاعدة المصائب، والحزن القديم إذا صادفه حزن آخر كان ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الأول، كما قال متمم بن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على أخيه مالك:

*فقالوا أتبكي كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى والدكادك؟

*فقلت نعم إن الأسى يبعث الأسى ... فدعني فهذا كله قبر مالك

ولأنه كان واثقا بحياتهما دون حياته، وفي حديث رواه الطبراني «لم تعط أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون عند المصيبة

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ٣٦٩/٢

إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع، وقال ﴿يا أسفا﴾ ﴿وابيضت عيناه﴾ ، أي: انمحق سوادهما وبدل بياضا ﴿من الحزن﴾ ، أي: من كثرة البكاء عليه، وقيل: عند غلبة البكاء يكثر الماء في العين فتصير العين كأنها ابيضت من بياض ذلك الماء، وقيل: ضعف بصره حتى صار يدرك إدراكا لطيفا، وقيل: عمي، وقال مقاتل: لم يبصر بهما ست سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف عليه السلام. قيل: إن جبريل عليه السلام دخل على يوسف في السجن، فقال: إن بصر أبيك ذهب من الحزن عليك، فوضع يده على رأسه وقال: ليت أمي لم تلدني، ولم أكن حزنا على أبي.

فإن قيل: هذا إظهار للجزع وجار مجرى الشكاية وهو لا يليق بمثل يعقوب عليه السلام أجيب: بأنه لم يذكر إلا هذه الكلمة، ثم عظم بكاؤه، ثم أمسك لسانه عن النياحة، وذكر ما لا ينبغي، ولم يظهر الشكاية مع أحد من الخلق ويدل لذلك قوله: ﴿فهو كظيم﴾ ، أي: مغموم مكروب لا يظهر كربه وقوله: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ فكل ذلك يدل على أنه لما عظمت مصيبته وقويت محنته صبر وتجرع الغصة وما أظهر." (١)

"﴿لا يعلم﴾ أي: في وقت من الأوقات ﴿كثيرا مما تعملون﴾ وهو الخفيات من أعمالكم.

روي عن ابن مسعود قال: «كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر، ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول فقال الآخر: يسمع إن جهرنا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا يسمع إذا أخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ﴿وما كنتم تستترون﴾ الآية قيل: الثقفي عبد يا ليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية وقوله تعالى:

﴿وذلكم﴾ إشارة إلى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله تعالى: ﴿ظنكم﴾ بدل منه، وقوله تعالى: ﴿الذي ظننتم بربكم﴾ نعت البدل والخبر ﴿أرداكم﴾ أي: أهلككم، وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزول عن ذهنه أن عليه من الله تعالى عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في أوقاته وخلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصورا منه مع الملأ، ولا ينبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين.

ولما كان الصباح محل رجاء للإفراج فكان شر الإتراح ما كان فيه، قال تعالى ﴿فأصبحتم﴾ أي: بسبب ما أعطيتموه من النعم لتستنقذوا أنفسكم به من الهلاك، كان سبب هلاككم ﴿من الخاسرين﴾ أي: العريقين في الخسارة المحكوم بخسارتهم في جميع ذلك اليوم.

قال المحققون: الظن قسمان أحدهما: حسن، والآخر: فاسد، فالحسن، أن يظن بالله تعالى الرحمة والفضل والإحسان قال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي» . وقال صلى الله عليه وسلم «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله»** .

والظن الفاسد أن يظن أن الله تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الأحوال. وقال قتادة: الظن نوعان: منجي ومردي، فالمنجي: قوله: ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ (الحاقة: ٢٠)

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ١٣٠/٢

وقوله تعالى: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون﴾ (البقرة: ٤٦)

والمردي: هو قوله تعالى: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرادكم﴾ .
﴿فإن يصبروا فالنار مثوى﴾ أي: منزل ﴿لهم﴾ أي: إن أمسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار مقاما لهم ﴿وإن يستعتبوا﴾ أي: يسألوا العتبى وهو، الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعا مما هم فيه ﴿فما هم من المعتبين﴾ أي: المجابين إليها، ونحوه قوله عز وجل: ﴿أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾ (إبراهيم: ٢١)
ولما ذكر وعيدهم في الدنيا والآخرة أتبعه سبب كفرهم الذي هو سبب الوعيد فقال تعالى:
﴿وقيضنا﴾ قال مقاتل: هيأنا وقال الزجاج: سببنا ﴿لهم﴾ أي: للكفرة وأصل التقييض: التيسير والتهيئة يقال: قيضته للدواء هيأته له ويسرته، وهذان ثوبان قيضان أي: كل منهما مكافئ للآخر في الثمن وقوله تعالى: ﴿قرناء﴾ أي: نظراء من الشياطين حتى أضلوهم، جمع قرين قال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ ﴿فزينوا لهم﴾ أي: من القبائح ﴿ما بين أيديهم﴾ أي: من أمر الدنيا حتى آثروها على الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ أي: من أمر الآخرة فدعوهم إلى التكذيب وإنكار البعث، وقال الزجاج: زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، وما خلفهم من أمر الدنيا بأن الدنيا قديمة ولا صانع إلا الطبائع والأفلاك، قال القشيري: إذا أراد الله بعبده سوءا قيض له إخوان سوء وقرناء سوء." (١)

"﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ أي ليس ما وعد الله تعالى من الثواب يحصل بأمانيكم إيها المسلمون ولا بأماني أهل الكتاب وإنما يحصل بالإيمان والعمل الصالح ولعل نظم أماني أهل الكتاب في سلك أماني المسلمين مع ظهور حالها للإيذان بعدم إجداء أماني المسلمين أصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا **نحسن الظن بالله** وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل وقيل إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله تعالى منكم فقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم أي ليس الأمر بأماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا وقولهم لأوتين مالا وولدا ولا أماني أهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى
﴿من يعمل سوءا يجز به﴾ عاجلا أو آجلا لما روي أنه لما نزلت قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما تحزن أو تمرض أو يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك
﴿ولا يجد له من دون الله﴾ أي مجاوزا لموالاة الله ونصرته

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٥١٤/٣

﴿وليا﴾ يواليه

﴿ولا نصيرا﴾ ينصره في دفع العذاب عنه." (١)

"﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ أي كونوا على جانب منه وإبهام الكثير لإيجاب الاحتياط والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أي قبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الأمور المعاشية ﴿إن بعض الظن أثم﴾ تعليل للأمر بالاجتناب أو لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقي والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها ﴿ولا تجسسوا﴾ أي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما أن التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وأنا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ أي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة إدام كلاب الناس ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري وإسناد الفعل إلى أحد إيذانا بأن أحدا من الأحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخا للآكل وميتا وإخراج تماثلها مخرج أمر بين غني عن الإخبار به وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الأخ والفاء في قوله تعالى ﴿فكرهتموه﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتموه وقرى كرهتموه أي جبلتم على كراهته ﴿واتقوا الله﴾ بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل ﴿إن الله تواب رحيم﴾ مبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم روي أن رجلين من الصحابة رضي الله عنهم بعثا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما إداما وكان أسامة على طعامه عليه الصلاة والسلام فقال ما عندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سليمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه الصلاة والسلام إنكما قد اغتبتما." (٢)

"في صغره لأن فيه غرضا، وهو طيب لحمه، ولا يجوز في كبره، وخص من تغيير خلق الله الختان، والوشم لحاجة ونحوهما، والجمل الأربع من قوله: قال إلى هنا حكاية ما قاله بأي لغة كان مما لا يعلمه إلا الله أو أنه قدر قوله لذلك، ولا قول، وإنما هو ذا! ؤ لما وقع منه. قوله: (بإيثاره ما يدعوه إليه الخ) يعني أن المراد بولايته اتباعه، وقيد من دون الله ليس

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم   أبو السعود ٢/٢٣٥

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم   أبو السعود ٨/١٢٢

احترازيا كما توهم بل بيان لأن اتباعه ينافي متابعة أمر الله فافهم وقوله: ضيع ١ رأس ماله لأنه أعظم الخسران، وأهونه عدم الفائدة مع بقاء رأس المال، وأولياء الشيطان أهل الضلال أو جنده. قوله: (معدلا ومهربا الخ) يعني المحيص اسم مكان أو مصدر ميمي من حاص يحيص إذا عدل وولى، ويقال محيص ومحاص، وأصل معناه كما قيل الروغان، ومنه وقعوا في حيص بيص وحاص باص أي في أمر يعسر التخلص منه، ويقال حاص يحوص أيضا حى وصا وحياصا، وعنها لا يتعلق بيجدون لأنه لا يتعدى بعن فهو ظرف مستقر كان صفة لمحيصا فلما قدم عليه انتصب على الحال، ولا يتعلق بمحيصا لأنه إن كان اسم مكان فهو لا يعمل لأنه ملحق بالجوامد، وان كان مصدرا فمعمول المصدر لا يتقدم عليه، ومن جوز تقدمه إذا كان ظرفا أو جارا ومجرورا جوزه هنا. قوله: (فالأول مؤكد لنفسه الخ (التأكيد بالمصدران كان لمضمون جملة لا يحتمل غيره يسمى تأكيدا لنفسه نحو له علي ألف عرفا إذ معنى الجملة التي قبله لا تحتمل غير الاعتراف، وكذا قوله سندخلهم جنات هو الوعد إذ ليس الوعد إلا الأخبار عن إيصال المنافع قبل وقوعه فيكون وعد الله تكيدا لنفسه فإن احتملت غيره فهو تأكيد لغيره لأن مضمون الجملة مغاير له، ولو احتمالا كقولك زيد قائم حقا فإن الجملة الخبرية تحتمل الصدق، والكذب، والحق والباطل، وكذا حقا هنا بالنسبة لما قبله من الخبر بقطع النظر عن قائله، وعاملهما محذوف أي

وعدهم الله وعدا وأحقه حقا، وليس حقا تأكيدا للوعد حتى يقال إنه خبر حقيقة أو متضمن للخبر. قوله: (ويجوز أن ينصب الموصول الخ (يعني أنه مرفوع مبتدأ وخبر، ويجوز في محله النصب على الاشتغال جوازا مرجوحا لأن المعطوف عليه اسمية ولأن التقدير خلاف الأصل وقوله ووعد الله الخ أي يجوز أن ينتصب وعد الله بقوله: سندخلهم على أنه مصدر له من غير لفظه لأن معناه ما ذكر وحقا حال منه. توله:) جملة مؤكدة بليغة الخ) يعني أنه توكيد ثالث لقوله ة سندخلهم لأن الجملة تذييل للكلام السابق، والتذييل مؤكد للمذيل والمبالغة، والبلاغة من الاستفهام، وتخصيص اسم الذات الجامع، وبناء أفعل وايقاع القول تمييزا، وكل ذلك إعلام منه بأن حديثه صدق محض، وانكار إن قول الصدق يتعلق بقائل آخر أحق منه فالواو اعتراضية، وجعلها عاطفة مع ما في عطف الإنشاء على الخبر لا حاجة إلى ما فيه من التكلفات فلا يقال كيف تكون مؤكدة، وهي معطوفة. قوله: (والمقصود من الآية الخ) المواعيد الشيطانية في قوله: يعدهم الخ ووعيده الكاذب الذي غرهم حتى استحقوا الوعيد مقابل بوعد الله الصادق الذي أوصلهم إلى السعادة العظمى، ولذا بالغ فيه، وأكده حثا على تحصيله. قوله: (أي ليس ما وعد الله من الثواب الخ) في ليس ضمير مستتر اختلف في مرجعه فقيل يعود على الوعد بالمعنى المصمدي أو بمعنى الموعود فهو استخدام، وهذا مختار المصنف رحمه الله، وقيل: إنه الإيمان المفهوم من الذين آمنوا، وقيل يعود على ما تحاوروا فيه بقرينة سبب النزول، وأتانيئ مشذد وقرئ بالتخفيف، وقوله: أيها المسلمون إشارة إلى أن الخطاب على هذا للمسلمين لا للمشركين كما سيأتي، وفي قوله ليس الإيمان بالتمني إيجاز بديع لأنه يحتمل أنه إشارة إلى تفسير آخر، وهو أن الضمير راجع للإيمان المفهوم مما قبله كما ذكره غيره، ويحتمل أن يكون ٥! اده أنه قيل في الأثر هذا، وهو تأييد لما قبله، وهذا أقرب، وفي الكشاف وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل أن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا، ولا حسنة لهم، وقالوا: **نحسن الظن بالله**، وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا

العمل له، وهذا أخرجه ابن أبي شيبة موقوفا على الحسن، وأخرجه البخاري في تاريخه عن أنس رضي الله عنه مرفوعا: " ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن هو ما وقر في القلب " فأما علم القلب فالعلم النافع، وعلم اللسان." (١)

"وكتب ابو عبيد الصوري الى بعض إخوانه اما بعد فانك قد أصبحت تأمل الدنيا بطول عمرك وتتمنى على الله الأماني بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا والسلام **وحسن الظن بالله** تعالى انما يعتبر بعد إصلاح الحال بالأخلاق والأعمال قال الحسن ان قوما ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا ومالهم حسنة يقول أحدهم انى احسن الظن بربي وكذب لو احسن الظن لاحسن العمل وتلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الآية اللهم وفقنا للعلم والعمل قبل الاجل أم كنتم شهداء لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام وأم منقطعة مقدرة ببل والهمزة قال في التيسير أم إذا لم يتقدمها الف الاستفهام كانت بمنزلة مجرد الاستفهام ومعنى الهمزة فيها الإنكار يعنى أكنتم شهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر يريد ما كنتم حاضرين إذ حضر يعقوب الموت اى اماراته وأسبابه وقرب خروجه من الدنيا نزلت حين قالت اليهود للنبي عليه السلام ألست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فقال تعالى ما كنتم حاضرين حين احتضر يعقوب وقال لبنيه ما قال والا لما ادعيتم عليه اليهودية ولكان حرضكم على ملة الإسلام إذ قال لبنيه بدل من إذ حضر والعامل فيها شهداء ما تعبدون من بعدي اى أي شيء تعبدونه بعد موتى أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما قال الراغب لم يعن بقوله ما تعبدون من بعدي العبادة المشروعة فقط وانما عنى ان يكون مقصودهم في جميع الأعمال وجه الله تعالى ومرضاته وان يتباعدوا عما لا يتوسل به إليها وكأنه دعاهم الى ان لا يتحروا في أعمالهم غير وجه الله تعالى ولم يخف عليهم الاشتغال بعبادة الأصنام وانما خاف ان تشغلهم دنياهم ولهذا قيل ما قطعك عن الله فهو طاغوت ولهذا قال واجنبني وبنى ان نعبد الأصنام اى ان نخدم ما دون الله قال في المثنوى

چيست دنيا از خدا غافل شدن ... نى قماش ونقره وفرزند ووزن

قال التحرير التفتازاني وما عام اى يصح إطلاقه على ذى العقل وغيره عند الإبهام سواء كان للاستفهام أم غيره وإذا علم ان الشيء من ذى العقل والعلم فرق بمن وما فيخص من بذي العلم وما بغيره وبهذا الاعتبار يقال ان ما لغير العقلاء انتهى كلامه وتم الإنكار عليهم عند قوله ما تعبدون من بعدي ثم استأنف وبين ان الأمر قد جرى على خلاف ما زعموا فقال قالوا كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق اى نعبد الآله المتفق على وجوده وآلهيته ووجوب عبادته وجعل إسماعيل وهو عمه من جملة الآباء تغليبا للاب والجد لان العم أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام (عم الرجل صنو أبيه) اى لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوى النخلة إلها واحدا بدل من اله آبائك وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرر المضاف او نصب على الاختصاص كأنه قيل نريد ونعنى بآله آبائك آلها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون أمة هى في الأصل المقصود كالعهدة بمعنى." (٢)

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي   الشهاب الخفاجي ١٧٩/٣

(٢) روح البيان   إسماعيل حقي ٢٣٩/١

"الذين اتقوا من الإشراك بالله تعالى فيغفر لهم ما دون الإشراك من الصغائر والكبائر لعدم اشراكهم به ولا يغفر للمشركين ما دون الإشراك ايضا لاشراكهم به فكما ان اشراكهم لا يغفر فكذلك ما دون اشراكهم لا يغفر بخلاف المؤمنين فانه تعالى كما وقاهم من عذاب الإشراك بحفظهم عنه كذلك وقاهم من عذاب ما دونه بمغفرته لهم ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما اى من افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا. وهذه الآية من أجل الآيات التي كانت خيرا لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وما غربت وأعظمها لانها تؤذن بان مادون الشرك من الذنب مغفور بحسب المشيئة والوعد المعلق بالمشيئة من الكريم محقق الإنجاز خصوصا لعباده الموحدين المخلصين من المحمديين كما قال لهم إن الله يغفر الذنوب جميعا- روى- ان وحشيا قاتل حمزة عم النبي عليه السلام كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد ان اسلم ولكن يمنعنى من الإسلام آية فى القرآن نزلت عليك وهو قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون وانى قد فعلت هذه الأشياء الثلاثة فهل لى من توبة فنزلت هذه الآية إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فكتب ان فى الآية شرطا وهو العمل الصالح فلا أدرى انا اقدر على العمل الصالح أم لا فنزل قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكتب بذلك الى وحشي فكتب اليه ان فى الآية شرطا فلا أدرى أيشاء ان يغفر لى أم لا فنزل قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا فكتب الى وحشي فلم يجد الشرط فقدم المدينة واسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مات ولم يشرك بالله شيأ دخل الجنة) ورأى ابو العباس شريح فى مرض موته كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه وتعالى يقول اين العلماء فجاؤا فقال ماذا عملتم فيما علمتم فقلنا يا رب قصرنا واسأنا فاعاد السؤال فكأنه لم يرض به وأراد جوابا آخر فقلت اما انا فليس فى صحيفتى شرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال الله تعالى اذهبوا فقد غفرت لكم ومات شريح بعده بثلاث ليال وهذا من **حسن الظن بالله** تعالى

كنونت كه چشمست اشكى ببار ... زبان در دهانست عذرى بيار

كنون بايدت عذر تقصير كفت ... نه چون نفس ناطق ز كفتن بخفت

غنيمت شمار اين كرامى نفس ... كه بي مرغ قيمت ندارد قفس

واعلم ان للشرك مراتب وللمغفرة مراتب. فمراتب الشرك ثلاث الجلى والخفي والأخفى.

وكذلك مراتب المغفرة. فالشرك الجلى بالأعيان وهو للعوام وذلك بان يعبد شىء من دون الله تعالى كالاصنام والكواكب وغيرها فلا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية فى اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية. والشرك الخفي بالأوصاف وهو للخواص وذلك شوب العبودية بالالتفات الى غير الربوبية فى العبادة كالدنيا والهوى وما سوى المولى فلا يغفر الا بالوحدانية وهى افراد الواحد للواحد بالواحد. والشرك الأخفى وهو للاخص وذلك رؤية الأغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهى فناء الناسوتية فى بقاء اللاهوية ليبقى بالهوية." (١)

---

(١) روح البيان   إسماعيل حقي ٢١٩/٢

"والنصيب المفروض من العباد هم طائفة خلقهم الله تعالى اهل النار كقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس وهم اتباع الشيطان هاهنا وقد لعن الله الشيطان وأبعده عن الحضرة إذ كان سبب ضلالتهم كما قال عليه السلام (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه) وانما لعن الله الدنيا وأبغضها لانها كانت سببا للضلالة وكذلك الشيطان ولا يغتر بوعد الشيطان الا الضال بالضلال البعيد الأزلي ولذا تولد منه الشرك المقدر بمشيئة الله الازلية.

واما من خلقه الله أهلا للجنة فقد غفر له قبل ان خلقه ومن غفر له فانه لا يسرك بالله شيأ وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزل قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء تطاول إبليس وقال انا شيء من الأشياء فلما نزل فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة يئس إبليس وتطاولت اليهود والنصارى ثم لما نزل قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي يئس اليهود والنصارى وبقيت الرحمة للمؤمنين خاصة فهم خلقوا للرحمة ودخلوا الجنة بالرحمة ولهم الخلود فى الرحمة وبقي العذاب للشيطان واتباعه من الانس والجن ولهم الخلود فى النار كما قال الله تعالى ولا يجدون عنها محيصا لانهم خلقوا لها فلا بد من الدخول فيها: قال الحافظ

پير ما گفت خطا بر قلم صنع نرفت ... آفرين بر نظر پاك خطا پوشش باد

فافهم تفز ان شاء الله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات صلاح الأعمال فى إخلاصها فالعمل الصالح هو ما أريد به وجه الله تعالى وينتظم جميع أنواعه من الصلاة والزكاة وغيرهما سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار اى انهار الماء واللبن والخمر والعسل خالدين فيها أبدا اى مقيمين فى الجنة الى الابد فنصب ابدا على الظرفية وهو لاستغراق المستقبل.

قال الحدادي انما ذكر الطاعة مع الايمان وجمع بينهما فقال آمنوا وعملوا الصالحات ليتبين بطلان توهم من يتوهم انه لا تضر المعصية والإخلال بالطاعة مع الايمان كمالا تنفع الطاعة مع الكفر وليتبين استحقاق الثواب على كل واحد من الامرين وعد الله حقا اى وعد الله لهم هذا وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لانه مضمون الجملة الاسمية التي قبل وعد لان الوعد عبارة عن الاخبار بايصال المنفعة قبل وقوعها والثاني مؤكد لغيره لان الخبر من حيث انه خبر يحتمل الصدق والكذب ومن أصدق من الله قيلا استفهام إنكاري اى ليس أحد اصدق من الله قولا ووعدا وانه تعالى اصدق من كل قائل فوعده اولى بالقبول ووعد الشيطان تخييل محض ممتنع الوصول. وقيلا نصب على التمييز والقيل والقال مصدران كالقول ليس بأمانيكم جمع امنية بالفارسية «آرزو كردن» ولا أماني أهل الكتاب اى ليس ما وعد الله من الثواب يحصل بامانيكم ايها المسلمون ولا بامانى اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح. وأماني المسلمين ان يغفر لهم جميع ذنوبهم من الصغائر والكبائر ولا يؤاخذوا بسوء بعد الايمان. وأماني اهل الكتاب ان لا يعذبهم الله ولا يدخلهم النار الا أياما معدودة لقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا. وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا **نحسن الظن بالله** وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لاحسنوا العمل. قال بعضهم الرجاء." (١)

---

(١) روح البيان   إسماعيل حقي ٢/ ٢٩٠

"قفيز فهو امنية بلا اصل فكذلك العبد إذا اجتهد فى عبادة الله تعالى والانتهاء عن معصية الله يقول أرجو ان يتقبل الله هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب ويعفو عن الزلل فهذا منه رجاء. واما إذا اغفل ذلك وترك الطاعات فارتكب المعاصي ولم يبال سخط الله ولا رضاه ووعده ووعيده ثم أخذ يقول انا أرجو من الجنة والنجاة من النار فذلك منه امنية لا حاصل تحتها ويبين هذا قوله عليه السلام (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من يتبع نفسه هواها ويتمنى على الله عز وجل) قال بعضهم ان الغموم ثلاثة. غم الطاعة ان لا تقبل. وغم المعصية ان لا تغفر. وغم المعرفة ان لا تسلب قال يوسف بن أسباط دخلت على سفيان فبكى ليله اجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب فحمل تبنا وقال الذنوب أهون على الله تعالى من هذا انما أخشى ان يسلبنى الله الإسلام فكل الرسل والابدال والأولياء مع كل هذا الاجتهاد فى الطاعة والحذر عن المعصية فأى شيء تقول اما كان لهم **حسن الظن بالله** قال بلى فانهم كانوا اعلم بسعة رحمة الله واحسن ظن بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون الاجتهاد امنية وغرور جعلنا الله وإياكم من العالمين بكتابه والواصلين الى جنابه دون من نسى الله واتبع هواه آمين آمين الف آمين إن ربكم الخطاب لكفار مكة المتخذين أربابا. والمعنى [بدرستى كه پروردگار شما] على التحقيق الله [خداييست] جامع جميع صفات كمال الذي خلق السماوات والأرض لا على مثال سبق في ستة أيام اى فى ستة اوقات ولو شاء لخلقها فى اسرع من لحظة ولكنه علم عباده التأنى فى الأمور: وفى المثنوى

مكر شيطانست تعجيل وشتاب ... خوى رحمانست صبر واحتساب «١»

با تأنى كشت موجود از خدا ... تابشش روز اين زمين و چرخها «٢»

ور نه قادر بود كز كن فيكون ... صد زمين و چرخ آوردى برون

اين تأنى از پى تعليم تست ... صبر كن در كار دير آي ودرست

قالوا لا يحسن التعجيل الا فى التوبة من الذنوب وقضاء الدين بعد انقضاء مدته وقرى الضيف وتزويج البكر بعد بلوغها ودفن الميت والغسل من الجنابة واعلم ان الله تعالى بالقادرية والخالقية أوجد السموات والأرض وبالمدبرية والحكيمية خلقها فى ستة ايام وانما حصر فى الستة انواع المخلوقات الستة. وهى الأرواح المجردة. والثاني الملكوتيات فمنها الملائكة والجن والشياطين وملكوت السموات ومنها العقول المفردة والمركبة. والثالث النفوس كنفوس الكواكب ونفس الإنسان ونفس الحيوان ونفس النبات والمعادن. والرابع الاجرام وهى البسائط العلوية من أجسام اللطيفة كالعرش والكرسي والسموات والجنة والنار. والخامس الأجسام المفردة وهى العناصر الاربعة. والسادس الأجسام المركبة الكثيفة من العناصر فعبر عن خلق كل منها بيوم والا فالايام الزمانية لم تكن قبل خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش

العرش يطلق على السرير الذي يجلس عليه الملوك وعلى كل ما علاك وأظل عليك وهو بهذين المعنيين مستحيل فى حقه تعالى فجعل الاستواء على العرش كناية عن نفس الملك والعز والسلطنة على طريق ذكر اللازم وارادة الملزوم فالمعنى بعد ان خلق الله عالم الملك

---

(١) در اواسط دفتر پنجم در بيان بردن روباه خر را پيش شير.

(٢) در اواخر دفتر سوم در بيان حيله دفع مغبون شدن در بيع وشرى.." (١)

"الى الخزانة السلطانية ثم يطلب من السلطان ان يفيض عليه سجال العطاء من هذه الخزانة قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون فالسماء قبلة الدعاء ومحل نزول البركات والأفضل ان يبسط كفيه ويكون بينهما فرجة وان قلت ولا يضع احدى يديه على الاخرى فان كان وقت عذر او برد فاشار بالمسبحة قام مقام بسط كفيه. والمستحب ان يرفع يديه عند الدعاء بحذاء صدره كذا روى ابن عباس رضى الله عنهما فعل النبي عليه السلام كذا فى القنية إنه لا يحب المعتدين اى المجاوزين ما أمروا به فى الدعاء وغيره نبه به على ان الداعي ينبغى ان لا يطلب ما لا يليق كرتبة الأنبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والإسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم (سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحب المرء ان يقول اللهم انى اسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين) فاللائق للداعى ان يدعو باهم الأمور وهو الفوز بالجنة والنجاة من النار كما قال النبي عليه السلام للاعرابى الذي قال انى اسأل الله الجنة وأعوذ به من النار انى لا اعرف دندنتك ولا دندنة معاذ وقال (حولهما ندندن) ومعناه انى لا اعرف ما تقول أنت ومعاذ يعنى من الاذكار والدعوات المطولة ولكنى اختصر على هذا المقدار فاسأل الله الجنة وأعوذ به من النار ومعنى قوله عليه السلام (حولهما ندندن) ان القصد بهذا الذكر الطويل الفوز بهذا الاجر الجزيل ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي بعد إصلاحها ببعث الأنبياء وشرع الاحكام قال الحدادي وقيل معناه لا تعصوا فى الأرض فيمسك المطر عنها ويهلك الحرث بمعاصيكم وادعوه خوفا وطمعا مصدران فى موقع الحال اى خائفين من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطامعين فى اجابته تفضلا وإحسانا لفرط رحمته إن رحمت الله قريب من المحسنين

وتذكير قريب مع انه مسند الى ضمير الرحمة لتأويل الرحمة بالرحم فان الرحم بضم الراء بمعنى الرحمة قال الله تعالى وأقرب رحما قال الكسائي أراد ان إتيان رحمة الله قريب كقوله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا اى لعل إتيانها والمعنى ان رحمة الله قريب من الداعين بلسان ذاكر شاكر وقلب حاضر طاهر وترجيح للطمع وتغليب لجانب الرحمة وتنبيه على وسيلة الاجابة اعنى الإحسان المفسر (بان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) وفى الحديث (ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة) يعنى ليكن الداعي ربه على يقين بان الله يجيب لان رد الدعاء اما للعجز فى اجابته او لعدم كرم فى المدعو او لعدم علم المدعو بدعاء الداعي وهذه الأشياء منتفية عن الله تعالى فانه عالم كريم قادر لا مانع له من الاجابة قال سهل ما اظهر عبد فقره الى الله تعالى فى وقت الدعاء فى شيء يحل به الا قال الله تعالى للملائكته لولا انه لا يحتمل كلامى لأجبته لبيك- وحكى- ان موسى عليه السلام مر برجل يدعو ويتضرع فقال موسى لو كانت حاجته بيدي لقضيتها فاوحى الله تعالى اليه انا ارحم به منك ولكنه يدعونى وله غنم وقلبه فى غنمه وانا لا اقبل دعوة عبد قلبه عند غيرى فذكر ذلك للرجل فتوجه

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٧٤/٣

الى الله بقلبه فقضيت حاجته فيلزم حضور القلب **وحسن الظن بالله** فى اجابة الدعاء- وحكى- عن بعض البله وهو فى طواف الوداع انه قال له رجل وهو يمازحه." (١)

"الفكر فيه فقلت لبعض مما ليكى إذا قام ذلك الفقير فائتنى به فلما استيقظ من نومه قال له الغلام يا فقير ان صاحب هذا القصر يريد ان يكلمك قال بسم الله وبالله وتوكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقام معه ودخل على فلما نظر الى سلم على فرددت عليه السلام وأمرته بالجلوس فجلس فلما اطمأن قلت له يا فقير أكلت الرغيف وأنت جائع فشبعت قال نعم قلت وشربت الماء على شهوة فرويت قال نعم قلت ثم نمت طيبا بلاهم وغم فاسترحت قال نعم فقلت فى نفسى وانا أعاتبها يا نفس ما اصنع بالدنيا والنفس تقنع بما رأيت وسمعت فعقدت التوبة مع الله تعالى فلما انصرم النهار واقبل الليل لبست مسحا من صوف وقلنسوة من صوف وخرجت حافيا سائحا الى الله تعالى وهذه احدى الروايتين فى بداية امره. والثالث ان المغفرة فضل عظيم من الله تعالى فلا بد للمرء من **حسن الظن بالله** تعالى فانها ليست بمقطوعة قيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام (انى أعلمك خمس كلمات هن عماد الدين ما لم تعلم ان قد زال ملكى فلا تترك طاعتى)

همه تحت وملكى پذيرد زوال ... بجز ملك فرمانده لا يزال

(وما لم تعلم ان خزائنى قد نفدت فلا تهتم برزقك)

در دائره قسمت ما نقطه تسليم ... لطف آنچه تو انديشى وحكم آنچه تو فرمايى

(وما لم تعلم ان عدوك قدمات يعنى إبليس فلا تأمن مفاجأته ولا تدع محاربته)

كچاسر بر آريم ازين عار وننك ... كه با او بصلحيم وبا حق بجنگ

(وما لم تعلم انى قد غفرت لك فلا تعب المذنبين)

مكن بنامه سياهى ملامت من مست ... كه آگه است كه تقدير بر سرش چه نوشت

(وما لم تدخل جنتى فلا تأمن مكرى)

زاهد ايمن مشو از بازى غيرت زنهار ... كه ره از صومعه تا دير مغان اين همه نيست

فعلى العاقل ان يجتهد الى آخر العمر كى يكفر الله عنه سيآت وجوده الفاني ويستره بانوار جماله وجلاله والله ذو الفضل العظيم لمن تجاوز عما عنده راغبا فيما عند الله والفضل العظيم هو البقاء بالله بعد الفناء فيه كما فى التأويلات النجمية وإذ يمكر بك الذين كفروا تذكير لمكر قريش حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم قال ابن اسحق لما رأوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة واصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا انهم قد نزلوا دارا وأصابوا سعة فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا انه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له فى دار الندوة وهى الدار التي بناها قصى بن كلاب بمكة وكانت قريش لا تقضى امرا الا فيها وسميت دار الندوة لانهم ينتدون فيها اى يجتمعون للمشاورة والندى والندوة والنادي مجلس القوم ومتحدثهم فان تفرق القوم عنه لا

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٧٨/٣

يسمى نديا كما لا يسمى الظرف كأسا إذا لم يكن فيه شراب فتشاوروا فى امر النبي عليه السلام منهم عتبة وشيبة ابنا ابى ربيعة وابو جهل وابو سفيان والنضر بن الحارث وابو البختري بن هشام وابى بن خلف وزمعة بن الأسود وغيرهم." (١)

"كنار وبر مادر دلپذير ... بهشت است و پستان ازو جوى شير

فاحمل عنى واحدا فقد أثقلني ذنوبى فيقول هيهات يا أماه كل نفس بما كسبت رهينة فاذا حملت عنك فمن يحمل عنى

من وتو دو محتاج يك مائده ... نه از من نه از تو بمن فائده

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (انه ليكون للوالدين على ولدهما دين فاذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول ان ولدكما فيود ان لو كان اكثر من ذلك) فلا يليق للمؤمن الإهمال فى العبادة والتوبة والندم اغترارا واعتمادا على مجرد الكرم- ذكر فى الاسرائيليات- ان الكليم عليه السلام مرض فذكر له دواء المرض فابى وقال يعافينى بغير دواء فطالت علته فاوحى الله تعالى اليه وقال وعزتى وجلالى لا ابرئك حتى تتداوى أتريد ان تبطل حكمتى. فاتضح بهذا ان الأعمال اسباب ووسائل للجنات والدرجات وان لم تكن عللا موجبة فكما ان اهل الدنيا يباشرون الأسباب فى تحصيل مرامهم فكذلك ينبغى لاهل الآخرة ان يباشروا الأعمال الصالحة فى تحصيل الدرجات العالية والمطالب الاخروية ومن هذا المقام ما حكى عن ابراهيم بن أدهم قدس سره انه لما منع من دخول الحمام بلا اجرة تأوه وقال إذا منع من دخول بيت الشيطان بلا شىء فأنى يدخل بيت الرحمن بلا شىء قال بعض الكبار لا ينبغى للمؤمن ان يتطير ويعد نفسه من الأشقياء فيتكاسل فى العمل بل ينبغى ان يحسن الظن بالله تعالى ويجاهد فى طريقه فان للاعتقاد تأثيرا بليغا وقد وعد الله ووعد الشيطان ووعد الله تعالى صدق محض لانه هو الولي ووعد الشيطان كذب محض لانه هو العدو فالاصغاء لكلام الولي خير من استماع كلام العدو فلا تغتر بتغرير الشيطان والنفس ولا بالحياة الدنيا فان دولتها ذاهبة وزينتها زائلة وليس لها لاحد وفاء

بر مرد هشيار دنيا خس است ... كه هر مدتى جاى ديكر كسست

منه بر جهان دل كه بيكانه ايست ... چومطرب كه هر روز در خانه ايست

نه لائق بود عشق با دلبرى ... كه هر بامدادش بود شوهرى

مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم ... كه پيش از تو بودست وبعد از تو هم

همه تخت وملكى پذيرد زوال ... بجز ملك فرمانده لا يزال

وغم وشادمانى نماند وليك ... جزاى عمل ماند ونام نيك

عروسى بود نوبت ماتمت ... كرت نيك روزى بود خاتمت

خدايا بحق بنى فاطمه ... كه بر قول ايمان كنم خاتمه

نسأل الله سبحانه ان يختمنا على أفضل الأعمال الذي هو التوحيد وذكر رب العرش المجيد ويجعلنا فى جنات تجرى من تحتها الأنهار ويشرفنا برؤية جماله المنير فى الليل والنهار آمين بجاه النبي الامين إن الله عنده علم الساعة جزء من

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٣٨/٣

اجزاء الجديدين سميت بها القيامة لانها تقوم فى آخره ساعة من ساعات الدنيا اى عنده علم وقت قيام القيامة وما يتبعه من الأحوال والأهوال وهو متفرد بعلمه فلا يدرى أحد من الناس فى أي سنة وفى أي." (١)

"فى قلوبكم العلم بصدقنا فان آمنتم والا فينزل العذاب عليكم وفيه تعريض لهم بان انكارهم للحق ليس لخفاء حاله وصحته بل هو مبنى على محض العناد والحمية الجاهلية قالوا لما ضاقت عليهم الحيل ولم يبق لهم علل إنا تطيرنا بكم اصل التطير التفاؤل بالطير فانهم يزعمون ان الطائر السانح سبب للخير والبارح سبب للشر كما سبق فى النمل ثم استعمل فى كل ما يتشاءم به والمعنى انا تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بكل ما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين وقال النقشبندي قد تشاءمنا بقدومكم إذ منذ قدمتم الى ديارنا ما نزل القطر علينا وما أصابنا هذا الشر الا من قبلكم اخرجوا من بيننا وارجعوا الى أوطانكم سالمين وانتهوا عن دعوتكم ولا تتفوهوا بها بعد. وكان عليه السلام يحب التفاؤل ويكره التطير والفرق بينهما ان الفأل انما هو من طريق **حسن الظن بالله** والتطير انما هو من طريق الاتكال على شيء سواه وفى الخبر لما توجه النبي عليه السلام نحو المدينة لقى بريدة بن اسلم فقال (من أنت يا فتى) قال بريدة فالتفت عليه السلام الى ابى بكر فقال (برد أمرنا وصلح) اى سهل ومنه قوله (الصوم فى الشتاء الغنيمة الباردة) ثم قال عليه السلام (ابن من أنت يافتى) قال ابن اسلم فقال عليه السلام لابى بكر رضى الله عنه (سلمنا من كيدهم) وفى الفقه لو صاحت الهامة او طير آخر فقال رجل يموت المريض يكفر ولو خرج الى السفر ورجع فقال ارجع لصياح العقعق كفر عند البعض وفى الحديث (ليس عبد الا سيدخل فى قلبه الطيرة فاذا أحس بذلك فليقل انا عبد الله ما شاء الله لا قوة الا بالله لا يأتي بالحسنات الا الله ولا يذهب بالسيئات الا الله اشهد ان الله على كل شيء قدير ثم يمضى بوجهه) يعنى يمضى مارا بوجهه اى بجهة وجهه فعدى يمضى بالباء لتضمين معنى المرور قالوا من تطير تطيرا منهيا عنه حتى منعه مما يريده من حاجته فانه قد يصيبه ما يكرهه كما فى عقد الدر لئن لم تنتهوا والله لئن لم تمتنعوا عن مقالتكم هذه ولم تسكتوا عنا: وبالفارسية [واكر نه باز ايستيد از دعواى خود] لنرجمنكم [الرجم:

سنكسار كردن] اى لنرمينكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب أليم [وبشما رسد از ما عذابى درد نماى] اى لا نكفى برجمكم بحجر او حجرين بل نديم ذلك عليكم الى الموت وهو العذاب الأليم او ليمسنكم بسبب الرجم منا عذاب مؤلم. وفسر بعضهم الرجم بالشتم فيكون المعنى لا نكتفى بالشتم بل يكون شتمنا مؤديا الى الضرب والإيلام الحسى- حكى- ان دباغا مر بسوق العطارين فغشى عليه وسقط فاجتمع عليه اهل السوق وعالجوه بكل ما يمكن من الأشياء العطرة فلم يفق بل اشتد عليه الحال ولم يدر أحد من اين صار مصروعا ثم اخبر اقرباؤه بذلك فجاء اخوه وفى كمه شيء من نجاسة الكلب فسحقه حتى إذا وصلت رائحته الى شمه أفاق وقام وهكذا حال الكفار كما قال جلال الدين قدس سره فى المثنوى

ناصحان او را بعنبر يا كلاب ... مى دوا سازند بهر فتح باب

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٠٢/٧

مر خبيثانرا نشايد طيبات ... در خور ولايق نباشد اى ثقات

چون ز عطر وحي كم كشتند وكم ... بد فغان شان كه تطيرنا بكم." (١)

"وفرح صغر وذل وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة فاقيم الثاني مقام الاول للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من أفضل ابوابها فاطلق العام على الخاص مجازا (قال الكاشفى) مراد از دعا سؤالست يعنى بخواهيد كه خزانه من مالا مالست وكرم من بخشنده آمال كدام كداست نياز پيش آورده كه نقد مراد بر كف اميدش ننهادم وكدام محتاج زبان سؤال كشاد كه رقعه حاجتش را بتوقيع اجابت موشح نساختم

بر آستان أرادت كه سر نهاد شبى ... كه لطف دوست برويش دريچهء نكشود

يقال ادعوني بلا غفلة استجب لكم بلا مهلة ادعوني بلا خفاء استجب لكم بالوفاء ادعوني بلا خطا استجب لكم بالعطاء ادعوني بشرط الدعاء وهو الاكل من الحلال قيل الدعاء مفتاح الحاجة وأسنانه لقمة الحلال قال الحكيم الترمذي قدس سره من دعا الله ولم يعمر قبل ذلك سبيل الدعاء بالتوبة والانابة وأكل الحلال واتباع السنن ومراعاة السر كان دعاؤه مردودا وأخشى ان يكون جوابه الطرد واللعن ويقال كل من دعاه استجاب له اما بما سأله او بشيء آخر هو خير له منه ويقال الكافر ليس يدعوه حقيقة لأنه انما يدعو من له شريك والله تعالى لا شريك له وكذا المعطلة لأنهم انما يعبدون الها لا صفات له من الحياة والسمع والبصر والكلام والقدرة والارادة بزعمهم فهم لا يعبدون الله تعالى وكذا المشبهة انما يدعون إلها له جوارح وأعضاء والله تعالى منزه عن ذلك فانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قال الشافعي رحمه الله من انتهض لطلب مدبره فان اطمأن الى موجود ينتهي اليه فكره فهو مشبه وان اطمأن الى نفى محض فهو معطل وان اطمأن الى موجود واعتراف بالعجز إن إدراكه فهو موحد فأهل السنة يثبتون لله تعالى صفات ثبوتية وينزهونه عما لا يليق به فهم انما يدعون الله تعالى فما من مؤمن يدعو الله ويسأله شيأ الا أعطاه اما فى الدنيا واما فى الآخرة ويقول له هذا ما طلبت فى الدنيا وقد ادخرته لك الى هذا اليوم حتى يتمنى العبد انه ليته لم يعط شيأ فى الدنيا ويقال لم يوفق العبد للدعاء الا لارادة الله اجابته لكن وقوع الاجابة حقيقة انما يكون فى الزمان المتعين للدعاء كالسلطان إذا كان فى وقت الفرح والاستبشار لا يرد السائل البتة قال الفضيل بن عياض والناس وقوف بعرفات ما تقولون لو قصد هؤلاء الوفد بعض الكرماء يطلبون منه دانقا أكان يردهم فقالوا لا فقال والله للمغفرة فى جنت كرم الله أهون على الله من الدانق فى جنت كرم ذلك الرجل فعرفات وزمان الوقوف من مظان الاجابة وكذا جميع امكنة العبادات واوقات الطاعات لأن الله تعالى إذا رأى عبده حيث امر رضى عنه واستجاب دعاءه ونعم ما قال سفيان حيث قال بعضهم ادع الله فقال ترك الذنوب هو الدعاء قال بعض العارفين بالله الصلاة أفضل الحركات والصوم أفضل السكنات والتضرع فى هياكل العبادات يحل ما عقدته الافلاك الدائرات ولا بد من **حسن الظن بالله** (حكى) عن بعض البله وهو فى طواف الوداع أنه قال له رجل وهو يمازحه هل أخذت من الله براءتك من النار فقال الأبله له وهل أخذ الناس ذلك فقال نعم فبكى ذلك الأبله ودخل الحجر وتعلق بأستار الكعبة وجعل يبكى

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٨١/٧

ويطلب من الله أن يعطيه كتابه بعتقه من النار فجعل أصحابه والناس يطوفون يعرفون انه فلانا مزح معك وهو لا يصدقهم." (١)

"بل بقي مستمرا على حاله فبينما هو كذلك سقطت عليه ورقة من طرف الميزاب فيها براءته وعتقه من النار فسر بها وأوقت الناس عليها وكان من آية ذلك الكتاب انه يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها فعلم الناس أنه من عند الله وكفته اند دعا لفظى جامع است بيست خصلت از خصال حسنات در ضمن آن مجتمع همچون معجونى ساخته از اخلاط متفرق وآن عبادتست واخلاص وحمد وشكر وثنا وتهليل وتوحيد وسؤال ورغبت ورهبت وندا وطلب مناجات وافتقار وخضوع وتذلل ومسكنت واستعانت واستكانت والتجاء رب العالمين باين كلمات مختصر چه كفت ادعوني استجب لكم ترابا اين بيست خصلت ترا ميدهد تا بدانى كه اين قرآن جوامع الكلم است قال فى ترويح القلوب الأدب فى ابتداء كل توجه او دعاء او اسم التوبة وذكر محامد الله والثناء عليه والتشفع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصلاة عليه وهو مفتاح باب السعادة وأكل الحلال وهو الترياق المجرب والتبري من الحول والقوة وترك الالتجاء لغير الله **وحسن الظن بالله** وجمع الهمة وحضور القلب وغاية الدعاء اظهار الفاقة والا فالله يفعل ما يريد جز خضوع وبنلاى واضطرار ... اندرين حضرت ندارد اعتبار

فى الحديث إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها وإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم وما سئل الله شيأ أحب اليه من أن يسأل العافية كما فى كشف الاسرار ومنه عرف أن مسح اليدين على الوجه عقيب الدعاء سنة وهو الأصح كما فى القنية قال فى الاسرار المحمدية كان عليه السلام يأمر أصحابه بمسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء ويحرض عليه وسر ذلك أن الإنسان حال دعائه متوجه الى الله تعالى بظاهره وباطنه ولذا يشترط حضور القلب فيه وصحة الاستحضار فسر الرفع والمسح أن اليد الواحدة تترجم عن توجهه بظاهره واليد الاخرى عن توجهه بباطنه واللسان مترجم عن جملته ومسح الوجه هو التبرك والتنبيه على الرجوع الى الحقيقة الجامعة بين الروح والبدن لأن وجه الشيء حقيقة والوجه الظاهر مظهرها والمستحب ان يرفع يديه عند الدعاء الى حذآء صدره كذا فعله النبي عليه السلام كما رواه ابن عباس رضى الله عنهما والأفضل أن يبسط كفيه ويكون بينهما فرجة وان قلت ولا يضع احدى يديه على الاخرى فان كان وقت عذر او برد فأشار بالمسبحة قام مقام بسط كفيه والسنة ان يخرج يديه حين الدعاء من كميه قال سلطان العارفين ابو يزيد البسطامي قدس سره دعوت الله ليلة فاخرجت احدى يدى والاخرى ما قدرت على إخراجها من شدة البرد فنعست فرأيت فى منامى ان يدى الظاهر مملوءة نورا والاخرى فارغة فقلت ولم ذلك يا رب فنوديت ان اليد التي خرجت للطلب ملأناها والتي توارت حرمت ثم ان قوله ادعوني استجب لكم يشير الى أن معنى ادعوني اطلبوا منى اى لا تطلبوا من غيرى فان من كنت له يكون له ما كان لى وان من يطلبنى يجدنى كما قال الا من طلبنى وجدنى (قال الشيخ سعدى)

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٢٠١/٨

خلاف طريقت بود كاوليا ... تمنا كنند از خدا جز خدا

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الداعين العابدين له بالإخلاص الله الذي جعل بيافريد لكم." (١)

"لتفتنه بها وهو لا يعلم فرأى ان ذلك من مواهب ربه له في دار الدنيا فخر ساجد الله فأثبتها الله له أرضا مقدسة كما ظن الى أن مات على حسن ظنه بربه ومثال من أساء بربه ظنه مثال من أرسل الله اليه ملك رحمة ليرشده للخير فقال انما أنت شيطان حيث تغويني فصير الله له الملك شيطانا كما ظن وفي الحديث أنا عند ظن عبدى بي وقال عليه السلام قبل موته بثلاثة ايام لا يموتن أحد الا وهو **يحسن الظن بالله** وهو من امارات اليقين در روايت آمده است از بعض صحابه رسول عليه السلام كه رسول او را خبر داده بود كه تو والى شوى در مصر حكم كنى وقتى قلعه را حصار كرده بودند وآن صحابى نيز در ميان بود سائر أصحاب را كفت مردار كفه منجنيق نهيد وبسوى كفار در قلعه اندازيد چون من آنجا رسم قتال كنم ودر حصار

بإشايم چون از سبب اين جرأت پرسيدند كفت رسول صلى الله عليه وسلم مرا خبر داده است كه من والى مصر شوم وهنوز نشدم يقين ميدانم كه نميرم تا والى نشوم فهم كن كه قوت ايمان اينست والا از روى عرف معلوم است كه چون كسى را در كفه منجنيق نهند وبيندازند حال او چه باشد ظاهر وباطن ما آينه يكديكرند سينه صاف ترا ز آب روانم دادند عليهم دائرة السوء اى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم لا يتجاوزهم الى غيرهم فقد أكذب الله ظنهم وقلب ما يظنونه بالمؤمنين عليهم بحيث لا يتخطاهم ولا يظفرون بالنصرة ابدا وهذا كقوله تعالى ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء وبالفارسية وبرين كمان برند كانست كردش بد يعنى ايشان منكوب ومغلوب خواهند شد قال المولى ابو السعود فى التوبة قوله عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما ار أدوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله تعالى غلت أيديهم بعد قول اليهود ما قالوا انتهى فان قلت كيف يحمل على الدعاء وهو للعاجز عرفا والله منزه عن العجز قلت هذا تعليم من الله لعباده انه يجوز الدعاء عليهم كقوله قاتلهم الله ونحوه قال ابن الشيخ السوء بالفتح صفة مشبهة من ساء يسوء بضم العين فيها سوأ فهو سوء ويقابله من حيث المعنى قولك حسن يحسن حسنا فهو حسن وهو فعل لازم بمعنى قبح وصار فاسدا رديئا بخلاف ساءه يسوءه سوأ ومساءة اى أحزنه نقيض سره فانه متعدو وزنه في الماضي فعل بفتح العين ووزن ما كان لازما فعل بضم العين وفعل يأتى فاعله على فعل كصعب صعوبة فهو صعب والسوء بضم السين مصدر لهذا اللازم والسوء بالفتح مشترك بين اسم الفاعل من اللازم وبين مصدر المتعدى وقيل السوء بالفتح والضم لغتان من ساء بمعنى كالكره والكره والضعف والضعف خلا ان المفتوح غلب في أن يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما المضموم فجار مجرى الشر المناقض للخير ومن ثمة أضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن لا تضاف اليه الأعلى التأويل المذكور واما دائرة السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة يصح أن يقع عليه اسم السوء كقوله تعالى ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة كما في بعض التفاسير والدائرة عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت في الحادثة

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٢٠٢/٨

والمصيبة المحيطة لمن وقعت هى عليه فمعنى الآية يحيط بهم السوء احاطة الدائرة بالشيء او بمن فيها بحيث لا سبيل الى الانفكاك عنها بوجه الا ان اكثر استعمالها." (١)

"اى كونوا على جانب منه وابعدوا عنه فان الاجتناب بالفارسية با يك سو شدن والظن اسم لما يحصل من امارة ومتى قويت أدت الى العلم ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز حد التوهم وإبهام الكثير لا يجاب الاحتياط والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم انه من اى قبيل وتوضيح المقام ان كثيرا لما بين بقوله من الظن كان عبارة عن الظن فكان المأمور باجتنابه بعض الظن الا انه علق الاجتناب بقوله كثيرا لبيان انه كثير في نفسه ولا بد لنا من الفرق بين تعريف الظن الكثير وتنكيره فلو عرف وقيل اجتنبوا الظن الكثير يكون التعريف للاشارة الى ما يعرفه المخاطب بأنه ظن كثير غير قليل ولو نكر يكون تنكيره للافراد والبعضية ويكون المأمور باجتنابه

بعض افراد الظن الموصوف بالكثرة من غير تعيينه اى بعض هو وفي التكليف على هذا الوجه فائدة جليلة وهى ان يحتاط المكلف ولا يجترئ على ظن ما حتى يتبين عنده انه مما يصح اتباعه ولا يجب الاجتناب عنه ولو عرف لكان المعنى اجتنبوا حقيقة الظن الموصوف بالكثرة او جميع افراده لا ما قل منه وتحريم الظن المعرف تعريف الجنس والاستغراق لا يؤدى الى احتياط المكلف لكون المحرم معينا فيجتنب عنه ولا يجتنب عن غيره وهو الظن القليل سوآء كان ظن سوء وظن صدق ومن المعلوم ان هذا المعنى غير مراد بخلاف ما لو نكر الظن الموصوف بالكثرة فان المحرم حينئذ اتباع الفرد المبهم من افراد تلك الحقيقة وتحريمه يؤدى الى احتياط المكلف الى ان يتبين عنده ان ما يخطر بباله من الظن من اى نوع من انواع الظن فان من الظن ما يجب اتباعه كحسن الظن بالله تعالى وفي الحديث ان حسن الظن من الايمان والظن فيما لا قاطع فيه من العمليات كالوتر فانه لما ثبت بخبر الواحد لم يكن مقطوعا به فقلنا بالوجوب فلا يكفر جاحده بل يكون ضالا ومبتدعا لرده خبر الواحد ويقتص لكونه فرضا عمليا وفي الأشباه ويكفر بانكار اصل الوتر والأضحية انتهى ومن الظن ما يحرم كالظن في الإلهيات اى بوجود الإله وذاته وصفاته وما يليق به من الكمال وفي النبوات فمن قال آمنت بجميع الأنبياء ولا اعلمء آدم نبى أم لا يكفر وكذا من آمن بأن نبينا عليه السلام رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه إلى يوم القيامة لا يكون مؤمنا وكالظن حيث يخالفه قاطع مثل الظن بنبوة الحسنين او غيرهما من خلفاء هذه الامة وأوليائها مع وجود قوله تعالى وخاتم النبيين وقوله عليه السلام لا نبى بعدي اى لا مشرعا ولا متابعا فان مثل هذا الظن حرام ولو قطع كان كفرا وكظن السوء بالمؤمنين خصوصا بالرسول عليه السلام وبورثته الكمل وهم العلماء بالله تعالى قال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال عليه السلام ان الله حرم من المسلم عرضه ودمه وان يظن به ظن السوء والمراد بعرضه جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه ويتحامى ان ينتقص (قال الصائب)

بد كمانى لازم بد باطنان افتاده است ... كوشه از خلق جا كردم كمين انداشتند

ومن الظن ما يباح كالظن في الأمور المعاشية يعنى ظن در امور دنيا ومهمات معاش ودرين صورت بد كمانى موجب

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٥/٩

سلامت وانتظام مهام است واز قبيل حزم شمرده اند كما قيل

بد نفس مباش وبد كمان باش ... وز فتنه ومكر در أمان باش." (١)

"الدقاق بالمدينة وكان من اقران الجنيد ومن أكابر مصر فكاد يزول عقله لفرط حبها فقالت لمولاها **احسن الظن بالله** وبي فاني كفيلة لك بما تحب فحملت اليه فقال لها المتوكل اقرئى فقرأت ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ففهم المتوكل ما أرادت فردها (وروى) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله فقال يا فلان هذه زوجتى صفية وكانت قد زارته في العشر الاول من رمضان فقال يا رسول الله ان كنت أظن بغيرك فاني لم أكن أظن بك فقال عليه السلام ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم كما في الاحياء وفيه اشارة الى لحذر من مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم من الغيبة والى الاتقاء عن تزكية النفس فان النفس والشيطان لهما شأن عجيب في باب المكر والإغواء وإلقاء الفتنة والفساد نسأل الله المنان أن يجعلنا في أمان ولا تجسسوا أصله لا تتجسسوا حذف منه احدى التاءين اى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين وعيوبهم تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب فان جس الخبر طلبه والتفحص عنه فاذا نقل الى باب التفعل يحدث معنى التكلف منضما الى ما فيه من معنى الطلب يقال جسست الاخبار اى تفحصت عنها وإذا قيل تجسستها يراد معنى التكليف كالتلمس فانه تفعل من اللمس وهو المس باليد لتعرف حال الشيء فاذا قيل تلمس يحدث معنى التكلف والطلب مرة بعد اخرى وقد جاء بمعنى الطلب في قوله وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي المفردات اصل الجس مس العرق وتعرف نبضه للحكم به على الصحة والسقم ومن لفظ الجس اشتق الجاسوس وهو أخص من الحس لانه تعرف ما يدرك الحس والجس تعرف حال ما من ذلك وفي الاحياء التجسس بالجيم في تطلع الاخبار وبالحاء المهملة في المراقبة بالعين وفي انسان العيون التحسس للاخبار بالحاء المهملة ان يفحص الشخص عن الاخبار بنفسه وبالجيم أن يفحص عنها بغيره وجاء تحسسوا ولا تجسسوا انتهى وفي تاج المصادر التجسس والتحسس خبر جستن وفي القاموس الجس تفحص الاخبار كالتجسس ومنه الجاسوس والجسيس لصاحب سر الشر ولا تجسسوا اى خذوا ما ظاهر ودعوا ما ستر الله تعالى اولا تفحصوا عن بواطن الأمور اولا تبحثوا عن العورات والحاسوس الجاسوس او هو في الخير

وبالجيم في الشر انتهى وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته (قال الصائب)

خيانتهاى پنهان ميكشد آخر برسوايي ... كه دزد خانكى را شحنه در بازار ميكيرد

وعن جبرائيل قال يا محمد لو كانت عبادتنا على وجه الأرض لعملنا ثلاث خصال سقى الماء للمسلمين واعانة اصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود رضى الله عنه هل لك في الوليد بن عقبة بن ابى

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٨٤/٩

معيط يعني چه ميكوبي در حق او تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود رضى الله عنه انا قد نهينا عن التجسس فان يظهر لنا شيء نأخذه به وفي الحديث اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا والعورات بالتسكين جمع عورة." (١)

"المسجد حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا» ثم فصل في توضيحه كلاما لا يتحمله المقام وأيضا الأصل إبقاء ما كان على ما كان؛ لأنه إذا ثبت اليقين في الابتداء فهو باق في الانتهاء إلا بيقين؛ لأن ما ثبت بيقين لا يزول إلا باليقين وأيضا من شك هل فعل أو لا فالأصل عدمه فيعتبر عدم الرياء في مسألتنا، لكن يرد أن الاحتجاج بتلك القاعدة يتوقف على كونها كلية حتى يتحقق كون المقصود من أفراد موضوعها كصغرى سهلة الحصول وإلا فلا يقع الأمن في دخوله تحته على تفصيل ما ذكروا في وجه كلية الكبرى في الشكل الأول ولا شك أنها ليست بكلية لعدم جريانها في مسائل كثيرة كمن شك في تكبيرة الافتتاح هل أتى بها أو لا أو أحدث أو لا أو مسح رأسه أو لا وكان أول ما عرض له استقبل

ومن وجد فأرة ميتة ولم يدر متى وقعت وقد توضأ فعليه الإعادة ومن وجد بللا وشك في أنه مني أو مذي فعليه الغسل ومن أصاب ثوبه نجاسة ولا يدري أي موضع أصابته غسل الكل، وإن فيه خلافا وتمامه في الأشباه إلا أن يقال إن هذه المستثنيات قطعيات واردة على خلاف القياس وما ثبت على خلاف القياس فغيره لا يقاس عليه وأن وجود هذه المستثنيات إنما ينافي القطع لا الظن ولا يبعد أن يكون المطلب ظنيا.

وقال المولى حسن جلبي في حاشية شرح المواقف عن إبكار الأفكار إن الكبرى الأكثرية التي لا تكون كلية منتجة في الشكل الأول عند كون المطلب ظنيا وأن المخرج وإن كثيرا في نفسه لكنه قليل بالنسبة إلى الباقي فالفرد يلحق بالأعم والأغلب في العرف واللغة والشرع ثم يشكل أيضا بقولهم الحرمات تثبت بالشبهات فتأمل

بقي أن الشك تساوي الطرفين والظن الطرف الراجح والوهم رجحان جهة الخطإ وأكبر الرأي، وغالب الظن الراجح الذي أخذ به القلب وهو المعتبر عند الفقهاء فمطلق الظن عندهم هو الشك بمعنى التردد بين الوجود والعدم سواء استويا أو ترجح أحدهما، فلو قال له علي ألف على ظني لا يلزمه؛ لأنه للشك وغالب الظن عندهم ملحق باليقين كما في الأشباه أيضا (فبذلك) بغلبة رجاء القبول على الخوف من عدمه لعل الأولى وبغلبة بالواو بدل الفاء (تعظم لذاته في المناجاة) لأجل ذلك الشك (والطاعات) إذ عدم قبول العمل يوجب الفتور والكسلان، واعتقاد قبوله يوجب النشاط والانبساط وأن إطلاقات العمومات القرآنية في وعد الله تعالى الأجر والثواب في مقابلة الأعمال الصالحة ترجح ذلك الجانب، وأنه **حسن الظن بالله.** وقد وقع في الحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي» ، وظن رجاء القبول موجب للقبول وفي حديث آخر «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله»** (وخوفه) من زوال الإخلاص (لأجل ذلك الشك جدير بأن يكفر) يمحو (خاطر الرياء إن كان قد سبق عنه) بأن عرض له (وهو غافل عنه) لكونه من الرياء الخفي لعل مناسبة هذه المقدمة لجانب غلبة الخوف أظهر من مناسبتها هنا إلا أن يقال هذا بيان وجه جانب المغلوبية كما أن الأول وجه جانب الغالبية إذ المطلوب مركب لا

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٨٦/٩

بسيط (والمنقول عن أكثر المشايخ غلبة الخوف) على الرجاء

قيل هنا قال – عليه الصلاة والسلام – «من لم يخف عاقبة أمره وخاتمته أنه كيف يكون حاله يخاف على." (١)

"أن يحسن الظن ما قدر بتأويلات فعند مطلق الظن ينبغي أن لا يتجاسر على المماشاة على موجب ظنه ويحمل على الصلاح بأدنى إمكان إلا إذا اقتضى دواعي الأمر بالمعروف والتأديب والتعليم الشرعي (فإنه حرام) قال الغزالي وهو حرام كسوء القول لكن لست أعني به إلا عقد القلب حكمه على غيره بالسوء أما الخواطر وحديث النفس فعفو بل الشك عفو أيضا فالمنهي عنه هو الظن والظن ما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب وسبب حرمته أن أسرار القلوب لا يعرفها إلا علام الغيوب فيلزم المنازعة معه تعالى في الحصر بدعوى المشاركة فليس لك الظن إلا بعيان لا يحتمل التأويل كما قيل

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عدوه ... وأصبح في ليل من الشك مظلم

(قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ [الحجرات: ١٢] كونوا منه على جانب وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى وما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات حيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الأمور المعايشة ﴿إن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢] تعليل مستأنف للأمر والإثم الذنب الذي تستحق العقوبة عليه لا يخفى أنه لا يلزم من إثمية بعض الظن الاجتناب عن أكثر الظن غايته إثمية بعض الظن وأنه يفهم منه إن بعض الظن ليس بإثم ولا يبعد أن يقال إن البعض يتحقق في ضمن الأكثر وأن المفهوم ليس بمعتبر في النصوص عندنا فيكون صورة الدليل إذا كان أكثر الظن إثما فالاجتناب عن أكثره لازم لكن المقدم صدق وهو قوله – ﴿إن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢]– لكن لا يتم المقصود ما لم يتعين الأكثر المطلوب إلا أن يقال جانب الأقل حسن الظن وإنما كان سوء الظن أكثر؛ لأن الإنسان مجبول على الهوى ودواعي الهوى كالطبيعي وخلافها كالقسري وما هو طبيعي أكثر أو جانب الأقل سوء الظن الذي طريقه ما ليس بوهم وشك بل علم أو ظن أيضا كما نبه فافهمه (م عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أن رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – قال «إياكم والظن» أي ظن السوء الذي لا دليل له ولو ظنا وإلا ف يشكل بما تقدم. وفي الفيض أي احذروا سوء الظن بمن لا يساء الظن به من العدول والظن تهمة تقع في القلب بلا دليل «فإن الظن» أقام الظاهر مقام الضمير لزيادة تمكن في ذكر السامع «أكذب الحديث» ؛ لأنه بإلقاء الشيطان في نفس الإنسان واستشكل تسمية الظن حديثا وأجيب بأن المراد عدم مطابقة الواقع قولا وغيره أو ما ينشأ عن الظن فوصف الظن به مجازا قال الغزالي ومن حكم بشيء على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو ينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات، ولذا منع الشرع من التعرض للتهم («ولا تجسسوا» قال المناوي بجيم أي لا تتعرفوا خبر الناس بلطف كالجاسوس قال الزمخشري التجسس أن لا تترك عباد الله تحت سترها فتتوصل إلى الاطلاع عليهم والتجسس عن أحوالهم وهتك الستر حتى ينكشف لك ما كان مستورا عنك ويستثنى منه ما

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١٨٢/٢

يكون طريقا لإنقاذ محترم من هلاك ونحوه كأن يخبر ثقة بأن فلانا خلا برجل ليقتله أو امرأة ليزني بها فجاز التجسس كما نقله النووي عن الأحكام السلطانية واستجاده («ولا تحسسوا» بحاء مهملة أي لا تطلبوا الشيء بالحاسة كاستراق السمع وإبصار الشيء خفية وقيل الأول الفحص عن عورات الناس وبواطن." (١)

"فرقتين حال من ضمير المخاطب (وعلى الأول) على مجرد الشك والوهم.

(إنما يحرم) الظن (إذا ظهر أثره) أثر الظن (على الجوارح) باغتياب ونحوه (قال سفيان الثوري – رحمه الله تعالى –) قيل ثور بطن من همدان (الظن ظنان أحدهما إثم وهو أن تظن وتتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن تظن) بقلبك فقط (ولا تتكلم به، وهذا) عدم الحرمة ما لم يظهر أثره على الجوارح (هو المختار) عند المصنف والشيخ أكمل الدين خلافا للغزالي (وقد سبق في الحسد وضد سوء الظن حسن الظن بالله وبالمؤمنين أما الأول) حسن الظن بالله (فواجب) ، وهذا لا ينافي قولهم ينبغي أن يكون الخوف غالبا في الصحة؛ لأن حسن الظن بالنظر إلى رحمة الله الواسعة كل شيء وفضله العظيم والخوف بالنظر إلى الذنوب والمعاصي التي يستحق بها العبد أشد الاستحقاق العذاب بالنار واللائق ذكر ذلك غالبا فيها للزجر عن المعاصي والإنابة إلى الله تعالى كما ذكره المحشي (م عن جابر – رضي الله تعالى عنه – أنه قال قال رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» تعالى بأن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه؛ لأنه إذا حضر أجله وأتت رحلته لم يبق لخوفه معنى بل يؤدي إلى القنوط

قال الطيبي نهي أن يموت على غير حالة حسن الظن وذلك ليس بمقدور بل المراد الأمر بحسن الظن ليوافق الموت وهو عليه نحو وقوله تعالى – ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢] ، وهذا قاله قبل موته بثلاث والنهي وإن وقع عن الموت لكنه غير مراد إذ هو غير مقدور بل المراد النهي عن سوء الظن بل عن ترك الخشوع وأفاد الحث على العمل الصالح المفضي إلى حسن الظن والتنبيه على تأميل العفو وتحقيق الرجاء في روح الله ومغفرته قال تعالى ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر: ٥٣] (خ م ت عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – مرفوعا «قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي» كظن الغفران إذا استغفر والقبول إذا تاب والإجابة إذا دعا والكفاية إذا طلب الكفاية كذا نقل عن النووي في شرح مسلم كظن قبول العمل الصالح، وكذا ظن العقوبة على عصيانه وفي الجامع الصغير «قال الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني» أي مدة دعائك لي «ورجوتني غفرت لك ذنوبك على ما كان منك» من عظائم وجرائم أو ما دمت تدعوني وترجو مغفرتي ولا تقنط من رحمتي فأغفر لك ولا تعظم علي مغفرتك وإن كانت ذنوبك كثيرة وذلك؛ لأن الدعاء مخ العبادة والرجاء متضمن لحسن الظن بالله وهو قال «أنا عند ظن عبدي بي» وعند ذلك تتوجه." (٢)

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٢/٢٩٥

(٢) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٢/٢٩٨

"الرحمة له فإذا توجهت لا يتعاظمها شيء؛ لأنها وسعت كل شيء كذا في الفيض

وفيه أيضا «قال الله تعالى عبدي» أي يا عبدي «أنا عند ظنك بي وأنا معك» بالتوفيق والمعونة «إذا ذكرتني» ودعوتني فأسمع ما تقول فأجيبك قال ابن أبي جمرة أنا معك بحسب ما قصدت من ذكرك لي باللسان فقط أو بالقلب فقط أو بهما ثم دلالة هذا الحديث على المطلوب أعني وجوب **حسن الظن بالله** خفية متنا وسندا؛ لأن الخبر خبر واحد ولأنه لا يلزم من كونه تعالى عند ظن عبده وجوب حسن ظن العبد به تعالى قلنا لعلك قد سمعت عن الأصول أن الخبر المرعي شرائطه يدل على الوجوب سيما حديث الشيخين في رتبة المشهور وأن متن الحديث ليس نفس المطلوب بل مستلزم له ودال عليه بنحو أن يقال إذا كان الله عند ظن العبد به حسنا وسوءا فحسن الظن واجب لكن المقدم حق فالتالي كذلك أما المقدم فلهذا الحديث، وأما الملازمة فلعلها ظاهرة

(د عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أن رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – قال «**حسن الظن بالله** تعالى» وقع هذا الحديث في الجامع الصغير على تخريج الترمذي والحاكم أيضا برواية أبي هريرة بمجرد حسن الظن بلا تقييد بالله تعالى ولم يتعرض شرحه للزوم هذا القيد فالحديث مطلق والمطلق لا يدل على المقيد بأي الدلالات الثلاث وتقييد المطلق بالرأي ليس بجائز فافهم (من) جملة (حسن العبادة) (حب) ابن حبان (حد) أحمد (هق) البيهقي (عن واثلة – رضي الله تعالى عنه – أنه قال سمعت رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – يقول «قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا» كالعفو والإحسان والإجابة «فله» ذلك فضلا ومنة منه تعالى «وإن ظن شرا» بأنه لا يغفره «فله» قيل الأصل فعليه وعبر بما ذكر مشاكلة (طب) طبراني (عن ابن مسعود – رضي الله تعالى عنه – أنه قال والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله الظن إلا أعطاه ظنه) أي مقتضى ظنه وأوصله إليه يوم القيامة (وذلك) الإعطاء (بأن الخير بيده) ذكر الخير وحده؛ لأنه المعني بالذات والشر بالعرض إذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا أو؛ لأن الكلام وقع فيه

ثم قال المحشي: هذا الحديث موقوف ولكنه بمنزلة المرفوع؛ لأنه ليس مما يدرك بالعقل بل هو موقوف على السماع ويدل عليه القسم (هق) بيهقي (عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أنه قال قال رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – «أمر الله تعالى» يعني يوم القيامة عبر بالماضي لتحقق وقوعه («بعبد إلى النار فلما وقف على شفتها» أي طرفها يقال شفا كل شيء أي حرفه وطرفه «التفت» خلفه مثلا «فقال أما والله يا رب إن» مخففة وضمير الشأن محذوف «كان ظني بك لحسن» في الدنيا وقد خرجت به «فقال الله عز وجل ردوه أنا عند ظن عبدي بي»." (١)

"فينبغي لكل مسلم أن يحسن ظنه به تعالى.

(وأما الثاني) هو حسن الظن بالمؤمنين (فمندوب إليه فيما يشك فيه من أمرهم) من الفساد والصلاح أي استوائها فعند رجحان جانب الصلاح فبطريق الأولى لا يخفى أن ظاهره عند رجحان جانب الفساد فحسن الظن ليس بمندوب بل اللازم حينئذ البغض في الله كما مر قريبا فافهم لكن يشكل أن مدار الظن هو الدليل الدال ظنا على الحكم فكيف يمكن الظن

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية   محمد الخادمي ٢/٢٩٩

عند كون مداره شكا وقد قيل إن الشك من باب التصورات والظن من التصديقات وتحصيل التصديق من التصور ليس بجائز على المذهب وأن الشك والظن ماهيتان متباينتان فكيف تتحصل إحداهما من الأخرى فكيف يتحصل حسن الظن عند كون موجبه شكا (ويحتمل الصلاح والفساد) احتمالا مساويا (خصوصا في المسلم الظاهر عدالته) لا يخفى أنه بانضمام العدالة إلى التساوي الصوري يخرج من الشك إلى الظن فلا يكون من الباب (فحمله على الفساد حرام) اللازم إثبات ذلك بالدليل كما في **حسن الظن بالله** تعالى لعله اعتمد على دلالة أدلة سوء الظن فافهم (و) حمله (على الصلاح) بحسن الظن (مستحب) لأدلة حسن الظن يرد عليه أنه إذا كان الحمل على الفساد حراما يلزم أن يكون ذلك منهيا وقرر في الأصول أن النهي عن الشيء أمر بضده فاللازم هو الوجوب لا الاستحباب وقد كان الظاهر أنه من قبيل ما كان له ضد واحد وقد قيل أيضا إن ضد المنهي عنه واجب إن قوي المقصود بالنهي وإلا فسنة مؤكدة فتأمل. ثم قال في الحاشية. وأما عدم الحمل على شيء من الصلاح والفساد بل التوقف فجائز ليس بحرام ولا مندوب.

[الخامس والعشرون ومن الآفات القلبية التطير]

(الخامس والعشرون) ومن الآفات القلبية (التطير) مصدر تطير من الشيء وأطير منه (والطيرة) وهو في الأصل التفاؤل بالطير فإنهم يتفاءلون بأسمائها وأصواتها ومرورها ثم خص بالتشاؤم وهو جعل الشيء علامة للشر والشؤم ضد اليمن فلذا قال (وهو التشاؤم) وذلك أنهم إذا خرجوا لحاجة فإن رأوا الطير يمر يمنة يتبركون به وإن يسرة يتشاءمون ويرجعون إلى بيوتهم وربما ينفرون الطيور فإن أخذت جانب اليمين يتبركون أو جانب اليسار فيتركون (وهو حرام) بالاتفاق وإنما الاختلاف في الكفر كما ذهب إليه بعض الفقهاء لظاهر." (١)

"انتهى. وفي الأشباه فلو أغضب صبيا ومات عنده لم يضمنه إلا إذا نقله إلى مسبعة أو مكان الوباء أو الحمى (وارتضاه الإمام التوربشتي – رحمه الله تعالى –) من فضلاء الحنفية (لما فيه من التوفيق بين الأحاديث) نفسها بعضها مع بعض كما سبق (وبينها) الظاهر على الاستخدام (وبين قول الأطباء) إذ ظاهر بعض الأحاديث منع السراية مطلقا وقول الأطباء إثبات السراية في البعض وحمل منع السراية على ما هي بالطبع وحمل إثبات السراية على ما هي بإذنه تعالى توفيق بينهما، وكذلك قول الأطباء (حيث ذهبوا إلى أن العلل السبع تتعدى) لا يخفى إنه إنما يتم هذا التوفيق إذا لم يصرحوا السراية بالطبع وأن علم الطب نوع من علم الحكمة والحكماء ينفون صدور الأشياء من الله تعالى ابتداء غير العقل الأول بل ينسبون صدور مثل ما ذكرنا إلى العقل الفياض أي العاشر (الجذام) يقال جذم الإنسان إذا أصابه الجذام؛ لأنه يقطع اللحم ويسقطه (والجرب) خلط غليظ يحدث في الجلد من مخالطة البلغم الملح للدم (والجدري) قروح تتنفط عن الجلد ممتلئة ماء ثم تتقيح وأول من عذب به فرعون ثم بقي بعده (والحصبة) وزان كلمة بثر تخرج بالجسد ويقال هي الجدري (والبخر) نتن ريح الفم (والرمد) وجع العين.

(و) السابع (الأمراض الوبائية) قد تفسر بالطاعون والحمى المحرقة والتعدية غير مقصورة على هذه السبع بل مذاهبهم أن

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٢/٣٠٠

كل علة يكون لها نتن وريح كريه لها تعدية أو رد على قول الأطباء أنه ليت شعري ما سبب قول الأطباء بالسراية مع أن سبب الأمراض اختلاط الأخلاط والاستقصاءات وأجيب عن ذلك مع أن أسباب الأمراض اختلاط الأخلاط عندهم بأن من يقرب من صاحب هذه الأورام يحصل له رائحة كريهة تكون سببا لاختلاط الأخلاط السبب لحصول الأمراض فيمرض مثل مرضه ويؤيده أمرهم بالتباعد عنه وبعدم الجلوس تحت الريح منه انتهى أقول لعل الحق أنه إن كان بجريان عادة منه تعالى فيحصل المرض بمجرد القربية فيحدث الله تعالى اختلاط الأخلاط حينئذ فيمرض بل يجوز أن يمرض بلا اختلاط أصلا عن القاضي عياض الجامع ههنا ثلاثة أمور أحدها ما لم يقع الضرر به ولا اطردت به عادة لا خاصة ولا عامة فهذا لا يلتفت إليه وأنكر الشرع الالتفات إليه وهو الطيرة والثاني ما يقع عنده الضرر عموما لا خصوصا ونادرا لا متكررا كالوباء فلا يقدم عليه ولا يخرج منه والثالث ما يخص ولا يعم كالدار والفرس والمرأة فهذا يباح الفرار منه

(وضد الطيرة الفأل) بالهمزة وربما يخففها الناس (وهو مستحب) قيل الفأل فيما يسر ويسوء والسرور غالب والطيرة فيما يسوء فقط وقد يتجوز في السرور وقيل الطيرة فيما يسوء والفأل فيما يسر (خ م عن أنس – رضي الله تعالى عنه – أن رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – قال «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل» ؛ لأنه كان يحب الفأل الحسن لما فيه من **حسن الظن بالله** تعالى فينال بذلك فائدة قال في فتح الباري الفأل الحسن شرطه أن لا يقصد الشر وإلا فطيرة كذا في الفيض («قالوا وما الفأل قال كلمة طيبة» أي يحصل التبرك والتيمن بها لحسن مدلولها مثل يا واجد ويا سالم فإذا سمع من له حجة يقع في قلبه رجاء الوجدان والسلامة وبالجملة استماع الكلمة الدالة على حصول المرام والنجاح وخير العاقبة." (١)

"(ت عن أنس – رضي الله تعالى عنه – «أن رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – كان يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع يا راشد يا نجيح» وهو من قضيت حاجته يعني يتبرك بهما

وعن شرح المصابيح على رواية أبي داود عن بريدة «أن رسول الله كان لا يتطير بشيء وكان إذا بعث عاملا سأل عن اسمه فإن أعجبه فرح به ورئي بشر ذلك في وجهه وإن كره اسمه رئي كراهية ذلك في وجهه وإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه اسمها فرح بها ورئي بشر ذلك في وجهه وإن كره اسمها رئي كراهية ذلك في وجهه» (د عن عروة بن عامر – رضي الله تعالى عنه – أنه «ذكرت الطيرة عند رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم –، فقال أحسنها» الإضافة لأدنى ملابسة والأحسن بمعنى الحسن أي حسن ما كان من جنس العلامة للشيء فبمعنى أصل الفعل إذ لا حسن للطيرة إلا أن يتجوز كما أشير آنفا «الفأل» لما فيه من **حسن الظن بالله** تعالى ورجاء الخير والطيرة ليست كذلك «ولا ترد مسلما» عن حاجته التي خرج إليها وهو خبر في معنى النهي يعني ينبغي أن لا ترد الطيرة مسلما عن مطلوبه حاصله نهي عن رد الطيرة ومنعها مسلما عن مقصوده مثل السفر والبيع والنكاح إذا رأى شيئا يظنه شرا

وفي النصاب إذا خرج إلى السفر فصاح العقعق ورجع من سفره يكفر عند بعض المشايخ وذكر في المحيط أن الهامة إذا

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٣٠٧/٢

صاحت، فقال رجل يموت المريض يكفر عند البعض لعل ذلك على سبيل اليقين لا على الظن والتخمين «وإذا رأى أحدكم ما يكره» على الفاعل أو المفعول «فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت» دينية أو دنيوية «ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك» قال المناوي القوة وسط ما بين الحول وظاهر القدرة؛ لأن أول ما يوجد في الباطن من همة العمل يسمى حولا وما تحس به الأعضاء مثلا قوة وظهور العمل بصورة البطش والتنازل قدرة، ولذلك كان كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله مرجع الأمور والأعمال

وعن الدميري في حياة الحيوان اعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف وأما من لم يبال به ولم يعتن به فلا يضره ألبتة لا سيما إن قال عند رؤية ما يتطير به أو سماعه «اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك» وأما من يعتني به فهو إليه أسرع من السيل إلى منحدر قد فتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويفتح له الشيطان من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه ويكدر عليه عيشه انتهى فإذا سمعت هذه الأخبار (فظهر) لك (أن المراد بالفأل المحمود ليس الفأل الذي يفعل في زماننا مما يسمونه فأل القرآن أو فأل دانيال أو نحوهما) كالنيرجيات ولعل منه الجفريات، والكهانة (بل هي) أي الأشياء المذكورة." (١)

"الثامنة عشرة: أن التلفظ بالشرك بكلمة واحدة لا يشترط في كفر من تكلم بها عقيدة القلب، ولا عدم الكراهة للشرك.

التاسعة عشرة: أن المتكلم لا يعذر، ولو أراد أن يقضي به غرضا مهما.

العشرون: أن قتل النفس أعظم من الزنى.

الحادية والعشرون: أن المعاصي بريد الكفر.

الثانية والعشرون: أن بعضها يجر إلى بعض.

الثالثة والعشرون: أن عقوبة المعصية قد تكون أكبر مما يظن العالم.

الرابعة والعشرون: أن قبول التوبة بلا عذاب لا يحصل لكل أحد، بل هو فضل من الله.

الخامسة والعشرون: أن من النعم تعذيب العبد بذنبه في الدنيا.

السادسة والعشرون: **حسن الظن بالله.**

السابعة والعشرون: القاعدة التي هي خاصية العقل، وهو ارتكاب أدنى الشرين لدفع أعلاهما، وتفويت أدنى الخيرين لتحصيل أعلاهما.

الثامنة والعشرون: أن السحر نوعان.

التاسعة والعشرون: أن له تأثيرا لقوله: ﴿يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ ١.

الثلاثون: الإرشاد إلى التوكل بكونه لا يضر أحدا إلا بإذن الله.

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٢/٣٠٨

الحادية والثلاثون: أن في من يدعي العلم من اختار كتب السحر على كتاب الله.

الثانية والثلاثون: أنهم يعارضون به كتاب الله.

---

١ سورة البقرة آية: ١٠٢.." (١)

"وأكثر ما تجد هذا الوصف في بعض الفقهاء المتجمدين على ظاهر الشريعة، يعتقد ألا علم فوق علمه، ولا فهم فوق فهمه، كيف؟ والله تعالى يقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلا، وفوق كل ذي علم عليم، وقد قال إمام الحرمين: (لإن أدخل ألف كافر في الإسلام بشبهة خير من إخراج واحد منه بشبهة) .

فالواجب على من أراد السلامة أن يحسن الظن بجميع المسلمين، ويعتقد فيهم أنهم كلهم صالحون، ففي الحديث: «خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: **حسن الظن بالله**، وحسن الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: سوء الظن بالله، وسوء الظن بعباد الله» . وبالله التوفيق.

ثم وبخ الحق- تعالى- النصارى على منع الناس من بيت المقدس وإيذاء من يصلي فيه، وطرح الأقذار فيه، مع زعمهم أنهم على الحق دون غيرهم، قاله ابن عباس، أو كفار قريش حيث منعوا المسلمين من الصلاة فيه، وصدوا رسول الله عن الوصول إليه، قاله ابن زيد، والتحقيق: أن الحق تعالى وبخ الجميع، فقال:

[سورة البقرة (٢) : آية ١١٤]

ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (١١٤)

قلت: من مبتدأ، وأظلم خبر، وأن يذكر إما منصوب على إسقاط الخافض وتسلط الفعل عليه، أي:

من أن يذكر، أو بدل اشتمال من مساجد، أو مجرور بالحرف المحذوف، قاله سيبويه. وخائفين حال من الواو.

يقول الحق جل جلاله: لا أحد أكثر جرما ولا أعظم ظلما ممن يمنع مساجد الله من أن يذكر اسم الله فيها، جماعة أو فرادى، في صلاة أو غيرها، وسعى في خرابها حيث عطل عمارتها، أولئك ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخشوع، فكيف يجترءون على تخريبها؟ أو ما كان الواجب أن يدخلوها إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا عن أن يمنعوهم منها، أو ما كان لهم في علم الله وقضائه أن يدخلوها إلا خائفين، فيكون وعدا أنجزه الله لهم، وقد فتح الله لهم مكة والشام، فكان لا يدخل بيت الله الحرام كافر إلا خفية، خائفا من القتل، ولا يدخل نصراني بيت المقدس إلا خائفا من المسلمين، فنالهم في الدنيا خزي وهو قتل الحربي، وضرب الجزية على الذمي، وخزي المشركين قتلهم يوم الفتح، وإذلالهم بدخولها عليهم عنوة، ولمن مات على الكفر في الآخرة عذاب عظيم.

---

(١) تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس) محمد بن عبد الوهاب ص/٢٣

وهذه الآية- وإن نزلت في الكفار- فهي عامة لكل من يمنع الناس من الذكر في المساجد، كيفما كان قياما أو قعودا، جماعة أو فرادى. والله تعالى أعلم.." (١)

"قلت: قوله: [لا يخطر بقلبه معصية] غير لازم لأن قلب العارف مرسى للتجليات النورانية والظلمانية، لكنها تقل ولا تسكن.

وقال في موضع آخر: وأما عبادة ذوي الألباب فلا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجلاله وجماله، وسائر الأعمال تكون مؤكدات. قال: والعامل لأجر الجنة درجته درجة البله، وإنه لينالها بعمله إذ أكثر أهل الجنة البله. هـ. وقال في كتاب كيمياء السعادة: وقد غلط من ظن أن وظائف الضعفاء كوظائف الأقوياء، حتى قال بعض مشايخ الصوفية: من رأني في الابتداء، قال: صار صديقا، ومن رآني في الانتهاء، قال: صار زنديقا، يعني أن الابتداء يقتضي المجاهدة الظاهرة للأعين بكثرة العبادات، وفي الانتهاء يرجع العمل إلى الباطن، فيبقى القلب على الدوام في عين الشهود والحضور، وتفتر ظواهر الأعضاء، فيظن أن ذلك تهاون بالعبادة «١» ، وهيهات هيهات!!، فذلك استغراق لمخ العبادات ولبابها وغايتها، ولكن أعين الخفافيش تكل عن درك نور الشمس. هـ.

قال شيخ شيوخنا- سيدي عبد الرحمن العارف- بعد نقل كلام القشيري في هذا المعنى: وما أشار إليه ظاهر في أن أهل القلوب لا يتعاطون كل طاعة. وإنما يتعاطون من الطاعات ما يجمعهم ولا يفرقهم. ولذلك قال الجنيد:

أحب للصوفي ألا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه، قال: وأحب للمريد ألا يشتغل بالتكسب وطلب الحديث لئلا يتغير حاله. هـ. قلت: ومن رزقه الله شيخ التربية فما عينه له فهو عين ذكره، يسير به كيفما كان.

هذا ما يتعلق بحال الذكر الذي قدمه الله تعالى، وأما التفكر فهو أعظم العبادات وأفضل القربات، هو عبادة العارفين ومنتهى المقربين. وفي الخبر: «تفكر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة» .

وقال الجنيد رضي الله عنه: أشرف المجالس وأعلاها: الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد، والتنسم بنسيم المعرفة، والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد، والنظر **لحسن الظن بالله** تعالى. ثم قال: يا لها من مجالس، ما أجلها، ومن شراب ما ألذه، طوبى لمن رزقه. وقال القشيري رضي الله عنه: التفكر نعت كل طالب، وثمرته: الوصول بشرط العلم، فإذا سلم الفكر عن الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق. هـ.

وسئلت زوجة أبي ذر عن عبادة زوجها، فقالت: كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر. وكذلك زوجة أبي بكر قالت: كان ليله أجمع في ناحية يتفكر. وكذا زوجة أبي الدرداء، وكان سيدنا عيسى عليه السلام يقول: طوبى لمن كان قيله ذكرا وصمته تفكرا، ونظره عبرة. وقال الحسن رضي الله عنه: من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو. هـ. وقال في الحكم: (ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) . وقال أيضا: (الفكرة سراج القلب، فإذا ذهبت فلا إضاءة له) . وقال أيضا: (الفكرة فكرتان فكرة تصديق وإيمان، وفكرة شهود وعيان، فالأولى لأرباب الاعتبار، والثانية لأرباب الشهود والاستبصار) .

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/ ١٥٤

(١) راجع التعليق على إشارة الآية ٢١٢ من سورة البقرة.." (١)

"هذه الحال، كنتم تخفون إسلامكم خوفا من قومكم، فمن الله عليكم بالعز والنصر والاشتهار، فتبينوا وتثبتوا ولا تعجلوا، وافعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل الله بكم، حيث حفظكم وعصمكم، ولا تبادروا إلى قتلهم ظنا بأنهم إنما دخلوا فيه اتقاء وخوفا، فإن إبقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل مؤمن، وتكريره تأكيد لتعظيم الأمر. ثم هددهم بقوله إن الله كان بما تعملون خبيرا مطلعا على قصدكم، فلا تتهافتوا في القتل، واحتاطوا فيه.

روي أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فدك فهربوا، وبقي مرداس ثقة بإسلامه، لأنه كان مسلما وحده، فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل «١» ، وصعد عليه، فلما تلاحقوا وكبروا، كبر ونزل يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، فقتله أسامة، واستاق غنمه، فنزلت الآية. فلما أخبر- عليه الصلاة والسلام- وجد وجدا شديدا، وقال لأسامة: «كيف بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟!» قالها ثلاثا، حتى قال أسامة: ليتني لم أكن أسلمت إلا يومئذ، ثم استغفر له بعد، وقال له: «اعتق رقبة» ، وقيل: نزلت في المقداد، مر برجل في غنمه فأراد قتله، فقال: لا إله إلا الله، فقتله وظفر بأهله وماله، وقيل: القاتل: محلم بن جثامة، والمقتول: عامر بن الأضبط. والله تعالى أعلم.

الإشارة: يستفاد من الآية: الترغيب في خصلتين ممدوحتين وخصوصا عند الصوفية:

الأولى: التأني في الأمور والرزانة والطمأنينة، وعدم العجلة والخفة والطيش. وفي الحديث: «من تأنى أصاب أو كاد، ومن استعجل أخطأ أو كاد» . ولا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، ويفهم عن الله أنه مراد الله في ذلك الوقت.

والثانية: حسن الظن بعباد الله كافة، واعتقاد الخير فيهم، وعدم البحث عما اشتمل عليه بواطنهم، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «أمرت أن أحكم بالظواهر والله يتولى السرائر» «٢» وقال لأسامة: «هلا شققت عن قلبه» ، حين قتل من قال: لا إله إلا الله، أو لغيره. وفي الحديث: «خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: **حسن الظن بالله**، وحسن الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما من الشر شيء: سوء الظن بالله، وسوء الظن بعباد الله» . والله تعالى أعلم.

---

(١) أي: منعطف من الجبل.

(٢) لم يرد بهذا اللفظ. راجع كشف الخفا ١/ ٢٢١ والمقاصد الحسنة/ ٩١.." (٢)

"ولما كانت المعصية توجب تعجيل العقوبة أخبر تعالى عن سعة حلمه، فقال:

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٤٧]

فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين (١٤٧)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٤٥٢

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٥٤٧

يقول الحق جل جلاله: فإن كذبوك يا محمد، فقل لهم: ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب، فلا تغتروا بإمهاله فإنه يمهل ولا يهمل. ولذلك أعقبه بقوله: ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل بهم، أو ذو رحمة واسعة على المطيعين، وذو بأس شديد على المجرمين، فأقام مقامه:

ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين، لتضمنه التنبيه على إنزال البأس عليهم، مع الدلالة على أنه لازب لا يمكن رده. قاله البيضاوي. وفي ابن عطية: ولكن لا تغتروا بسعة رحمته، فإن له بأسا لا يرد عن القوم المجرمين. هـ.

الإشارة: يؤخذ من تقديم الرحمة الواسعة على البأس الشديد أن جانب الرجاء أقوى من جانب الخوف لأن **حسن الظن بالله** مطلوب من العبد على كل حال، لأن الرجاء وحسن الظن يستوجبان محبة العبد وإيحاشه إلى سيده بخلاف الخوف، وهذا مذهب الصوفية: أن تغليب الرجاء هو الأفضل في كل وقت، ومذهب الفقهاء أن حال الصحة ينبغي تغليب الخوف لينزجر عن العصيان، وحال المرض يغلب الرجاء إذ لا ينفع حينئذ، فالصوفية يرون أن العبد معزول عن الفعل، فليس له قدرة على فعل ولا ترك. وإنما ينظر ما تفعل به القدرة، فهو كحال المستشرف على الموت. والفقهاء يرون أن العبد له كسب واختيار. والله تعالى أعلم.

ولا ينفع الاحتجاج بالقدر على كلا المذهبين، كما قال تعالى:

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١٤٨ الى ١٥٠]

سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون (١٤٨) قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين (١٤٩) قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون (١٥٠)

قلت: (هلم) : اسم فعل، وهو عند البصريين بسيط، وعند الكوفيين مركب. انظر البيضاوي.

يقول الحق جل جلاله: سيقول الذين أشركوا في الاحتجاج لأنفسهم: لو شاء الله عدم شركنا ما أشركنا ولا أشرك آباؤنا، ولا حرمنا من شيء من البحائر وغيرها، فلو لم نكن على حق مرضى عند الله ما أمهلنا ولا تركنا عليه فإمهاله لنا وتركه لنا على ما نحن فيه دليل على أنه أراده منا.." (١)

"وقال في الإحياء: قال يونس بن زيد: بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن، ثم ينشأون معهم. قال ابن عطية: وما أدخله النقاش من وطء الجن، وأنه يحبل المرأة من الإنس، فضعيف كله. هـ. قال في الحاشية:

وضعفه ظاهر، والآية مشيرة لرده لأنها إنما أثبتت المشاركة في الولد، لا في الإيلاء، فإنه لم يرد، ولو قيل به لكان ذريعة لفساد كبير، ولكان شبهة يدرأ بها الحد، ولا قائل بذلك. وانظر الثعالبي الجزائري فقد ذكر حكاية في المشاركة في الوطء عمن اتفق له ذلك، فالله أعلم. وأما عكس ذلك إيلاء الإنسي الجنية، فأمر لا يحيله العقل، وقد جاء الخبر به في أمر بلقيس

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/١٨٣

«١» . قاله المحشي الفاسي.
وعدهم بأن لا بعث ولا حساب، أو المواعد الباطلة كشفاعة الآلهة، والاتكال على كرامة الآباء، وتأخير التوبة، وطول الأمل، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا وباطلا. والغرور: تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب. قاله البيضاوي.
الإشارة: ينبغي لك أيها الإنسان أن تكون مضادا للشيطان، فإذا امتنع من الخضوع لآدم فاخضع أنت لأولاد آدم بالتواضع واللين، وإذا كان هو مجتهدا في إغواء بني آدم بما يقدر عليه، فاجتهد أنت في نصحهم وإرشادهم، وتعليمهم ووعظهم وتذكيرهم، بقدر ما يمكنك، واستعمل السير إليهم بخيلك ورجلك، حتى تنقذهم من غروره وكيده. وإذا كان هو يدلهم على الشرك الجلي والخفي، في أموالهم وأولادهم، فدلهم أنت على التوحيد، والإخلاص، في اعتقادهم وأعمالهم وأموالهم. وإذا كان يعدهم بالمواعد الكاذبة، فعدهم أنت بالمواعد الصادقة **كحسن الظن بالله**، إن صحبه العمل بما يرضيه. فإن فعلت هذا كنت من عباد الله الذين ليس له عليهم سلطان، كما أشار إليهم بقوله:

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٦٥ الى ٦٩]
إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا (٦٥) ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما (٦٦) وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا (٦٧) أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا (٦٨) أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا (٦٩)
قلت: (أفأمنتم) : الهمزة للتوبيخ، والفاء للعطف على محذوف، أي: أنجوتم من البحر فأمنتم.

---

(١) قصة سيدنا سليمان من أكثر القصص امتلاء بالإسرائيليات، فعليك بما هو فى القرآن، وما صح من حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم. [.....]." (١)

"ويرث من آل يعقوب النبوة والملك والمال. قيل: هو يعقوب بن إسحاق. وقال الكلبي ومقاتل: هو يعقوب ابن ماثان، أخو عمران بن ماثان، أبي مريم، وكانت زوجة زكريا أخت أم مريم، وماثان من نسل سليمان عليه السلام، فكان آل يعقوب أخوال يحيى. قال الكلبي: كان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم، وكان زكريا رئيس الأحبار يومئذ، فأراد أن يرث ولده حبورته، ويرث من بني ماثان ملكهم. هـ.
واجعله رب رضيا أي: مرضيا، فعيل بمعنى مفعول، أي: ترضى عنه فيكون مرضيا لك، ويحتمل أن يكون مبالغة من الفاعل، أي: راضيا بتقديرك وأحكامك التعريفية والتكليفية. والله تعالى أعلم.
الإشارة: طلب الوارث الروحاني- وهو وارث العلم والحال- جائز ليبقى الانتفاع به بعد موته. وقيل: السكوت والاكتفاء بالله أولى، ففي الحديث: «يرحم الله أخانا زكريا، وما كان عليه من يرثه» «١» . وقوله تعالى: نداء خفيا. الإخفاء عند

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد   ابن عجيبة ٣/٢١٤

الصوفية أولى في الدعاء والذكر وسائر الأعمال، إلا لأهل الاقتداء من الكملة، فهم بحسب ما يبرز في الوقت.

وقوله تعالى: ولم أكن بدعائك رب شقيا. فيه قياس الباقي على الماضي، فالذي أحسن في الماضي يحسن في الباقي، فهذا أحد الأسباب في تقوية حسن الظن بالله وأعظم منه من حسن الظن بالله لما هو متصف به تعالى من كمال القدرة والكرم، والجود والرأفة والرحمة، فإن الأول ملاحظ للتجربة، والثاني ناظر لعين المنة.

قال في الحكم: «إن لم تحسن ظنك به لأجل وصفه، حسن ظنك به لوجود معاملته معك، فهل عودك إلا حسنا؟ وهل أسدى إليك إلا مننا؟» .

ثم ذكر إجابته لزكريا عليه السلام، فقال:

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧ الى ١١]

يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا (٧) قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا (٨) قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا (٩) قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (١٠) فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا (١١)

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره (٢/ ٣) ، وابن جرير (١٦/ ٤٨) عن قتادة.." [1]

"متواضعين خائفين، أي: إنما نالوا هذه المراتب العلية، واستحقوا هذه الخصوصية لاتصافهم بهذه الأوصاف الحميدة. والله تعالى أعلم.

الإشارة: الغالب في وراثة الخصوصية الحقيقية أن تكون لغير ورثة النسب، وأما الخصوصية المجازية، التي هي مقام الصلاح أو العلم، فقد تكون لورثة النسب، وتكون لغيرهم. والخصوصية الحقيقية هي مقام الفناء والبقاء، والتأهل للتربية النبوية، ولا بأس بطلب وارث هذه الخصوصية، لئلا ينقطع النفع بها. وقد قيل، في قول الشيخ ابن مشيش رضى الله عنه: اسمع نداءى بما سمعت به نداء عبدك زكريا، إنه أشار إلى طلب الوارث الروحاني. والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: إنهم كانوا يسارعون في الخيرات، فيه إشارة إلى بيان سبب حصول الخصوصية لأن بابها هو المسارعة إلى عمل الخيرات وأنواع الطاعات، وأوكدها ثلاثة: دوام ذكر الله، وحسن الظن بالله، وبعباد الله. وفي الحديث: «خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حسن الظن بالله، وحسن الظن بعباد الله» . وقوله: ويدعوننا رغبا ورهبا، هذه حالة الطالبين المسترشدين المتعطشين إلى الله، يدعونه رغبا في الوصول، ورهبا من الانقطاع والرجوع، وقد تكون للواصلين رغبا في زيادة الترقي، ورهبا من الوقوف أو الإبعاد. وقال بعضهم: الرغب والرهب حاصلتان لكل مؤمن، إذ لو لم تكن رغبة لكان قنوطا، وهو كفر، ولو لم تكن رهبة لكان أمنا، والأمن كفر.

والله تعالى أعلم.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٣٢٠

ثم ذكر مريم وابنها- عليهما السلام- فقال:

[سورة الأنبياء (٢١) : آية ٩١]

والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين (٩١)

يقول الحق جل جلاله: واذكر التي أحصنت فرجها على الإطلاق من الحلال والحرام، والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها، وتنزيهها عما زعموه في حقها. فنفخنا فيها من روحنا أي: أجرينا روح عيسى فيه وهو في بطنها، أو نفخنا في درع جيبها من ناحية روحنا، وهو جبريل عليه السلام، فأحدثنا بذلك النفخ عيسى عليه السلام، وإضافة الروح إليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام، وجعلناها وابنها أي:

قضيتهما، أو حالهما، آية للعالمين، فإن من تأمل حالهما تحقق بكمال قدرته تعالى. وإنما لم يقل آيتين، كما قال: وجعلنا الليل والنهار آيتين «١» لأن مجموعهما آية واحدة، وهي ولادتها إياه من غير فحل. وقيل:

التقدير: وجعلناها آية وابنها كذلك، فآية مفعول المعطوف عليه، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه. والله تعالى أعلم.

---

(١) من الآية ١٢ من سورة الإسراء.." (١)

"وأسلموا له أي: اخضعوا له، وانقادوا لأمره. قال القشيري: أي: أخلصوا في طاعتكم، والإسلام- الذي هو الإخلاص بعد الإنابة-: هو أن يعلم نجاته بفضله، لا بإنابته فبفضله يصل إلى إثابته، لا بإنابته يصل إلى فضله. هـ. من قبل أن يأتيكم العذاب في الدنيا، أو في الآخرة، إن لم تتوبوا قبل نزول العقاب.

قال القشيري: العذاب هنا، قيل: الفراق، وقيل: هو أن يفوته وقت الرجوع بسوء الإياس. هـ. ثم لا تنصرون:

لا تمنعون منه أبدا.

الإشارة: لا يعظم عندك الذنب عظمة تصدك عن **حسن الظن بالله**، فإن من استحضر عظمة ربه صغر في عينه كل شيء. وتذكر قضية الرجل الذي قتل تسعا وتسعين نفسا، ثم سأل راهبا: هل له توبة؟ فقال: لا، فكمل به المائة، ثم سأل عارفا، فقال له: ومن يحول بينك وبينها؟ لكن اخرج من القرية التي كنت تعصي فيها، واذهب إلى قوم يعبدون الله في مكان، فذهب، فأدركه الموت في الطريق، فلما أحس بالموت انحاز بصدره إلى القرية التي قصدها، ثم مات، فاختصمت فيه ملائكة العذاب وملائكة الرحمة، فقال لهم الحق تعالى «١» : قيسوا من القرية التي خرج منها، إلى القرية التي قصدها، فإلى أيهما هو أقرب هو منها؟ فوجدوه أقرب إلى القرية التي قصدها بشبر، فأخذته ملائكة الرحمة «٢» . إلى غير ذلك من الحكايات التي لا تحصى في هذا المعنى.

وتأمل قضية الشاب الذي أتى النبي صلى الله عليه وسلم يبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: ذنوبي. فقال له عليه السلام: إن الله يغفر ذنوبك، ولو كانت مثل السماوات السبع، والأرضين السبع، والجبال الرواسي، فقال: يا رسول الله، ذنب من ذنوبي

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٤٩٥

أعظم من السماوات السبع والأرضين السبع، فقال له: ذنوبك أعظم أو العرش؟ قال: ذنوبي، فقال له: ذنوبك أعظم أو الكرسي؟ قال: ذنوبي، فقال: ذنوبك أعظم أو إلهك؟ فقال: الله أعظم، فقال: فأخبرني عن ذنبك. قال: إني أستحيي، فقال: فأخبرني، فقال: إني كنت نباشا أنبش القبور منذ سبع سنين، حتى ماتت جارية من بنات الأنصار، فنبشتها، وأخرجتها من كفنها، فمضيت، ثم غلبني الشيطان، فرجعت، فجامعتها، فقامت الجارية، وقالت: الويل لك يا شاب من ديان يوم الدين، يوم يضع كرسيه للقضاء، يأخذ من الظالم للمظلوم، تركتني عريانة في عساكر الموتى، وأوقفتني جنبا ين يدي الله، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضرب في قفاه، وهو يقول: يا فاسق، اخرج، ما أقربك من النار، فخرج الشاب تائبا إلى الله تعالى، حتى أتى عليه ما شاء الله، ثم قال: يا إله محمد وآدم وحواء، إن كنت

---

(١) بوحي، كما تفيده رواية البخاري. وفى رواية مسلم: «فأتاهم ملك فى صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا..» الحديث.

(٢) أخرج القصة البخاري فى (أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ح ٣٤٧٠) ومسلم فى (التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، ٤/ ٢١١٨، ح ٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.." (١)

"الإشارة: أعداء الله هم الجاحدون لوحدانيته ولرسالة رسله، وهم الذين تشهد عليهم جوارحهم، وأما المؤمن فلا، نعم إن مات عاصيا شهدت عليه البقع أو الحفظة، فإن تاب أنسى الله حفظته ومعالمه في الأرض ذنوبه. قال في التذكرة: إن العبد إذا صدق في توبته أنسى الله ذنوبه لحافظيه، وأوحى إلى بقع الأرض وإلى جميع جوارحه:

أن اكتموا مساوئ عبدي، ولا تظهروها، فإنه تاب إلي توبة صادقة، بنية مخلصة، فقبلته وتبت عليه، وأنا التواب الرحيم.

وفي الآية حث على **حسن الظن بالله**، وفي الحديث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل» «١» وقال أيضا: «يقول الله- عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي ... » الحديث «٢» فمن ظن خيرا لقي خيرا، ومن ظن شرا لقي شرا. وبالله التوفيق.

ثم إن سبب الغواية أو الهداية هى الصحبة، كما قال تعالى:

[سورة فصلت (٤١) : آية ٢٥]

وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين (٢٥)

يقول الحق جل جلاله: وقيضنا أي: سيرنا، أو: قدرنا، لهم أي: كفار مكة في الدنيا قرناء سوء من الجن والإنس، أو: سلطنا عليهم نظراء لهم من الشياطين يستولون عليهم، كقوله: ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين «٣» ، فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمور الدنيا، واتباع الشهوات، والتقليد لأسلافهم، حتى حادوا عن الحق، وما خلفهم من أمور

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٩٣/٥

الآخرة، حيث ألقوا إليهم: ألا بعث ولا حساب. أو: ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها، وحق عليهم القول أي: ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب، أو: تحقق موجبها ومصداقها، وهي قوله تعالى لإبليس: لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين «٤» ، حال كونهم في جملة أمم قد خلت من قبلهم أي: قبل أهل مكة من الجن والإنس

(١) أخرجه مسلم فى (كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الأمر بحسن الظن بالله، ٤/ ٢٢٠٥، ح ٢٨٧٧) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري فى (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه، ح ٧٤٠٥) ومسلم فى (كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، ٤/ ٢٠٦١ ح ٢٦٧٥) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) الآية ٣٦ من سورة الزخرف.

(٤) من الآية ٨٥ من سورة «ص» .." (١)

"أي قبيل هو، فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات، وحسن الظن بالله تعالى، ومنه ما يحرم، وهو ما يوجب نقصا بالإلهيات والنبوات، وحيث يخالفه قاطع، وظن السوء بالمؤمنين، ومنه ما يباح، كأمور المعاش. إن بعض الظن إثم، تعليل للأمر بالاجتناب، قال الزجاج: هو ظنك بأهل الخير سوءا، فأما أهل الفسق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر عليهم، وقيل المعنى: اجتنبوا اجتنابا كثيرا من الظن، وتحرزوا منه، إن بعض الظن إثم، وأولى كثيره، والإثم: الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث» «١» ، فالواجب ألا يعتمد على مجرد الظن، فيعمل به، أو يتكلم بحسبه.

قال ابن عطية: وما زال أولو العزم يحترسون من سوء الظن، ويجتنبون ذرائعه. قال النووي: واعلم أن سوء الظن حرام مثل القول، فكما يحرم أن تحدث غيرك بمساوئ إنسان يحرم أن تحدث نفسك بذلك، وتسيء الظن به، والمراد: عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء، فأما الخواطر، وحديث النفس، إذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه، فمعفو عنه باتفاق لأنه لا اختيار له في وقوعه، ولا طريق له إلى الانفكاك عنه. هـ.

وقال في التمهيد: وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «حرم الله من المؤمن: دمه وماله وعرضه، وألا يظن به إلا الخير» «٢» . هـ. ونقل أيضا أن عمر بن عبد العزيز كان إذا ذكر عنده رجل بفضل أو صلاح، قال: كيف هو إذا ذكر عنده إخوانه؟ فإن قالوا: ينتقص منهم، وينال منهم، قال عمر: ليس هو كما تقولون، وإن قالوا: إنه يذكر منهم جميلا، ويحسن الثناء عليهم، قال: هو كما تقولون إن شاء الله. هـ. وفي الحديث أيضا: «خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير، حسن الظن بالله، وحسن الظن بعباد الله. وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر، سوء الظن بالله، وسوء الظن بعباد الله» .

ولا تجسسوا لا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايبهم، يقال: تجسس الأمر: إذا تطلبه وبحث عنه، تفعل من: الجس. وعن

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٧٢/٥

مجاهد: خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله. وقال سهل: لا تبحثوا عن طلب ما ستر الله على

(١) أخرجه بطوله البخاري فى (الأدب، باب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ح ٦٠٦٦) ومسلم فى (البر والصلة، باب تحريم الظن، ح ٢٥٦٣) .

(٢) انظر التمهيد (٢٠/ ١٥٧) ، وأخرج الطبراني فى الكبير (١١٠/ ٣٧ ح ١٠٩٦٦) عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة فقال: «لا إله إلا الله» ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة منك، إن الله عز وجل جعلك حراما، وحرم من المؤمن ماله ودمه وعرضه وأن يظن به ظنا سيئا» .." (١)

"الله – صلى الله عليه وسلم – وساله طعاما فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل من طعام وادام فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى رحله فاتاه فقال ما عندى شيء فرجع سلمان إليهما وأخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثنا إلى بئر سميحة يغار مائها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلما جاء الى رسول الله قال لهما مالى ارى خضرة اللحم فى أفواهكما قالا والله يا رسول الله ماتنا ولنا يومنا هذا لحما قال ضللتم تأكلون لحم سلمان واسامة فانزل الله تعالى.

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الاية قال السيوطي رواه الثعلبي بغير اسناد وروى معناه الاصبهانى فى الترغيب عن عبد الرحمن بن ابى ليلى واخرج ابن المنذر عن ابن جريج قالوا زعموا ان قوله تعالى لا يغتب بعضكم بعضا نزلت فى سلمان الفارسي أكل ثم رقد فنفخ فذكر رجلان أكله رقادة والله تعالى اعلم إن بعض الظن إثم تعليل مستانف للامر والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة بدل من الواو كانه يثم الأعمال ويكسرها والمراد بالظن هاهنا ما يقابل اليقين سواء كان جانب الوجود فيه راجحا أو لا وتحقيق المقام ان الظن على اقسام منها ما يجب اتباعه وهو **حسن الظن بالله** تعالى والمؤمنين والمؤمنات وما يحصل بدليل شرعى فيه شبهة حيث لا قاطع فيه من العمليات وكذا فى العلميات ان لم يعارضه قاطع من احوال المبدأ والمعاد ومنها ما يحرم اتباعه كسوء الظن بالمؤمنين والمؤمنات لا سيما بالصالحين منهم والظن فى الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع ومنها ما ليس من القسمين المذكورين كالظن فى الأمور المعاشية ونحوها- والإثم انما هو بعض الظن يعنى قسم الثاني منها والله سبحانه امر بالاجتناب عن كثير من الظن احتياطا ومبالغة فى اجتناب الإثم وفيجتنب عما هو اثم وعما هو يشبه به قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهة الحديث ولا تجسسوا الجس فى اللغة المس باليد والتجسس تفحص الاخبار باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس والمراد هاهنا لا تبحثوا عن عيوب الناس ولا تتبعوا عوراتهم حتى لا يظهر عليكم ما ستره الله منها عن ابى هريرة ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافروا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٣٠/٥

عباد الله إخوانا ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح او ينزل رواه ملك واحمد وابن ماجة وابو داود والترمذي وصححه وعن." (١)

"قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية في مشركي أهل مكة. وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال: كنا نقول ليس لمفتتن توبة وما الله بقابل منه شيئا، عرفوا الله وآمنوا به وصدقوا رسوله ثم رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم، وكانوا يقولونه لأنفسهم، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله فيهم يا عبادي الذين أسرفوا الآيات قال ابن عمر: فكتبتها بيدي، ثم بعثت بها إلى هشام بن العاصي. وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي سعد قال: لما أسلم وحشي أنزل الله والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق «١» قال وحشي وأصحابه: قد ارتكبنا هذا كله، فأنزل الله قل يا عبادي الذين أسرفوا الآية. وأخرج البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة قال: «خرج النبي صلى الله عليه وسلم على رهط من أصحابه وهم يضحكون ويتحدثون فقال: والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا، ثم انصرف وأبكى القوم، وأوحى الله إليه: يا محمد لم تقنط عبادي؟ فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أبشروا وسددوا وقاربوا» . وأخرج ابن مردويه، والبيهقي في سننه، عن عمر بن الخطاب أنها نزلت فيمن افتتن. وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس أنها نزلت في مشركي مكة لما قالوا إن الله لا يغفر لهم ما قد اقترفوه من الشرك وقتل الأنفس وغير ذلك. وأخرج أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب عن ثوبان:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم إلى آخر الآية، فقال رجل ومن أشرك؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات» . وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وأبو داود، والترمذي وحسنه، وابن المنذر، وابن الأنباري في المصاحف، والحاكم، وابن مردويه عن أسماء بنت يزيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم» . وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في **حسن الظن بالله** وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود أنه مر على قاض يذكر الناس فقال: يا مذكر الناس لا تقنط الناس، ثم قرأ يا عبادي الذين أسرفوا الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن سيرين قال: قال علي: أي آية أوسع؟

فجعلوا يذكرون آيات من القرآن ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه

«٢» الآية ونحوها، فقال علي: ما في القرآن أوسع من يا عبادي الآية. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في قوله: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قال: قد دعا الله إلى مغفرته من زعم أن المسيح ابن الله، ومن زعم أن عزيرا ابن الله، ومن زعم أن الله فقير، ومن زعم أن يد الله مغلولة، ومن زعم أن الله ثالث لهؤلاء أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ثم دعا إلى توبته من هو أعظم قولا من هؤلاء من فقال أنا ربكم الأعلى «٣» وقال: ما علمت لكم من إله

---

(١) التفسير المظهري   المظهري، محمد ثناء الله ٥٤/٩

غيري «٤» قال ابن عباس ومن آيس العباد من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه. وأخرج ابن جرير، وابن المنذر،

(١) . الفرقان: ٦٨.

(٢) . النساء: ١١٠.

(٣) . النازعات: ٢٤.

(٤) . القصص: ٣٨. [.....]." (١)

"فأرضاني، ومعنى الآية: إن يطلبوا الرضا لم يقع الرضا عنهم، بل لا بد لهم من النار. قرأ الجمهور يستعتبوا بفتح التحتية وكسر التاء الفوقية الثانية مبنيا للفاعل. وقرءوا من المعتبين بفتح الفوقية اسم مفعول، وقرأ الحسن، وعبيد بن عمير، وأبو العالية يستعتبوا مبنيا للمفعول فما هم من المعتبين اسم فاعل: أي إنهم إن أقالهم الله، وردهم إلى الدنيا لم يعملوا بطاعته كما في قوله سبحانه: ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه «١» .

وقد أخرج الطبراني عن ابن عباس في قوله: فهم يوزعون قال: يحبس أولهم على آخرهم. وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه في الآية قال: يدفعون. وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن مسعود قال: كنت مستترا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر: قرشي وثقفيان، أو ثقفي وقرشيان، كثير لحم بطونهم قليل فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمعه، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخران:

إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإنا إذا لم نرفعه لم يسمعه، فقال الآخران: إن سمع منه شيئا سمعه كله قال:

فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم إلى قوله: من الخاسرين. وأخرج عبد الرزاق، وأحمد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في البعث عن معاوية بن حيدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تحشرون هاهنا، وأومأ بيده إلى الشام، مشاة وركبانا، وعلى وجوهكم، وتعرضون على الله وعلى أفواهكم الفدام، وأول ما يعرب عن أحدكم فخذه وكتفه» ، وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم. وأخرج أحمد، وأبو داود الطيالسي، وعبد بن حميد، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، وابن مردويه عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** تعالى، فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله» ، فقال الله: وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين.

[سورة فصلت (٤١) : الآيات ٢٥ الى ٣٦]

وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥٤٢/٤

كانوا خاسرين (٢٥) وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (٢٦) فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون (٢٧) ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون (٢٨) وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين (٢٩)

إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون (٣١) نزلا من غفور رحيم (٣٢) ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين (٣٣) ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤)

وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم (٣٥) وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم (٣٦)

---

(١) . الأنعام: ٢٨.." (١)

"لا ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي: عائشة: ٣/ ٥٨٢ لا والله لا يعذب الله حبيبه: الحسن: ٢/ ٣٠ لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها: جابر: ٣/ ٤٠٩ لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين: عطية السعدي: ١/ ٤٠ لا يتلوكن عبد دبر كل صلاة مكتوبة: أبو أيوب: ١/ ٣٧٥ لا يتوارث أهل ملتان: أسامة: ٢/ ٣٧٧ لا يجمع الله بين هذه الأمة على الضلالة أبدا: ابن عمر: ١/ ٥٩٥ لا يحجن بعد العام مشرك:: ٢/ ٨ لا يحق العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله: عمرو بن الجموح: ٢/ ٥٢١ لا يحرم الحرام الحلال:: ٤/ ٥١٤ لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت:: ١/ ٢٨٦ لا يخرج رجلان يضربان الغائط:: ١/ ٥٧٨ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر: ابن مسعود: ٣/ ١٩٠ لا يدخل مسجدنا هذا بعد عامنا هذا مشرك: جابر: ٢/ ٤٠١ لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية: أم بشر: ٣/ ٤٠٩ لا يدخل النار إلا شقي: أبو هريرة: ٥/ ٥٥٤ لا يدخلن علينا قصبة المدينة إلا مؤمن:: ١/ ١٢١ لا يزال الناس يسألون عن كل شيء: ابن عمر: ٥/ ٢٠٠ لا يزال الناس يسألون عن كل شيء: أبو سعيد: ٥/ ٢٠٠ لا يصيب عبدا نكبة فما فوقها: أبو موسى: ٤/ ٦٢١ لا يقل أحدكم أنا خير من يونس بن متى:: ١/ ٣٠٨ لا يقولن أحدكم زرعت:: ٥/ ١٩١ لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي:: ١/ ٥١٩ لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه: ابن عمر: ٥/ ٢٢٦ لا يمس القرآن إلا طاهر: ابن عمر: ٥/ ١٩٦ لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار:: ٣/ ٤١٠ لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**: جابر: ٤/ ٥٨٨ لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى: ابن عباس: ٣/ ٥٠٢ لا ينفع حذر من قدر: معاذ: ٤/ ٥٧٢." (٢)

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٤/٥٨٨

(٢) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٦/٥٩

"وعن ابي ايوب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لولا إنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون يغفر لهم أخرجه مسلم

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه رواه مسلم

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفر الله لهم رواه مسلم

وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كتفه فيقرره بذنوبه فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول رب أعرف قال فانى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته أخرجه الشيخان

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء يوم القيامة نا من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفر الله لهم رواه مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بي وأنا معه حيث يذكرنى والله لله أفرح بتوبة عبده من احدكم يجد ضالته بالفلاة ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا وإذا أقبل إلى يمشى اقبلت اليه أهرول متفق عليه

وعن جابر رضى الله عنه إنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل رواه مسلم." (١)

"أصحاب الإبل التي عليها الأحمال الذين جئنا معهم وهم قوم من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وإنا لصادقون (٨٢) في أقوالنا فرجع التسعة إلى أبيهم فقالوا له: ما قال كبيرهم قال أي يعقوب: بل سولت لكم أنفسكم أمرا أي بل زينت لكم أنفسكم إخراج بنيامين عني إلى مصر طلبا للمنفعة فعاد من ذلك ضرر فصبر جميل أي فعلي صبر بلا جزع ولما رجع القوم إلى يعقوب عليه السلام وأخبروه بالواقعة بكى وقال: يا بني لا تخرجون من عندي مرة إلا ونقص بعضكم، ذهبتم مرة فنقص يوسف، ومرة ثانية نقص شمعون، ومرة ثالثة نقص روبيل وبنيامين ثم بكى وقال: عسى الله أن يأتيني بهم أي بيوسف وأخيه الشقيق وأخيه الذي توقف في مصر جميعا فلا يتخلف منهم أحد وإنما قال يعقوب هذه المقالة على سبيل **حسن الظن بالله** تعالى، لأنه إذا اشتد البلاء كان أسرع إلى الفرج، ولأنه علم بما جرى عليه وعلى بنيه من رؤيا يوسف إنه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم (٨٣) أي الذي لم يبتلني إلا لحكمة بالغة وتولى عنهم أي وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين، وخرج من بينهم كراهة لما سمع منهم. وقال يا أسفى أي يا شدة حزني على يوسف أي أشكو

---

(١) يقظة أولي الاعتبار   صديق حسن خان ص/٢٤٤

إلى الله أسفي ولم يسترجع يعقوب أي لم يقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، لأن الاسترجاع خاص بهذه الأمة وابيضت عيناه من الحزن أي ضعف بصره من كثرة البكاء، فإن الدمع يكثر عند غلبة البكاء، فتصير العين كأنها بيضاء من بياض الماء الخارج منها فهو كظيم (٨٤) أي ممسك على حزنه فلا يظهره أو ممتلئ من الحزن أو مملوء من الغيظ على أولاده. قالوا أي الجماعة الذين كانوا في الدار من أولاد أولاده وخدمه: تالله تفتؤا تذكر يوسف أي والله لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا أي فاسدا في جسمك وعقلك أو تكون من الهالكين (٨٥) أي من الأموات فكأنهم قالوا: أنت الآن في بلاء شديد، ونخاف عليك أن يحصل فيك ما هو أزيد منه وأرادوا بهذا القول منعه عن كثرة البكاء. ال

أي يعقوب لهم: نما أشكوا بثي وحزني إلى الله

أي لا أذكر الحزن العظيم ولا الحزن القليل إلا مع الله أعلم من الله ما لا تعلمون

(٨٦) أي أعلم من رحمته ما لا تعلمون وهو أنه تعالى يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب، أي إنه يعلم أن رؤيا يوسف صادقة، ويعلم أن يوسف حي لأن ملك الموت قال له:

اطلبه هاهنا وأشار إلى جهة مصر ويعلم أن بنيامين لا يسرق، وقد سمع أن الملك ما آذاه وما ضر به فغلب على ظنه أن ذلك الملك هو يوسف فمن ذلك قال: يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه أي استعلموا بعض أخبار يوسف وأخيه بنيامين فإن حالهما مجهولة ومخوفة بخلاف حال روبيل ولا تيأسوا من روح الله أي لا تقنطوا من فرج الله وفضله. وقرأ الحسن وقتادة «من روح الله» بضم الراء، أي من رحمته إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون (٨٧) لأن اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال أو غير عالم." (١)

"هذه القصة سببا لها، وامتحانا وابتلاء لرسوله صلى الله عليه وسلم ولجميع الأمة إلى يوم القيامة. ليرفع بهذه القصة أقواما ويضع بها آخرين. ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيمانا، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا. واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي شهرا في شأنها. لا يوحي إليه في ذلك بشيء ليتم حكمته التي قدرها وقضاها، ويظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيمانا وثباتا على العدل والصدق **وحسن الظن بالله** ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده. ويزداد المنافقون إفكا ونفاقا. ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبيها. وتتم نعمة الله عليهم، ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبيها، والافتقار إلى الله، والذل له، وحسن الظن به، والرجاء له. ولينقطع رجاؤها من المخلوقين، وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق. ولهذا وقت لهذا المقام حقه، لما قال لها أبوها: قومي إليه، وقد أنزل الله عليه براءتها، فقالت:

والله! لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي.

وأيضا، فكان من حكمة حبس الوحي شهرا، أن القضية نضجت وتمخضت واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف، إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها.

وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع. فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، والصديق، وأهله

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ١/٥٤٥

وأصحابه، والمؤمنون. فورد عليهم ورود الغيث على الأرض، أحوج ما كانت إليه. فوقع منهم أعظم موقع وألطفه. وسروا به أتم السرور، وحصل لهم به غاية الهناء. فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة، وأنزل الوحي على الفور بذلك، لفاتت هذه الحكم وأضعافها، بل أضعاف أضعافها.

وأيضا، فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عندهم، وكرامتهم عليه. وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه، والرد على أعدائه، وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه، بل يكون هو وحده المتولي لذلك، الثائر لرسوله وأهل بيته.

وأيضا، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو المقصود بالأذى. والتي رميت زوجته فلم يكن يليق أن يشهد ببراءتها. مع علمه، أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها، ولم يظن بها سوءا قط، وحاشاه وحاشاها. ولذلك لما استعذر من أهل الإفك،

قال: من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي؟ والله! ما علمت على أهلي إلا خيرا

. ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا. وما كان يدخل على أهلي إلا معي. فكان عنده." (١)

"من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين. ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه، وثقته به، وفى مقام الصبر والثبات **وحسن الظن بالله** حقه. حتى جاءه الوحي بما أقر عينه وسر قلبه وعظم قدره وظهر لأمته احتفال ربه به واعتناؤه بشأنه.

ولما جاء الوحي ببراءتها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن صرح بالإفك، فحدوا ثمانين ثمانين. ولم يحد الخبيث عبد الله بن أبي، مع أنه رأس الإفك. فقيل: لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة. والخبيث ليس أهلا لذلك. وقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة، فيكفيه ذلك عن الحد. وقيل: بل كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه، ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه وقيل: الحد لا يثبت إلا بالإقرار أو بينة. وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد فإنه إنما كان يذكر من أصحابه ولم يشهدوا عليه. ولم يكن يذكره بين المؤمنين. وقيل: حد القذف حق الآدمي، لا يستوفي إلا بمطالبته: وإن قيل إنه حق لله فلا بد من مطالبة المقذوف وعائشة لم تطالب به ابن أبي. وقيل: بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته.

كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مرارا. وهي تأليف قومه وعدم تنفيرهم عن الإسلام. فإنه كان مطاعا فيهم رئيسا عليهم. فلم يؤمن إثارة فتنة في حده، ولعله ترك لهذه الوجوه كلها. فجلد مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش. وهؤلاء من المؤمنين الصادقين، تطهيرا لهم وتكفيرا. وترك عدو الله ابن أبي إذا فليس هو من أهل ذاك- هذا ما أفاده الإمام ابن القيم رحمه الله في (زاد المعاد) وهو خلاصة الروايات في هذا الباب.

ثم قال رحمه الله: ومن تأمل قول الصديقة، وقد نزلت براءتها، فقال لها أبوها:

قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: والله! لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله- علم معرفتها وقوة إيمانها وتوليتها النعمة لربها. وإفراده بالحمد في ذلك المقام، وتجديدها التوحيد، وقوة جأشها وإدلالها ببراءة ساحتها، وأنها لم تفعل ما يوجب

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٧/٣٤٤

قيامها في مقام الراغب في الصلح الطالب له. ولثقتها بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها، قالت ما قالت. إدلالا للحبيب على حبيبه، ولا سيما في مثل هذا المقام الذي هو أحسن مقامات الإدلال، فوضعته موضعه. ولله! ما كان أحبها إليه حين قالت: لا أحمد إلا الله فإنه هو الذي أنزل براءتي. ولله! ذلك الثبات والرزانة منها، وهو أحب شيء إليها، ولا صبر لها عنه، وقد تنكر قلب حبيبها لها شهرا. ثم صادفت الرضاء منه والإقبال، فلم تبادر إلى القيام إليه، والسرور برضاه وقربه، مع شدة محبتها له. وهذا غاية الثبات والقوة. انتهى.." (١)

"الظانة أن فوزها في الآخرة كائن لا محالة؛ لأنها مسلمة أو يهودية أو نصرانية أو صابئة مثلا، فالله يقول: إن الفوز لا يكون بالجنسيات الدينية، وإنما يكون بإيمان صحيح له سلطان على النفس، وعمل يصلح به حال الناس؛ ولذلك نفى كون الأمر عند الله بحسب أماني المسلمين أو أماني أهل الكتاب، وأثبت كونه بالعمل الصالح مع الإيمان الصحيح.

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال: التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى، فقال اليهود للمسلمين: نحن خير منكم، ديننا قبل دينكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن على دين إبراهيم، ولن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى مثل ذلك، فقال المسلمون: كتابنا بعد كتابكم، ونبينا - صلى الله عليه وسلم - بعد نبيكم، وديننا بعد دينكم، وقد أمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم، فنحن خير منكم، نحن على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا، فأنزل الله - تعالى -: (ليس بأمانيكم) (٤: ١٢) الآية. وروي نحوه عن مسروق وقتادة. وأخرج البخاري في التاريخ من حديث أنس مرفوعا ((ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل. إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحن **نحسن الظن بالله** - تعالى - وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل)) .

والحكمة في عناية الله - تعالى - بالنعي على المغترين بالانتساب إلى الدين - أيا كان - ظاهرة، فإن هذا الغرور هو الذي صرفهم عن العمل به اكتفاء بالانتساب إليه وجعله جنسية فقط. وترك العمل لازم أو ملزوم لعدم الفقه في الدين، أي عدم فهم حكمه وأسراره، وتبع هذا في الأمم السابقة ترك النظر فيما جاء به النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -؛ لأن المغرور بما هو فيه لا ينظر فيما سواه نظرا صحيحا لا سيما إذا كان مخالفا له.

وذكر الأستاذ الإمام في تفسير هذه الآية مسألة أهل الفترة والخلاف المشهور فيها، وهو أن جمهور أهل السنة يقول: إنهم ناجون؛ لأنه لا تكليف إلا بشرع، وهؤلاء لم تبلغهم دعوة، ومن قال: إن بالعقل يدرك الواجب والمحرم والاعتقاد الصحيح والباطل، عدهم غير ناجين. وهذا رأي المعتزلة وجماعة من الحنفية، وجمهور الأشاعرة على أنه لا يمكن إدراك ذلك إلا بالشرع، ثم إن محل النظر في أهل الفترة من كان منهم كالعرب الذين كانوا يعتقدون نبوة أنبياء ولا يجدون لديهم شيئا من أحكام دينهم خالصا من الشوائب، سالما من النزعات الفاسدة. وأما مثل اليهود فلا يصح أن يسموا أهل فترة، فإنهم على نسيانهم حظا مما ذكروا به، وتحريفهم بعض ما حفظوا، قد بقي جوهر دينهم معروفا لم يغش أحكامه ما يمنع الاهتداء بها، والله - تعالى - يقول: (وعندهم التوراة فيها حكم الله) (٥: ٤٣) وكذلك المسيحيون لا يسمون أهل فترة؛ لأن عندهم في

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٧/٣٤٥

الإنجيل ووصايا الأنبياء ما عند اليهود وزيادة مما حفظوا من وصايا المسيح، وروح الدعوة موجود عندهم، ولكنهم لا يعملون بهذه الوصايا ولا يأخذون بتلك." (١)

"بطونهم، فتكلموا بكلام لم أسمعه، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع كلامنا هذا؟

فقال الآخر: إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإذا لم نرفعه لم يسمعه، فقال الآخر: إن سمع منه شيئا سمع كله، قال: فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل:

«وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم- إلى قوله: من الخاسرين» .

(وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) أي وهذا الظن الفاسد الذي قد كان منكم في الدنيا وهو أن الله لا يعلم كثيرا من قبائح أعمالكم ومساويها هو الذي أوقعكم في مواقع التلف والردى، فصرتم اليوم من الهالكين، إذ صرفتم ما منحتم من أسباب السعادة إلى الشقاء، فكفرتم نعم الخالق والرازق، وانهمكتم فى الشهوات والمعاصي.

أخرج أحمد وأبو داود والطيالسي وعبد ابن حميد ومسلم، وأبو داود وابن ماجه وابن مردويه عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** تعالى، فإن قوما قد أرادهم سوء ظنهم بالله فقال الله: «وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين» .

قال العلماء: الظن قسمان:

(١) حسن وهو أن يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والإحسان، قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل «أنا عند ظن عبدى بي» .

(٢) قبيح وهو أن يظن أن الله يعزب عن علمه بعض الأفعال.

وقال قتادة، الظن نوعان: منج ومرد.

(١) فالمنجى قوله: «إني ظننت أني ملاق حسابيه» وقوله: «الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم» .

(٢) والمردي هو قوله: «وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم» .." (٢)

"في عقبه لعلهم يرجعون﴾ .

وقوله تعالى: ﴿إن الله اصطفى لكم الدين﴾ ، أي: اختار لكم دين الإسلام، ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ ، أي: استقيموا عليه حتى تموتوا، كما قال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلا من غفور رحيم﴾ . وروى مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله»** .

قوله عز وجل: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٧٩/١

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٢٢/٢٤

إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون (١٣٣) ﴾ .

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ﴿أم كنتم شهداء﴾ أكنتم؟ ولكنه استفهم بأم، إذ كان استفهاما مستأنفا على كلام قد سبقه، كما قال: ﴿الم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه﴾ ، وكذلك تفعل العرب في كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه، تستفهم فيه بأم.

وقوله تعالى: ﴿إذ حضر يعقوب الموت﴾ قيل: نزلت في اليهود حين قالوا." (١)

"حبل الله الذي يجب أن يعتصم به المسلمون والذي يعصم من تمسك به منهم لأن فيه جماع أسباب سعادة الإنسان في دنياه وآخرته.

٣- وفي صدد جملة ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون أورد ابن كثير حديثا رواه الإمام أحمد عن جابر قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل» . وهناك صيغ أخرى أوردها ابن كثير في الحث على إحسان الظن بالله وكون الله عند ظن عبده به»

. وليس في الأحاديث ما يفيد أنها تأويل للجملة القرآنية التي يتبادر لنا أنها أوسع شمولا مما تضمنته الأحاديث حيث توجب على المسلمين أن يظلوا مسلمين أنفسهم إلى الله عز وجل مخلصين له وحده في كل حال حتى الموت. والله أعلم.

٤- ويروي الطبري عن أهل التأويل أن المقصود من جملة ولا تفرقوا هو نهي المسلمين عن الفرقة والاختلاف فيما بينهم والحث على الإلفة والجماعة وهو الوجيه السديد. وقد أورد في سياقها حديثا عن أنس عن رسول الله جاء فيه: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة فقيل يا رسول الله ما هي؟ فقبض يده وقال الجماعة.

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» . وقد روى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة هذه الصيغة: «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة» «٢» . وقد يصح أن يساق في هذا المقام حديث رواه الخمسة عن عبد الله جاء فيه: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة» . حيث ينطوي فيه بيان عظم جريمة الافتراق عن الجماعة. وهناك أحاديث صحيحة أخرى يصح أن تساق في هذا

---

(١) منها حديث رواه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي» ، التاج ج ٥ ص ٦٥.

(٢) التاج، ج ١ ص ٣٩ و ٤٠.." (٢)

---

(١) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ٢٠٤/١

(٢) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٢٠٢/٧

"وقطع الطرف يتحدد بمعرفة ما هو طرف لماذا؟ فإن كان الطرف هو العدد الكثير فقطع الطرف أن يقتل بعضه. وإن كان الطرف هو أرضا واسعة فقطع الطرف أن يأخذ من أرضهم. ولذلك يقول الحق سبحانه: ﴿أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾ [الرعد: ٤١]

لقد كانت الأرض الكفرية تخسر كل يوم جزءا منها لينضم هذا الجزء إلى الأرض الإيمانية، هذا بالنسبة لسعة الأرض، وافرض أن الطرف هو المال، فقطع الطرف هنا يكون بأن نأخذ بعض المال كغنائم، ثم هناك المنزلة التي كانت تهابها الجزيرة كلها، كل الجزيرة تهاب قريشا، وقوافلها التجارية للشمال والجنوب لا تستطيع قبيلة أن تتعرض لها؛ لأن كل القبائل تعرف أنها ستذهب إلى البيت في موسم الحج، فلا توجد قبيلة تتعرض لها لأنها غدا ستذهب إلى قريش، إذن فالسيادة والعظمة كانت لقريش، وساعة تعلم القبائل أن رجال قريش قد كسروا وانهزموا، وأن رحلتهم إلى الشام أصبحت مهددة، فإنهم يبحثون عن فريق آخر يذهبون إليه.

إن قطع الطرف كان على أشكال متعددة، فإن كان طرف عدد فيقتل بعضهم، وإن كان طرف أرض فبعضها يؤخذ وتذهب إلى أرض إيمانية، وإن كانت عظمة وقهرا تأتهم الهزيمة، وإن كان نفوذا في الجزيرة فهو يتزلزل ﴿ليقطع طرفا من الذين كفروا﴾ .

ولنلحظ أن الحق قد قال: ﴿ليقطع طرفا﴾ – لم يقل ليستأصل – لأن الله سبحانه وتعالى أبقى على بعض الكفار لأن له في الإيمان دورا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتلئا بالعطف والرحمة والحنان على أمته، وكان **يحسن الظن بالله** أن يهديهم، ولذلك تعددت آيات القرآن التي تتحدث في هذا الأمر. ها هو ذا الحق يقول: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ [الكهف: ٦]." (١)

"وكذلك الانتساب إلى الدين، ليست المسألة أن يمتثل الإنسان وينتسب إلى الدين شكلا، فالرسول صلى الله عليه وسلم جاء ليحكم بين الناس جميعا، ولا يمكن لواحد أن ينتسب شكلا إلى الإسلام ليأخذ المميزات ويتميز بها عن بقية خلق الله من الديانات الأخرى، لا؛ فالإنسان محكوم بما يدين به.

والمسلم أول محكوم بما دان به.

كذلك قال الحق: ﴿ليس بأمانيكم﴾ والخطاب هنا لمن؟ . إن كان الخطاب للمؤمنين فالحق يوضح لهم: يا أيها المؤمنون ليست المسألة مسألة أماني، ولكنها مسألة عمل؛ لأن انتسابكم للإسلام لا يعفيكم من العمل؛ فكم من أناس يعبرون الدنيا وتنقضي حياتهم فيها ولا يصنعون حسنة، فإذا قيل لهم: ولماذا تعيشون الحياة بلا عمل؟ يقولون: أحسنا الظن بالله. ونسمع الحسن البصري يقول لهؤلاء: ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا: **نحسن الظن بالله** وكذبوا، لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل به.

وسبحانه يقول لهؤلاء: ﴿ليس بأمانيكم﴾ . أما إن كان الخطاب موجها لغير المؤمنين؛ فالحق لم يمنع عطاء الدنيا لمن أخذ بالأسباب حتى ولو لم يؤمن. أما جزاء الآخرة فهو وعد منه سبحانه للمؤمنين الذين عملوا صالحا، وهو الوعد الحق بالجنة،

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٣/١٧٣٧

هذا الوعد الحق ليس بالأماني بل إن الوصول إلى هذا الوعد يكون بالعمل.
إذن فقد يصح أن يكون الخطاب ب ﴿ليس بأمانيكم﴾ شاملا أيضا الكفار والمنافقين وأهل الكتاب. وكان للكفار بعض من الأماني كقول المنكر للبعث: ﴿ومآ أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ [الكهف: ٣٦] هذه هي أماني الكفار. ولن يتحقق هذا الوعد بالجنة لأهل الكتاب، فقد قال الحق عن أمانيهم: ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾ [البقرة: ١١١]." (١)

"الجواب أن القائم بالأعمال الصالحة قد يحصل منه شيء من التفريط، والتقصير؛ ولذلك شرع للمصلي أن يستغفر الله ثلاثا بعد السلام؛ وأما ذكر «الرحيم» فواضح مناسبته؛ لأن كل هذه الأعمال التي عملوها من آثار رحمته؛ وسبق الكلام على هذين الاسمين الكريمين.

الفوائد:

١ - من فوائد الآية: فضيلة الإيمان، والهجرة؛ لقوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا﴾ الآية.

٢ - ومنها: أن الجهاد دون مرتبة الهجرة؛ لأنه جعل الجهاد معطوفا على الهجرة؛ ولم يجعل له اسما موصولا مستقلا.
٣ - ومنها: مراعاة الإخلاص في الهجرة، والجهاد؛ لقوله تعالى: ﴿في سبيل الله﴾ ؛ وأما بدون الإخلاص فهجرته إلى ما هاجر إليه؛ واعلم أنه يقال: في كذا؛ ولكذا؛ وبكذا؛ تقول مثلا: جاهدت لله؛ وجاهدت بالله؛ وجاهدت في الله؛ ف «لله» : اللام لبيان القصد؛ فتدل على الإخلاص؛ و «بالله» : الباء للاستعانة؛ فتدل على أنك جاهدت مستعينا بالله؛ و «في الله» : «في» للظرفية؛ فتدل على أن ذلك الجهاد على وفق شرع الله - لم يتعد فيه الحدود -.

٤ - ومن فوائد الآية: أنه لا ينبغي للإنسان أن يكون جازما بقبول عمله؛ بل يكون راجيا؛ ولكنه يرجو رجاء يصل به إلى حسن الظن بالله عز وجل؛ لقوله تعالى: ﴿أولئك يرجون رحمة الله﴾ ؛ لأنهم لا يغترون بأعمالهم؛ ولا يدلون بها على الله؛ وإنما يفعلونها وهم راجون رحمة الله.." (٢)

"٩ - ومنها: أنه ينبغي للمنفق أن يتفاءل بما وعد الله؛ لقوله تعالى: ﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ ؛ فإذا أنفق الإنسان وهو يحسن الظن بالله عز وجل أن الله يغفر له الذنوب، ويزيده من فضله كان هذا من خير ما تنطوي عليه السريرة.

١٠ - ومنها: إثبات اسمين من أسماء الله؛ وهما: ﴿واسع﴾ ، و ﴿عليم﴾ ؛ وما تضمناه من صفة؛ ويستفاد من الاسمين،

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٢٦٦١/٥

(٢) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ابن عثيمين ٦٥/٣

والصفتين إثبات صفة ثالثة باجتماعهما؛ لأن الاسم من أسماء الله إذا قرن بغيره تضمن معنى زائدا على ما إذا كان منفردا مثل قوله تعالى: ﴿فإن الله كان عفوا قديرا﴾ [النساء: ١٤٩] ؛ فالجمع بين العفو والقدرة لها ميزة: أن عفوه غير مشوب بعجز إطلاقا؛ لأن بعض الناس قد يعفو لعجز؛ فقوله تعالى: ﴿واسع عليم﴾ : فالصفة الثالثة التي تحصل باجتماعهما: أن علمه واسع.

وكل صفاته واسعة؛ وهذا مأخوذ من اسمه «الواسع» ؛ فعلمه، وسمعه، وبصره، وقدرته، وكل صفاته واسعة.

القرآن

) يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب) (البقرة: ٢٦٩)

التفسير:

﴿٢٦٩﴾ قوله تعالى: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ ؛ ﴿يؤتي﴾." (١)

"علينا أداء الصلاة وإيتاء الزكاة والقيام بإصلاح الأهل وإصلاح المجتمعات يجب علينا أن نتوب إلى الله من جميع الذنوب وأن نحسن الظن بالله عندما نتوب فإن الله سبحانه يقول: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر: ٥٣] فارفعوا أيديكم واتجهوا بقلوبكم إلى ربكم داعين مؤملين منه الفرج وإزالة الشدة اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرارا اللهم وفقنا للتوبة النصوح التي تمحو بها ما سلف من ذنوبنا وتصلح بها أحوالنا وقلوبنا اللهم تب علينا إنك أنت التواب الرحيم واكشف الضر عن المستضرين وأسبغ النعم على المؤمنين.

اللهم اسقنا الغيث والرحمة ولا تجعلنا من القانطين اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا غدقا واسعا شاملا لجميع أراضي المسلمين اللهم أغثنا غيثا مباركا تحيي به البلاد وترحم به العباد وتجعله بلاغا للحاضر والباد.

اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع وأنزل علينا من بركات السماء وأخرج لنا من بركات الأرض اللهم وسع أرزاقنا ويسر أقواتنا واجعل ما رزقتنا قوة لنا على طاعتك ومتاعا إلى حين اللهم إنا عبيدك مضطرون إلى رحمتك خائفون من عذابك فارحمنا برحمتك ونجنا من عذابك ولا تؤاخذنا بما فعلنا فإنك أهل العفو والإحسان اللهم تقبل منا دعواتنا بمنك وكرمك وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد.

عباد الله: اقتدوا بنبيكم محمد -صلى الله عليه وسلم- في قلب العباء فإن ذلك سنة وفيه تفاؤل بقلب الأحوال إلى حال

---

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ابن عثيمين ٣٥٠/٣

أخرى وعنوان على التزامكم بقلب اللباس الباطن إلى لباس آخر ولباس التقوى ذلك خير.
ثم يستقبل القبلة فيقلب رداءه ويدعو ثم يتجه ويعظ الناس قليلا وينصرف.." (١)
"نزعها، وعجزهم عن الكلام، عند تسلل الروح من الجسد.
وتأمل صورهم بعد خروج الروح ما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسراتها ويمنع الجفون من النوم ويمنع الأبدان من الراحة، ويبعث على الجد والاجتهاد في العمل للآخرة.
فروي أن الحسن البصري دخل على مريض يعوده فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم.
فقالوا له الطعام فلم يأكل: وقال: فو الله لقد رأيت مصرعا لا أزال أعمل له حتى اللقاء.
الرابع: مما يلين القلوب القاسية زيارة القبور.
فإنها تبلغ من القلوب ما لا يبلغه الأول والثاني والثالث لأنها تذكر بالآخرة.

ولم أرى كالموات أفجع منظرا ... ولا واعظي جلاسهم كالمقابر

آخر:

وعظتك أجداث وهن صموت ... وأصحابها تحت التراب خفوت

الخامس: زيارة المستشفيات والمستوصفات فإنها تلين القلوب وتحث الإنسان على حمد الله وشكره، وعلى الجد والاجتهاد فيما يعود نفعه على الإنسان في الآخرة.
وينبغي للإنسان أن يقوي ظنه بالله ويستحضر رحمته ورأفته ولطفه بعباده ولا سيما عند الاحتضار.
قال – صلى الله عليه وسلم –: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**» . رواه مسلم." (٢)
"وأصدقاءه وزملاءه وكل من كانت بينه وبينه معاملة أو مصاحبة في سفر أو غيره أو له تعلق بشيء.
وأخرج البيهقي وابن عساكر عن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت قال لما حضرت عبادة رضي الله عنه الوفاة قال أخرجوا إلي موالي وخدمي وجيراني ومن كان يدخل علي فجمعوا له فقال إن يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي علي من الدنيا وأول ليلة من الآخرة.
وإني لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء وهو والذي نفسي بيده القصاص يوم القيامة وأحرج إلى أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتص مني من قبل أن تخرج نفسي فقالوا بل كنت والدا وكنت مؤدبا قال وما قال لخادم

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٣٠٥/٢
(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ١٣/١

سوءا قط فقال أعفوتم ما كان من ذلك؟ قالوا! نعم قال اللهم اشهد ... إلخ.

وورد أن عبد الله بن عمرو لما حضرته الوفاة قال انظروا فلانا فإني كنت قلت له في ابنتي قولا كشبه العدة فما أحب أن ألقى الله بثلث النفاق فأشهدكم أني قد زوجته.

وينبغي أن يوصي بأمور أولاده إن لم يكن جد يصلح للولاية ويوصي بما لا يتمكن من فعله في الحال من قضاء الديون ونحو ذلك وأن يكون **حسن الظن بالله** تعالى راجيا عفوه ومغفرته ورحمته وإحسانه.

ويستحضر في ذهنه أنه حقير في مخلوقات الله تعالى وأن الله تعالى غني عن عذابه وعن طاعته وأنه عبده ولا يطلب العفو والإحسان والصفح والامتنان إلا منه جل وعلا وتقدس.

ويستحب أن يكون متعاهدا نفسه بقراءة آيات من القرآن العزيز في الرجاء وكذلك أحاديث الرجاء يقرؤها أو يجعل من يقرؤها عليه وأن يكون." (١)

"ويوفقك لحضوره، وفهم ما تلفظ من ذكره.

(٨) لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن **حسن الظن بالله** وتوقعك في القنوط من رحمته فإن من عرف ربه وكرمه وجوده استصغر في جنب كرمه وعفوه ذنبه. وقال الله جل وعلا: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ [الزمر: ٥٣] .

(٩) لا صغيرة إذا قابلك عدله ولا كبيرة إذا واجهك جوده وكرمه وفضله. وبعبارة أخرى لا كبيرة مع التوبة والندم والاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار وعدم التوبة والاستغفار.

(١٠) من لم يشكر الله على ما تفضل به من النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها ووعد بالمزيد.

(١١) خف من وجود إحسان الله إليك مع وجود إساءتك معه، أن يكون ذالك استدراجا. قال تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٨٢] .

(١٢) الرجاء ما قارنه عمل، وإلا فهو أمنية إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه.

(١٣) متى أعطاك فقد أشهدك بره وإحسانه، ومتى منعك أشهدك حكمته وقهره، فهو في كل ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه عليك.

(١٤) نعمتان ما خرج موجود عنهما، ولا بد بكل مكون منهما، نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد أنعم عليك أولا بالإيجاد وثانيا بتوالي الإمداد.

(١٥) خير أوقاتك وقت تعمل فيه بطاعة الله وتشهد فيه وجود فاقتك." (٢)

"ثم قال: - صلى الله عليه وسلم - «ما أدري، وأنا رسول الله ما يفعل بي» . قالت: فوالله لا أزكي أحدا بعده. أي على جهة الجزم وأما على جهة الرجاء **وحسن الظن بالله** فجائز، قالت: وأحزنني فنمت فرأيت لعثمان عينا تجري فجئت

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ٣٠١/١

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ٣٧٣/٢

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: «ذلك عمله» .
ولما توفي عثمان هذا قبل النبي – صلى الله عليه وسلم – خده وبكى حتى سالت دموعه الكريمة على خد عثمان، وبكى القوم فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «اذهب عنها أي الدنيا أبا السائب لقد خرجت عنها ولم تلبس بشيء» .
وسماه – صلى الله عليه وسلم – السلف الصالح وهو أول من قبر بالبقيع رضي الله عنه.
فتأمل زجره – صلى الله عليه وسلم – عن الجزم بالشهادة على عثمان هذا مع كونه شهد بدرا وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) وكونه قبله وبكى ووصفه له بأعظم الأوصاف وهو أنه لم يتلبس من الدنيا بشيء وبأنه السلف الصالح، تعلم أنه ينبغي للعبد وإن عمل من الطاعات وما عمل أن يكون على حيز الخوف والخشية من الله تعالى.

شعرا: ... يا رب هيء لنا أمرنا رشدا ... واجعل معونتك العظمى لنا سندا
ولا تكلنا إلى تدبير أنفسنا ... فالعبد يعجز عن إصلاح ما فسدا
أنت العليم وقد وجهت يا أملي ... إلى رجائك وجها سائلا أبدا
وللرجاء ثواب أنت تعلمه ... فاجعل ثوابي دوام الستر لي أبد

وروى شداد بن أوس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني» .
وقال علي بن أبي طالب: وقد سلم من صلاة الفجر وقد علته كآبة وهو يقلب يده، لقد رأيت أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم –، فلم أرى شيئا يشبههم اليوم،." (١)

"والصالحين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
" فصل ": قال ابن القيم رحمه الله: القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران ومتى قطع الرأس مات الطائر متى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر.
وقيل أكمل الأحوال الاعتدال.أهـ. قال الله تعالى مخبرا عن أوليائه وأصفيائه: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ وقال تعالى: ﴿يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ .
وقيل: إن كان الغالب على القلب الأمن من مكر الله فالخوف أفضل وكذا إن كان الغالب على العبد المعصية، وإن كان الغالب عليه اليأس والقنوط فالرجاء أفضل.

---
(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٢/٣٩٣

والذي تطمئن إليه النفس سلوك الاعتدال إلا عند فراق الدنيا فيغلب جانب الرجاء.

لما ورد عن جابر رضي الله عنهما أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» . رواه مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث ذكرني» . الحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وقد رئي بعضهم بعد موته فسئل عن حاله فأنشد:

شعرا: ... نقلت إلى رمس القبور وضيقها ... وخوفي ذنوبي أنها بي تعثر." (١)

"بك لحسن فقال الله عز وجل: ردوه أنا عند حسن ظن عبدي بي» .

ولما حضرت الإمام أحمد الوفاة قال لولده عبد الله: أذكر لي أحاديث الرجاء، وأنشد بعضهم يوبخ نفسه:

شعرا: ... أراني إذا حدثت نفسي بتوبة ... تعرض لي من دون ذلك عائق

تقضت حياتي في اشتغال وغفلة ... وأعمال سوء كلها لا توافق

طردت وغيري بالصلاح مقرب ... ودون بلوغي مسلك متضايق

وكيف وزلات المسيء كثيرة ... أيقرب عبد عن مواليه آبق

إلى الله أشكو قلب سوء قد احتوى ... عليه الهوى واستأصلته العلائق

ولي حزن يزداد في كل لحظة ... ودمع جفوني للبكاء يسابق

فإن يغفر المولى الذي قد أتيته ... فذاك الرجا والظن حينا يوافق

(علامة ما يولي من الفضل إن أنا ... هجرت الدنا أو قلت إنك طالق)

(وأقبلت في تصليح أخراي مدلجا ... أحاسب نفسي كل ما ذر وشارق)

" فصل "

قال ابن القيم رحمه الله: ولا ريب أن حسن الظن بالله إنما يكون مع الإحسان فإن المحسن حسن الظن بربه أنه يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده ويقبل توبته وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات فإن المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه وهذا موجود في الشاهد فإن العبد الآبق المسيء الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به، ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبدا، فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته، وأحسن الناس ظنا بربه أطوعهم له، كما قال الحسن البصري: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل.." (٢)

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٢/٤٥٩

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٢/٤٦١

"الله ثم سألني عنها فقال: «ما فعلت أكنت فرقت الستة دنانير» . فقلت: لا والله، لقد كان شغلني وجعك، قالت: فدعا بها فوضعها في كفه، فقال: «ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده» .

فيا لله ما ظن أصحاب الكبائر والظلمة بالله إذا لقوه ومظالم العباد عندهم، فإن كان ينفعهم قولهم: حسنا ظنوننا بك إنك لم تعذب ظالما ولا فاسقا، فليصنع العبد ما شاء، وليرتكب كل ما نهاه الله عنه، وليحسن ظنه بالله، فالنار لا تمسه، فسبحان الله، ما يبلغ الغرور بالعبد، وقال إبراهيم لقومه (٣٧: ٨٦) ﴿أئفكا آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين﴾ . أي ما ظنكم به إن يفعل بكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره.

ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل علم أن **حسن الظن بالله** هو حسن العمل نفسه، فإن العبد يحمله على حسن العمل حسن الظن بربه أن يجازيه على أعماله ويثيبه عليها ويتقبلها منه، فالذي حمله على حسن العمل حسن الظن، فكلما حسن ظنه بربه حسن عمله.

وإلا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز، كما في الترمذي والمسند من حديث شداد ابن أوس عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني» .

وبالجملة فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة وأما مع انعقاد أسباب الهلاك فلا يتأتى إحسان الظن.

فإن قيل: بل يتأتى ذلك، ويكون مستند حسن الظن على سعة مغفرة الله ورحمته، وعفوه وجوده، وأن رحمته سبقت غضبه، وأنه لا تنفعه العقوبة ولا يضره العفو.." (١)

"قيل: الأمر هكذا، والله فوق ذلك وأجل وأكرم وأجود وأرحم، ولكن إنما يضع ذلك في محله اللائق به، فإنه سبحانه موصوف بالحكمة والعزة والانتقام وشدة البطش، وعقوبة من يستحق العقوبة، فلو كان معول حسن الظن على مجرد صفاته وأسمائه لاشترك في ذلك البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ووليه وعدوه.

فما ينفع المجرم أسماؤه وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه وتعرض للعنته، ووقع في محارمه وانتهك حرماته، بل حسن الظن ينفع من تاب وندم وأقلع، وبدل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة، ثم أحسن الظن بعدها فهذا هو حسن الظن، والأول غرور والله المستعان.

يفرق بين **حسن الظن بالله** وبين الغرور به قال الله تعالى (٢: ٢١٨) ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله﴾ فجعل هؤلاء أهل الرجاء، لا الباطلين والفاسقين، وقال تعالى (١٦: ١١٩) ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ فأخبر سبحانه أنه بعد هذه الأشياء غفور رحيم لمن فعلها، فالعالم يضع الرجاء مواضعه، والجاهل المغتر يضعه في غير مواضعه.

اللهم أحينا في الدنيا مؤمنين طائعين وتوفنا مسلمين تائبين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصل في نماذج من أخلاق السلف رحمهم الله)

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٢/٤٦٣

من ذلك توصية بعضهم بعضا وقبولهم لها وشكرهم للواعظ لهم، ومن وصية الإمام علي بن أبي طالب لابنه الحسن قال فيها:." (١)

"وأخرج ابن المبارك عن ابن عباس قال: إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو **حسن الظن بالله** وإذا كان حيا فخوفوه.

وعن أبي ذر قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فإن في معالجة جسد خاو موعظة بليغة» .

وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فإن الحزين في ظل الله يتعرض لكل خير

شعرا: ... إذا الله لم يفرج لك الشك لم تزل ... جنيبا كما استتلى الجنيبة قائد

آخر: ... ومجرر خطية يوم الوغى ... منسابة من خلفه كالأرقم

تتضاءل الأبطال ساعة ذكره ... وتبيت منه في إباءة ضيغم

شرس المقادة لا يزال ربيئة ... ومتى يحس بنار حرب يقدم

تقع الفريسة منه في فوهاء إن ... يطرح بها صم الحجارة يحطم

ضمان الدم لا يقوم بريه ... إلا المروق في الجسوم من الدم

جاءته من قبل المنون إشارة ... فهوى صريعا لليدين وللفم

ورمى بمحكم درعه وبرمحه ... وامتد ملقى كالبعير الأعظم

لا يستحب لصارخ إن يدعه ... أبدا ولا يرجى لخطب معظم

ذهبت بسالته ومر غرامه ... لما رأى خيل المنية ترتمي

يا ويحه من فارس ما باله ... ذهبت فروسته ولما يكلم

هذي يداه وهذه أعضاؤه ... ما منه من عضو غدا بمثلم

هيهات ما خيل الردى محتاجة ... للمشرفي ولا السنان اللهذم

هي ويحكم أمر الإله وحكمه ... والله يقضي بالقضاء المحكم

يا حسرة لو كان يقدر قدرها ... ومصيبة عظمت ولما تعظم

خبر علمنا كلنا بمكانه ... وكأننا في حالنا لم نعلم." (٢)

"ويبادر إلى أداء الحقوق إلى أهلها من رد المظالم والعواري والودائع والغصوب ويستحل أهله وزوجته ووالديه وأولاده وغلمانه وجيرانه وأصدقائه وزملاءه وكل من كانت بينه وبينه معاملة أو مصاحبة في سفر أو غيره أو له تعلق بشيء.

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٢/٤٦٤

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣/٢١٧

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن عبادة بن عبادة بن محمد بن عبادة ابن الصامت قال: لما حضرت عبادة رضي الله عنه الوفاة قال: أخرجوا إلي موالي وخدمي وجيراني ومن كان يدخل علي فجمعوا له فقال: إن يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي علي من الدنيا وأول ليلة من الآخرة.

وإني لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء وهو والذي نفسي بيده القصاص يوم القيامة وأحرج إلى أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتص مني من قبل أن تخرج نفسي فقالوا: بل كنت والدا وكنت مؤدبا. قال: وما قال لخادم سواء قط فقال: أعفوتم ما كان من ذلك. قالوا: نعم. قال: اللهم أشهد ... الخ.

وورد أن عبد الله بن عمرو لما حضرته الوفاة قال: انظروا فلانا فإني كنت قلت له في ابنتي قولا كشبه العدة فما أحب أن ألقى الله بثلث النفاق فأشهدكم أني قد زوجته.

وينبغي أن يوصي بأمور أولاده إن لم يكن جد يصلح للولاية ويوصي بما لا يتمكن من فعله في الحال من قضاء الديون ونحو ذلك وأن يكون حسن الظن بالله تعالى راجيا عفوه ومغفرته ورحمته وإحسانه.

ويستحضر في ذهنه أنه حقير في مخلوقات الله تعالى وأن الله تعالى غني عن عذابه وعن طاعته وأنه عبده ولا يطلب العفو والإحسان والصفح والامتنان إلا منه جل وعلا وتقدس ويحث أولاده على الدعاء له والصدقة عنه.

شعرا: ... وإذا رأيت بنيك فاعلم أنهم ... قطعوا إليك مسافة الآجال

وصل البنون إلى محل أبيهم ... وتجهز الآباء للترحال." (١)

"وهذا حال من عشيت بصيرته وضعفت معرفته بمراتب العلوم والأعمال والله المستعان. وبالله التوفيق لا إله غيره ولا رب سواه.

وأما الهجرة إلى الرسول ؟ فعلم لم يبق منه سوى اسمه ومنهج لم تترك بنيات الطريق سوى رسمه، ومحجة سفت عليها السوافي فطمست رسومها وغارت عليها الأعادي فغورت مناهلها وعيونها.

فسالكها غريب بين العباد فريد بين كل حي وناد. بعيد على قرب المكان وحيد على كثرة الجيران.

مستوحش مما به يستأنسون، مستأنس مما به يستوحشون مقيم إذا ظعنوا، ظاعن إذا قطنوا، منفرد في طريق طلبه لا يقر قراره، حتى يظفر بإربه. فهو الكائن معهم بجسده البائن منهم بمقصده، نامت في طلب الهدى أعينهم، وما ليل مطيته بنائم، وقعدوا عن الهجرة النبوية، وهو في طلبها مشمر قائم.

يعيبونه بمخالفة أرائهم ويزرون عليه إزراء على جهالاتهم واهوائهم، قد رجموا فيه الظنون وأحدقوا فيه العيون، وتربصوا به ريب المنون ﴿فتربصوا إنا معكم متربصون﴾ ﴿قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾

وقال رحمه الله الطلب لقاح الإيمان، فإذا اجتمع الإيمان والطلب أثمر العمل الصالح.

وحسن الظن بالله لقاح الافتقار والاضطرار إليه فإذا اجتمعا أثمرا إجابة الدعاء.

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٣/٢٧١

والخشية لقاح المحبة فإذا اجتمعا أثمرا امتثال الأوامر، واجتناب النواهي.

والصبر لقاح اليقين، فإذا اجتمعا أورثا الإمامة في الدين قال تعالى." (١)

"[الوصية الشرعية لكل مسلم]

الوصية الشرعية لكل مسلم قال صلى الله عليه وسلم: «ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يريد أن يوصي فيه، إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه» .

قال ابن عمر: ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله قال ذلك، إلا وعندي وصيتي " رواه الشيخان ".

١ - أوصي بمبلغ () تنفق على الأقارب والجيران الفقراء والكتب الإسلامية، (لا تزيد على الثلث، ولا تكون لوارث) .

٢ - أن يحضرني في أثناء مرض الموت بعض الصالحين، ليذكروني **بحسن الظن بالله**.

٣ - تلقيني كلمة التوحيد قبل الموت لا بعده، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» رواه مسلم «ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» .

" حسن رواه الحاكم ".

٤ - أن يدعو لي الحاضرون بعد الموت: اللهم اغفر له، وارفع درجته وارحمه. . وهكذا.." (٢)

"قال صاحب الانتصاف: وإنما لجأ الزمخشري إلى تقدير تركوا بقوله شارفوا أن يتركوا لأن جوابه قوله خافوا عليهم والخوف عليهم إنما يكون قبل تركهم إياهم. وذلك في دار الدنيا. فقد دل على أن المراد بالترك الإشراف عليه ضرورة، وإلا لزم وقوع الجواب قبل الشرط وهو باطل. ونظيره فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف أى. شارفن بلوغ الأجل.

ثم قال: ولهذا المجاز في التعبير عن المشارفة على الترك بالترك سر بديع. وهو التخويف بالحالة التي لا يبقى معها مطمع في الحياة، ولا في الذب عن الذرية الضعاف. وهي الحالة التي وإن كانت من الدنيا، إلا أنها لقربها من الآخرة، ولصوقها بالمفارقة، صارت من حيزها، ومعبرا عنها بما يعبر به عن الحالة الكائنة بعد المفارقة من الترك «١» .

وقوله ضعافا صفة لذرية. وفي وصف الذرية بذلك بعث على الترحم وحض على امتثال ما أمر الله به.

والفاء في قوله فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا لترتيب ما بعدها على ما قبلها. فقد رتب الأمر بالتقوى على الأمر بالخشية وإن كانا أمرين متقاربين لأن الأمر الأول لما عضد بالحجة- وهي الخوف على ذريتهم- اعتبر كالحاصل فصح التفريع عليه.

والمعنى: فليتقوا الله في كل شأن من شئونهم وفي أموال اليتامى فلا يعتدوا عليها. وليقولوا لغيرهم قولا عادلا قويما مصيبا للحق وبعيدا عن الباطل.

قال الآلوسى وقوله وليقولوا أى لليتامى أو للمريض أو لحاضري القسمة، أو ليقولوا في الوصية قولا سديدا فيقول الوصي لليتيم ما يقول لولده من القول الجميل الهادي له إلى حسن الآداب ومحاسن الأفعال. ويقول عائد المريض للمريض: ما

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٦٣/٤

(٢) توجيهات إسلامية لمحمد بن جميل زينو محمد جميل زينو ص/١٣٣

يذكره بالتوبة وحسن الظن بالله، وما يصده عن الإسراف في الوصية وتضييع الورثة. ويقول الوارث لحاضر القسمة: ما يزيل وحشته أو يزيد مسرته. ويقول الموصى في إيصائه: ما لا يؤدى إلى تجاوز الثلث.

ثم قال، والسديد: المصيب العدل الموافق للشرع. يقال: سد قوله يسد- بالكسر- إذا صار سديدا والسداد- بالفتح- الاستقامة والصواب. وأما السداد- بالكسر- فهو ما يسد به الشيء» «٢» .

قال بعض العلماء: وفي الآية الكريمة ما يبعث الناس كلهم على أن يغضبوا للحق من

(١) هامش تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٧٨.

(٢) تفسير الآلوسى ج ٤ ص ٢١٤. - بتصرف وتلخيص-.." (١)

"خوف الله تعالى عباده ورجاهم، وأرهبهم ورغبهم في قوله سبحانه: اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم (٩٨) . وهذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه حال الناس، فجدير بالإنسان أن يكون خائفا، عاملا بحسب الخوف، متقيا متأنسا بحسب الرجاء لأن الله لم يخلقنا عبثا، ولم يتركنا هملا، بل لا بد من جزاء العاصي، وإثابة الطائع، والله سبحانه شديد العقاب لمن خالف أوامره، فأشرك بالله وفسق وعصى ربه، وهو تعالى غفار رحيم (كثير المغفرة والرحمة) لمن أطاعه، ونفذ أوامره، واجتنب نواهيه، يرحم التائبين المصلحين أعمالهم من وقت قريب قبل أن يدركهم الموت، وهذه الآية تقتضي أن الإيمان لا يتم إلا بالرجاء والخوف. وأن الاعتدال هو بخشية العذاب، وحسن الظن بالله تعالى معا. وفي تقديم العقاب على المغفرة دليل على أن جانب الرحمة أغلب لأن رحمته تعالى سبقت غضبه كما صح في الحديث النبوي، وكما قال تعالى: ويعفوا عن كثير [المائدة: ٥/ ١٥] .

وليس من وظيفة الرسول حمل الناس على الهداية والتوفيق للإيمان، وإنما عليه التبليغ وأداء الرسالة، ثم يتولى الله إثابة المطيع، ومعاقبة العاصي، لأنه سبحانه يعلم ما ينطوي عليه صدر العبد، ويعلم ما تبدون وما تكتمون، ويعلم السر وأخفى، وإلى الله المرجع والمآب.

ثم أمر الله نبيه بأن يعلم الناس: أنه لا يستوي الخبيث والطيب، والكافر والمؤمن، والضار والنافع، والفاسد والصالح، والظالم والعادل، والحرام والحلال، ولو أعجبك أيها المشاهد كثرة الخبيث من الناس أو كثرة المفسدين أو الأموال الحرام عند شخص ما كالربا والرشوة والخيانة، أو ولو تعجبت من قلة الطيب من الصالحين الأبرار. قال تعالى: أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار (٢٨) [ص: ٣٨/ ٢٨] .." (٢)

"وخفيت الأدلة الدفاعية المقنعة، ولم يجدوا معتصما غير السكوت، لما اعتراهم من الاندهاش والذهول. وجاء الفعل: فعميت عليهم الأنباء بصيغة الماضي، لتحقق وقوعه، وأنه تعين، والماضي من الأفعال متيقن، فيعبر به عن المستقبل المتيقن، لتأكيد وقوعه وتقوية صحته. والمعنى: أظلمت جهات الأمور عليهم. ولم يبق لديهم أمل في مساءلة بعضهم بعضا لحل

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣/٥٧

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ١/٤٠٥

المشكلات، لأنهم قد أيقنوا أنهم جميعا، لا حيلة لهم ولا مكانة، ولا أمل في النجاة.

ثم استثنى الله تعالى من هؤلاء المشركين الآيسين من رحمة الله أولئك الذين تابوا من كفرهم، وآمنوا بالله ورسله، وعملوا بتقوى الله، فهؤلاء يرجى لهم من الله الفوز والنجاة، والظفر بالنعيم الدائم. إن الذين تابوا من الشرك، وصدقوا بالله، وأقروا بوحدانيته، وأخلصوا العمل لله، وأدوا الفرائض وغيرها، وآمنوا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، هم الفائزون برضوان الله ونعيمه الجنان. والتعبير بكلمة (عسى) المفيدة للرجاء، دون القطع واليقين بحسب اللغة، يراد بها هنا التأكد والتيقن، لأن (عسى) من الله واجبة التحقق، كما قال كثير من العلماء.

وهذا مستفاد من **حسن الظن بالله** تعالى، المبني على فضله وكرمه، خلافا لما عليه حال البشر، فإن قولهم مثلا: «عسى» و «لعل» مجرد ترج وتوقع لا يدل على التأكد والتحقق.

صفات الجلال والجمال والكمال

الجلال التام، والجمال المطلق، والكمال النهائي، والإرادة الشاملة، والسلطان النافذ: إنما هو كله لله وحده، لا لأحد سواه، فهو خالق الأكوان والعباد، وبيده الأمر في البدء والختام، وله الحكم والقضاء النافذ في الدنيا والآخرة، فأين موقف." (١)

"المفردات اللغوية:

لا يسخر لا يهزأ ولا يحتقر ولا يعيب، والسخرية والسخرى: الازدراء والاحتقار، ويقال: سخر به وسخر منه. وقد تكون السخرية: بمحاكاة القول أو الفعل أو الإشارة. قوم هم الرجال دون النساء، فالقوم مختص بالرجال، لأنهم قوامون على النساء. ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يعب بعضكم بعضا، ولا تعيبوا، فتعابوا، واللمز: الطعن والتنبيه إلى المعايب بقول أو إشارة باليد أو العين أو نحوهما.

ولا تنابزوا بالألقاب أي لا تتداعوا بالمكروه من الألقاب، فإن النبز مختص بلقب السوء عرفا، ومنه: يا فاسق، ويا كافر. بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي ساء الاسم والصيت، وهو المذكور من السخرية واللمز والتنابز، بأن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الإيمان واشتهارهم به، والمراد تهجين نسبة الكفر والفسق إلى المؤمنين، مأخوذ من قولهم: طار اسمه في الآفاق أي ذكره وشهرته. ومن لم يتب من ذلك المنهي عنه. فأولئك هم الظالمون فهم لا غيرهم ظلمة، بوضع العصيان موضع الطاعة، وتعريض النفس للعذاب.

اجتنبوا تباعدوا وكونوا بمنأى عنه أو على جانب منه. كثيرا من الظن الظن حد وسط بين العلم (اليقين) والشك أو الوهم، وهو ما يطرأ للنفس بسبب شبهة أو أمارة قوية أو ضعيفة. وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل من أي نوع، فبعض الظن واجب الاتباع كالاجتهاد في الأحكام العملية **وحسن الظن بالله**، وبعضه حرام كالظن في الإلهيات والنبوات، أو عند مصادمة الدليل القاطع، وظن السوء بالمؤمنين، وبعضه مباح كالظن في الأمور المعاشية.

إن بعض الظن إثم أي ذنب مؤثم موجب العقوبة عليه، وهو كثير كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين، وهو تعليل مستأنف للأمر بالاجتناب. ولا تجسسوا التجسس: البحث عن العورات والمعايب وكشف ما ستره الناس. ولا يغتب الغيبة: ذكرك

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٣/١٩٣٣

أخاك بما يكره في غيبته، وإن كان العيب فيه. أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ أي لا يحسن به، وهو تمثيل لما يناله المغتاب من عرض غيره على أفحش وجه، مع مبالغات الاستفهام المقرر، وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم، وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة، وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان، وجعل المأكول أخا وميتا، وتعقيب ذلك بقوله: فكرهتموه أي تقريرا وتحقيقا لذلك، أي فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته، وقد عرض عليكم أكل لحوم البشر فكرهتموه، فاكرهوا الغيبة التي هي مثل الأكل المذكور. واتقوا الله عقاب الله في الاغتياب، بأن تتوبوا منه. إن الله تواب رحيم قابل توبة التائبين بكثرة، رحيم بهم، فيجعل صاحب التوبة كمن لم يذنب.." (١)

"والصديق، وعمر بالفاروق، وحمزة بأسد الله، وخالد بسيف الله، وقل من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب، ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها- من العرب والعجم- تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير» .

٢- كذلك حرم الله سبحانه بدلالة النهي أيضا في الآية الثانية ثلاثة أشياء:

هي سوء الظن بأهل الخير والصلاح والإيمان، والتجسس، والغيبة.

والظن أنواع «١» :

الأول- ظن واجب أو مأمور به: **كحسن الظن بالله** تعالى وبالمؤمنين، كما

جاء في الحديث القدسي فيما رواه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة: «أنا عند ظن عبدي بي»

وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن جابر: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله»**

وقال أيضا فيما رواه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة: «حسن الظن من حسن العبادة»

ومثل قبول شهادة العدول، وتحري القبلة، وتقويم المستهلكات وأروش الجنايات غير المقدرة شرعا.

الثاني- ظن محظور أو حرام: كسوء الظن بالله، وبأهل الصلاح، وبالمسلمين مستوري الحال، ظاهري العدالة،

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه، وأن يظن به ظن السوء» ذكره القرطبي والألوسي

،

وقال أيضا عن عائشة مرفوعا: «من أساء بأخيه الظن فقد أساء الظن بربه، إن الله تعالى يقول: اجتنبوا كثيرا من الظن» .

روى أبو داود عن صفية قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفا. فأتيته أزوره ليلا، فحدثته وقمت، فانقلبت فقام معي ليقلبني «٢» ، وكان مسكنها في دار

---

(١) انظر وقارن وراجع عمدة القاري شرح البخاري للعيني: ٢٢/ ١٣٧، الطباعة المنيرية، ١٨/ ١٧٩ ط البابي الحلبي.

(٢) أي فانصرفت فقام معي ليصرفني.." (٢)

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٦/٢٤٧

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٦/٢٦٢

"٣- على المؤمنين تهوين المصائب على أنفسهم، والاشتغال بطاعة الله تعالى، والعمل بكتابه، وإطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في العمل بسنته، فإن تولوا عن الطاعة، فليس على الرسول صلى الله عليه وسلم إلا التبليغ.
٤- على الناس قاطبة توحيد الله وعبادته وحده، فلا إله إلا هو، ولا معبود سواه، ولا خالق غيره، وعليهم التوكل على الله، **وحسن الظن بالله**، والاعتماد عليه بعد تعاطي الأسباب، والقيام بما يقتضيه الواجب من السعي والعمل في الحياة.

التحذير من فتنة الأزواج والأولاد والأموال والأمر بالتقوى والإنفاق

[سورة التغابن (٦٤) : الآيات ١٤ الى ١٨]
يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم (١٤) إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم (١٥) فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (١٦) إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم (١٧) عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم (١٨)

الإعراب:
وأنفقوا خيرا لأنفسكم خيرا إما منصوب ب أنفقوا ويراد به هنا المال، أو منصوب بفعل مقدر دل عليه. أنفقوا أي وآتوا خيرا، أو وصف لمصدر محذوف، أي وأنفقوا إنفاقا خيرا، أو خبر كان مقدرة، أي وأنفقوا وكان الإنفاق خيرا.." (١)

"منهم خاصة، لأنهم المنتفعون بهدي القرآن: ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين [البقرة ٢/ ٢] ، تلك آيات الكتاب الحكيم، هدى ورحمة للمحسنين [لقمان ٣١/ ٢- ٣] ، إنه بيان الأمور على نحو واضح، وكيف كان الأقدمون مع أعدائهم، وهو زاجر عن المحارم والمخالفات.
وذلك يدحض قول المشركين والمنافقين: «لو كان محمد رسولا حقا لما غلب في وقعة أحد» مما يتبين أن سنن الله حاكمة على الأنبياء والرسل وسائر الخلق، فما من قائد لا يطيعه جنوده ويخالفون أوامره، إلا كان جيشه عرضة للهزيمة.
وإذا عرف المؤمنون هذه الحقيقة فيجب عليهم ألا يضعفوا عن القتال بسبب ما جرى في أحد، وما يجري من مس السلاح، ولا يحزنوا على ما أصابهم من قتل في أحد، فالقتيل شهيد مكرم عند الله يوم القيامة، وتلك الموقعة درس وتربية وتعليم للمسلمين، لذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو خيرت بين الهزيمة والنصر يوم أحد لاخترت الهزيمة» .
وليس لكم أن تضعفوا وتحزنوا، وأنتم الأعلون، والعاقبة والنصر لكم أيها المؤمنون، بمقتضى سنة الله في جعل العاقبة للمتقين، وقتلاهم في الجنة، وقتلى الكافرين في النار. والمراد بالنهي عن الوهن والحزن: النهي عن الاستسلام، والعودة إلى التأهب

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٨/٢٥١

والاستعداد، مع صدق العزيمة، وقوة الإرادة، **وحسن الظن بالله**، والتوكل عليه والثقة بالنصر.
وكيف تضعفون بسبب الآلام والجراح والقتل، فإن كنتم قد أصابتكم جراح، وقتل منكم طائفة في أحد، فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح، بل وتعرضوا لألم أكثر في بدر، فإن هزمتم في أحد، فقد انتصرتم في بدر، والأيام دول، والحرب سجال، ويوم لكم ويوم عليكم، وذلك كله لحكمة، فنجعل للباطل دولة في يوم، وللحق دولة في أيام، والعاقبة والنصر في النهاية." (١)

"والإخلاص له، وفي ذلك كله راحة النفس، واطمئنان القلب، وصفاء الروح، وتنوير البصيرة، والظفر بعون الله ونصره، والاستجابة لنداء الفطرة، والاعتماد على مصدر الخير الحقيقي، والثقة التامة بمن بيده إنقاذ العبد ونجاته من مخاطر الدنيا ومضارها، والتخلص من أوزار المعصية في الآخرة.

ومن وسائل المغفرة المتروكة للبشر والمقيدة بالمشيئة الإلهية أيضا: الدعاء مع الإيمان والإخلاص والاستقامة **وحسن الظن بالله** تعالى، وفعل الحسنات، لقوله عز وجل: إن الحسنات يذهبن السيئات [هود ١١/ ١١٤] ، والتوبة الصادقة النصوح التي حث عليها القرآن بعد التفريط وارتكاب الذنب جهلا.

نماذج أخرى من أعمال أهل الكتاب والجزاء عليها

[سورة النساء (٤) : الآيات ٤٩ الى ٥٥]
ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا (٤٩) انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا (٥٠) ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا (٥١) أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا (٥٢) أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا (٥٣)
أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما (٥٤) فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا (٥٥)." (٢)

"فقه الحياة أو الأحكام:
دلت الآيتان على ما يأتي من الأحكام:
١- الأمر بالدعاء والتعبد به، وهو نوع من أنواع العبادة، ويفيد معرفة ذل العبودية، ومعرفة عزة الربوبية، ويكون سببا لجلب الخير ودفع الضر لأن هناك أمورا معلقة بالأسباب، والدعاء سبب.
٢- للدعاء آداب وصفات تحسن معه: وهي الخشوع والاستكانة والتضرع، وكونه سرا في النفس ليبعد عن الرياء، وأن يكون

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٤/٩٩
(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٥/١٠٧

الإنسان في حالة بين الرجاء والخوف، فيدعو خوفا من عقاب الله، وطمعا في ثوابه، قال الله تعالى:

ويدعوننا رغبا ورهبا [الأنبياء ٢١/ ٩٠] .

قال بعض أهل العلم: ينبغي أن يغلب الخوف الرجاء طوال الحياة، فإذا جاء الموت غلب الرجاء.

أخرج مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله»** .

وينبغي عدم الاعتداء في الدعاء: بالجهر الكثير والصياح، أو يدعو الإنسان أن تكون له منزلة نبي، أو يدعو في محال ونحو هذا من الشطط، أو يدعو طالبا معصية وغير ذلك، أو يدعو بما ليس في الكتاب والسنة، فيتخير ألفاظا مفقرة، وكلمات مسجعة، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء، والأولى ترك كل ذلك.

ومجمل آداب الدعاء: أن يكون على طهارة، وأن يستقبل القبلة، وتخلية القلب من الشواغل، وافتتاحه واختتامه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ورفع اليدين نحو السماء، وإشراك المؤمنين فيه، وتحري ساعات الإجابة كثلث الليل الأخير، ووقت إفطار الصائم، ويوم الجمعة، وحال السفر والظلم وغير ذلك «١» .

---

(١) روح المعاني للالوسي: ٨/ ١٤٠." (١)

"كما أمره أن يبلغهم أن عذاب الله هو العذاب الأليم، أي البالغ الغاية فى الشدة والإيلام لا يشبهه عذاب غيره ولا يدانيه، فقال جل وعلا:

٥٠ - ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم (٥٠)﴾:

وفى معنى الآيتين قوله سبحانه: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾ (١). وفى هذا المعنى يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: "إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة؛ فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة، وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة: فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة، لم ييئس من الجنة؛ ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب، لم يأمن من النار" (٢). وقد نبهت الآيتان على مقامي الرجاء والخوف، ولابد للعبد من الجمع بينهما؛ وينبغي أن يكونا سواء ما دام العبد صحيحا معافى؛ فإن المبالغة فى الرجاء تفضي به إلى تسويف الصالحات أو إهمالها؛ والمبالغة فى الخوف تفضي به إلى القنوط واليأس! وخير الأمور أوساطها.

وقيل يغلب الخوف على الرجاء فى حال صحته، فأما إذا مرض فليغلب الرجاء على الخوف حتى إذا دنت أمارات الموت فليكن رجاؤه في ربه وإحسان الظن به محضا خالصا، ولا سيما حال احتضاره؛ فإنه حينئذ قادم على رب كريم ذي فضل عظيم سبقت رحمته غضبه وعذابه، وقد روى مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل" وروى مسلم عن جابر أيضا. قال سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: "يبعث كل عبد على ما مات عليه". وروى الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه

---

(١) التفسير المنير للزحيلي   وهبة الزحيلي ٨/٢٤١

قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لما قضى الله الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتى سبقت غضبي" (٣).

---

(١) سورة الرعد من الآية: ٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، في باب الرجاء والخوف، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه".

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.." (١)

"التفسير

٢٢ – ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون﴾: أي: ما كان استتارهم واستخفاؤهم عندما كانوا يقارفون الموبقات والأعمال القبيحة خوفا من أن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم، وذلك لأنهم كانوا منكرين للبعث والقيامة، ولكن كان هذا التستر والاختفاء لأجل أنهم كانوا يظنون أن الله لا يعلم كثيرا من الأعمال التي يقدمون عليها في خفية واستتار.

وعن ابن مسعود – رضى الله عنه – قال: كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر علي: ثقفيان وقرشى، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما تقولون، فقال الرجلان: إذا سمعنا أصواتنا سمع وإلا لم يسمع، فذكرت ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فنزل ﴿وما كنتم تستترون﴾ أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

٢٣ – ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾:

هذا نص صريح في أن من ظن بالله – تعالى – أنه يخرج شيء من المعلومات عن علمه – سبحانه – فإنه يكون من الهالكين الخاسرين ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ (١).

قيل: والظن – قسمان: ظن حسن بالله – تعالى – وظن فاسد، وأما الظن الحسن فهو أن يظن به – سبحانه – الرحمة والفضل، قال – صلى الله عليه وسلم – حكاية عن الله – عز وجل –:

"أنا عند ظن عبدى بي" وقال – عليه الصلاة والسلام –: "لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**" والظن الفاسد: هو أن يظن بالله أنه يعزب ويغيب عن علمه بعض هذه الأحوال، وقال قتادة: الظن نوعان: ظن منج، وظن مرد. فالمنجى قوله:

---

(١) سورة الزمر من الآية: ١٥.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٥٥٣/٥

(٢) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٦٩٧/٨

"أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة: قوله (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) قد تقدم الله إليكم فيهم كما تسمعون، وحذركم وأنبأكم بضلالتهم، فلا تأمنوهم على دينكم ولا تنتصحوهم على أنفسكم، فإنهم الأعداء الحسدة الضلال. كيف تأتمنون قوما كفروا بكتابهم، وقتلوا رسلهم، وتحيروا في دينهم، وعجزوا عن أنفسهم؟ أولئك والله هم أهل التهمة والعداوة.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسين بن السكن، ثنا أبو زيد النحوي، أنبأ قيس ابن الربيع، عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر، عن ابن عباس قال: كانت بين الأوس والخزرج حرب في الجاهلية، فبينما هم يوما جلوس إذ ذكروا ما بينهم حتى غضبوا، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح فنزلت: (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) الآية كلها.

(التفسير- آل عمران آية (١، ١) ح٦٩، ١) . وأخرجه الطبري (التفسير ٦٣/٧ ح ٧٥٣٥) عن

أبي كريب عن الحسن بن عطية عن قيس به. وأخرجه البخاري (التاريخ الكبير ٧٦/٩) من طريق إبراهيم

ابن نصر عن الأشجعي عن سفيان الثوري عن الأغر به. والحديث بهذه المتابعات حسن (انظر تفسير ابن أبي

حاتم – الوضع المذكور أعلاه) .

قوله تعالى (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم)

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ثنا عمرو بن رافع، ثنا سليمان يعني: ابن عامر عن الربيع بن أنس في قوله: (ومن يعتصم بالله) والاعتصام هو: الثقة بالله.

وسنده حسن.

وانظر حديث النواس بن سمعان المتقدم عند الآية (٦) من سورة الفاتحة.

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)

قال مسلم: حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا يحيى بن زكرياء، عن الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر قال: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل وفاته بثلاث يقول: "لا يموتن أحدكم ألا وهو يحسن بالله الظن".

(الصحيح ٤ /٢٢٠٥ ح ٢٨٧٧- ك الجنة وصفة نعيمها، ب الأمر **بحسن الظن بالله** ...) .." (١)

"قوله تعالى (كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة)

قال البخاري: حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، أخبرنا المغيرة بن النعمان قال: سمعت سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: "يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا".

ثم قال: (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) إلى آخر الآية.

ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم. ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم.

---

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور حكمت بشير ياسين ٤٤٢/١

فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم".

(الصحيح ٨/١٣٥ ح ٤٦٢٥ – ك التفسير، ب (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ...) ، وأخرجه مسلم (الصحيح ٤/٢١٩٤ – ك الجنة، ب فناء الدنيا ...) .

قال مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد وعثمان بن أبي شيبة قالا: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: "يبعث كل عبد على ما مات عليه".

(الصحيح ٤/٢٢٠٦ ح ٢٨٧٨ – ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت) .

أخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: (كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) قال: إن الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا، كما قال جل ثناؤه: (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) – سورة التغابن:٢ – ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم، مؤمنا وكافرا.

أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد في قول الله (كما بدأكم تعودون) يحييكم بعد موتكم.." (١)

"حسن الظن بالله تعالى بالرجاء

(م) ، عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل موته بثلاثة أيام يقول: " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله – عز وجل – (١) " (٢)

---

(١) قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة، وقد سبق في الحديث الآخر قوله سبحانه وتعالى: (أنا عند ظن عبدي بي)، قال العلماء: معنى (حسن الظن بالله تعالى) أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفا راجيا، ويكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت ، غلب الرجاء ، أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له، ويؤيده حديث " يبعث كل عبد على ما مات عليه ."

قال العلماء: معناه: يبعث على الحالة التي مات عليها، ومثله الحديث " ثم بعثوا على نياتهم ". شرح النووي على مسلم – (ج ٩ / ص ٢٥٦)

(٢) (م) ٨٢ – (٢٨٧٧) ، (د) ٣١١٣." (٢)

"(م) ، وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل موته بثلاثة أيام يقول: " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله – عز وجل – (١) " (٢)

---

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور حكمت بشير ياسين ٢/٣١٠

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١/١٥٢

(١) قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة، وقد سبق في الحديث الآخر قوله سبحانه وتعالى: (أنا عند ظن عبدي بي)، قال العلماء: معنى (حسن الظن بالله تعالى) أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفا راجيا، ويكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت ، غلب الرجاء ، أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له، ويؤيده حديث " يبعث كل عبد على ما مات عليه ."

قال العلماء: معناه: يبعث على الحالة التي مات عليها، ومثله الحديث " ثم بعثوا على نياتهم ". شرح النووي على مسلم - (ج ٩ / ص ٢٥٦)

(٢) (م) ٨٢ - (٢٨٧٧) ، (د) ٣١١٣." (١)

"حسن الظن بالله في الدعاء

(ت) ، وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة " (١)

---

(١) (ت) ٣٤٧٩ ، (حم) ٦٦٥٥، (ك) ١٨١٧ ، (طس) ٥١٠٩ ، انظر صحيح الجامع: ٢٤٥، الصحيحة: ٥٩٤." (٢)

"حسن الظن بالله تعالى بالرجاء

١ - حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا يحيى بن زكرياء، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، قبل وفاته بثلاث، يقول: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن" ، (م) ٨١ - (٢٨٧٧)

- وحدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، ح وحدثنا أبو كريب، حدثنا أبو معاوية، ح وحدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عيسى بن يونس، وأبو معاوية، كلهم عن الأعمش، بهذا الإسناد مثله. ، (م) ٨١

- وحدثني أبو داود سليمان بن معبد، حدثنا أبو النعمان عارم، حدثنا مهدي بن ميمون، حدثنا واصل، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل موته بثلاثة أيام، يقول: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل" ، (م) ٨٢ - (٢٨٧٧)

- حدثنا مسدد، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٣٠٠/٢٨

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢٧٩/٣٢

صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: قال: "لا يموت أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**" ، (د) ٣١١٣ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا محمد بن طريف قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "لا يموتن أحد منكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**" ، (جة) ٤١٦٧ [قال الألباني]: صحيح

- حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن» (حم) ١٤١٢٥

- حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، ح وابن نمير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: «ألا لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن» (حم) ١٤٣٨٦

- حدثنا عبد الصمد، حدثنا مهدي، حدثنا واصل، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه» (حم) ١٤٤٨١

- حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث، «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن» (حم) ١٤٥٣٢

- حدثنا روح، حدثنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله**» (حم) ١٤٥٨٠

- حدثنا النضر بن إسماعيل القاص وهو أبوالمغيرة، حدثنا ابن أبي ليلى، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن؛ فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله» فقال الله ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم، فأصبحتم من الخاسرين﴾ [فصلت: ٢٣] (حم) ١٥١٩٧ ، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح دون قوله: " فإن قوما قد أرداهم ... " إلخ وهذا إسناد ضعيف

- أخبرنا أبو خليفة، حدثنا محمد بن كثير العبدي، أنبأنا سفيان الثوري، عن الأعمش، [عن أبي سفيان]، عن جابر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول قبل موته بثلاث: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن". (رقم طبعة با وزير: ٦٣٥) ، (حب) ٦٣٦ [قال الألباني]: صحيح - "صحيح أبي داود" (٢٨٢٦): م.

- أخبرنا الحسن بن سفيان، قال: حدثنا جعفر بن مهران السباك، قال: حدثنا فضيل بن عياض، عن سليمان، عن أبي

سفيان، قال: سمعت جابرا، يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: "من استطاع منكم أن لا يموت إلا وظنه بالله حسن، فليفعل" (رقم طبعة با وزير: ٦٣٦) ، (حب) ٦٣٧ [قال الألباني]: صحيح - انظر ما قبله.

- أخبرنا أبو يعلى، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث: "لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** جل وعلا". (رقم طبعة با وزير: ٦٣٧) ، (حب) ٦٣٨ [قال الألباني]: صحيح - انظر ما قبله.." (١)

"٤ - حدثنا هداب بن خالد الأزدي، حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي عمران، وثابت، عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله، فيلتفت أحدهم، فيقول: أي رب، إذ أخرجتني منها فلا تعدني فيها، فينجيه الله منها " ، (م) ٣٢١ - (١٩٢)

- حدثنا حسن، حدثنا حماد، عن ثابت البناني، وأبي عمران الجوني، عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يخرج من النار أربعة، يعرضون على الله، فيأمر بهم إلى النار، فيلتفت أحدهم، فيقول: أي رب، قد كنت أرجو إن أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها، فيقول: فلا تعود فيها " (حم) ١٣٣١٣

- حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا ثابت، وأبو عمران الجوني، عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يخرج أربعة من النار - قال أبو عمران: أربعة، قال ثابت: رجلان - فيعرضون على الله، ثم يؤمر بهم إلى النار، قال: فيلتفت أحدهم، فيقول: أي رب، قد كنت أرجو إذا أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها، فينجيه الله منها " (حم) ١٤٠٤١

- أخبرنا الحسن بن سفيان، قال: حدثنا هدبة بن خالد القيسي، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يخرج رجلان من النار، فيعرضان على الله، ثم يؤمر بهما إلى النار، فيلتفت أحدهما فيقول: يا رب، ما كان هذا رجائي، قال: وما كان رجاؤك؟، قال: كان رجائي إذ أخرجتني منها، أن لا تعيدني، فيرحمه الله فيدخله الجنة" (رقم طبعة با وزير: ٦٣١) ، (حب) ٦٣٢ [قال الألباني]: صحيح - "ظلال الجنة" (٨٥٣): م.

- حدثنا حسن بن موسى، حدثنا سلام يعني ابن مسكين، عن أبي ظلال، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن عبدا في جهنم لينادي ألف سنة: يا حنان، يا منان " قال: " فيقول الله لجبريل: اذهب فأتني بعبدي هذا، فينطلق جبريل، فيجد أهل النار مكبين يبكون، فيرجع إلى ربه فيخبره، فيقول: ائتني به، فإنه في مكان كذا وكذا، فيجيء به، فيوقفه على ربه، فيقول له: يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ فيقول: أي رب شر مكان، وشر مقيل؟ فيقول:

---

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ١٤٤/١

ردوا عبدي، فيقول: يا رب، ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني فيها فيقول: دعوا عبدي " (حم) ١٣٤١١ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف جدا.

- حدثنا سويد بن نصر قال: أخبرنا عبد الله قال: أخبرنا رشدين قال: حدثني ابن أنعم، عن أبي عثمان، أنه حدثه عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " إن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما، فقال الرب عز وجل: أخرجوهما، فلما أخرجا قال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: إن رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار، فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها عليه بردا وسلاما، ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه، فيقول له الرب عز وجل: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول: يا رب إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعد ما أخرجتني، فيقول له الرب: لك رجاؤك، فيدخلان جميعا الجنة برحمة الله ": "إسناد هذا الحديث ضعيف لأنه عن رشدين بن سعد، ورشدين بن سعد هو ضعيف عند أهل الحديث عن ابن أنعم وهو الأفريقي، والأفريقي ضعيف عند أهل الحديث" ، (ت) ٢٥٩٩ [قال الألباني]: ضعيف

حدثنا يعمر بن بشر، حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا رشدين بن سعد، حدثني أبو هانئ الخولاني، عن عمرو بن مالك الجنبي، أن فضالة بن عبيد، وعبادة بن الصامت، حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا كان يوم القيامة، وفرغ الله من قضاء الخلق فيبقى رجلان، فيؤمر بهما إلى النار، فيلتفت أحدهما، فيقول الجبار ردوه، فيردونه. قال له: لم التفت؟ قال: إن كنت أرجو أن تدخلني الجنة. قال: فيؤمر به إلى الجنة، فيقول لقد أعطاني الله حتى لو أني أطعمت أهل الجنة ما نقص ذلك ما عندي شيئا " قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكره يرى السرور في وجهه. (حم) ٢٢٧٩٣ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

- حدثنا يعمر بن بشر، قال: حدثنا عبد الله، أنبأنا رشدين بن سعد، قال: حدثني أبو هانئ الخولاني، عن عمرو بن مالك الجنبي، أن فضالة بن عبيد، وعبادة بن الصامت حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا كان يوم القيامة، وفرغ الله من قضاء الخلق، فيبقى رجلان فيؤمر بهما إلى النار، فيلتفت أحدهما، فيقول الجبار تبارك اسمه: ردوه فيردوه فيقال له: لم التفت يعني فيقول: قد كنت أرجو أن تدخلني الجنة قال: فيؤمر به إلى الجنة قال، فيقول: لقد أعطاني ربي حتى لو أني أطعمت أهل الجنة ما نقص ذلك مما عندي شيئا " قالا: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكره يرى السرور في وجهه. (حم) ٢٣٩٦٤ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

- حدثنا يحيي بن موسى قال: أخبرنا أبو داود قال: أخبرنا صدقة بن موسى قال: أخبرنا محمد بن واسع، عن سمير بن نهار العبدي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن **حسن الظن بالله** من حسن عبادة الله": "هذا حديث غريب من هذا الوجه" ، (ت) ٣٦٠٤

- حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، ح وحدثنا نصر بن علي، عن مهنا أبي شبل، قال أبو داود: "ولم أفهمه منه جيدا" عن حماد بن سلمة، عن محمد بن واسع، عن شتير، قال: نصر ابن نهار عن أبي هريرة، - قال نصر - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "حسن الظن من حسن العبادة" قال أبو داود: مهنا ثقة بصري ، (د) ٤٩٩٣ [قال الألباني]: ضعيف

- حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن واسع، عن شتير بن نهار، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن حسن الظن من حسن العبادة" (حم) ٧٩٥٦ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

- حدثنا عبد الرحمن، حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن واسع، عن شتير بن نهار، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن حسن الظن من حسن العبادة" (حم) ٨٠٣٦ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن حسن الظن من حسن عبادة الله» (حم) ٨٧٠٩ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

- حدثنا عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن واسع، عن شتير بن نهار، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حسن الظن من حسن العبادة» (حم) ٩٢٨٠ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

- حدثنا بهز، قال: حدثنا حماد، قال: حدثنا محمد بن واسع، عن شتير بن نهار، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حسن الظن من حسن العبادة» (حم) ١٠٣٦٤ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

- أخبرنا أبو خليفة، قال: حدثنا أبو الوليد الطيالسي، عن حماد بن سلمة، عن محمد بن واسع، عن شتير بن نهار، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "حسن الظن من حسن العبادة". (رقم طبعة با وزير: ٦٣٠) ، (حب) ٦٣١ [قال الألباني]: ضعيف - "الضعيفة" (٣١٥٠)، "المشكاة" (٥٠٤٨ / التحقيق الثاني).

- حدثنا بشر بن معاذ العقدي البصري قال: حدثنا حماد بن واقد، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سلوا الله من فضله، فإن الله عز وجل يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج": هكذا روى حماد بن واقد هذا الحديث، وقد خولف في روايته، وحماد بن واقد هذا هو: الصفار ليس

بالحافظ، وروى أبو نعيم، هذا الحديث عن إسرائيل، عن حكيم بن جبير، عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وحديث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح ، (ت) ٣٥٧١ [قال الألباني]: ضعيف." (١)

"نسقي به، فلما عذرهما سقى لهما ماشيتهما ﴿ثم تولى إلى الظل فقير﴾ الذي كان جالسا تحته وهو ظل شجرة وهو شجر صحراوي معروف يقال السمر، ولما تولى إلى الظل سأل ربه الطعام لشدة جوعه إذ خرج من مصر بلا زاد ولا دليل ولولا حسن (١) ظنه في ربه لما خرج هذا الخروج فقال: ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير﴾ أي (٢) طعام ﴿فقير﴾ أي محتاج إليه شدة الاحتياج. وفي أقرب ساعة وصلت البنتان إلى والدهما فسألهما عن سبب عودتهما بسرعة فأخبرتاه، فقال لإحداهما اذهبي إليه وقولي له: ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ وهو معنى قوله تعالى ﴿فجاءته إحداهما﴾ استجابة الله له ﴿تمشي على استحياء﴾ واضعة كم درعها على وجهها حياء. وقد قال فيها عمر رضي الله عنه إنها ليست سلفعا (٣) من النساء خراجة ولاجة، وبلغت الرسالة المختصرة وكأنها برقية ونصها ما أخبر الله تعالى به في قوله: ﴿إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ !! وقد ورد أنها لما كانت تمشي أمامه تدله على الطريق هبت الريح فكشفت ساقيها قال لها موسى: امشي ورائي ودليني على الطريق بحصى ترميها نحو الطريق وهذا الذي دلها على أمانته لما وصفته لأبيها بأنه ﴿قوي أمين﴾ كما سيأتي فيما بعد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- وجوب حسن الظن بالله تعالى وقوة الرجاء فيه عز وجل والتوكل عليه.

٢- بيان فضل الحياء وشرف المؤمنات اللائي يتعففن عن الاختلاط بالرجال.

٣- بيان مروءة موسى في سقيه للمرأتين.

٤- فضل الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه.

٥- ستر الوجه عن الأجانب سنة المؤمنات من عهد قديم وليس كما يقول المبطلون هو عادة جاهلية، فبنتا شعيب نشأتا في دار النبوة والطهر والعفاف وغطت إحداهما وجهها عن موسى حياء وتقوى.

فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين (٢٥) قالت إحداهما

١- وتوكله على ربه عز وجل.

٢- لفظ الخير يطلق عدة إطلاقات فقد أطلق على الطعام كما هنا وأطلق على العبادة كما في قوله: (فعل الخيرات) وعلى القوة في قوله (أهم خير أم قوم تبع) وعلى المال في قوله (وإنه لحب الخير لشديد) .

٣- السلفع من النساء: الجريئة على الرجال.." (٢)

---

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ١/١٤٧

(٢) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٤/٦٥

"وأكذبهم الله تعالى في قولهم فقال ﴿وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ أي ما يريدون بهذا الاعتذار إلا الفرار من وجه العدو، وقال تعالى فيهم ومن أصدق من الله قيلا: ﴿ولو دخلت عليهم﴾ المدينة ﴿من أقطارها﴾ أي من جميع نواحيها من شرق وغرب وشمال وجنوب (١) ﴿ثم سئلوا الفتنة﴾ أي طلب منهم العدو الغازي الذي حل عليهم المدينة الردة أي العودة إلى الشرك ﴿لآتوها﴾ أعطوها فورا ﴿وما تلبثوا بها إلا يسيرا﴾ حتى يرتدوا عن الإسلام ويصبحوا كما كانوا مشركين والعياذ بالله من النفاق والمنافقين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- مشروعية التذكير بالنعم ليشكرها المذكرون بها فتزداد طاعتهم لله ورسوله.

٢- عرض غزوة الأحزاب أو الخندق عرضا صادقا لا أمثل منه في عرض الأحداث للعبرة.

٣- بيان أن غزوة الخندق كانت من أشد الغزوات وأكثرها ألما وتعبا على المسلمين.

٤- بيان أن **حسن الظن بالله** ممدوح، وأن سوء الظن به تعالى كفر ونفاق.

٥- بيان مواقف المنافقين الداعية إلى الهزيمة ليكون ذلك درسا للمؤمنين.

٦- تقرير النبوة المحمدية بإخبار الغيب التي أخبر بها رسول الله فكانت كما أخبر من فتح فارس والروم واليمن.

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا (١٥) قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا (١٦)

قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (١٧) قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين

---

١ – ثم العطف بها هنا للترتيب الرتبي، إذ كان مقتضى الظاهر أن يكون العطف بالواو، لأن المذكور بعد حرف العطف داخل في فعل الشرط ووارد عليه جوابها فعدل عن الواو إلى ثم لأجل التنبيه على أن ما بعد ثم أهم من الذي قبلها أي أنهم مع ذلك يأتون الفتنة.." (١)

"مرة﴾ أي النشأة الأولى في الدنيا ثم أماتكم ثم أحياكم ﴿وإليه ترجعون﴾ وها أنتم قد رجعتم فالقادر على هذا كله قادر على أن ينطقنا وعلى كل شيء أراد إنطاقه، وقوله ﴿وما كنتم تستترون (١) أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ أي وما كنتم تستخفون فتتركوا محارم الله بل كنتم تجاهرون بذلك لعدم إيمانكم بالبعث والجزاء ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم﴾ وهو ظن سيء ﴿أرداكم﴾ أي أهلككم ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وهذا هو الخسران المبين وقوله تعالى في الآية الأخيرة من هذا السياق (٢٣) فإن يصبروا أي أعداء الله الذين شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم فالنار مثوى أي مأوى لهم لا يخرجون منها أبدا. وإن يستعتبوا أي يطلبوا العتبى أي

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٤/٢٥١

الرضا فيرضى عنهم فيدخلوا الجنة ﴿فما هم من المعتبين﴾ أي فما هو بحاصل لهم أبدا فهم إذا بشر التقديرين والعياذ بالله تعالى من حال أهل النار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض مفصل بحال أهل النار فيها.

٢- التحذير من فعل الفواحش وكبائر الذنوب فإن جوارح المرء تشهد عليه.

٣- التحذير من سوء الظن بالله تعالى ومن ذلك أن يظن المرء أن الله لا يطلع عليه. أو لا يعلم ما يرتكبه، أو أنه لا يحاسبه أو لا يجزيه.

٤- وجوب **حسن الظن بالله** تعالى وهو أن يرجو أن يغفر الله له إذا تاب من زلة زلها، وأن يرجو رحمته وعفوه إذا كان في حال العجز عن الطاعات ولا سيما عند العجز عن العمل للمرض والضعف كالكبر ونحوه فيغلب جانب الرجاء على جانب الخوف.

وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والأنس إنهم

١- في الصحيحين حادثة ذكرت أنها سبب نزول هذه الآية وهي أن عبد الله بن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قريشيان وآخر قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا. قال عبد الله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ﴿وما كنتم تستترون﴾ الخ..." (١)

"روى الإمام أحمد عن مجاهد: أن الناس كانوا يطوفون بالبيت وابن عباس جالس معه محجن (عصا منعطفة الرأس) فقال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، ولو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن ليس له طعام إلا الزقوم»!؟ (رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة)

وقال الإمام أحمد، عن عبد الله بن عمرو قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه». وفي الحديث الصحيح عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو **يحسن الظن بالله** عز وجل» وعن أنس قال: كان رجل من الأنصار مريضا فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فوافقه في السوق فسلم عليه، فقال له: «كيف أنت يا فلان»؟ قال بخير يا رسول الله أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف» (رواه الحافظ البزار والترمذي والنسائي).

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري   أبو بكر الجزائري ٤/٥٧١

وقوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ قيل: ﴿بحبل الله﴾ أي بعهد الله كما قال في الآية بعدها: ﴿ضربت عليه الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾ أي بعهد وذمة، وقيل: ﴿بحبل الله﴾ يعني القرآن كما في حديث الحارث الأوعور عن علي مرفوعا في صفة القرآن: «هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم».

وروى ابن مردويه عن عبد الله رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذا القرآن هو حبل الله المتين، وهو النور المبين، وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه».

وقوله تعالى: ﴿ولا تفرقوا﴾ أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق، والأمر بالاجتماع والائتلاف، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويسخط لكم ثلاثا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال".

وقوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم أعدآء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ إلى آخر الآية، وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج، فإنه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة وضغائن وإحن، طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم، فلما جاء الله بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم صاروا إخوانا متحابين بجلال الله، متواصلين في ذات الله؛ متعاونين على البر والتقوى. قال الله تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا مآ ألفت بين قولبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ إلى آخر الآية. وكانوا على شفا حفرة من النار بسبب كفرهم فأنقذهم الله منها أن هداهم للإيمان. وقد امتن عليهم." (١)

"فبالرغم من أنه موثق بالحبال وسيلقى في النار إلا أنه آمن مطمئن، **حسن الظن بالله**، راض عنه ولذلك يقول: "نعم الوكيل"، فقلها بهذا الإحساس؛ يكن عدوك هو المغموم وتجد أنت راحة البال، ثم أبشر لن تمسك نار عدوك؛ قال – سبحانه وتعالى-: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (١٧٣) فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم (١٧٤) إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران:١٧٣ – ١٧٥] فأخبر –عز وجل – أن الذين قالوا هذه الكلمة نالوا منه خيرين: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله﴾، و ﴿وفضل﴾ وهما: النعمة: ﴿لم يمسسهم سوء﴾ عافية الدنيا. والفضل: ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ الثبات على الدين ﴿والله ذو فضل عظيم﴾.

ثم أعانك الله –سبحانه وتعالى– على بلوغ اليقين فقال لك: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٧٥]، كل هذا ثم تخاف!! لا تخف لا بأس عليك.." (٢)

"بالآخرين، واجعل انشغالك بمن ينفعك انشغالك به، تب من التعلق بالأسباب والتعلق بغير الله.

(٣) التوبة من الأماني والتسويف وطول الأمل:

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٣٠٥/١

(٢) الأنس بذكر الله محمد حسين يعقوب ص/٢٣٨

تلكم الثلاثة أمراض خطيرة تقتل الإيمان ..

إخوتي في الله: أحذركم من السين وسوف .. أحذركم من الاغترار بالأماني، قال الحسن البصري رحمه الله: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، وإن قوما غرتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، قالوا **نحسن الظن بالله** وكذبوا؛ لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.

(٤) التوبة من العجب والكبر والغرور ورؤية النفس:

وهذه الأمراض أيضا تقتل الإيمان، وتذهب بالعبد إلى الجحيم، فالمعجب محبط عمله، ولن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، والغرور قتال، ورؤية النفس تجعلك تختال، فاحذر يا مسكين، فإنك لا تدري بم يختم لك، تب من كل ذلك وانكسر واخضع وذل لربك لعل أحد هؤلاء الذين تزدريهم قد سبقك إلى الجنة بمراحل، ولله في خلقه شئون، فاحذر .. عجل بالتوبة، ومن تواضع لله رفعه.

خامسا: التوبة من الكسل:

(١) كم بين العلم والعمل:

ونحن على أبواب رمضان، والكل بلا استثناء يعرف فضائل رمضان، ويحفظ الوعود على الأعمال، ولكن ماذا أفاد هذا العلم؟، وبم نفع هذا الحفظ؟، أين العمل؟!." (١)

"* الطلب لقاح الايمان ، فإذا اجتمع الإيمان والطلب أثمرا العمل الصالح.

* **وحسن الظن بالله** لقاح الافتقار واضطرار إليه ، فإذا اجتمعا أثمرا إجابة الدعاء.

* والخشية لقاح المحبة ، فإذا اجتمعا أثمرا امتثال الأوامر واجتناب المناهى.

* والصبر لقاح اليقين ، فإذا اجتمعا أورثا الإمامة فى الدين ، قال تعالى: " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون " (السجدة: ٢٤).

* وصحة الاقتداء بالرسول لقاح الاخلاص ، فإذا اجتمعا أثمرا قبول العمل والاعتداد به.

* والعمل لقاح العلم ، فإذا اجتمعا كان الفلاح والسعادة ، وإن انفرد أحدهما عن الآخر لم يفد شيئا.

* والحلم لقاح العلم ، فإذا اجتمعا حصلت سيادة الدنيا والآخرة ، وحصا الانتفاع بعلم العالم ، وإن انفرد أحدهما عن صاحبه فات النفع والانتفاع.

* والعزيمة لقاح البصيرة ، فإذا اجتمعا نال صاحبهما خير الدنيا والآخرة ، وبلغت به همته من العلياء كل مكان. فتخلف الكمالات إما من عدم البصيرة ، وإما من عدم العزيمة.." (٢)

"السادس: العزيمة لقاح البصيرة:

يقول ابن القيم: " والعزيمة لقاح البصيرة ، فإذا اجتمعا نال صاحبهما خير الدنيا والآخرة ، وبلغت به همته العلياء كل مكان.

---

(١) أسرار المحبين في رمضان محمد حسين يعقوب ص/٥٧

(٢) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/٢٤٠

فتخلف الكمالات إما من عدم البصيرة وإما من عدم العزيمة ".

البصيرة: أن يرى قلبك الحق فيعرفه ، فإذا رأى الحق عزم عليه فعاش عليه ، ثم تحدث لك عزيمة ثانية على ترك الباطل فتبتعد عنه.

السابع: **حسن الظن بالله** لقاح الافتقار والاضطرار إليه:

يقول ابن القيم: " **وحسن الظن بالله** لقاح الافتقار والاضطرار إليه ، فإذا اجتمعا أثمرا إجابة الدعاء "

حسن الظن .. وتأمل هذا الحديث: " إن رجلا بعث فحوسب فثقلت موازين سيئاته ، فقال الله: خذوه إلى النار ، فصار يلتفت ، فقال الله: ردوه ، فقال الله: عبدى هل وجدت سيئة فى صحيفتك لم تعملها قال: لا يا رب قال: فما بالك تلتفت ، قال: ما هذا ظنى فيك يا رب ، فقال الله: خذوه إلى الجنة " .. اللهم ارزقنا الجنة .. لم يكن ظنى بك يا رب أنك ستدخلنى النار ، بل كان ظنى أنك سترحمنى وتدخلنى الجنة .. كان هذا ظنى فيك يا رب.

قال الله – عز وجل – فى الحديث القدسى: " أنا عند ظن عبدى بى فليظن عبدى ما شاء " [صححه الألبانى] .. فما ظنك بالله ، العذاب أم الجنة؟ .. اللهم." (١)

"استرنا يا رب .. وإذا كنت تظن به خيرا فهل عملت خيرا؟! .. وهل تصلح وهل تستحق لأن يدخلك الجنة؟! .. اصدق مع الله يرحمك وينجك.

حاول أن تكون مستحقا لأن يحبك الله ، فاضبط نفسك على طاعته .. فحسن الظن مع سوء العمل لا ينفع صاحبه ، فضلا عن أنه سوء أدب مع الله ، قال الحسن: " إن قوما غرتهم الأمانى قالوا: **نحسن الظن بالله** وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ".

فكيف تحسن ظنك بالله وأنت تحاربه ، وتعاديه بالمعاصى؟! كيف وأنت موله ظهرك؟! كيف وأنت لا تذكره؟! كيف وأنت لا تقرأ كلامه ولا تنفذ أوامره وأحكامه؟! وكيف وأنت لا تطيعه؟! كيف **تحسن الظن بالله** وأنت تفعل كل ما نهاك عنه؟! إن الأمر – إخوتاه – ليس لعبا ، قال – تعالى –: " وما هو بالهزل " (الطارق: ١٤).

فأحسن الظن بحق ، فاعمل .. أحسن الظن ، فحسن الظن لقاح الافتقار والاضطرار. قال الله: " أمن يجيب المضطر إذا دعاه " (النمل: ٦٢) ..

يا رب ، ليس لى إلا أنت .. افتقار واضطرار .. يا رب ، لو وكلتنى إلى نفسى فسأضل ، فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين أبدا ولا أقل من ذلك .. خذ بيدى يا رب .. لا تسلط على أعدائك فأنا ضعيف ..

لا تسلمنى للعصاة والمذنبين فأنا مفتون وضعيف .. يا رب!

سيدنا يوسف افتقر إلى ربه فقال: " وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن " (يوسف: ٣٣) .. فقل: يا رب .. قل: " إنى مغلوب فانتصر " (القمر: ١٠) .. افتقر إلى الله فى كل شيء .. يا رب ، لا أعرف أصلى فعلمنى ..." (٢)

---

(١) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/٢٤٧

(٢) أصول الوصول إلى الله تعالى محمد حسين يعقوب ص/٢٤٨

"التطير (١).

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الحسنة" متفق عليه (٢).

(لا عدوى: أي أن المرض لا ينتقل بطبعه ولكن الله هو الذي يقدر).

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الطيرة شرك" أخرجه أبو داود (٣).

الشرح:

التطير هو التشاؤم بالطيور كالغراب أو البوم، أو بأسماء الناس أو خلقتهم أو نحو ذلك، فإذا عزم الإنسان على فعل ثم رأى من هذه الأشياء شيئا فرده، فهذا هو التطير الذي هو من الشرك لاعتقاد الفاعل أن لهذه الأشياء نوع تصرف في الأمور من جلب الضر، ولمنافاتها للتوكل على الله. أما الفأل فليس فيه تعلق للقلب بغير الله ولكن النفس تقوى وتنشط على مطلوبها إذا رأت أو سمعت ما يسرها وهو من **حسن الظن بالله.**

---

(١) انظر: شروح كتاب التوحيد: باب ما جاء في التطير.

(٢) خ ١٠/ ٢١٤ (٥٧٥٦، م ٢٢٢٤.

(٣) د ٣٩١٠.." (١)

"الفوائد:

- النهي عن التطير وهو ترك العمل تشاؤما بطير أو نحوه.
- أنه من الشرك إذا تسبب في ترك العمل، لاعتقاد الضر والنفع في غير الله تعالى.
- استحباب التفاؤل لما فيه من **حسن الظن بالله.**." (٢)

"من أحكام الاحتضار

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله"أخرجه مسلم (١).

عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة" أخرجه أبو داود (٢).

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاث يقول: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن"أخرجه مسلم (٣).

---

(١) الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية راشد العبد الكريم ص/٥٤

(٢) الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية راشد العبد الكريم ص/٥٥

الشرح:

التوحيد أمره عظيم، ولذلك كان جزاء من ختم حياته بالإقرار بالتوحيد بذكر الشهادتين أن يدخله الله الجنة، كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم من شارف على الموت أن **يحسن الظن بالله** ويطمع في رحمته.

الفوائد:

- فضل الشهادتين.

-مشروعية تلقين الميت الشهادتين، بأن يذكر بها عند احتضاره.

- الأمر بإحسان الظن بالله عز وجل.

---

(١) م ٩١٦.

(٢) د ٣١١٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٤٧٩.

(٣) م ٢٨٧٧.." (١)

"قال إسحاق العابد: ربما امتحن الله العبد بمحنة يخلصه بها من الهلكة، فتكون تلك المحنة أجل نعمة.

يقال: إن من احتمل المحنة، ورضي بتدبير الله تعالى في النكبة، وصبر على الشدة، كشف له عن منفعتها، حتى يقف على المستور عنه من مصلحتها.

حكي عن بعض النصارى أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال: المحن تأديب من الله، والأدب لا يدوم، فطوبى لمن تصبر على التأديب، وتثبت عند المحنة، فيجب له لبس إكليل الغلبة، وتاج الفلاح، الذي وعد الله به محبيه، وأهل طاعته.

قال إسحاق: احذر الضجر، إذا أصابتك أسنة المحن، وأعراض الفتن، فإن الطريق المؤدي إلى النجاة صعب المسلك.

قال بزرجمهر: انتظار الفرج بالصبر، يعقب الاغتباط.

حسن الظن بالله لا يخيب

((أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء)) .

لبعض الكتاب: إن الرجاء مادة الصبر، والمعين عليه. فكذلك علة الرجاء ومادته، **حسن الظن بالله**، الذي لا يجوز أن يخيب، فإنا قد نستقري الكرماء، فنجدهم يرفعون من أحسن ظنه بهم، ويتحوبون من تخيب أمله فيهم، ويتحرجون من قصدهم، فكيف بأكرم الأكرمين، الذي لا يعوزه أن يمنح مؤمليه، ما يزيد على أمانيهم فيه.." (٢)

---

(١) الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية راشد العبد الكريم ص/٤٩٩

(٢) لا تحزن عائض القرني ص/٣٥٥

"أنت تتعامل مع أرحم الراحمين

إن لفت نظرك هذا الحديث، فقد لفت نظري أيضا، وهو ما رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني، أن شيخا كبيرا أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو مدعم على عصا، فقال: يا نبي الله، إن لي غدرات وفجرات، فهل يغفر لي؟ فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؟)) قال: نعم يا رسول الله. قال: ((فإن الله قد غفر لك غدراتك وفجراتك)) . فانطلق وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر.

أفهم من الحديث مسائل: منها سعة رحمة أرحم الراحمين، وأن الإسلام يهدم ما قبله، وأن التوبة تجب ما قبلها، وأن جبال الذنوب في غفران علام الغيوب لا شيء، وأنه يجب عليك حسن الظن بمولاك، والرجاء في كرمه العميم، ورحمته الواسعة.

براهين تدعوك للتفاؤل

في كتاب **«حسن الظن بالله»** لابن أبي الدنيا، واحد وخمسون ومائة نص، ما بين آية وحديث، كلها تدعوك إلى التفاؤل، وترك اليأس والقنوط، والمثابرة على حسن الظن وحسن العمل، حتى إنك لتجد نصوص الوعد أعظم من نصوص الوعيد، وأدلة التهديد، وقد جعل الله لكل شيء قدرا.." (١)

"ومن الدعوات العظيمة التي يحسن بالمحتضر أن يدعو الله بها سؤاله سبحانه المغفرة والرحمة، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مسند إلي ظهره يقول: "اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى "١.

ومما يحسن أن يذكر به المحتضر إحسان الظن بربه، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاث، يقول: " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن" رواه مسلم٢.

وروى ابن أبي الدنيا في كتابه **حسن الظن بالله**، عن إبراهيم النخعي أنه قال: "كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته؛ لكي يحسن ظنه بربه عز وجل"٣.

ولم يثبت حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يدل على مشروعية قراءة شيء من القرآن الكريم على المحتضر، وحديث: " اقرؤوا ياسين على موتاكم " حديث ضعيف لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما نبه على ذلك غير واحد من أهل العلم٤.

ثم إن هناك أمورا ينبغي على المحتضر مراعاتها وملاحظتها:

من ذلك أن عليه أن يرضى بقضاء الله ويصبر على قدره؛ لينال أجر الصابرين وثواب المحتسبين، ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

---

(١) لا تحزن عائض القرني ص/٤٠٩

١ صحيح البخاري (رقم:٤٤٤٠) ، وصحيح مسلم (رقم:٢٤٤٤) .

٢ صحيح مسلم (رقم:٢٨٧٧) .

٣ **حسن الظن بالله** (رقم:٣٠) .

٤ انظر: إرواء الغليل (٣/١٥٠) .." (١)

"القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين (٢٠٥)﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين (٩٠)﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿أغير الله تدعون إن كنتم صادقين﴾ [الأنعام: ٤٠].

١٠ - أن يبدأ بنفسه ويشرك إخوانه معه بالدعاء.

قال تعالى: ﴿قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين (١٥١)﴾ [الأعراف: ١٥١].

وقال سبحانه: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم (١٠)﴾ [الحشر: ١٠].

ومع ذلك يجوز أن يدعو لغيره، غير أن سجاياه البدء بنفسه أولا؛ لحديث أبي ابن كعب - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا ذكر أحدا فدعا له، بدأ بنفسه" (١).

ثالثا: آداب بعد الدعاء.

١ - أن يوقن بالإجابة، **ويحسن الظن بالله** سبحانه، ولا يستعظم المسألة.

"يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني" (٢).

٢ - أن يستمر في الدعاء في الشدة والرخاء.

---

(١) صحيح. أخرجه الترمذي (٣٣٨٥)، وقال: حسن غريب صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٥).." (٢)

"سبع وعشرون: فضل الدعاء

١ - قال الله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ .

٢ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدعاء هو العبادة» (رواه أبو داود) .

٣ - قال صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يستجيب الله تعالى له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الكرب» . (رواه الترمذي) .

---

(١) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٣/٢٢٦

(٢) موسوعة الأخلاق - الخراز خالد الخراز ص/١٤٧

٤ – كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك. (رواه أبو داود) .

٥ – كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» (رواه البخاري) .

٦ – سئلت أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – ما أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» (رواه الترمذي) .

(*) آداب الدعاء:

١ – افتتاح الدعاء بالثناء على الله عز وجل، والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وختمه بذلك، ثم التأمين.

٢ – أن يتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وبالأعمال الصالحة، وبطلب الدعاء من أهل الفضل في حياتهم.

٣ – أن يتحرى الأزمن والأوقات والأمكنة والأحوال الشريفة مثل: ليلة القدر، والثلث الأخير من الليل، ودبر الصلوات المكتوبة، وعند نزول الغيث، وعند زحف الصفوف في سبيل الله، وآخر ساعة من يوم الجمعة، وفي السجود، ويوم عرفة، وشهر رمضان، وبين الحجر الأسود وباب الكعبة، والدعاء عند المشعر الحرام، وعند الصفا والمروة ونحو ذلك.

٤ – استقبال القبلة، ورفع اليدين، والدعاء ثلاثا.

٥ – خفض الصوت، وتجنب التكلف في الألفاظ.

٦ – حضور القلب، وصدقة الضراعة، والتخشع والإلحاح، وألا يتعجل الإجابة.

٧ – أن يجزم بالطلب ويوقن بالإجابة، ولا يستعظم المسألة **ويحسن الظن بالله**، ولا يقول: اللهم اغفر لي إن شئت.

٨ – أكل الحلال، ورد المظالم، والتوبة إلى الله.

٩ – النهي عن الدعاء على النفس والولد والمال والخادم لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجب لكم» (رواه مسلم) ، وزاد أبو داود: «ولا تدعوا على خدمكم» .

١٠ – أن لا يسأل بوجه الله تعالى غير الجنة.

(*) مجابو الدعوة:

١ – المضطر.

٢ – المظلوم ولو كان كافرا.

٣ – الوالد على ولده أو له.

٤ – الإمام العادل.

٥ – الابن البار.

٦ – المسلم إذا دعا لأخيه بظهر الغيب.

٧ - الصائم حتى يفطر.

٨ - المسافر حتى يرجع.." (١)

"وقال تعالى: ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ الأعراف:١٥٨).

ولا شك أن العمل الذي لا يكون على شريعة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يكون باطلا، لقول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد». (رواه البخاري ومسلم). وقوله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» (رواه البخاري ومسلم).

الشرط الثالث: الثقة بالله تعالى واليقين بالإجابة:

فمن أعظم الشروط لقبول الدعاء الثقة بالله تعالى، وأنه على كل شيء قدير، لأنه تعالى يقول للشيء كن فيكون، قال سبحانه: ﴿إنما قولنا لشيء إذآ أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ (النحل:٤)، وقال سبحانه: ﴿إنمآ أمره إذآ أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ (يس:٨٢)، ومما يزيد ثقة المسلم بربه تعالى أن يعلم أن جميع خزائن الخيرات والبركات عند الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزآئنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ (الحجر:٢١).

وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - في الحديث القدسي الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» (رواه مسلم).

وهذا يدل على كمال قدرته سبحانه وتعالى، وكمال ملكه، وأن ملكه وخزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء، ولو أعطى الأولين والآخرين: من الجن والإنس جميع ما سألوه في مقام واحد، ولهذا قال - صلى الله عليه وآله وسلم -: «إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؛ فإنه لم ينقص ما في يمينه» (رواه البخاري ومسلم). (سحاء: أي دائمة الصب تصب العطاء صبا، ولا ينقصها العطاء الدائم في الليل والنهار).

فالمسلم إذا علم ذلك فعليه أن يدعو الله وهو موقن بالإجابة، لما تقدم، ولحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه» (حسن رواه الترمذي).

الشرط الرابع: حضور القلب والخشوع والرغبة فيما عند الله من الثواب والرهبة مما عنده من العقاب، فقد أثنى الله تعالى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى:

﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين، فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ (الأنبياء:٨٩ - ٩٠).

فلا بد للمسلم في دعائه من أن يحضر قلبه، وهذا أعظم شروط قبول الدعاء، وقد جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب

---

(١) ذكر وتذكير صالح السدلان ص/٨٠

دعاء من قلب غافل لاه» (حسن رواه الترمذي).

وقد أمر الله تعالى بحضور القلب والخشوع في الذكر والدعاء، فقال سبحانه: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ (الأعراف:٢٠٥).

الشرط الخامس: العزم والجزم والجد في الدعاء:

المسلم إذا سأل ربه فإنه يجزم ويعزم بالدعاء، ولهذا نهى – صلى الله عليه وآله وسلم – عن الاستثناء في الدعاء؛ فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له» (رواه البخاري).

وعنه – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه» (رواه البخاري ومسلم).

قال العلماء: عزم المسألة الشدة في طلبها، والجزم من غير ضعف في الطلب، ولا تعليق على مشيئة ونحوها، وقيل: هو **حسن الظن بالله** تعالى في الإجابة.

ومعنى الحديث: استحباب الجزم في الطلب، وكراهة التعليق على المشيئة، قال العلماء: سبب كراهته أنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه، والله تعالى منزه عن ذلك، وهو معنى قوله – صلى الله عليه وآله وسلم – في آخر الحديث: فإنه لا." (١)

"ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» (متفق عليه).

لقد خبأ الله تعالى تسعة وتسعين بالمائة من رحمته يرحم بها عباده يوم القيامة، **فحسن الظن بالله** تعالى مطلوب على الدوام ما لم يتخذ المرء من ذلك ذريعة لكي يستحل المحارم ويرتكب الآثام، وإذا ما وعظه أحد أو نهاه عن ذلك قال إن الله غفور رحيم. قال الله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ (الزمر: ٥٣).

والرجال بحسب أعمالهم ثلاثة: رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها، ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة، والثالث الرجل الكاذب يتمادى في الذنوب ويقول: أرجو المغفرة.

إن الموازنة بين الخوف والرجاء مطلوبة على الدوام، فالخوف يردع عن ارتكاب الذنوب والرجاء يشجع الإنسان على التوبة والإقلاع عن الذنوب.

خف الله وارجوه لكل عظيمة ... ولا تطع النفس اللجوج فتندما

وكن بين هاتين من الخوف والرجا ... وأبشر بعفو الله إن كنت مسلما." (٢)

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٢٤٠/١

(٢) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ٤١٢/١

"عين. فعند ذلك يسهل عليه الصغير، كما سهل عليه الكبير ويبقى مطمئن النفس ساكن القلب مستريحا.

العشرون: الشكوى إلى أهل العلم والدين:

ومن العلاجات أيضا الشكوى إلى أهل العلم والدين وطلب النصح والمشورة منهم، فإن نصائحهم وآراءهم من أعظم المثبتات في المصائب. فيسمع المسلم من أهل العلم والقدوة ما يسليه ويخفف عنه آلام غمومه وهمومه.

وقد شكى الصحابة لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ما كانوا يلقون من تعذيب، فهذا خباب ابن الأرت سدد خطاكم يقول: شكونا إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له: «ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا»، قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» (رواه البخاري).

وكذلك شكى التابعون إلى صحابة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، يقول الزبير بن عدي: «أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: «اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم – صلى الله عليه وآله وسلم –» (رواه البخاري).

الحادي والعشرون: أن يعلم المهموم والمغموم أن بعد العسر يسرا، وأن بعد الضيق فرجا:

فليحسن الظن بالله فإنه جاعل له فرجا ومخرجا. وكلما استحكم الضيق وازدادت الكربة قرب الفرج والمخرج. وقد قال تعالى: ﴿فإن مع العسر يسرا (٥) إن مع العسر يسرا (٦)﴾ (الشرح: ٥ – ٦)، فذكر عسرا واحدا ويسرين، فالعسر المقترن بأل في الآية." (١)

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ   شحاتة صقر ٢/٦٦٣